نظـــرات فـــى

الكـــون والقـــرآن

«مُدَارسة عقلية إيمانية»

دكتـــور

عبد الهادى ناصر

نائب رئيس جامعه المنوفية



الناشـــر

المكتبة الأكاديمية

١٩٩٥

إهـــداء

إلى روح والدى ووالدتى..

إلى زوجتى وأبنائى وأحفادى..

إلى كل إنسان مسلما كان أو غير مسلم..

أهدى هذا الجهد المتواضع.. لعل فيه الطمأنينة وراحة البال!

حقوق النشر

المكتبة الأكاديمية

١٢١ ش التحرير ـ الدقى ـ القاهرة

تليفون : ٣٤٨٥٢٨٢/ ٣٤٩١٨٩٠

فاكس : ٣٤٩١٨٩٠ ـ ٢٠٢

المحتويات

تقـــــديم

الأستاذ الدكتور عبد الصبور مرزوق

يعيش العقل العربى والاسلامى المعاصر أزمة العجز من ضبط نشاطه العلمى والحياتى على القبلة الصحيحة، التى عرفها أسلافنا بفطرتهم وفقههم الدقيق لمعطيات النص القرآنى، فأسهموا بذلك فى خدمة النهضة العلمية، التى لم يكن يملكها ولم يتهيأ لها بناة عصر النهضة الأوربية إلا بعد وقوفهم على جهد ونتاج علمائنا المسلمين فى مختلف فروع المعرفة من أمثال ابن سينا، والرازى، وابن النفيس، وابن الهيثم والكاشى وغيرهم من أولئك الأعلام الذين كانوا يضبطون فكرهم على القبلة الصحيحة التى لا تتجزّأ عندها المعرفة، ولا يجوز عندها تقسيم الإهتمام بين ما هو من علوم الدنيا، وما هو من علوم الدين، وإنّما تأخذ الكُلّ بمنهاج واحد.. تكون فيه علوم الدنيا خادمة لعلوم الدين وصانعة للإيمان.. كما تكون فيه علوم الدين هادية ومرشدة لعلوم الدنيا، وضابطة لنشاطاتها على معايير الأخلاق والقيم وتحقيق الخير للإنسان، بما يكفل لها الهدى والرشد، ويحمى العلماء من غرورهم، بل ويحملهم على استصغار كل ما يحرزونه من نتائج مهما تكن أهميتها ماداموا يؤمنون بانه ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ فيواصلون المسيرة ولا تنقطع بهم الطريق.

وفى ظل هذا التكامل بين علوم الدين وعلوم الدنيا فى اكتساب المعرفة كان من المألوف لدى سلفنا العظيم من العلماء أن يصلى العالم منهم الصلاة المفروضة فى المسجد، ثم ينفلت إلى معمله أو مختبره أو مرصده ليؤدى صلاة من نوع آخر فى محاريب البحث والتجريب.. ومحراب العلم عندهم هو ومحراب المسجد سواء. ولهذا أبدعوا وأنتجوا وتركوا - فى تاريخ العلم والحضارة - آثارهم عظيمة وشامخة فتحت أمام عصر النهضة كل معالم الطريق.

لكن هذه التكاملية فى طريق اكتساب المعرفة لم تتصل، بل تعرضت كما تعرضت الدولة الإسلامية لحالة من الجزر السياسى والثقافى والاجتماعى والعلمى، وبلغت الأزمة ذروتها فى القرنين التاسع عشر والعشرين حيث بات العطاء العلمى فى ديار العرب والمسلمين عالة على الآخرين من الغربيين.

وبدل أن تكون المعرفة شاملة علومى الدين والدنيا، حدث الانفصام الحاد بينهما، وظهرت الثنائية التى مالت بثقلها إلى علوم الدين، وكان لعلوم الدنيا أقل نصيب.

وشاءت إرادة الله أن يقيض لامتنا العربية والمسلمة فى النصف الأخير من القرن العشرين نفراً من العلماء أولى العزم انتبهوا إلى مكمن العلّه فحاولوا انهاء حالة الانفصام بين علوم الدين وعلوم الدنيا، وحاولوا من جديد إعادة وتأكيد الوشائج بينهما والعودة إلى التكاملية فى اكتساب المعرفة.

فاتجهوا إلى آيات الله فى الكون المنظور يدرسون إعجاز الخالق فيها - ويضعون بين أيدى المسلمين الفقه الصحيح لها ليكون ذلك مقدمة لفقة آيات الله فى الكتاب المسطور، استلهاماً لإشارة القرآن فى أول كلماته إلى الرسول ﷺ فى غار حراء، والتى انفتحت بها سورة (العلق).. ﴿إقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق، إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم﴾.. حيث قُدّم الأمر بالقراءة فى كتاب الكون المنظور على قراءة الكتاب المسطور.

وكان من الرعيل الأول لهذه النهضة أو لحركة الاحياء التصحيحية هذه المرحوم الدكتور محمد أحمد الغمراوى، والدكتور عبد العزيز إسماعيل، والدكتور عبد الفتاح إسماعيل، والدكتور عبد الحليم منتصر، والدكتور أحمد زكى، ثم الدكتور جمال الفندى.. وغيرهم من الدين يصدق فيهم قول الله سبحانة وتعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ فاطر ٢٨.

وهاهو الأستاذ الدكتور عبد الهادى ناصر ـ الذى تلقى درجاته العلمية العليا من الاتحاد السوفيتى يوم كان ذلك الاتحاد معقل الإلحاد والفكر المنحرف..

هاهو يطالعنا مُستحصِد الإيمان شامخ اليقين تهديه بصيرته العلمية الشفافة إلى مواطن الإبداع والإعجاز فى كل صنائع الخالق، فيخطو بشموخ على درب أولئكم الرواد العمالقة، يزاحم بمنكبيه ليقول لنا ولهم: (اقرأوا كتابيه)..

وكتابه هذا سفر علمى ضخم يقع فى جزأين كبيرين:

أولهما عن الكون فى القرآن.

والثانى عن الإنسان فى القرآن.

ولست أعدو الحقيقة إذا قررت أن جهد المؤلف فيهما هو جهد موسوعى كبير استغرق ست سنوات من الاستقصاء والحصر والتبويب والترتيب.

وأهم عندى من الوفرة الكمية فى مواد البحث وفروعة، تِلْكُم السباحة فى بحار الإيمان التى يكشف عنها قوله:

(إن التعرض للكتابة فى آيات النظر الكونية القرآنية ـ مغامرة وجرأة. الذلل فيها ليس بالخطأ، لكنه الخطيئة.. ورجفة الكتابة فى هذا المجال تفقد القلم وصاحبه جرأة وجسارة الإقدام.. فإتمام هذه الأعمال من نافذة قرآنية يحتاج إلى إمكانات أمة وجهود كل رجالها.. إستنهاضاً لحضارة تليق بشرف الانتماء إلى الإسلام. وحسبى بهذا الجهد تبسيط وتجسيد ومحاولة فهم آيات النظر القرآنية، ونقلها إلى جمهور الناس من المسلمين وغير المسلمين).. ص ٢٠ من المقدمة.

ومما يجدر التنويه به هنا ذلك الإدراك الواعى للمؤلف بأن عمله هذا على ضخامته وجلاله ليس ولن يكون تفسيراً للقرآن الكريم، وهو بهذا يُجنب نفسه خطر الوقوع فيما سقط فيه بعض المشتغلين بمثل هذه البحوث حين زعموا أنهم يقدمون تفسيراً علمياً أو عصرياً للقرآن الكريم فتراه يقول لابنته: (لا يا بنيتى! هذا ليس بكتاب تفسير للآيات الكونية، فهذا شأن له أهله، وأصوله، ومعارفه، وفقهاؤه.. وهو ليس بكتاب تخصص في علم الحياه.. جغرافيا، فلك، رياضة، هندسة، زراعة، بحار، تشريح، أجنة، طب.. فهذه فروع لها معارفها ومناهلها وفقهاؤها أيضاً.. وهذا العمل يا بنيتى! هو أقرب ما يكون للتبويب الموضوعى لآيات النظر فى القرآن وفى الحياة قديمها وحديثها ومستقبلها).

تقديراً وتحية للأخ الأعز الدكتور عبد الهادى ناصر.

وأسأل الله أن يجعل فى ميزان حسناته هذا العمل العلمى العظيم.

والله من وراء القصد وهو حسبنا،،

دكتور عبد الصبور مرزوق

٢٢ من رمضان ١٤١٤ هـ مارس ١٩٩٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــــديم الأستاذ الدكتور ابراهيم البطاوى

بقراءتى ومراجعتى لكتاب نظرات فى الكون والقرآن - مدارسة علمية ايمانية للأستاذ الدكتور/ عبدالهادى ناصر نائب رئيس جامعة المنوفية خرجت بمحصلة أن للقرآن الكريم ثلاثة مظاهر أو تجليات وجودية:

١- المظهر الأول هو القرآن - كلام الله الحاكم للوجود بأسره، المعبر عن حكمة الخالق فيما خلق، وعن غاية هذا الوجود وأسراره، ودستوره، وقوانينه الكونية التى تحكم جميع الكائنات ما ظهر منها وما خفى، وتحدد الوسائل المثلى للإستثمار السليم لأنعم الله المسخرة للإنسان، ولضبط التعايش مع الآخرين بسلام.. تلك باختصار شديد هى شريعة الاسلام.

والقرآن بهذه المثابة هو كون الله المسطور.

٢- المظهر الثانى للقرآن - كونه مرآة للكون.. المحيط بنا، المنضبط على قوانين الوجود الالهية.. ﴿ماترى فى خلق الله من تفاوت﴾.. وَعَبّرَ القرآن عن تلك القوانين الكونية بدقة بالغة، وبتطابق مذهل للعقل بين الفعل الابداعى والقول الحكيم.. بما يجزم بالشهادة لله الخالق بالوحدانية.. ولسيدنا محمد ﷺ بالرسالة. وكما قال قائل: (وفى كل شئ له آية تدل على أنه الواحد). وجاء هذا التطابق اعلاناً بان الكون ماهو الا وجوداً ثانياً للقرآن

﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفذ البحر قبل ان تنفذ كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا﴾.

٣- ويظهر التجلى الثالث للقرآن فى النفس المؤمنة .. حين يبدأ الانسان التعامل مع أحط مراحل النفس البشرية فى النفس الأمارة بالسوء - ثم يستمع إلى قول الله تعالى: ﴿ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾.. فينكشف له الخطر فيما اقترف من آثام، ويصغى إلى دعوة الرب ﴿توبوا الى الله لعلكم تفلحون﴾.. حتى يخترق النداء شغاف القلب والعقل وسائر الاحاسيس، فتبدأ النفس اللوامة حراكها فتملأ الانسان ندماً وألماً، ويفيق راجعاً إلى صراط الله المستقيم، ويردد فى السبعة عشر ركعة المفروضة قول الله تعالى ﴿اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ فيلبى بالاجابة ﴿آمين﴾.. ويبدأ التحولُ من الشر إلى الخير، ومن البعد إلى القرب، ومن الضلال الى الهدى، حتى يصير قرآناً حياً تتحرك به كل جوارحه وكل جسده تنفيذاً لاوامر الله.. فتبدأ حياته السعيدة ولو مع القل والكفاف ﴿رضى الله عنه فرضى عنه﴾.. وصار يرى

نور الله فى كل كائن من الخلق، يخاطبهم بالله ويعاملهم ويتعامل معه فيهم، فهو هداه وهو رحمته لأنه ﴿دائم على كل نفس بما كسبت﴾.. فهنيئاً للعاملين بالقرآن فى الدارين.. هم حقاً فى أمن وطمأنينة وصلاح بال فى الحياة الدنيا، وفى الآخرة هم فى مقام عظيم.. ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى﴾ صدق الله العظيم.

وتأخذ عند مؤلفنا الفاضل الكثير من المفاهيم مسارها السليم.. حيث بدأ يدرس ويصنف لسبع سنوات وهو الاستاذ الكبير وكأنه الطالب المجد، به حماس الشباب بعد أن عَرَكَ الحياة وطاف فى عقول عُلمائها شرقاً وغرباً، وعايش كفارها ومؤمنيها، وشرارها وكبار مصلحيها.. وكانت له نظرته الدقيقة الفاحصة، وعلمه الوفير، وخبرته الحياتية فى طول البلاد وعرضها، وكأنه الفَلَكيّ الذى يجول بمنظاره فى أرجاء الكون، وجوانب العلم والمعرفة، وفى خبايا النفس البشرية وسائر المخلوقات والتى أباحت له جميعاً ببعض أسرارها وخباياها فى تناسق الهى بديع من الذرة الى المجرة.. وهذه السيمفونية سماها كاتبنا (منظومة الكون) .. ﴿تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير﴾.

ثم أخذ مؤلفنا وراصدنا قلمه وقرطاسه وبدأ يدون مشاهداته تحت عنوان متواضع هو (نظرات فى الكون والقران - مدارسة علمية ايمانية) وهو يقول ﴿رب زدنى علما﴾ فكان هذا العمل الموسوعى الكبير الذى جمع شتات التخصصات والعلوم على مائدة القران، فحقائق كتاب الله كما يقول رائد علماء البحث فى الكونيات استاذنا المرحوم الدكتور محمد الغمراوى صاحب (سنة الله الكونية) وصاحب (الاسلام فى عصر العلم).. الناشر دار الانسان.. والمرحوم عميد كلية الصيدلة مؤكداً ان القران هو المحك لما نصل اليه من معارف يحكم لها او عليها، ومن الجهل ان نجعل فشل معارفنا العلمية غير المستقرة محكاً للقران - فنقع فى سلسلة من الباطل لاتنتهى، وأكثر الباحثين يذهبون إلى الاستدلال على عظمة الخالق بالنظر في عظمة المخلوقات، ويستدلون على وجود الله سبحانه بوجود خلقه - فيقعون فى عيب عجيب؟! فكيف وهو الخالق الاعظم يستدل عليه بغيره؟! كما يقول الشيخ العظيم ابن عطاء الله السكندرى فى كتاب الحكم العطائية.. (بل إني وجدت العتب والتقريع في المثل الذي ضربه الله في كتابه من سورة الفرقان الآية ٤٥).. ﴿ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلا﴾ .. فجعل سبحانه الشمس هى الدليل على الظل، وليس العكس؟! لكن معارفنا محدودة، فلزوم الضوء وتدرجه دليلا على الظل!! فذلك مقام الاكابر من العلماء العارفين!!

ويقيناً حقق مؤلفنا مكاسب ضخمة للباحثين وطلاب العلم والايمان فى سفره هذا، ولكنه لايزال يطمع فى المزيد، وهكذا شأن العلماء.. ﴿وقل رب زدنى علما﴾.. فلا يستطيع العلم ان يقول كلمة تعتبر نهائية.. على حد قول السيد جيمس جينز الفلكي الانجليزى الشهير فى خاتمة كتابة القيم الممتع (الكون الغامض)؟!

ويتفرد القرآن وحده بأنه قولة الحق وكلمته النهائية، حجته وحدها داحضة لما

سواها، وكل ماخالفه من علوم او فلسفات فهو باطل. وشمل القرآن جميع جوانب الحياة والعلوم علمية كانت ام بلاغية ام كونية.. ويتحقق هذا كله فى سور القرآن الجميلة، كما قد يتحقق ذلك باللفظ الواحد!!.. فشمل حقائق تنوء بها عشرات المجلدات.. حقاً إنه لقول فصل.. وعلى سبيل المثال.. أكد القرآن ذلك كله فيما ذكره قبل أربعة عشر قرناً حيث اورد ان اصل الامطار من ماء المحيطات والمسطحات المائية، التى تتوفر فيها عوامل الحفظ والوقاية من طحالب وأملاح لحماية الكائنات الحية التى قوام حياتها الماء.. من انسان وحيوان ونبات.. وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿وجعلنا من الماء كل شئ حى﴾.. وبايجاز سريع آخر نجد أن القران سطر اصل الماء العذب على أنه من ماء الارض أياً ما كان، ومن هبوب الرياح فى عملية التبخير.. فى برزخ المرج وفصل الماء العذب الصالح للحياة من ملح وطحالب وغير ذلك ﴿مرج البحرين هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تاكلون لحماً طرياً﴾.. وذلك وغيره من حقائق عديدة جاء فى وصفه واحدة كما فى قول الله سبحانه ﴿والسماء ذات الرجع﴾ .. والرجع هو المطر، صعد بالتبخير وعمليات معقدة معروفة فينزله الحق سبحانه على من يشاء، ويمنعه عمن يشاء، وصلاة الاستسقاء التى يُنَزلُ بها سبحانه المطر استجابة لدعوة المضطرين من المؤمنين خير شاهد على أن الله وحده المتصرف فى الكون ولا شريك له من ابن او زوجة.. سبحان الله!!

تلك المنظومة القرآنية الكونية بهرت عالمنا الدكتور المهندس عبد الهادى ناصر المتخصص فى تصميم الماكينات وتكنولوجيا هندسة الالات والمصانع والانتاج والرياضيات وعلوم الحضارة.. حين وجد كل ما عَلِمَهُ البشر، ومالم يعلمُوه مسطوراً فى القران فبدأ يعد لنا وللاجيال القادمة نظراته فى الكون والقران والانسان فى هذه التجليات القيمة، التى شملت أغلب حقائق الوجود.. وصدق الله العظيم إذ يقول.. ﴿مافرطنا فى الكتاب من شئ﴾..

إنه توحيد بلسان عالم متحضر متخصص مؤمن.. ولا يغنى عنه كل ما وصل اليه الانسان من معارف حضارة الغرب، والتى مازالت تمتزج بخرافة الاعتقاد والالحاد المادى الرهيب؟!

وبرغم مااتسم به الرجل من عمق وفهم دقيق ففيه تواضع العلماء من بساطة تميزه عن كثير من العاملين، حتى بسطاء الناس، ذلك انه قرأ فى منظومة القرآن الاية ﴿رب زدنى علماً﴾.. فهو لايزال يعمل ويقسو على ذاته متجاوزاً زمانه، وعقبات جسام صادفته فى الحياة فكافأه الله بهذا العطاء..

وكنت أود أن أشير الى عناصر حساسة جداً فى الموسوعة، فهى الزاد الكثير من الباحثين والشباب، ولكنى توقفت بعد ان جمعت حشداً هائلا من الحقائق والاشارات العلمية فى الكون والقران.. حتى لا احول بين قارئى من سياحات رائعة فى ارجاء الكون بين ما استطاع يجمعه مؤلفنا بين يديك عزيزى القارئ من علوم لها أصولها فى دستور الكون.. القران والسنة.. فى انجذاب صوفى محبب الى النفوس، ولكن من حقك على ياقارئى ان تعلم امرين:

أولهما ان تقنية وحضارة الاسلام وردت فى اوامر الله لكل عبد مؤمن فى مقام الاحساس، والذى اوضحه النبى ﷺ فى أوامره.. ﴿أن تعبد الله كانك تراه، فان لم تكن تراه فهو يراك﴾ .. أن تراقب الله فى كل فعل، او قول، او فكر يصدر عنك.. فتتقنه تنفيذاً لامر ربك ﴿واحسنوا ان الله يحب المحسنين﴾.
ويضاف أنه على التقنية الاسلامية قامت اعظم حضارة فى تاريخ البشرية بشهادة خصوم الاسلام انفسهم بان حضارتنا تقنية لتوحيد وعدل وحق وصدق خالص.. حضارتنا مغايرة تماماً لحضارة الفحش والزنا والشذوذ وظلم الضعفاء وعبودية الشهوات.. اخذوا خير ماعندنا من تقنية لدنياهم؟! وصاغوا حضارتهم بالاستعانة بمنهج الخير والعدل منهج رب العالمين ورسوله الكريم..

أما نحن فأهملنا التعامل مع قوله سبحانه ﴿استجيبوا لله والرسول اذا دعاكم لما يحييكم﴾ وبداهة فإن حضارة الاسلام تقوم على العدل والرحمة والايثار، واداء حقوق الحياة لكل عاجز بغير عِوَض.. فى الزكاة والصدقات والبر من كل خير، والبعد عن كل شر ورذيلة.. انها الصدق الذى يتمثل في عظمة تقنية حضارة الاسلام ﴿ألا لله الدين الخالص﴾

والامر الثانى ترسخ فى ان حلول مشاكل المجتمع الصناعى لن تتأتى إلا على اساس العدل الاسلامى؟! .. حيث تمكن كثير من الباحثين والعلماء فى كل التخصصات التقنية الحضارية والمعارف الحديثة حيث تقابل فى عدة مؤتمرات جمع من متحررى الغرب من العلماء وجمع من شباب الباحثين وعلماء المسلمين وقدموا جميعاً.. وبما يشبه الاتفاق؟!.. كتباً واوراقاً وبحوثاً ووجدوا جميعاً ان القران الكريم هو الكتاب الوحيد الذى سبق كثيراً من البحوث والاكتشافات باعجازه، وقرروا انه لاخلاص للعالم الا بتحرير مسيرة الاسلام لتقدم للعالم مالديها من خير وامن ومنهج حق للسلام والانسان..!!

الصحوة بدات بين المسلمين، وبدأ جمعهم يفيق، وإن جولة الظلم لن تدوم.. فإلى المزيد من العلم والتقنية والحضارة المستمدة من خَلْقِ الله وتدبيره ﴿إقرأ باسم ربك الذى خلق﴾.. ﴿ألا له الخلق والأمر﴾..

﴿ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز﴾..

وما كتابنا هذا الا جهداً مشكوراً بلغة التقنية والعلم والايمان على طريق حضارة الاسلام والسلام ..

د. ابراهيم البطاوى.

مصر الجديدة فى ٢٧ رمضان المبارك سنة ١٤١٤هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــــــديم **فضيلة الشيخ أحمد صلاح**

الحمد لله: وسع كل شئ علماً، علم الإنسان مالم يعلم، وشرف أولى العلم فجعلهم فيه درجات، وفوق كل ذي علم عليم.. ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾.

ونصلي ونسلم على سيدنا ونبينا محمد ﷺ عبد الله ورسوله وصفيه وخليله : علمه الله الكتاب والحكمة، وعلمه مالم يكن يعلم، علمه الله العلم الأول والعلم الآخر، وآتاه القرآن العظيم ومثله معه.. فكانت معجزته العلمية والعقلية في فيه قرآنـاً عربياً وحُكماً إلهياً.. ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾.. رفع الله به أقواماً أخذوه بقوة فسعدوا وسادوا، وخفض به آخرين اتخذوه عاراً وهزواً ولعباً فشقوا به، واستعلى عليهم أعداؤهم وتقلص سلطانهم، وعلقوا المصحف للعنكبوت والتراب، واستغنوا عنه بالروايات فضلوا، وأضلوا.

والقرآن العظيم كتاب استجمع حقائق الأزل والأبد، واستوفى من هدايات السماء والأرض مالم يتوفر لكتاب سابق.. ﴿ذلك الكتاب لاريب فيه﴾.. وما عداه من كل الكتب بجواره لاشئ، لأنه كما قال مُنَزِلهُ: ﴿مصدقا لما بين يديه ومهيمناً عليه﴾. إنه دستور هذه الأمة المسطور والمقروء. إنه ندوة علمية للعلماء، ومعجم لغة، ودائرة معارف للتشريع والأحكام، ومعلم لمن أراد أن يقوّم لسانه.. بل هو كتاب العلوم المُحكمة وما زاد عنه فهو نافلة.

يَزِيدُكَ وَجهُهُ حُسناً كُلَّمَا زِدْتَه نَظَرَا

وليس في العالم الآن ومنذ بعثة خاتم النبيين كتاب مقدس تصح نسبته إلى ذي الجلال والإكرام إلا هذا القرآن العظيم صانه الله رب العالمين من التحريف والتبديل، ولم يتوفر ذلك للتوراة، أو الإنجيل.. لأن أهل التوراة استحفظهم الله فلم يحفظوا، وأهل الإنجيل لم يكونوا أحسن حالاً من أهل التوراة.. وجمع هؤلاء وهؤلاء بعقولهم الأسفار الخمسة.. وضاعت توراة موسى إلى الأبد.. كما ضاع انجيل عيسى إلى الأبد، وعند القوم خمس وثلاثون نسخة من الأناجيل.

١ ـ فالقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي يحمل إلينا وحي السماء الصادق

فيقول تعالى: ﴿انانحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾، وهو أساس العلوم كلها، والقرآن والسنة النبوية هما مرجعية مطلقة لكل علم.. وفي ذلك قال علماء السلف فقد قال إمام دار الهجرة الامام مالك: (لا أعلم شيئا يحتاج إليه وهو في الكتاب والسنة). ولقد أتاح الله تعالى لي فرصة مراجعة كتاب:

نظرات في الكون والقران

(مُدارسة عقلية إيمانية)

للباحث الدكتور عبد الهادي ناصر.. نائب رئيس جامعة المنوفية.

ولقد سعدت في هذه المراجعة في روضة إيمانية سعادة غامرة تذكرت قول نبينا محمد ﷺ .. ﴿يحمل هذا العلم من كل خلف عدول، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين﴾.

والكتاب بجزأيه دائرة معارف اسلامية يُسعد الخاصة من العلماء الراسخين، وقد يضيق به أنصاف المتعلمين، ويتبرم به الملاحدة العلمانيون ممن لا تعمر قلوبهم بحب هذا الدين.

ولقد بذل المؤلف - رضي الله عنه - جهوداً خارقة فقد عاش لهذا الكتاب شبابه وعمره يرتب الأبواب والفصول في حلقات متماسكة، وقدم للناس في سهولة ويسر عطاءات القرآن في كل القضايا، كما قدم نصوص السنة النبوية، وساعده على هذا إمكانياته الهائلة في بحوث الكمبيوتر.. فهو يأتي بحشد كبير من الآيات الكريمة في كل موضوع.. والكتاب فريد في منهجه وتبويبه وإخراجه.

٢ - والكتاب عمل كبير، يسد فراغاً في المكتبة الإسلامية، يؤجر عليه صاحبه في ضوء قوله ﷺ: ﴿إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له﴾.

كما نُحَيِّيَ الباحث فقد أشرك أسرته: زوجه، وولديه وأبنته في حوار مشوق في إثراء مسائل هذا الكتاب.. يعلمهم آيات الله والحكمة.. والأسرة المسلمة أساس لبناء المجتمع الصالح.

ولو أن المؤلف أعاد النظر في النظرات لزادا.. ورحم الله العماد الإصفهاني فقد قال: «إني رأيت أنه لايكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال عنه في غده لو غَيْرُ هذا لكَانَ أحسن، ولو زيد كذا لكانَ يُستَحسَنُ»

وصدق الأصفهاني فهذه طرائق علماء البشر فهم يحتاجون مهما أوتو من علم إلى إضافات وتعليقات وتصويبات.. فعندهم طبعة ثانية، وثالثة - مزيدة ومنقحة.

أما القرآن الكريم فقد قال الله فيه: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه

اختلافاً كثيراً﴾.
والمؤلف - رضي الله عنه - كان موفقاً حيث فرق بين العلم الرباني المعتمد على القرآن وصحيح السنة فأثبت لهما المرجعية المطلقة لكل العلوم.. أما العلم البشري فمبني على افتراضيات تخمينية، لا يكتسب حجية إلا إذا وافق القرآن والسنة.. وقد ثبت في سنن أبي داود من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ﴿إنما العلم ثلاثة وما زاد على ذلك فهو نافلة آية محكمة، وسنة قائمة، وفريضة عادلة﴾.
فالعلم سماوي المصدر، إلهي المنبع، قرآني الإسناد، نبوي السلسلة - وما وراء ذلك فعلم بشري لايصل إلى مرتبه اليقين، أو علم اليقين، أو حق اليقين.

٣ - وفي ضوء كلمة العماد الأصفهاني السابقة وطلباً للأحسن نُسجِل بعض الملاحظات:
ا. يورد المؤلف العديد من الآيات في الموضوع الواحد، لزوم التصنيف الموضوعي، وقد تنفرد آية عن أختها بلقطة ضوئية زائدة.
ب. أناشد المؤلف - عافاه الله - أن يكون طبعُ هذا الكتاب أنيقاً بحروف واضحة على ورق جيد يتسنى قراءته لكل ذي عين.

٤ - إني أقدر للمؤلف - رضي الله عنه - مابذل من جهد التحقيق والتدقيق. وعلى سبيل المثال فقد تعرض لقوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق* خلق الإنسان من علق* إقرأ وربك الأكرم* الذي علم بالقلم* علم الإنسان مالم يعلم*﴾ (العلق١-٥)
فقال فالفهم صحيح للقران الكريم يلزمنا أن نقرأ قراءتين: نقرأ الكون في القرآن، ونقرأ الحياة في الكون والقرآن.. نقرأ لنتعلم جواهر الأشياء قراءة متكاملة كلية.. وهناك قراءة ثالثة نحن مكلفين بها هي قراءة الحروف، نتعلم القراءة والكتابة والتدوين بالقلم لنستفيد بتراكم المعارف الإنسانية.
والقراءات الثلاث - قراءة الكون، وقراءة الحياة فوق الأرض وتحت الثرى، وقراءة الحروف - وجوه متكاملة لفقه الحياة.
وفقه الحياة هذا أساس لاغنى عنه يتكامل مع فقه العبادات وبالفقهين معا يتكامل الفهم الصحيح للرسالة الإسلامية التي جاء بها النبي العربي العالمي في دعائه ﴿وقل رب زدني علما﴾.
ولا مدخل لهذا الفقه المتكامل إلا بتَعَلّم اللغة العربية.. لغة القرآن ولغة نبي القرآن.. لتكون لغة التعليم، ولغة التخاطب، والرسائل.. ولقد أسأنا المعاملة مع لغة القرآن بالتّركِ والإهمال.. فتفشىٔ الهبوط إلى العامية حتى فقدنا التذوق لفهم

٥ - ومن عجب أن الأمة الإسلامية لها رصيد ضخم في فقه العبادات والفروع، بينما هي في فقه الحياة تعيش فقيرة بخجل تستورد الثقافة والغذاء.

وقد عالج المؤلف في الباب الثالث الفصل الثاني تحت عنوان (البحار والحياة في القرآن) وكأنه يعتب على أمة القرآن تخلفها الرهيب في استخراج خيرات الله من البحار، فالبحر مستودع غذاء الغد، والبحر مشارك أصيل في الحياة على كوكب الارض، وذكر أن دراسة البحار ضد الخوف والجوع فريضة اسلامية، فإذا قلت المنتجات الزراعية على يابس الارض - وَجَبَ أن نتجه للبحار لنستخرج ما فيها من طعام وغذاء وكساء ومعادن وخيرات.

وجدير بالذكر بأن نوجه الأموال التي تنفق على أبحاث الفضاء لحل مشاكل استخراج الطعام من البحر ضماناً لبقاء الجنس البشري، وحينئذ لا نشكو قط من الإنفجار السكاني، مع أننا لم نستصلح كل الأراضي للزراعة.

والقرآن الكريم حافل بالآيات الداعية إلى الأكل من صيد البحر وطعامه ﴿لتأكلوا منه لحماً طرياً﴾ فقد قال الله تعالى: ﴿الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾.. فلو أننا قمنا بتحصيل الغذاء من كل شبرٍ من يابس الأرض، مع استغلال خيرات وموارد البحر كذلك ما رأينا المجاعات تهدد كثيراً من الدول النامية!! .. من هنا فإن تعطيل نصٍ واحد من كتاب الله جريمة في حق هذا الدين؟!

وهكذا كلما عشت مع بحوث هذا الكتاب ترى الأرض واحة إيمانية، وأن الإسلام دين عمل، دين يرفض الخرافة، ويحارب الرزيلة.

بارك الله في جهد المؤلف الذي طاف بقضايا الكون دراسة ميمونة إيمانية ملتزماً بفقه القرآن والسنة.. ﴿ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين﴾

فجزاه الله عن دينه ونبيه خير الجزاء،،

أحمد علي صلاح

من علماء الأزهر

- شبين الكوم ٢٤ من المحرم ١٤١٤ هـ/ ١٤ يوليو ١٩٩٣ م

تقديم فى رسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

سيادة الأخ الفاضل د. عبد الهادى ناصر.

على إمتداد أكثر من شهر و أنتم معى من خلال كتابكم المُذهل المُثير.

ولا أدعى إن قلت اننى فى كثير من الاحيان كنت أناقشكم فى موضوع الكتاب فأسمع منكم تعليقاً عليه، وكان هذا التعليق يفتح أمامى أبواباً جديدة من الرؤية البصرية والعقلية حول هذا الكتاب.. وللحق كانت رحلتى معه رحلة ممتعة للغاية، كان إسراء تعرفت من خلاله على منظومات الكون وأسرار القرآن، فأشكر الله العزيز الحكيم الذى مَنّ علينا بهذا، وما كان ليوجد لولا أراد الله، وأشكر لك ثقتك بى، مع أن التجربة مع الكتاب أثبتت أنه أكبر من أى تقديم.. فبما فيه من عفوية حيناً.. ومباشرة فى معظم الأحيان هو أعز من أى كلام يقال فيه.. فدَعه يُقدّم نفسه فكفى بالقرآن تقديماً له.. وكفى بالكون شاهداً عليه..

وهذه الوريقات السبع المرفقة ماهى إلاّ نظرات على النظرات، وهى قاصرة قصوراً شنيعاً أن تصل لمدى غايات هذا العمل الايمانى العظيم، ولذلك أرجو أن تسامحنى عن هذا القصور لا التقصير، فما قصرت فى حق الكتاب، فقد قرأته حق القراءة واستوعبته حق الاستيعاب، وبقدر الجهد والطاقة، ولكن الكتابة فيه وعنه أجهدتنى كل الجهد، وكتبت فيه عشرات الأوراق، وسودت فيه أجندة كانت كلها بيضاء، ومع ذلك أكتشف أن الكتاب بشكله وملامحه وطريقة السرد فيه هو مراد الله، لأنه بمثابة آية ﴿اقرأ﴾ الأولى فى القران الكريم.. فلنقرأ!!.. فلا تأتى إلاّ بهذا الشكل لتشد إليها الأذهان، وتستقر الألباب..

فظنى كل الظن أن كتابكم هذا (على ضخامته) بمثابة القطر الذى يسبق السيل.. أو قُل العلامات التى على الطريق لتحديد المعالم.. أو قُل الفهرس الذى سيهدى الباحثين إلى قصدهم حينما يقصدون.. وإنى لأرى أن هذا هو المستقبل!، وأن هذا هو معالم الطريق إليه!.. وكفاك شرفاً أنك أنت الرائد الذى ذهب إلى هناك وعاد ليروى لنا مارأى!، صحيح قد تختلف الرؤى فى المستقبل، وقد تأتى الدراسات المتخصصة بجديد من القول فى العلوم والقرآن، والحق أن كل ماقيل فى القرآن الكريم حتى الآن كان صحيحاً، ويبقى أبداً كذلك، فكلما تحركت ثقافة الانسان كان التحرك مع القرآن صحيحاً، فطوبى لك بما قدمت من جهد، وما أجرك إلاّ على الله رب العالمين.

وفى الختام تقبل تحياتى وأشواقى وحبى وسلامى إلى أفراد أسرتكم الصغيرة الطيبة، التى أمتعتنا صحبتها خلال رحلة هذا الكتاب، فى مُدارسة عقلية علمية إيمانية قرآنية.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

مجلة بحر فى ١٩٩٢/١٢/٢٦م

محمد إبراهيم ناصر.. محام بالنقض

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب والنبأ العظيم **تقديم الأستاذ محمد إبراهيم ناصر**

﴿بسم الله الرحمن الرحيم* عم يتساءلون* عن النبأ العظيم* الذى هم فيه مختلفون* كلا سيعلمون* ثم كلا سيعلمون﴾ النبأ.

- عنوان مثير. وموضوع خطير. وتوقيت قدّر ومصير. كان هذا هو انطباعى الأول حول كتاب الأستاذ الدكتور المهندس/ عبد الهادى ناصر

(نظرات فى الكون والقرآن).. مُدَارسة عقلية علمية إيمانية.

صحيح أن للكتب ملامح وقسمات كوجوه البشر سواء بسواء.. وعناوين الكتب هى وجوهها التى تراها وتحكم عليها من قبل أن يتكلم الكتاب عما يحتويه. وعنوان هذه الكتاب مثير كملمحه. شيق كسطوره. متدفق كنهر عظيم. كثيف بقدر ما فى الكون والقرآن من عناصر ومعانى تفوق الحصر. ولذلك فقد اختار المؤلف أن يعالج فكرته عن الكون والقرآن من خلال (نظرات) وهى فى اللغة جمع (نظر). وهو إما البصر بالشئ وتأمله عن طريق العين، وإما البصر بالشئ وتأمله عن طريق العقل.. وكلاهما رؤية خاصة تتوقف على عدة مقومات أساسية فى الناظر من ناحية وفى الشئ المنظور فيه من ناحية أخرى، ومن ثم يختلف النظر من شخص إلى شخص، وتتباين الرؤى من عقل إلى عقل.

○ ونظراً لحساسية موضوع الكتاب، ودقة الموضوعات المطلوبة فيما يتعلق بالكون أو القرآن كان إختيار الكاتب للدخول على موضوعه باسم (النظرات) فيه مايعفى من كثير من الحرج، إذا لم يتفق معه القارئ فى الرأى!!.. وفيه مايمنع من المجادلة فى النظر، إذا لم يجد هوى لدى علماء الشرع، أو لدى علماء العلوم الحياتية التى سوف يتعرض لها الموضوع بالضرورة. فكلمة (النظرات) تخرج بالكتاب الذى بين أيدينا من نطاق العلوم الشرعية.. وتبعد به عن نطاق العلوم التجريبية.. ولا يبدو أنه إجتهاد فى نصوص القرآن بالمعنى الضيق للإجتهاد - وإنما أقصى ما يوصف به هذا الكتاب هو أنه فتحٌ من الله ونصرٌ مبينٌ. فما أشد حاجتنا إلى مثل هذه الدراسة فى هذه الأيام كما سنوضح فيما بعد..

○ ولعل أهم دواعى الإثارة فى العنوان، وبالتالى الخطورة فى الموضوع هو إشتمال الدراسة على محورين لاحدود لهما؟!.. وهما الكون العظيم.. والقرآن الكريم.. يتبعهما بدراسة تصنيفية موضوعية عن الانسان فى القرآن..

○ ولندرك مدى خطورة موضوع الكتاب نحاول أن نتعرف على الكون والقرآن.. ثم نتفهم دواعى التوقيت من خلال المُناخ الثقافى لعالم أواخر القرن العشرين.. ونعين القارئ بفكرة مسبقة عن قضية القرآن فى الكون. وهى قضية واردة فى صلب الكتاب، نلقى عليها بعض الشئ من الضوء مما يساعد على تقدير قيمة هذا الكتاب. وما يمكن أن يقدمه إلى الاسلام من فائدة تعادل غزوة من الغزوات فى عهد النبوة، أو فى فترات الاستنهاض الحضارى الاسلامى

اللاحقة.. وحتى نتوخى الصدق والحق فان القرآن هو الذى يغزو بنفسه، وهو دائماً كان يختار معركته ويخوضها بينما المسلمون فى ضعف مُميت.. كضعفهم فى هذه الأيام.

○ ولكى نتعرف على الكون أكثر فسوف نعرض بالاضافة إلى ما بالكتاب من شرح مذهل إلى آخر ما توصل إليه علماء الفضاء من معلومات جديدة فى عام ١٩٩٣. وهى معلومات إن لم تكن تفيد فى تصوير حجم الكون، فعلى الأقل سوف تفيد فى تصوير حجم الفكرة التى يناقشها الكتاب، وتوضح أنها فكرة ينخلع لها قلب الرجل الجسور!!.

○ فآخر إصدارات عن الكون كان إصداراً أمريكياً بنفس الإسم (الكون) للفلكى الأمريكى (كارل ساجان)، وبه معلومات مذهلة عن الكون يقول فيها: (إن الكرة الأرضية التى نسكنها ماهى إلاّ شاطئ صغير ضحل على أطراف المحيط الكونى. وان معلومات الانسان عن هذا الكون لاتتعدى وصول الماء إلى أصابع الأقدام. واننا لانملك ارتياد هذا المحيط إلاّ من خلال عقولنا. ثم ان البشر ماهُم إلاّ حفنة من مادة النجوم تتأمل النجوم ذاتها!)

○ وفى دراسة أخرى حديثة يعلن العالم الاسكتنلندى (مايك هوكنز) أن الكون ليس نهائياً!!.. إذ تبين له بالمتابعة وتحليل الصور التى حصل عليها من مراصد استراليا وادنبرة ان الاجسام المُعتمة فى الكون. وهى تمثل ٩٠٪ من الكتلة المفقودة للكون تحتوى على قدركبير منَ الكثافة يكفى لوقف تمدد الكون فى وقت مافى المستقبل ثم تبدأ بعد ذلك الانكماش والتقلص ليعود الكون إلى نقطة البداية ثم يولد حركة معاكسة لحركة الانفجار العظيم الذى نشأ الكون نتيجة له منذ ٢٠ مليار سنة فينفجر الكون من داخله وتكون النهاية كما كانت البداية. وفى أبريل من عام ١٩٩٢ أعلن فريق من علماء الفلك الأمريكيين اكتشاف بذرة المادة الأصلية التى نشأ منها الكون فى الفضاء السحيق وهى ظهرت للوجود بعد ٣٠٠ ألف سنة من الدوى العظيم الذى صاحب خلق الكون.

○ وما عرضنا لهذين النموذجين من الاكتشافات الكونية إلاّ لنؤكد على حقيقة أساسية وهى أن المعلومات عن الكون لازالت ضئيلة للغاية، وأهم ما توصّل اليه علماء الكون بعد جهد جهيد تُنسّب الى ماقاله القرآن عن نشأة الكون، ثم أخيراً عن نهايته. وبالمنطق الرياضى البحت إذا ماثبت بالبرهان العملى صحة البداية، وصحة النهاية، فإن مابينهما يكون بالضرورة صحيحاً. ومن ثم كان ماذهب إليه المؤلف عن أن القرآن هو كتالوج الكون قول صائب تماماً.. ولكن قراءة هذا الكتالوج هى التى تحتاج إلى نوعية خاصة من الرجال، من أمثال مؤلف هذا العمل الضخم!!.. فالمسألة لاتتعلق بالكون بقدر ما تتعلق بالقرآن؟!، ولا تتعلق بالقرآن بقدر ما تتعلق بمن يبحث فى القرآن؟!.. لأن القرآن لايفصح عن أسراره الكبرى إلا للراسخين فى العلم. والراسخون فى العلم فى يقينى أنهم هم الذين لديهم طرفاً من علم الأسماء كلها. التى علمها الله لآدم يوم مشهد العرض العظيم

فى قوله تعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى باسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم﴾.. والعلم الالهى الذى علمه الله بنفسه تعالى لآدم من الطبيعى أن يكون هو كل العلوم اللازمة لحياة الانسان على الارض بشقيها المعنوى والمادى. ولذلك فان فكرة الدين موجودة فى الجماعات البدائية بشكل يقترب من الدين الصحيح!!.. فما تفسير ذلك إلاّ أن الانسان قد جُبِلَ على التدين لأن العلم فى ذلك ثاوٍ فى نسيج الخلية الانسانية، منذ الخلق الأول لآدم ﷺ..

○ والرّاسخ كما جاء فى معجم (مختار الصحاح) هو الثابت.. فكل ثابت راسخ.. ومن ثم نعود الى الراسخين فى العلم - فهُم فى ضوء ما أعتقد هم الذين ثبت فى خلية الذاكرة لديهم علم الاسماء.. ذلك العلم الالهى عن كل شئ.. (الاسماء كلها).. أما الافعال فلم يكن آدم فى تلك المرحلة فى حاجة إليها بعد.. ولأن الله عزَّ وجلَّ يقول عن القرآن ﴿ما فرطنا فى الكتاب من شئ﴾.. ويقول أيضاً: ﴿ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شئ جدلا﴾.. فلا شك أن علْمَ الاسماء كلها وارد فى القرآن ﴿من كل مَثَلٍ﴾.. ولا شك أن الناس فى الكون منَ آدم، وأن آدم فى كل الناس، ولكن بدرجات متفاوتة.. فأنظر قول الله تعالى: ﴿ماخلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير﴾..

○ ومن هذا المنطلق فان اعجاز القرآن ليس محدوداً، وانما هو كما وصفه النبى ﷺ بقوله: ﴿القرآن لاتنقضى عجائبه ولا يخلق (أى يَقْدُم) على كثرة الترديد﴾.. ومن عجائب القرآن تلك الخاصية الفريدة التى تنهض به للدفاع عن الاسلام كلّما ضَعُفَ المسلمين، وخبئت جذوة نارهم، وظنَّ الناس أنهم كهشيم الأرض؟!

○ فعندما كان المسلمون فى بداية الدعوة يتوارون بدينهم من الضعف والهوان كانت نصوص القرآن هى التى تحارب جبروت الكفر وطاغوت الطغيان بنفسها فى تحدّ عظيم فانظر إلى قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ الإسراء.. وكان لها النصر فى كل المعارك التى خاضتها.. حتى أن الكفار من قريش كانوا يخشون على أنفسهم من سماع هذه النصوص الساحرة البيان فيضعون أصابعهم فى آذانهم عند سماع القرآن، بل كان الاستماع الى القرآن جريمة من الجرائم الكبرى يعذب مرتكبها اشنع العذاب.. ويكفى دلالة على انتصار النصوص القرآنية أن من اشتهروا بالبلاغة والفصاحة وسحر القول عجزوا عن الاتيان بمثلها.. وان واحدة من هذه النصوص بمفردها هزمت أشد رجال قريش قوة وشكيمة، فما كان لعمر بن الخطاب أن ترهبه القوة، ولا كان لمثله أن يسلم إلا كما أسلم مهزوماً من بضع آيات من القرآن الكريم وجدها فى بيت أخته المسلمة؟!

○ ولعل من أهم عجائب القرآن تلك الكثافة الهائلة الغير محدودة الكامنة فى

ألفاظ القرآن فاللفظ القرآنى قضية مذهلة فى الوجود، فالجرْسُ له لغة ذات خصوصية، واللفظ الواحد يحتاج الى معجم لتعداد معانيه وسَبْر أغوار مدلولاته المتدفقة دوماً، والعبارة كونٌ تسبح فيه مجرات وسدوم، ولذلك فانه وان كان عربى اللسان إلاّ أنه يختلف عنه إختلافاً جذرياً عن بلاغة العرب، فإذا كانت البلاغة فى اللغة تقاس بانسجام اللفظ مع المعنى فلا يزيد اللفظ عن المعنى، أو يطغى المعنى عن اللفظ ـ فيحدث انفصال يؤثر على سلامة اللسان، فإن اللفظ فى القرآن يحتشد خلفه قوى طاقة هائلة من المعانى تصلح لكل زمان ومكان بحيث يُصبح كل استنتاج له وجه صحيح.. ومن ثم يستطيع الأمىّ البسيط أن يخرج من القرآن بمعان من صلب الايمان والمنهج، ويستطيع العالم فى كل فرع من فروع العلم أن يجد فى القرآن ما يصادف علمه ويوافق ثقافته.. وهذا هو سحر القرآن.. وسر القرآن.. وعظمة القرآن.. وتأمل قول الله تعالى فى سورة المزمل: ﴿يا أيها المزمل، قم الليل إلا قليلاً، نصفه أو انقص منه قليلاً، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا، إنّا سنلقى عليك قولاً ثقيلا﴾.. وقد فسر الامام النسفى ﴿قولاً ثقيلا﴾ فى تفسيره (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ان القول الثقيل هو القرآن لما فيه من الأوامر والنواهى التى هى تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين، أو ثقيلا على المنافقين، أو كلام له وزن ورجحان ليس بالسفاسف الخفيف.. وهو تفسير صحيح!!.. ولكن فى زمن انفجار الذرة عن طاقة جبارة كامنة فيها.. تكون رؤية القول الثقيل مختلفة تمام الاختلاف خاصة وأن القرآن قد عنى بالحرف وصدّر به بعض السوّر تأكيداً على أن القوة الهائلة فى القرآن هى من وفى هذه الحروف!!.. وهى أسماء مجردة مثل (المـ. ألف لام ميم).. ومن هذه الاسماء المجردة كان القرآن، وكان العلم، وكان التعليم، ولأن الله هو المعلم الأول للإنسان، فالعلم كل العلم كائنٌ فى هذه الأسماء.. وكائن فى نسيج الإنسان نفسه، بحيث لايكون التعليم الثانى إلاّ تذكرةً للتعليم الأول، ولعلّ هذا هو سر إلحاح القرآن وتأكيده المستمر على التذكر ﴿أفلا تذكرون﴾ لان القرآن هو علم الاسماء كلها التى علمها المعلم الأول لآدم ثم عرضهم على الملائكة وقال: ﴿انبئونى باسماء هؤلاء﴾.. ونجد المعنى الذى أشرنا إليه آنفاً فى قوله تعالى فى أول سورة الرحمن: ﴿الرحمن، علم القرآن، خلق الانسان، علمه البيان﴾.. فاقتران الآيات التى فيها خلق الانسان وتعليمه البيان (يوم الخلق والعرض على الملائكة) بتعليم القرآن من الرحمن أمر يوحى بأن القرآن والبيان هما أمر واحد أولاً وأخيراً.. ومن ثم ينسجم المعنى مع قوله تعالى: ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾.. والآلاء هى النعَم.. وليس هناك نعمة أعظم من العلم؟!.. وأعظم من القرآن؟!

○ وإذا كان القرآن قد استهل نزوله بقوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الاكرم، الذى علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم﴾ وكان النبى ﷺ.. الذى نزل عليه القرآن لايقرأ ولا يكتب.. وكان العرب فى معظمهم أميون.. فلابد أن هذا الأمر بالقراءة يستوجب الانتباه ويهز السامع من

الأعماق!!٠٠ هذا فى الوقت الذى كان فيه القرآن قد ظهر بعد٠٠ فكيف يتأتى الأمر بالقراءة فيما لم يصبح له وجودٌ بعد؟! إلاّ أن يكون الامر بالقراءة صادرٌ على موجود بالفعل٠٠ مكانه ذاكرة الانسان!!٠٠ ومحله علم الأسماء كلها!!٠٠ ونطاقه كل مافى الكون من معارف لما كان وما سيكون إلى أن يرث الله الأرض وما عليها٠٠

○ ولادراك الخصوصية الحضارية الفعالة للقرآن، وقدرتها الفائقة على تحدى الانسانية بهضم كل العلوم والمعارف السابقة على نزوله، وموقفه فى مواجهة ما يستجد فى الزمن من تطور ثقافة الانسان٠٠ نسترجع غزوات القرآن الحضارية منفرداً فى مجالات الثقافة ودنيا العلوم بإيجاز شديد٠٠٠

٠١ كانت الغزوة الأولى للقرآن فى مجال لُغة العَرب، فتحداهم فيما ظنوا أنهم قادرون عليه فتفوق على ثقافة العرب الوحيدة، وهى ثقافة اللغة العربية، فرماهم بالقول الثقيل الذى لازال يكشف روحه مع كل قراءة وكأنه نزل فى الحال!!٠٠

٠٢ كانت الغزوة الثانية للقرآن على نطاق ثقافة الغرب التى تمثلت فى العلوم اليونانية القديمة من الفلسفة والمنطق وما يندرج تحتها من علوم الفلك والرياضة والطب والهندسة، فقد كان القرآن فى عرضه لقضية الايمان أكثر منطقاً من المناطقة أنفسهم فأزرى ببضاعتهم، وكان متجاوزاً لكل العلوم الاغريقية من الأساطير فيما عرض من قصص القرآن الحقيقية، وكان يحمل منهجاً وفكراً متوازناً فى كل حرف من حروفه٠٠ متصل النفس بحيث لا أثر للضعف وإنما حروفه متوهجة على الدوام، وكان من الطبيعى أن تعرض الفلسفة الإغريقية نفسها على القرآن فى عنفوان عصر الترجمة، فما كان من القرآن إلاّ أن احتوى الفلسفة وسخرها فى خدمة الشريعة الإسلامية وقيام المذاهب الكبرى التى لجأت إلى أساليب المنطق اليونانى فى استنباط الأحكام من النصوص الكلية!!٠٠

٠٣ كانت الغزوة الثالثة للقرآن على مستوى القانون والشريعة٠٠ فمن المعروف أن العرب فى أوائل القرن السابع الميلادى لم تكن لديهم غير ثقافة اللغة، وكان القانون السائد هو العرف والنظام القَبَلىّ٠٠ ولم يكن لديهم معرفة بالقانون بمعناه الفنى٠٠ بينما كان الغرب وعلى أطرافَ جزيرة العرب يوجد القانون الرومانى العتيق الذى كان قد وصل الى أقصى غايات الرقى التشريعى من خلال تطور استغرق على الأقل ألف سنة فكان عمره فى الغرب كعمر الفلسفة تماماً٠٠ ألف سنة٠٠ فنزل القرآن على رجلٍ أمىّ ليضع فى بضعٍ وعشرين سنة فقط لاغير قانوناً يبز القانون الرومانى، ويفوّقه إنسانية، ويعالج القصور الذى كان يعيب ذلك الصرح الشامخ من القواعد القانونية٠٠ ونجح القرآن فى هذا التحدى التشريعى بامتياز بالغ الروعة!!٠٠

٠٤ كانت الغزوة الرابعة للقرآن على مستوى الزهد والتصوف، وكان العرب إلى أن نزل القرآن يغترفون من المباهج ويرتكبون فى ناديهم المنكر ولايعترفون بالبعث بعد الموت، وكانت الهنود إلى الجوار منهم تقوم ثقافتهم وتعتمد حضارتهم على التقشف والزهد٠٠ فإذا بالقرآن يهذب هذه الثقافة، ويقوم أسلوب

الزهد، ويرشد الطريق إلى الله بشكل ساحر رقيق. ووضع المتصوفون الاسلاميون قواعد التصوف الاسلامى.. وعرّفوه بأنه البحث عن الصفاء والترقى فى الشكر والذكر.. ومن ثم كان التصوف الاسلامى تصويباً لثقافة عمرها أكثر من ألف عام!!..

٥- وجاء زمان الغزوة الخامسة للقرآن.. وقد اختار القرآن ميدانه الجديد فى العلوم وتطبيقاتها.. فالمناخ العالمى قد أصبح مهيئاً لان يقول القرآن الكلمة الفاصلة فى الصراع الثقافى القائم الآن على قدم وساق.. ولا نقول صراع الرسالات فذلك فهم خاطئ للدين؟! فدين الله واحد.. فالرسالات السماوية تتكامل ولا مجال للصدام بينها، ولكن الصدام ينشأ تحت تأثير الثقافات التى نشأت على الدين!!.. لكن (صمويل هانتجتن) الأستاذ بجامعة هارفارد نشر بمجلة السياسة الخارجية الأمريكية دراسة جديدة يؤكد فيها أن المرحلة القادمة من القرن الواحد والعشرين سوف تشهد صراعاً بين الحضارات ومواجهة بين أصحاب الرسالات.. ورسم خريطة لمناطق الصراع وضّح فيها حتمية الإنقسام بين أوربا المسيحية من ناحية، وبين الشرق الأوربى الأرثوذكسى والاسلامى من ناحية أخرى.. أى أن الصراع مع منطقة الاتحاد السوفيتى السابق سوف يظل مشتعلاً، ولكن ليس على أساس عقائدى أيدولوجى، ولكن على أساس دينى. ورغم أن المسلمين فى الشرق والغرب تتردى أحوالهم إلى الأسوأ، ونامت شوكتهم تماماً بعد الحرب العالمية الأولى، وحتى الآن .. إلاّ أن القرآن حمل الدعوة الاسلامية وحيداً، ومضى يجاهد فى الأرض!!.. وبدأت الدعوة إلى البحث عن الإعجاز العلمى فى القرآن تتسلل حثيثاً إلى وجدان علماء المسلمين.. ويجيئ الفتح متتابعاً حين يقف علماء الرسالات الأخرى يؤكدون إعجاز القرآن فى مختلف مجالات العلم!!.. وتتطور نظرة العلماء إلى القرآن.. فإذا بشذرات من الأفكار المضيئة تخرج بين الحين والحين لتثبت بالدليل والبرهان ان النصوص التى تحدت ثقافة اللغة، ثم تحدت ثقافة المنطق الفلسفى، ثم تحدت ثقافة التشريع والقانون، ثم تحدت ثقافة الزهد والتقشف - تتهيأ لمرحلة جديدة من الصراع والتحدى فى عقر دار العلم وتطبيقاته فى الوقت الذى تسامت أحلام الانسان بعيداً عن كوكب الأرض، وتطلعت إلى آفاق الفضاء والكواكب الأخرى والنجوم، وبعد أن أصبحت الكرة الأرضية مجرد قرية صغيرة مكشوفة بلا أسرار.. ونجزم أن القرن القادم هو قرن القرآن؟!.. وان صدام الحضارات الذى يتنبأ به (صمويل هانتجتن) فى دراسته السابق الاشارة اليها سوف يُحسم فى النهاية لصالح ثقافة واحدة قادرة على هضم كل الثقافات وأخذ أفضل مافيها.. ومن علامات انتصار القرآن مابدأت تفيض به النصوص من أفكار علمية موافقة لطبيعة الحياة التكنولوجية التى تأخذ بألباب الناس من الغرب والشرق. حيث نشطت بتوفيق من الله حركة البحث العلمى فى آيات القرآن، وجند الله لهذا الأمر جنوداً لم يكونوا فى حسبان المسلمين فمثلاً الذين قالوا عن صحة نشأة الكون من

حدوث انفجار عظيم طبقا لنص القرآن كانوا غير مسلمين، والذى اكتشف أخيراً أن الكون له نهاية، وله مستقر كان من غير المسلمين..

وهذا الكتاب بما ورد فيه من نظرات فى الكون والقرآن .. وفى الإنسان والقرآن.. يُعد بحق ظاهرة جديدة تستحق وقفة إكبار وتأمل.. إكبار لأن منهج النظر فى موضوع الكتاب يحاول أن يجعل منه موسوعة علمية قرآنية للبحث فى كل شئ !!

ولعل اللقطة الخطيرة فى هذا الكتاب هو معالجته لفكرة الشيئية فى الكون والإنسان والقرآن، وهى فكرة مذهلة تومض حيناً وتشرق حيناً.. لكنها فى كل الأحايين تُلهبُ الخيال وتخطف الألباب.

- وبعد قرّائتى للجزء الأول (نظرات فى الكون والقرآن) من الكتاب لأكثر من مرة، كان يقينى يزداد فى كل مرة أن تصنيف الكتاب بتكامله والجزء الثانى (نظرات فى الانسان والقرآن.. منظومة حياة الانسان فى القرآن.. من حيث خلقه، ووجوده، وحياته النفسية، والقلبية، والعقلية، والفكرية، والايمانية، والاجتماعية، والاقتصادية.. وتربيته، وأعماله وأفعاله، ومشكلاته المعاصرة..) ماكان ليتأتى للكاتب من تلقاء نفسه، وأن اختياره للموضوع وعكوفه عليه، والظروف التى هيأت له فرصة الخلوة مع الفكرة لسنين طويلة، دون شواغل أخرى من أسباب الحياة.. لابد وأن وراء هذا كله قَدَرٌ إلهىٌ عظيمٌ.. وطوبى لنا بهذا الكتاب القيم الذى يعتبر فتحاً جديداً فى مجال اسلامى جديد سوف يثرى المكتبة الاسلامية بنظراته الطيبة، التى كل نظرة منها كفيلة بأن تقوم عليها مجلدات؟!

- ولما كنت قد بدأت بانطباعى الأول، فلابد أن أنهى بانطباعى الأخير.

○ وحتى أكون صادقاً مع نفسى ومع القراء، أقترح أن يكتب على الغلاف الخارجى للكتاب تلك العبارة التى كان أفلاطون قد كتبها على باب مدرسته فى مدينة أثينا القديمة (من لم يكن مهندساً فلا يدخل علينا).. لقد حلّ زمن الفقه الرياضى، والتكنولوجى المعلوماتى فى شتى مجالات الحياة.. وخير ختام أن نقول مع الله..

بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿يسبح لله مافى السموات وما فى الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم، هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكييهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين، وآخرين منهم لم يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم﴾ الجمعة:١-٣

صدق الله العظيم.

محلة بنو، شبراخيت، بحيرة فى ١٩٩٣/١٢/٢٦

محمد إبراهيم ناصر
محام بالنقض

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر فى مقدمة

ـ يجرى الزمان سريعاً.. وتنقضى الآجال.. وتتخبط البشرية بين ملذات المادة والروح، وعندالغالبية تطغى الأولى على الثانية، جاءت الرسالات لتوازن بينهما، ولتوظف المادة لخدمة الروح وتهذيب النفوس.. ويجند الله دينه وكتبه ورسله والنفوس الطيبة للارتفاق والانتفاع من كل شئ خلقه الله وسخره فى الكون: جماد، زمان، نبات، حيوان، هواء، ماء، دواب، سمك، نحل، طير.. أدت كل رسالة سماوية وظيفتها المحدودة، لزمن محدود فى قوم بذاته، وجاء الاسلام ليهضم كل الرسالات ويحتويها، فهو بحق رسالة الرسالات، هو دين الله الخاتم (إن الدين عند الله الاسلام)

ـ أدركت هذا الأمر مبكراً حال ترحالى للعديد من دول أوربا طلباً لعلم وتمكيناً لمعرفة، منذ أواخر الخمسينيات، القوم هناك يسيرون على نهج الاسلام، ولاينطقون بالشهادة.. يحترمون الفطرة الانسانية والكون ويغترفون من معين الاسلام.. قرآن الله، وسنة رسوله ﷺ، وينهلون من تراكمات ثقافتنا وحضارتنا الاسلامية، عرفوا الكون واحترموه وتغلغلوا فى جوهر كل ماخلق ربنا وسخر من شئ.. فكانت لهم القوة.. وصارت لهم السيادة.. أما نحن ورثة القرآن والسنة وثقافة الاسلام وحضارة السلام فأهملنا كل الأشياء.. وجزءنا أغلب القضايا.. فكتبت علينا تبعية مهينة، وفقر مخجل؟!

ـ سر نهضة الغرب أنهم بدأوا مما عرفوه منا وعنا إبان الحروب الصليبية، وفى زمن الاحتكاك بحضارة الأندلس، ترجموا كل موروثنا الحضاري إلى لغاتهم، وسرقوا ونهبوا النماذج، وتعلموا منا وعنا علاماً حياً لكل نشاطات الحياة الجمادية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، أما نحن فأهملنا الموروث، ونسينا التاريخ، وأهملنا الجغرافيا والفلك والرياضيات والطبيعة والكيمياء والأحياء.. الزراعة والصناعة والطب.. وكل العلوم والفنون.. أهملنا البحر واليابس، ولوثنا الماء والهواء والأخلاق.. ورضينا بتقهقر منظم سريع، حتى أصبحنا نعيش على هامش الكون ؟! ونستجدى الاعداء غذاءً وسلاحا..؟!

ـ مامن منصف فى الغرب والشرق إلاّ ويقرر فضل الاسلام والمسلمين على البشرية.. والمغالون منهم يعتبروننا عدواً وحيداً لدوداً بموروثاتنا الحضارية والثقافية.. وتاج الموروث القرآن والسنة والاخلاق والتاريخ.

ـ أدركت أن سر تقدم الغرب يكمن فى فهمهم الصحيح لآيات النظر والعقل فى القرآن.. فكانت جواز دخولهم إلى الدولة التكنولوجية الغربية؟! ..

لقنوا جوهر آيات النظر والتفكير القرآنية لأبنائهم واحفادهم فكان لهم ماأرادوا؟!.. فوصلوا الآفاق وارتادوا المجهول!!.. ومن عجب أنهم أعملوا قول الله تعالى: (أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو ءاذان يسمعون بها فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) (الحج٢٢:٤٦)؟!..

ـ أما نحن أمة القرآن فأهملنا الأرض والبحر والنهر والماء والهواء والسير والكدح والعمل، والفكر والعقل والابداع، ووقفنا موقف الغربة والعزلة من آلات الانتاج ومعداته، وتركنا التاريخ والسير والعبر والسنن، جزءنا القضايا والرؤى، وتحزبنا شيعاً شيعاً، ورحنا نبتر الجسدالاسلامى، ونلوث الجراح العربية، ونسلك مسالك الجاهلية الأولى.. نجمع المال، ونعنى بالشهوات والملذات والزينات، ورحنا نتسوق الدواء من مواطن الداء، ومرابض الاعداء؟!

ـ رحت أستطلع الأمر فى المكتبة العربية لعلى أجد معالم طريق نحو أسرة

تكنولوجية مسلمة وجدت فقراً وعدماً.. تهيبت المهمة.. لكنه الصبر بالله واليقين فى الله..

ـ ركبت عنان الخيال ألتمس طريقاً نحو دولة تكنولوجية معاصرة يتآخى فيها اهل الرسالات أمراً بمعروف ونهياً عن منكر فى حدود دين الله الواحد الأحد، الفرد الصمد.. وما ذلك على الله ببعيد.. فعّال لما يريد..

ـ أمر كهذا فى حاجة لعمل مؤسساتى، ولايُفيه أفراد مهما كانت قدراتهم.. على الوفاء بتفصيلات المهمة، ربما ينجح البعض فى تحديد رؤوس موضوعات تصلح إطاراً وجدول أعمال لفكر متكامل..

ـ لكل ذلك كانت هذه النظرات الموضعية والموضوعية فىالكون والقرآن والسنة، يتبعها أخرى فى الانسان والقرآن.. بإذن الله تعالى.. قضيت فيها أغلى سنوات حياتى.. متتلمذاً مرتحلا.. ناقلا مُجرباً.. وجئت أروى مافهمت وأدركت، لعل الله يتقبّل!!

ـ فهذاالعمل نتاج الكثير من المناقشات والمدارسات مع العديد من الزملاء والأصدقاء فى مختلف التخصصات.. فبحكم عملى الجامعى والاجتماعىالعام استشرت وتناقشت مع كثير من الزملاء الأفاضل كل فى مجال تخصصه فيما غمض على فهمه، ولكثرتهم أعتذر عن التخصيص بالاسم، وأسأل الله لهم جميعاً خير الجزاء..

ـ شكرى وتقديرى للأخوة الاصدقاء الرواد: الأستاذ الدكتور عبد الصبور مرزوق، والأستاذ الدكتور ابراهيم البطاوى، وفضيلة الشيخ أحمد على صلاح، والدكتور معتز المرزوقى، والأخ العزيز الكبير محمد ابراهيم ناصر.. لاثرائى وتشجيعى لمواصلة العمل وانجازه

ـ شكرى الخاص لأخى الفاضل الأكبر الأستاذ عبدالرحيم محمد عاصى، وللأساتذة.. على صابر، ومحمد أبو أحمد، ومحمد عبد المؤمن ناصر، وأسامة عامر، وم. على الشامى.. فقد أسهم الجميع فى مراجعة الكتاب، وشجعونى واستنهضونى للانتهاء منه!!

ـ لعل المنهج الموضوعى الفطرى الكلى لهذا الكتاب ومضة نور على طريق إرادة حياة جادة لشباب الأمة، ولعله يصلح إطاراً عقلياً إيمانياً إتفاقياً بين كل الناس.. فى جمعياتهم ومؤسساتهم العامة والخاصة، مهما إختلفت نزعاتهم وثقافاتهم وأعمارهم ومهنهم، وحتى دياناتهم..

ـ ولعل الكتاب تهجين لتصنيف موضوعى وموضعى لنسيج تكاليف القرآن فى شتى فروع ودروب نشاطات الحياة، على هدى سيرة النبى ﷺ، والقصد بالتصنيفين انتفاع وارتفاق الناس جميعاً بكل شئ فى الكونين: الكون الجمادى (السموات والأرض وما بينهما)، والكون المعنوى (القرآن والسنة).. بلا تجزئ ولا تبعيض ـ وصولاً إلى رضاء الإنسان، وراحة باله، وسعادة أسرته، وقوة مجتمعه، بإعمار الإنسان، وتنمية البلدان، وعزة الشعوب بتعظيم الموارد، وتبادل المنافع غرْماً وغُنْماً، فى حدود ماأمر الله وشرّع، أمراً بمعروف، ونهياً عن منكر، لا إكراه فى دين ومعتقد، نُحقق العبودية الخالصة، ونستقيم على صراط الله رب العالمين.. يَصلُحُ العمل، ويَنصَلِحُ البال، نُعَمّر فى كون الله وبره وبحره، ونستصلح الأهل والأحباب، ونستزرع الخير والتقوى فى نفوسهم..

على الله قصد السبيل.. والله الموفق والمستعان..

شبين الكوم ٣٠ ديسمبر ١٩٩٣ | دكتور عبد الهادى ناصر

بسم الله الرحمن الرحيم حوار حول الكتاب

جلسنا فى نطاق الأسرة زوجتى وولداى وابنتى وتجاذبنا الحديث.. فتحنا باب حوار حول محتوى الكتاب.. وجاء الحوار كله علامات استفهام«؟؟؟» وعلامات تعجب«!!!».. بعضها جاء عن قلق من ولدى.. وبعضها قفز عن إشفاق من زوجتى.. وبعضها قفز إلى فؤادى عن جهل منى!.. تجاذبنا الحديث حول الإستفهام القلق!.. ودونا بعضاً مما قلناه لعل فى العمر بقية أستزيد معرفةً أو سعياً لمعرفةٍ من أهل فضلٍ وعلمٍ.. سعياً لمجالسهم.. أو بحثاً فى مدوناتهم.. أو ترحالاً لمنتدى.. أو تواجداً فى ملتقى.. حيث تثار كثير من هذه التساؤلات!.. لعلى أستنهض إضافة، أو أستدرك قصوراً، أو أصحح أخطاءً ا غير مقصودة !!

- سأل ولدى: لماذا كل هذا ؟!.. أفى الله شك ؟!..

- قلت: كلا والله يا ولدى!! فالكل يعرف أن الله موجود إله واحد.. هو خالق كل شىء.. هو مُسخر الأكوان.. هو الله يا ولدى مُدبر الامر باعث الحياة.. أما يا ولدى هذا الذى تراه أمامنا فتصنيف موضوعى لكلام الله تعالى فى قرآنه حول خلق الكون من عدم!! وحول تسخير الكون!! وحول بقاء بعض مكونات الكون للأجل الذى قدره الله لها!.. هى يا ولدى! محاولة لتفسير ماندركه فى الحياة من روح النصوص الموضوعية القرآنية!.. سَمه يابُنَىّ فهماً مجملاً، أو فهماً إطارياً، أو فهماً كلياً، أو فهماً للحياة ومذاكرة فى آيات القرآن!..

- وسأل ولدى الأكبر: ألا يكفى لنا أن نعرف شيئاً عن الارض والشمس والقمر، وهذا يكفى لحياتنا، وحياة مجموعتنا الشمسية ؟!..

- قلت: ياولدى! علم نظام الكون -الحديث-يقرر بما لايقبل الجدل أن حياتنا اليومية لايمكن أن تستمر كما هى لولا وجود كل أجزاء الكون البعيدة.. بمعنى إن الكون كجسد الإنسان يكمل بعضه بعضاً، وتأمل يا ولدى! قول الله تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ (القمر ٥٤ - ٤٩).. ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ (الحجر ١٥ - ٨٥)!.. وعلى كل يا ولدى! إرجع لكتاب الدكتور سعيد على غنيمة (أساسيات فى الجيولوجيا) ١٩٧٥ م لعل فيه الزيادة فى الشرح والإفادة!..

- وسألت ابنتى: ولماذا الخَوض فى موضوع ليس لنا به طاقة ؟!

- أجبت: يابنيتى! لنا وللناس جميعاً فطرة!.. فعظمة القرآن تتأتى فى بساطته الإختيارية.. فهو مع العقل حيث درجة العقل!.. وهو يحرك القلب بدرجة خشوع الأخير!.. وعظمة خطاب القرآن متمثلة فى بساطتها ونفاذها السريع إلى العامة والخاصة على حد سواء، لأنها تهز المشاعر والوجدان.. وترقى بأسمى غايات الشعور البشرى وهو الحب الإلهى.. فنحب الله أكثر مما نخاف الله!..

ويابنيتى! لاسبيل أمام البشرية لكبح جماح الغُلوّ والشطط إلا بتهذيب النفس بهدي رسالات السماء.. فى مقاومة هوى جمع المال.. وفى مقاومة ملذات وشهوات البطن والفرج والسمع والبصر.. وحينئذٍ يصير الإنسان إنساناً!..

- قالت الزوجة: ربما تثير الجلسة تفكيراً عقلانياً وتولد هموماً كثيرة ؟!

- قلت: يا أحباب! المسألة فى الهم قديمة!.. وشغلت بال دكتور ألكسيس كاريل مؤلف كتاب (الإنسان ذلك المجهول).. الذى حاز به على جائزة نوبل وحفر فى كتابه هذا قولته الشهيرة: (إن أولئك الذين يجدون من أنفسهم شجاعة كافية يدركون ليس فقط ضرورة إحداث تغييرات عقلية وسياسية وإجتماعية بل أيضاً ضرورة قلب الحضارة الصناعية وظهور فكرة أخرى للتقدم البشرى)!..

ومفهوم الفكرة التى ينشدها الكسيس كاريل هى الايمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر!.. وهنا يزول الهَمُ، ويرتاح الإنسان، وينصلح البَال !..

- ثار ولدى وقال: دعونا نستمتع بالمنجزات الصناعية وترفها من: عربات، وطائرات، وصواريخ، وسفن فضاء، ومسكنٍ مجهز.. بالإنسان الآلى، والنداء النقالى، وشبكات للمواصلات تحت وفوق الأرض والنهر والبحر والخليج، وتكييف وترطيبٍ وتجميد للأكل والأيس كريم، وأطباقٍ تلتقط محطات العالم التلفزيونية فى

حجرة النوم، وأجهزة تستقبلها فى القطار، والطائرة، واليخت، وعلى رمال الشواطىء، وفى معسكرات الاستجمام!٠٠ أحلالٌ هذا كله فى حياة الغرب ؟!٠٠ حرامٌ علينا ؟!٠٠

ـ قلت: يا ولدى ! إرجع للتاريخ٠٠ تجدهم نهبوا الشعوب ونقلوا الثروات ٠٠ وسرقوا العقول والعلماء ٠٠ وأسسوا البنوك ٠٠ واستجلبوا الحسابات ٠٠ وإحتكروا التصنيع .. وفرضوا الأسواق .. وقيدوا الإستثمار ٠٠ وتواحدوا فى الزراعة، والصناعة، والتجارة، والعلم، والثقافة، والمؤسسات البرلمانية، وحتى فى إدارة الأزمات إتحدوا ٠٠ أهدافهم واضحة ٠٠ إستراتيجيتهم إتفاقية!٠٠ يا ولدى! سادوا وتسيدوا لأنهم أقرب إلى إستخدام المنهج الحياتي القرآني٠٠ منهج إعمال العقل٠٠ وفهم الكون ومكوناته٠٠ وإستفادوا وإرتفقوا كل ما خلق الله من شىء٠٠ وأجادوا الأعمال٠٠ وأخذوا بأسباب القوة٠٠ وفى كل شىء!٠٠

لكن يا ولدى! حضارتهم المعاصرة هذه حققت تقدماً كبيراً فى علوم الجماد والحياة٠٠ وفشلت فشلاً ذريعاً فى تقديم الجديد فى علوم الإنسان !٠٠

نحن جميعاً٠٠ وهم معنا يا ولدى !٠٠ نحن أمام مأزق عدم التوازن٠٠ وأمام برجلة واضطراب بين العلوم الجمادية والعلوم الإنسانية الحياتية !٠٠

نحن المسلمين ضحايا التأخر فى فقه علوم الحياة!٠٠ والمخجل حقاً أننا تخلفنا فى علوم الجماد وبصورة أشد!٠٠

ـ سألت إبنتى: وما الجديد الذى قدمته ؟!

ـ قلت: الجديد يابنيتى! فى التوليف والتهميش والتعليق٠٠ وأقصد بالتوليف تجميع المرامى والمقاصد!٠٠ فمثلاً وأنا فى سنكم قرأت كتاب العصر (قصة الإيمان) لفضيلة الشيخ نديم الجسر مفتى لبنان٠٠ وحديثاً قرأت كتاب (كيف نتعامل مع القرآن) لفضيلة الشيخ محمد الغزالى، وكتاب (تفصيل آيات القرآن) للبروفسير الفرنسى جول لابوم٠٠ وقضيت حياتى٠٠ من سنكم وحتى الآن٠٠ بين الحقل، والمصنع، والمعمل، والجامعة، ومعترك السياسة، والمكتبة، والمنتدى الثقافى ـ فى جو ومناخ موضوعات الكتاب٠٠ وذكرت بعضاً مما قرأت فى آخر الكتاب تحت مسمى (أهم المراجع والمصادر)٠٠ وذهبت أدرس علم الكمبيوتر وإستخداماته٠٠ فهو يحمل فى التضمين جزءاً من حياتى الذاتية!٠٠ وربطت فى

الكتاب بكليته بين ثلاث:

١. الايمان..

٢. علوم الجماد والحياة..

٣. التصنيف الموضوعى لآيات النظر فى الكون والقرآن!..

وكان هيكل الكتاب على الصورة التى أتركها لكم.. حتى إذا تقدم الزمان، وتبدل العلم والرأى.. إجلسوا إلى الكمبوتر وإحقنوا هوامشكم، ونقوا آراثى وهوامشى.. ويبقى هيكل الأساس هو هو!.. ولن تجدوا أبداً من تناقض بين معارف وعلوم جيلكم، والتصنيف الموضوعى لآيات النظر فى القرآن ﴿فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً﴾ - فاطر.

تعديلاتكم ستكون بالطبع أدق وأثقب وأصوب.. لكن تذكروا أن عملكم المرتقب هذا لايعدو كونه تغييراً لديكور الحاشية والتهميش والتعليق.. وتأكدوا لو كرر جيل الأحفاد عمل نفس الشىء.. لبقى الأساس هو!! هو!!

يتغير التعليق والهامش.. إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها!.. وهذا هو التوليف المعاصر الذى حاولت تقديمه بعلوم يومنا هذا!!

- فالايمان والتصنيف الموضوعى لآيات القرآن باقيان خالدان!.. أما العلم وفقه الحياة ففيهما إختلاف المظهر لا الجوهر ؟!..

- قال ولدى الآخر: زدنا تفصيلاً ؟!

- قلت: يا أحباب! القران يقدم منظومة ربانية سماوية تربط بين: الكون، والإنسان، والحياة!.. فهو يرسم واقع الكون.. ويكلفنا بقراءته، وتعقله، وتدبره، والإنتفاع بكل ما فيه.. من كل شىء.. فى إطار ما أحل الله.. وما أحَلّ الله وَرَخّصَ هو الغالب والأعظم فى البر والبحر فى مملكة النبات والحيوان والأكل والشرب والزينة.. وما حَرّمَ الله ومنع هو النادر القليل - وجاء المنع والتحريم لمصلحة الإنسان!..

الإسلام.. دين فرد.. ودين جماعة.. ومنهج أسرة.. وفقه مجتمع.. وسياسة بشر.. وسلامة وسلام لكل الناس!.. وهو النسيج المتشابك المتين فى فقه الحياة.. يربط فى توازن سماوى محكم.. وفى إطار كل شرائع الله.. بين الغرائز البشرية والفطرة الروحانية!.. ما أحل الله لايُعد ولايُحصى!! وما مَنَع وحَرَّم - لا يُقارن ولايُذكر!..

- والنظرات الكونية القرآنية بشمولية المفهوم حَوَت وشَمِلَت الكون والقرآن

بغالبيتهما!·· ففى الغرب أدركوا روح القرآن·· كأثر للاحتكاك بحضارتنا إبَانَ الحروب الصليبية·· أخذوا منهجنا الكونى التجريبى وساروا على طريق سلَفنا الصالح فكانت لهم حضارتهم المعاصرة·· أما نحن فأهملنا المنهج وضللنا الطريق فعشنا على حافة الحضارة المدنية الحديثة·· ونحن جميعاً فى أزمة·· تنذر بفوضى عالمية وهَرَج ومرج وقتل ودمار!·· وحتى ورغم أننا عُزّل من القوة·· وفقراء بخجل·· ومع ذلك شخصوا المسلمين عدواً لدوداً وحيداً ؟!·· ونحن نحن نستجدى رضا وصداقة الأعداء!·· لأننا إنصرفنا عن إستغلال خيرات أكوان الله فى الأوطان·· وإحترفنا الأقوال·· وتركنا الأعمال·· وبَعُدنا عن منهج الله ؟!··

- وأضفت قائلاً: يا أحباب! تذكروا قول حكيم: (أربعة طلبناها فأخطأنا طرقها: طلبنا الغنى فى المال، فإذا هو فى القناعة، وطلبنا الراحة فى الكثرة، فإذا هى فى القلة، وطلبنا الكرامة فى الخلق فإذا هىَ فى التقوى، وطلبنا النعمة فى الطعام واللباس فإذا هى فى الستر والإسلام)·· يعنى فيما يستر الله من العيوب والذنوب· بمعنى أننا مطالبون بأن نرجع الى روح القرآن لنفسر ظواهر الكون والحياة· والعكس غير جائز فلا يصح أن نوقف معانى القرآن على المعارف البشرية، أو حتى على إجتهاد العلماء المحدثين· وصولاً إلى فقه حياة مستقرة هادئة وادعة واعدة بما هو أضمنُ وأحسنُ!··

- سأل ولدى: ومَا العلاقة بين الإسلام والحضارة ؟!··

- قلت: ياولدى! الإسلام دواماً فى تعانق تبادلي تأثيري مشترك مع الحضارات البشرية·· وماكانت هناك غربة تاريخية قديمة بين المسلمين الأوائل وحضارة النهر والتوحيد والعلوم التى ازدهرت فى مصر قبل الإسلام·· بل إن مصر المسلمة ازدادت بالإسلام ثراء ودعمت أركان الحضارة الإسلامية فى تواد وتحاب وعناق·· وكذلك فإن حضارة فَارس تعانقت وحضارة الإسلام الشابة·· وتكاملت روافد الحضارتين فى مَصب حضَارة الإسلام·· وبالتالى فلا غُربة محتملة بين الحضارة الصناعية المعاصرة وحضارة الإسلام السابقة واللاحقة بإذن الله تعالى·

- فالإسلام انتشر فى الهند والصين واليابان وجنوب شرق آسيا وفى أغلب دول القارة الأفريقية بالقدوة الحسنة والمسلك القويم والتاجر الصدوق!·· ولم ينتشر الاسلام فى هذه الأماكن بالحروب·· ونذكر أن تعداد مسلمى هذه المناطق أكثر من أربعة أمثال مسلمى العالم العربى؟!·

فحَقيق على كل مسلم أن يعمل ويجتهد فى حقله ومعمله ومصنعه ومتجره إتقاناً للأعمالٓ وأداءً الدور حضارى هيأته له الظروف الدولية الحالية فالساحة خالية تماماً بعد فشل العقائد الإصلاحية للشيوعية والرأسمالية على حد سواء·· ويستطيع المسلمون بالقدوة والعمل الجاد والمتقن الوصول إلى وجدان الشعوب المتلهفة لملء الفراغ الروحى العملى الحياتى المعاصر··

ورسالة القرآن تصل إلى كل سامع وكل مبصر ﴿أسمع به وأبصر﴾·· وماتراجعت الحضارة الإسلامية·· بل تراجع المسلمون وأضاعوا التاريخ وضاعوا·· وأصبحنا تُجار كلام ووطنية، وتجار تحف حضارات قديمة!·· ومع ذلك فإن الإستنهاض الحضارى قائم ممكن متاح، وفى فترة عقدٍ من الزمان·· يقل أو يزيد قليلاً·

ـ سألت إبنتى: وهل مادة مدارسة الكتاب موجهة للمسلمين فقط ؟!

ـ أجبت: يابنيتى! الإسلام دين عام·· لكل الناس·· ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾·· ﴿وأرسلناك للناس رسولاً وكفى بالله شهيداً﴾·· فالدارس لفقه الأمام مالك يستوقفه أنه شغل نفسه بتفسير الحياة بروح النص القرانى وسيطر هذا التزاوج بين القرآن وفقه الحياة على عقل الإمام ووجدانه·· حتى أنه قال: (لا أعلم شيئاً يحتاج إليه فى الحياة إلا وجدته فى القرآن)·· ويابنيتى! لابد أن تدركى أن الكون والحياة الدنيا خلقت وسخرت للناس جميعاً!·· والقران يُثير الناس جميعاً لإعمال العقل والفكر·· والإستزادة بالعلم والتعلم·· والأخذ بأسباب القوة والكسب·· والإستمتاع بنعيم الدنيا وبهجتها جنباً إلى جنب مع التزود للحياة الآخرة!·· ولا عجب فالقرآن قد حوى كل سوابق تعاليم السماء إيماناً وخُلقاً وسلوكاً·· وللقرآن فى فقه الحياة مرجعية الوحى الرباني المطلق!·· فالقران يابنيتى! لا يتقادم أبداً·· فهو القديم المتجدد·· والجديد الذى لا يتقادم أبداً!·· أبداً!·· هو الحكمة الايمانية الخالدة!

ـ سألت زوجتى: هل نحن فى موقف التحدى الحضارى ؟!··

ـ أجبت: بل نحن فى موقف الإستنهاض الحضارى·· وهم فى الغرب يتوهمون أننا فى موقف الهزيمة الحضارية·· وأقول أننا قَبلنا الهزيمة مبكراً·· وعبرنا مرحلة التخطى·· فى حرب السويس سنة ١٩٧٣ م·· ونحن الان على أعتاب مراحل الإستنهاض الحضارى·· وهذه مرحلة جاد شاقة، تحتاج لترتيب وحشد كل

الموارد، وتتطلب التدنى بحدود الإشباع، وتستوجب الإرتفاع بعوائد المدخرات الوطنية وتوظيفها فى الإعمار والتنمية·· وجديرٌ بنا أن نشجع المُنتَج المحلى·· ونرتقى به·· ولا أشك فى أننا سنحقق نصراً حضارياً، لو أننا تعاملنا مع الحياة بكليتها (فى كل شىء)، وبلا تجزىء (لأى شىء)!··

- سأل ولدى: هل نعود إلى التقاليد ؟!··

- قلت: ياولدى! أشرح لك مفهوم التقاليد·· لم أسمع أن فى اليابان تقاليد قديمة، وموضة جديدة·· بل التقاليد ياولدى! هى الموروث الحضارى الإيمانى والثقافى والخلقى للشعوب·· فالإسلام يحدد شخصية الإنسان فى حياته الباطنة وحياته الظاهرة·· ولا تنسى ماقرروه فى الغرب فى كتاب العظماء مائة أعظمهم محمد ﷺ·· فعندنا المعيارية الثقافية والأخلاقية فى القرآن والسنة·· وحياة محمد ﷺ، ومن تبعه·· من الخلفاء، ومن السلف الصالح، ومن علماءنا المبرزين فى العلوم والحُكم والحكمة، نملك تقاليدٌ هائلة أعتقد لا إختلاف عليها ولا جدال!·· فهل نسلك مسلكهم، وننهج نهجُهم، ونبتغى مُبتغاهم ؟! وأفهم التقاليد كذلك أن الواجب يقتضينا نقل علوم الجماد من كل صوب وحدب·· نُغَربِل ونَتَخَير التكنولوجيات المعاصرة ونحسنها ونجدد ونجود عليها ونُكَثِف الإنتاج ونُنَافس بإنتاجنا وباتقاناتنا!·· وهذا تقليد من تقاليد السلف يا ولدى!! وأمرنا الرسول ﷺ بأن يبنى كل هذا على العلم فقال ﷺ: ﴿إطلبوا العلم ولو فى الصين﴾ !!

- أما ياولدى! إذا كان مفهوم الحداثة هو الأخذ بالنمط الغربى فى السلوك فهذا هو الذوبان·· أو إن شئت قل التذويب فى الغرب!·· وحسبى أنكم ترفضون ذلك·· لأن باطننا مختلف تماماً·· فيستحال اللقاء بين الظواهر·· وأكرر يا ولدى أن الإسلام يحدد شخصية الإنسان فى حياته الباطنة وحياته الظاهرة·· ومع ذلك لابد أن تتيقن ولدى! أن الإسلام يرخص لمعتنقه بالتشدد حينما يكون التشدد مطلوباً، ويسمح بالترخص حين تدعو الحاجة لذلك بظروف الحال والمكان والزمان!، وأسهم الكثير من المفكرين فى طرح موضوع الحضارة بين الأصالة والمعاصرة، وهذا هو الطريق والغاية!، ويا ولدى! إذا فهمت التقاليد الإيجابية·· على أنها·· إرادة وأصالة·· واستنهاض حياة بخُلُقٍ صادق أمين·· وصولاً إلى إعمار وتعمير وتحضر·· حينئذٍ يتماثل ويتَوحدُ فكرُنا!

ـ قال ولدى: الآن فتحنا باب الحوار·· فكيف السبيل لحوارات تفصيلية ؟!

ـ قلت : يا ولدى! التحديد ليس من عندى! بل العكس فهو يأتى نتيجة اهتمامات وثقافات فردية·· بعضها عام·· نتواصل فى حواراته بخطاب إعلامى عام!! بمجمل معارف عامة·· والآخر·· يحتاج برامج وندوات وورش عمل وبحوثاً ومؤتمرات·· وحوارات هذا النوع تتم وجهاً لوجه ـ لإنها ذات طبيعة تخصصية!·· ثم ما نلبث أن نجد أنفسنا فى حاجة إلى التبسيط وصولاً لتحقيق الفائدة المعرفية لجمهرة أكبر·· وهى أصول علمية معروفة لعلماء الإتصال والتنمية والتغيرات الإجتماعية·· وهذا هو السبيل الوحيد لخلق جو المشاركة الايجابية فى تهيئة الجو التنموى العام بشقيه الإقتصادى والاجتماعى!!

ـ وعلى كل فموضوعات الجزء الذى بين أيدينا نظرات بين الكون والقرآن هى إتفاقية·· لأنها متعلقة بعلوم جمادية تُرصد بمنهج علمى معروف ونتائجها توصلنا إلى حقائق مرحلية، دقتها تتوقف على تدقيق الفرضية، وعلى دراسة كل عوامل التأثير والتأثر الكونية، مع ضرورة إعتبار معاملات تكرار المدد والأزمان على الاشياء والظواهر·· وهذا أمر فى تبديل وتغيير مستمرين فحركة الكون صاخبة جداً، وسريعة جداً، والأزمنة الكونية فى تبدل وتقارب مضطرد· من هنا فلا ثبات لعلم فكل يوم والعلم فى شأنٍ وحالٍ· ولا رأي مقطوع به علمياً إلا إذا تعلق بسنة كونية!·

ـ قال ولدى الثانى: وبماذا نبدأ ؟!··

ـ قلت: يا ولدى! فى منظومة الخلق لاتوجد بداية ونهاية·· فنبدأ بما بدأ به القرآن·· إن شاء الله تعالى نبدأ بالمنظومة السماوية·· ثم نثنى ونكمل بمنظومة الأرض!· فالأرض عرضٌ·· يا ولدى!·· ويوصى اليهود أبناءهم على لسان أنبيائهم بنداءٍ بطلبٍ ووصيةٍ: (يا بنى إشترِ الأرض فإنها الشىء الوحيد الذى صنع مرة واحدة)!·

ـ فالانسان والماء والأرض هم الزاد والزواد·· فى نشاطات اليابس والبحار وحتى فىنشاطات الجو والفضاء والهواء، فهم إرادة كل حياة الكون الذى نعرف· ـ وعليه فنتبع منظومتى السماء والارض بنشاطات البشرية فى الفضاء!·· فهذه النشاطات مجتمعة تغطى المكان والزمان والانسان فى فقه الحياة يا أحباب!·

أما أحوال حياة الانسان وفقهها فمؤجلة حواراتها لحين عرض مُدَارَسَتِنَا

(الإنسان فى آيات القرآن) ·· خَلقه، ووجوده، وحياته، ونشاطاته، ونظمه الاجتماعية والاقتصادية، وهذا موضوع كتابنا القادم بإذن الله تعالى.

- قال ولدى: كيف تُحَملنَا أمانة تاريخية ؟!·· لا طاقة لنا بحملها ؟!

- قلت: ياولدى! كنتَ مثلكم ويزيد·· أكثر خوفاً وأكثر تهيباً حين بدأت فى المجال هذا وليس لى به طاقة ؟! ·· وقذف الله فى قلبى بنية العمل، وبغاية المراد·· هوِّنُوا الأمر يا أحباب! ففى الصين يرددون حكمة تقول: (لا تطعمنى سمكة وخير لي أن تعطنى سنارة وتعلمنى الصيد)··

ونحن هنا أمام موقف أفضل بكثير·· فالتصنيف الموضوعي لآيات النظر فى القرآن مدونٌ لكم وللآخرين·· إيمانكم بالله محقق، والحمد لله·· سجلوا تجاربكم وتجارب الآخرين·· وجددوا خبراتكم ومعارفكم وتَجَدَدوا فى فقه حياتكم·· فهناك فقه جديد فى الصناعة إختاروا له لقب التجديد RENEWING ·· وليس بعسيرٍ أن تجددوا تهميش الكتاب، وربما تكون هناك سعة لمنتدى يُسَهل العمل·· هى وصية لكم·· وهو رجاء لأولى الألباب !! ليتواصل العطاء·· وعلى الله قصد السبيل·· ﴿وقل رب زدنى علماً﴾·· والحمد لله رب العالمين !!

الجلسة الثانية تفصيلات محتوى الكتاب

- فى جلستنا العائلية الثانية إمتد الحوار حول تفصيلات محتوى الكتاب·· باغتنى ولدى الصغير سائلاً·· متى ؟! وكيف ؟! وأين؟! بدأ التفكير فى هذا المحتوى ؟!

- قلت: يا ولدى! فى سنة ١٩٦٨م كان بَرد أوكرانيا القارس قد تمكن منى·· وذهبت إلى مصحة فى القوقاز فى بلدة (يسنتوكى) وفى منطقة جبلية تسمى (بياتى جورسك) قضيت ثلاثة أسابيع·· فى علاج بالماء المعدنى المشع·· تقابلت مع عالم روسى كبير أخذ يحدثنى كثيراً عن علوم الكون والفيزياء وعن القرآن وما أورده من آيات كونية عظيمة فى حاجة إلى تدبر وتفكر دائمين·· وفى عام ١٩٦٩م·· وكنت قد إنتهيت من دراسة الدكتوراة، تقابلت مع عالم روسى آخر·· حدثنى كثيراً عن فضل الإسلام على البشرية وذكرنى أن علياً ابن أبى طالب فى رسالته الشهيرة لمحمد ابن أبى بكر إبان ولاية الاخير حكم مصر·· وكان القحط قد حل بالديار المصرية وتشدد

الوالى.. المعين من قبل أمير المؤمنين على ابن أبى طالب.. فى جمع الخراج، وإشتكى المصريون واليهم لأمير المؤمنين على ابن أبى طالب فبعث إليه أمير المؤمنين على كرم الله وجهه برسالة يعتبرها علماء الإقتصاد والإجتماع أنها أساس متين لتحديد مفهوم الدولة، وحتى عصرنا هذا.. حيث كتب له آمراً موجهاً: (عليك بالإشفاق فى جمع الخَرّاج، فالناس كلهم عيَالٌ على الخَرّاج، ولابد أن تقترن جبايتك للخراج بالعمارة، أما نصيبك منها فلابد أن يكون بقدر حاجتك، فإن زدت فإنك ستكون عظة وعبرة لمن يلحق)، والسلام، على ابن أبى طالب..

ولجأت إلى الوالد الأستاذ حسن كامل الملطاوى ووجدت عنده المنهل والعطاء وزادنى فى الأمر وأفاض كثيراً.. وكثيراً جداً.. حيث أمدنى بكتاب أمير المؤمنين علي ابن أبى طالب إلى عماله على الخراج وجاء فيه: (أنصفوا الناس من أنفسكم، واصبروا لحوائجكم، فإنكم خُزّانُ الرعية، ووكلاء الامة، وسفراء الأئمة، ولا تحشموا أحداً عن حاجته ولا تحبسوه عن طلبته، ولا تبيعن الناس فى الخراج كسوة شتاء ولا صيف، ولا دابة يعتملون عليها، ولا عبداً، ولا تضربن أحداً سوطاً لمكان درهم، ولا تمسن مال أحد من الناس مصل ولا معاهد، إلا أن تجدوا فرساً أو سلاحاً يعدى به على أهل الإسلام، فإنه لا ينبغى أن يدع ذلك فى أيدى أعداء الإسلام فيكون شوكة عليه، ولا تدخروا أنفسكم نصيحة، ولا الجند حسن سيرة ولا الرعية معونة، ولا دين الله قوة، وابذلوا فى سبيل الله ما استوجب عليكم فإن الله سبحانه، قد اصطنع عندنا وعندكم أن نشكره بجهدنا، وأن ننصره بما بلغت قوتنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم).

كما أثارنى الأستاذ حسن الملطاوى بكتاب تكليف من أمير المؤمنين على بن أبى طالب إلى الأشتر النخعى (مالك ابن الحارث) حين ولاه على مصر.. وفى إستهلاله يقول: (هذا ما أمر به عبد الله على أمير المؤمنين، مالك ابن الحارث الأشتر فى عهده إليه، حين ولاه مصر، جباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها..)، وهزنى مالم أسمع به من قبل (إستصلاح أهل مصر.. قبل إعمار بلادها) ؟!

وفى شتاء ١٩٧١م وفى جلسة للشيخ إسماعيل الصادق العدوى أفاض فى شرح تعطيل قانون الجاذبية المعروف.. بالآية الكريمة: ﴿أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن مايمسكهن إلا الرحمن﴾ الملك.

ومنذ ذلك التاريخ يا ولدى! شغلتنى المسائل سعياً وفكراً وتبصراً وتدبراً.. وكان أخوك قد جاوز الأربع سنوات، وأختك جاوزت الاربع شهور.. أما أنت فولدت

بعد هذا الأوان بثلاث سنوات.. وبدأت تجميع مادة الكتاب العلمية منذ سبع سنوات خلت..

ـ وقلت: أما عن كيف ؟! يا ولدى ! فأمر سيبقى فى أذنى وذاكرتى ما بقيت الحياة.. ففى أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات، كنت مهموماً وبكرب شديد لحال مصر والعرب والمسلمين عن حبٍ وإيمانٍ وعقيدة.. ورثت العقيدة عن جدى لأبى وعلى إسمه نادونى ـ وكان رحمه الله وجيهاً فى قومه ومن حفظة القرآن ـ وعن أبى الذى ما رأيته قط يعرف اللين فى الحق.. زاد على ذلك ورسّخ الشيخ إسماعيل الصادق العدوى حين هزنى فى شتاء ١٩٧٢م، قائلاً: (يا هذا..؟! لا تُعَاتِب طالما أن فى السماء كاتباً).. ومن لحظتها بدأت أعنى بجوهر مسائل الحياة تأثيراً وتأثراً بفكر منفتح وفى إطار إيمانى.. وجدت أن التصنيف الموضوعى فى القران يعطى الدليل والمنهاج لفقه الحياة.. وأيقنت أن الفهم الكلى الموضوعى أساس للبناء العقلى السليم للموضوعات الحياتية القرآنية.

ـ تتبعت النداءات فى آيات القرآن: ﴿يا آدم﴾.. ﴿يا بنى آدم﴾.. ﴿يا أيها الناس﴾.. ﴿يا أيها النبى﴾.. ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾.. ﴿يا موسى﴾.. ﴿يا عيسى ابن مريم﴾.. وقفت طويلاً متأملاً سير الأنبياء والرسل.

ـ وتتبعت كذلك الامر والنهى والإستفهام والتوبيخ والتعجب فى القرآن الكريم فوجدت نسيجاً حياتياً علمياً عجباً.. فيه تكامل العلوم والفنون والأخلاق والأعمال والمتعة والزينة والتزين للحياتين الاولى والآخرة.. وعندئذ فهمت جوهر ومقصد معنى أول أمر إسلامى ﴿إقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الإنسان من علق، إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم﴾ العلق.
ـ وأدركت لماذا لايقع التكليف فى الإسلام إلا على عاقل.. فعن على كرم الله وجهه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿رفع القلم عن ثلاث: النائم حتى يستيقظ، وعن الصبى حتى يشب، وعن المعتوه حتى يعقل﴾.. سنن الترمذى، سنن ابن ماجة، مستدرك الحاكم ـ الحديث رقم ٣٥١٤ فى صحيح الجامع.

ـ تيقنت يا أحباب! أن الإنسان كائن مُكلف: بالتفكير، والعمل، والعبادة فى شتى الصور، إقامة الأركان، والعمل، والكد، والكدح، والإبتغاء، والإعمار، والتعليم،

والتعلم، والتفكير، والجهاد فى سبيل الله، والأخذ بأسباب القوة روحياً ومعنوياً ومادياً، وإعمال السنن الإلهية·· من نكاح، وتكاثر، وهجرة وإحياء موات الأرض ·· ﴿لايكلف الله نفساً إلا وسعها﴾

- فهمت القراءة يا ولدى ! على أنها قراءة عقل وقلب·· ولنتأمل قول الله تعالى: ﴿أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ (الحج٢٢:٤٦)
- فهمت أن القرآن ما أنزل إلا للعقلاء ذوى البصائر·· ونرجع إلى قوله تعالى: ﴿لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين﴾ وحياً أىّ عاقلاً (يس٣٦:٧٠)
- فهم القرآن ياولدى ! فى حاجة إلى اللسان القئول، والقلب العقول·· قرآن قلب، وعقل، ولسان(لغة)، وعمل حياتى، وأخلاق ؟!
- وفهمت أن من هدف خلق الكون هو إستخلاف الإنسان فى الأرض·· ﴿خلق لكم ما فى الأرض جميعاً﴾ ··

- وأدركت أخيراً يا ولدى ! أن القراءة الكونية التى نحن مطالبون بها هى البحث وإعمال العقل والتجريب فى جوهر كل شىء·· وأثر وتأثير كل شىء على بقية الأشياء·· نحن مكلفون ياولدى بالإنتفاع من كل شىء فى الكون·· نحن مكلفون بإعمار الأرض، وجلب السعادة للإنسانية كلها، التى إستخلفها الله فى الأرض ··

- سألت إبنتى: هل كتابنا هذا يحوى تفسير للآيات الكونية فى القرآن ؟!
- أجبت: لا يابنيتى ! هذا ليس بكتاب تفسير للآيات الكونية، فهذا شأن له أهله، وأصوله، ومعارفه، وفقهاؤه·· وهو ليس بكتاب تخصص فى علم من علوم الحياة·· توحيد، إيمان، جغرافيا، فلك، رياضة، هندسة، زراعة، بحار، تشريح، أجنة، طب·· فهذه فروع لها معارفها ومناهلها وفقهاؤها أيضاً·· وهذا ليس بمعجم لألفاظ، أو لبعض معانى وإشارات القرآن الكونية·· فالمكتبة العربية تذخر وتعج بعظيم الأعمال للسلف والخلف على حد سواء·· وهذا العمل أقرب مايكون للتبويب الموضوعى لآيات النظر فى القرآن وفى الحياة قديمها وحديثها ومستقبلها··
- صدقونى! فإن التعرض للكتابة فى آيات النظر الكونية القرآنية - مغامرة وجرأة·· الذلل فيها ليس بالخطأ، لكنه الخطيئة·· ورجفة الكتابة فى هذا المجال تفقد القلم وصاحبه جرأة وجسارة الإقدام·· فإتمام هذه الأعمال من نافذة قرآنية يحتاج إلى إمكانات أمة وجهود كل رجالها·· إستنهاضاً لحضارة تليق بشرف

الانتماء للإسلام··

- وحسبى بهذا الجهد تبسيط وتجسيد ومحاولة فهم آيات النظر القرآنية، ونقلها إلى جمهور الناس من المسلمين وغير المسلمين·· فى مجال سائر مخلوقات الكون - السماء، الأرض، المجرات، النجوم، الشموس، الاقمار، الشهب النيازك، الجبال، اليابس، البحار، الانهار، الرياح، السحاب، البرق، الرعد، الصواعق، الزمن - الليل والنهار، حركة وسبح الشمس والقمر، وحركة الكون التى لاتهدأ، والغلاف الجوى الحاضن لنا الساقف لحياتنا بحيويته التى لاتنتهى··

- ونعرض فى هذه الدراسة للحياة الكونية فى اليابس والبحار·· لحياة النبات والحيوان والانسان·· لا لشىء إلا لاننا مكلفون شرعاً بالإرتفاق والانتفاع من كل شىء خلقه الله فى الكون·· وهذا هو جوهر سُنّة الخلق·· وسُنّة التسخير··

﴿خلق لكم ما فى الأرض جميعاً﴾ (البقرة٢: ٢٩) ··

﴿سخر لكم مافى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ (لقمان٣١:٢٠)··

- خلق هادىء وديع طاهر نقى طيب، ونعبث به مُفسدينَ وفَاسدينَ· خلق يسعد فيه الموحد، ويشقى فيه الملحد· يهنأ به المبتغى ويتعس الباغى· سعيد من أصلح الله باله، وأسلم وسَلِمَ قلبه وخشعت نفسه وأعمل عقله ونقى هواجسه· فلح من آمن بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر وصدق مع ذاته ومع ربه وتاب وأناب وعمل عملاً صالحاً واتقى الله حق تقاته·

- سأل ولدى الاكبر: لماذا تُقصر الكتاب على آيات النظر فى القرآن ؟!

- قلت: يا ولدى! آيات النظر فى القرآن يكلفنا الله تعالى فيها بالتدبر والتفكر ومعرفة كل شىء عن طريق العقل، فمن ينظر يُبصر، ومن لم يبصر يبقى فى الظلام حيراناً قلقاً·· ومن يتحير ويقلق يشك·· ومن يشك ويعقل ينظر ويبصر·· ويصل إلى إيمان القطع واليقين·

- وآيات النظر فى القرآن هى براهين حسية موصلة لإيمان القطع واليقين، لا لقلق الشك والتخمين·· بهذه الآيات، وعلى أساسها يبنى ويتشيد التوحيد والايمان الخالص لله رب العالمين··

- ورأيت ياولدى! أن الآيات الكونية القرآنية آيات عقل وعلم وإيمان وحياة·· ذات تكليفات وتأثيرات عقلية حياتية كلية جامعة:

- أولاها: الاعجاز الحسى لقدرة وعزة وحكمة وابداع الله سبحانه وتعالى.
- ثانيتها: التحفيز والاستنهاض للأخذ بفقه الحياة - فى الاطار الايمانى لحياة الانسان النفسية، والقلبية، والعقلية، والفكرية، والتربوية والتعلمية!
- ثالثتها: التكليف الحياتى بالعمل والسعى والكد والابتغاء لحياة أفضل للانسان وأسرته ومجتمعه وأمته.
- رابعتها: تقويم الحياة الخلقية والسلوكية للفرد والمجتمع، ولأولى الأمر وللناس على حد سواء..
- خامستها التذكير بآثار السلوك الشان، وما يترتب عليه من اضطراب واختلال وفساد وفوضى ودمار.
- سادستها: وسطية الاسلام فى طبيعة العقد الاجتماعى بين الناس فى خصوصيات المساواة، الحرية، العدل، الشورى، تحريم الربا - بما يضمن استقرار واتزان الحياة فى الأسرة والمجتمع.
- سابعتها: آيات النظر فى القرآن - هى آيات لسنن ثابتة ؟! ..

- والنظرات هنا هى توليفة لتصنيف قرآنى موضوعى.. وهى من ثوابت توجيهات الحق سبحانه وتعالى.. وهى تنفيذ لأوامر وأحكام، كما أنها ليست من باب الرأي؟!..

- دورنا هنا يا أحباب! دور الناقل لسنن كونية ثابتة خالدة ما بقيت الحياة على وجه الأرض.. ونحن مكلفون بإعمال العقل للتعرف على هذه السنن والسير على هديها المستقيم علمياً وإجتماعياً فى نسيج مترابط بين العلم والايمان والحياة.

- قفزت ابنتى سائلة: ألم يُبْهِرُكَ شيءُ بذاته ؟!
- قلت: يابنيتى! وقفت مبهوراً أمام الربط الايمانى بين الحياة وسنن القرآن.. وقفت أمام سنن التدرج، والمدافعة، والتداول الحضارى.. فوجدت أن النظم السياسية المعاصرة تواجه أزمة فكرية مدمرة..
- فالاشتراكية مثلا وهى مذهب التقارب المادى المقيد للحرية.. (حيثما المساواة لا حرية).. فى طريقها للتحلل والوداع من كوكب الارض، بسبب الاختلال فى التوازن بين المساواة والحرية.
- والرأسمالية والتى هى مذهب الربحية الحرة، المقرونة بديموقراطية الاجل، المفتقرة إلى العدل الاجتماعي.. (حيثما الحرية لا مساواة).. تواجه هى الأخرى

أزمة كساد فى مجتمعاتها، وفى العالم أجمع··
والكساد العالمى العام ينبىء بأننا على بوابة مرحلة بشرية يسودها قلق واضطراب وفوضى وفساد فى كل شىء·· فى كل دول العالم·· بسبب غيبة الدافع الايمانى فى المذهبين·· وبسبب الصراع والتجزىء بين قيمتين كونيتين إنسانيتين·· فطريتين متلازمتين وأساسيتين·· الحرية والعدل ؟!
ـ وعجبت واستغربت أن مفكرى النظامين يرتد كل منهما فى إطار فكر ومسرح النظام الآخر·· فالرأسمالية ترتد إلى الاشتراكية·· والاشتراكى ترتد إلى الرأسمالية·· وكليهما يقترب بالحتم والضرورة فى النهاية إلى الاشتراكية الديموقراطية كنظام مهجن ·· والهُجن لاتنجب يا أحباب ؟!

ـ هذه النظم الثلاث تكابر وتعرض عن الاقتراب من الاسلام بتكامليته·· والعيب فينا؟! ·· نعم ا·· نعم العيب فينا·· لاننا لم نقدم نموذجاً حياً واحداً PROTO TYPE·· على سبيل التطبيق الواقعى·· أمراً بمعروف ونهياً عن منكر··
﴿كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ ـ آل عمران·

ـ وآيات النظر القرآنية والحال كذلك ثرية واسعة الثراء العلمى·· لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها·· هى جديرة بالدراسة ليس فى المجال الكونى الضيق بل فى شتى مجالات الحياة·· فهى آيات ذات مرجعية مطلقة، أما العلوم البشرية التخمينية الفرضية ففى تغيير وتبديل بحسب دقة الفرضية ودقة القياس والتوقع·· فالبشر بشر·· يخطىء ويصيب·· أما آيات التنزيل فحق من حق·· من علام الغيوب·· من العزيز الحكيم·· سبحانه وتعالى·· من الله جل فى علاه·

ـ ويكفينا فخراً تلك الحرية العلمية الاجتهادية التى يعطيها الاسلام للعلماء من المسلمين ومن غير المسلمين وتأمل قول الله تعالى: ﴿لا إكراه فى الدين﴾·· حرية فى العقيدة·· مكانة خاصة للعلماء·· ﴿قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾·· ﴿يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات﴾·· ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾··
ـ نتأمل قول رسول الله ﷺ: ﴿ليس شىء من الفرائض أفضل من طلب العلم﴾·
ـ ويقول الإمام على كرم الله وجهه: (العالم أعظم أجراً من الصائم القائم

الغازى فى سبيل الله)··

- وينشد الإمام الشافعى فيقول:

يا معشر العلماء يا ملح البلد·· من يصلح الملحَ إذا الملح فسد

- ومع إتساع الموضوع وشموليته·· نقصر العرضَ على الكَون والانسان فى آيات القرآن·· على أنها، وفى الاطَارَ الايمانى·· هى المنجم الإتفاقى الفكرى بين البشر·· كل البشر·· من كل جنس ولون·· وفى كل مكان وزمان ·· وهى سنن الله الثابتة··

﴿فهل ينظرون إلى سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً﴾ (فاطر٣٥: ٤٣)

﴿سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ (الاحزاب٣٣: ٦٢)

﴿سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ (الفتح٤٨: ٢٣)

﴿الله خالق كل شىء وهو على كل شىء وكيل﴾ (الزمر٣٩: ٦٢)

والكون هو كل ما خلق الله من شىء··

﴿وخلق كل شىء فقدره تقديراً﴾ (الفرقان٢٥: ٢)

- والانسان هو محور خلق الكون·· من أجله كان خلق الكون·· ومن أجله كان تسخير الكون·· ونتأمل قول الله تعالى:

﴿وهو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعاً﴾ (البقرة٢:٢٩)

﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾ (لقمان٣١:٢٠) وما كان الخلق لعباً· ﴿إنا كل شىء خلقناه بقدر﴾ (القمر٥٤: ٤٩)

- وما التسخير إلا قرين تكليف الانسان بالانتفاع والارتفاق بما خلق الله··

﴿أو لم يروا إلى ما خلق الله من شىء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون﴾ (النحل١٦: ٤٨)

- وبعد خلق الكون وتهيئتة للحياة·· كان خلق الانسان··

﴿الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين﴾ (السجدة٣٢: ٧)

- وجاءت الرسالات السماوية لتبيان سنن الخلق والتسخير وما ينفع الانسان وما يضره فى الحياتين··

﴿وكتبنا له فى الالواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء﴾

(الاعراف ٧:١٤٥).. إلى أن جاءت الرسالة الخاتمة لسيدنا محمد ﷺ..

﴿ويوم نبعث فى كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ (النحل١٦: ٨٩)

- فالقرآن مرآة الكون - تبيان كل شىء.. ويفرض الله تعالى على الانسان فرائض: التفكير.. والتدبير.. والتوحيد.. والشكر.. وعبادة الله رب كل شىء..

﴿ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شىء فأعبدوه وهو على كل شىء وكيل﴾ (الأنعام٦: ١٠٢)

- القرآن مرآة للكون وللحياة كلها.. وهو مرآة لحياة الانسان البيولوجية.. من حيث خلقه ووجوده وحياته ومماته وبعثه وحسابه.. والقرآن مرآة لحياة الانسان النفسية والقلبية والفكرية والعملية والمالية.. وهو مرآته الاجتماعية - فى ذاته، وفى أسرته، وفى مجتمعه، وفى أمته..

﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ (الانبياء٢١: ٩٢)

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (آل عمران٣:١١٠)

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ (آل عمران٣: ١٠٤)

﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا إهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ (المائدة٥: ١٠٥)

﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ (البقرة ٢: ٢٨٦)

﴿لا يكلف الله نفساً إلا ما اتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾ (الطلاق٦٥: ٧)

﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون﴾ (الصف٦١: ٣)

﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾ (البقرة٢: ٤٤)

﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾ (الشورى٤٢: ٣٨)

﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فأعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر﴾ (آل عمران٣: ١٥٩)

وما من رسول ولا نبي إلا وقالها: ﴿إن الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ (آل عمران٣: ١٥٩)

﴿قل أغير الله أبغى رباً وهو رب كل شىء﴾ (الأنعام٦: ١٦٤)

﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ (الأعراف٧: ٥٤)

﴿الله الذى جعل الأرض قراراً والسماء بناءً وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين﴾ (غافر٤٠: ٦٤)

﴿قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين﴾ (فصلت٤١: ٩)

- فالإلوهية والربوبية والحال كذلك خلقٌ وإبداعٌ وتسخيرٌ وتسييرٌ وتدبيرٌ لكل ما فى الكون من ﴿كل شىء﴾ لصالح حياة الانسان فى الدنيا والآخرة ..

- ويكفى القرآن أنه وضع الانسان فى المناخ العلمى.. بالاثارة على النظر (بالسمع والبصر والفؤاد) فى الكون الجمادى، وفى المعارف الانسانية، وفى قصص الانبياء، وتاريخ الأمم والحضارات السابقة..

- ويكفى القرآن أنه يحض الناس على النظر والتفكر والتعقل للوصول إلى إدراك قوانين التسخير والارتفاق والانتفاع .. ومعرفة وإعمال هذه القوانين يحقق للانسانية الإعمار والتنمية المتكاملة - فى الحياتين..

- والقرآن كتاب مجيد كريم.. يعنى بالقديم والجديد - على حد سواء.. فهو والحال كذلك كتاب مستقبليات..

﴿وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون﴾ النمل.

﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد﴾ فصلت.

- سأل ولدى: هل معنى هذا إن القران ذاخر بالسنن المادية والإجتماعية؟!

- قلت: يا ولدى! القرآن الكريم كتاب ذاخر بالآيات والحكم الكونية والاجتماعية على حد سواء.. وتأمل قول الله تعالى:

﴿أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً فى الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق، ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله إنه قوى

شديد العقاب﴾ (غافر ٢١،٢٢)

فالفهم الصحيح للقرآن يلزمنا أن نقرأه ثلاث قراءات:

١. نقرأ الكون فى القرآن..

٢. ونقرأ الحياة الجمادية والبيولوجية فى الكون والقرآن.

نقرأ لنتعلم جوهر الأشياء.. ﴿إقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الانسان من علق، إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم﴾.. قراءة متكاملة كلية ..

٣. يتبع ذلك يا ولدى! أن القرآن يطالبنا بقراءة ثالثة وهى قراءة الحروف.

- ويطالبنا الله تعالى بأن نتعلم القراءة والكتابة والتدوين بالقلم لنستفيد بتراكم المعارف البشرية، ولنوصل حلقات العلم البشرى لكل زمان ومكان ؟! - فقراءة حروف اللغة هى لعموم الناس، أما قراءة حروف لغة نشاطات الأرض والكون وقراءة أسرار الحياة البيولوجية والجمادية فلخواص البشر؟!

﴿إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم، علم الانسان مالم يعلم﴾

فالقراءات الثلاث.. قراءة الكون، وقراءة الحياة البيولوجية فوق الأرض وتحت الثرى، وقراءة الحروف.. والقراءات الثلاثة وجه واحد متكامل لفقه الحياة، وهذا أساس، لا غنى عنه، يتكامل مع فقه العبادات والمعاملات.. وبهم الثلاثة يتكامل الفهم الصحيح لرسالة الاسلام الخاتمة الخالدة؟!

- وهذا هو جوهر ما فعله أسلافنا العظام.. الذين أفسحوا لدينهم مكاناً بارزاً فى مجريات حياتهم بحثاً وتنقيباً وكداً وكدحاً بين صلاتين.. صلاة المسجد.. وصلاة المعمل، والمختبر، وقاعة الدرس والبحث.. وهذا هو مفتاح الحضارة الاسلامية ..

- وخير تعليم للقرآن ولسننه المتكاملة بلغة تنزيله يا أحباب!.. اللغة العربية.. وهذه اللغة أسأنا معاملتها بالترك والإهمال.. وتفشى الهبوط إلى العامية.. حتى إن لغة الخطاب، والفكر، والثقافة، والاتصال، وهى لغة القرآن أصبحت فى حطر؟!..

﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ (الزخرف٤٣: ٣)..

﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ (يوسف١٢: ٢)..

﴿كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون﴾ (فصلت٤١: ٣)..

﴿قرآناً عربياً غير ذى عوج لعلهم يتقون﴾ (الزمر٣٩: ٢٨)

- من هنا فنحن مكلفون بإجادة اللغة العربية، ومكلفون بنشر تعليمها بين كل

الناس، وبين كل شعوب الأرض، ومن خاصتهم شعوبنا الإسلامية الغير ناطقة بالعربية.

- نحن مكلفون أيضاً بإجادة كل لغات العالم - كفرض كفاية.. ليتسنى لنا الاستفادة من علوم البشر على كوكبنا.

- وعلماء التربية يقررون أنك إذا سمعت نسيت.. وإذا رأيت ونظرت تذكرت.. وإذا عملت تعلمت؟!.. فالمنصت لما ورد بشأن سنن الكون، الراصد لها المتدبر فيها، الباحث فى مضمونها، الخاضع لها، العامل بمقتضاها - يسعد وينعم لا محالة بخيرات الكون، وإلا دارت عليه الدوائر وانقلبت عقاباً ووبالاً - إن هو جهلها، أو قاومها، أو أهملها، أو لم يخضع لها..

- هذا هو هو جوهر الأوامر والتكاليف القرآنية.. وهى هى جوهر العلم.. وجوهر الحكمة .. علم، وفن، وشعور، وممارسة، وجِد، وكد، وتضامن، وحرية، وعدل، ومساواة..

- وآيات النظر فى القرآن تثيرنا إلى التفقه فى كل ماخلق الله من شىء فى الكون.. ﴿إقرأ باسم ربك الذى خلق﴾ .. وتثيرنا لايجابية العمل العلمى ﴿علم الانسان ما لم يعلم﴾ .. بالرؤية والنظر والسماع والتعليم والتعلم .. وهذا هو عين الابهار العلمى التجريبى القرآنى..

- وآيات النظر فى القرآن فيها تكليف لنا بإعمال العقل والفكر فى إطار السنن الكونية والاجتماعية - من خلق وتسخير وإرتفاق..

﴿خلق لكم﴾.. ﴿سخر لكم﴾..

- وآيات النظر فى القرآن تحضنا على الالتزام بالفطرة، والبعد عن الهوى، وأخذ السنن بكليتها.. سنة التسخير.. وسنة الأجل.. وسنة البقاء والفناء .. وسنة التدرج .. وسنة المدافعة في قوله تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ .. وسنة التداول الحضارى في قوله تعالى: ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾ .. وآيات النظر فى القرآن يستوقفنا فيها أن شمولية القرآن كشمولية الكون .. بمعنى أن القرآن كون معنوى .. ﴿ما فرطنا فى الكتاب من شىء﴾ - يطل بمرآته على الكون المادى ﴿كل شىء﴾ .. فالشيئية فى القرآن مرآة للشيئية فى الكون .

ـ والقرآن هداية ورحمة وبشارة للمسلمين ٠٠ ﴿ونزلنا عليك القرآن تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ (النحل ٨٩) ٠٠ والله يقسم بعظمة الكون على عظمة القرآن يقول تعالى: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لايمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين﴾ (الواقعة ٧٥:٨٠)

ـ وآيات النظر فى القرآن٠٠ عقلية، علمية، روحية٠٠ فقهها فقه العلوم العلمية العملية والاجتماعية والاخلاقية والايمانية٠٠ وهذه العلوم لها أساليب قياس ومعيارية نتائج ـ بقدر التعمق فى مكنونها

ـ وحتى الأمثال القرآنية٠٠ بدءًا من غراب هابيل وقابيل، والبعوض، والذباب، والنمل، والنحل٠٠ تدحض إفتراءات النشوء والتطور والارتقاء وإنكار الربوبية٠٠ وتعطى للانسان نموذجا راقيا فى التخصص، وفى السلوك الاجتماعى الانضباطى فى الجماعة٠٠ اختصاص الأعمال٠٠ جمع الغذاء، وتخزينه، عند وفرته ـ لوقت ندرته٠٠ عيشة تحت سطح الارض ـ أو فوق سطحها ـ أساسها النظام والنظافة٠٠

ـ وآيات النظر فى القرآن ٠٠ هى أساس مكنون الحضارة الاسلامية ٠٠ وكذا هى أساس الحضارة الغربية التى نسخوها من حضارتنا الاسلامية ٠٠ وشيدوها عليها ؟! ٠٠

نحن أثرياء أغنياء فى فقه العبادات والمعاملات على مستوى الفرد والأمة ٠٠ ولنا فيه ذخائر وتراث ٠٠ وللأسف الشديد إختلافنا فى هذا الفقه الواضح البسيط ٠٠ والاكثر من هذا أننا فقراء بخجل فى فقه الحياة وفقه الكون ؟!

ـ سأل ولدى: هل هذه أجندة؟!٠٠ جدول أعمال؟!٠٠ أو ماشابه ذلك؟!

ـ قلت: يا ولدى! هى هكذا تماماً٠٠ فالعمل كبير٠٠ وكبير جداً يا ولدى!٠٠ يحتاج لمؤسسات وهيئات وجمعيات٠٠ ومثلى ضعيف٠٠ مسلم عادى٠٠ تخصص فى بعض العلوم التجريبية٠٠ وثقافته العلمية فى المستوى المألوف لانسان عادى٠٠ شدتنى آيات النظر فى القرآن لسنوات٠٠ حاولت فيها أن أعيش بكل شعورى مع موضوعات آيات النظر فى القرآن٠٠ آيات الرؤية والابصار والتدبير والتعقل

والتفكر والتذكر والتبصر.. آيات (السمع والبصر والفؤاد).. وما غاب عنى لحظة إنزالها على الانسان - أى إنسان.. محل وغاية نزول القرآن..

- ووجدت عجباً فى الترابط الشبكى الموضوعى والموضعى من الناحية العلمية لمختلف النشاطات فى فقه الحياة والعلوم.. كل العلوم.. فى آيات القرآن.

- وسألت نفسى: هل أسبح فى هذا المجال وليس لى به طاقة؟!..

- قلت: على الله التوكل.. منه الجزاء.. ومنه المغفرة..

- آمنت بأن سر تخلفنا عن الركب العالمى مصدره الاختلاف والتجزيىء فى فقه العبادات والمعاملات.. فى ذات الوقت.. تغيبنا وبُعدنا عن فقه الكون والجوامد وفقه الحياة.. الفقه الأشمل..

- حقيقة نحن أهملنا فقه التكليف بإرتفاق كل شيء والانتفاع من كل شيء.. فقه التدبير.. وفقه إرادة الحياة.. وغِبنَا وابتعدنا عن الفقه الكلى للقرآن.. وفعلاً قلت لنفسى الحصيلة هذه إطار.. نعم إطار.. هى جدول أعمال للمتخصصين، كلٌ فى حقله، أو فى معمله، أو فى مصنعه، أو مكتبه، أو حتى فى لحظة تأمله.. - جدول الأعمال هذا.. لاخلاف عليه بين أبناء الأمة.. ولا حتى بين أبناء الأوطان من المسلمين وغير المسلمين.. وهذا فى حد ذاته كافٍ للطرح العام.. من الناحية الشكلية، والموضوعية، والغائية..

- أستشعر الخير فى الإهتمام بفقه الكون والحياة فى القرآن.. فبهذا نُحد ونُقلِص من الخلاف الذى لاجدوى من ورائه فى فقه العبادات والمعاملات..

وبهذا قد نُقدم على مختلف نشاطات الحياة بأسباب القوة والتقدم، والإعمار، والحضارة.. ملتمسين سنن السلف الصالح، من علماء المسلمين وغير المسلمين، فى الأقطار الإسلامية.

- سألت نفسى ؟! هل لهذه الأجندة.. لجدول الأعمال هذا.. مؤسسات وهياكل وآليات بذاتها تعنى بالعناصر ؟!.. وهل لجدول الأعمال هذا ؟! حدية عمرية للناس المطروح عليهم عناصرها ؟!..

- ووجدت الإجابة.. أن الأجندة المقترحة تصلح إطاراً للمؤسسات العلمية والتعليمية والبحثية والتدريبية القائمة.. وتصلح كذلك للكيانات الذاتية والخاصة - للفرد وللاسرة.. وتصلح لكل الأعمار التى تُثقف ذاتها، أو تُحاول أن تتَعَلم، أو

أن تتدرب - على فنون الحياة وحرَفِهَا.. بمبادرات ملتزمة بالغاية وبالوسيلة..

- جدول الاعمال هذا نظرات ذاتية.. عشتها بإحساس صادق مع آيات النظر فى القرآن من حيث الهدف والغاية، أعْمَلْتُ فيها قلبى وعقلى إبتغاء مرضات الله .. هى نظرات فى آيات التدبر والنظر.. فى الخلق، والإنشاء، والتسخير، والجعل، والإنزال، هى إعمال للفطرة (السمع والبصر والفؤاد) فى الكون والقرآن - بالمقاصد والمرامى التى تتمشى مع القصد، ومع عصرنا، بمختلف علومه وفنونه.. وإن شئت قل.. هى نظرات اسلامية علمية عقلية روحية كونية إيمانية قرآنية !!

- وفى آيات النَّظَر يربط القرآن فى إحكام بديع بين السمع، والبصر، والفؤاد، والعلم - تعليماً وتعلماً - فى قول الله تعالى:

﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ (النحل١٦: ٧٨)

- والقصد من ذلك نتحسس أسرار الحياة.. وسننها وقوانينها.. ومواضعها وموضوعاتها.. وتأثيرها وتأثرها.. وأسبابها وغاياتها.. واتزانها.. وفسادها.. واختلالها.. ودمارها.. فالنظر بالعين والفؤاد فى كون الله.. فى كل شىء خلقه الله .. من سماء، ومجرات، وبروج، ونجوم، وشمس، وقمر، وليل ونهار، وظلمات ونور، وما فى الأرض جميعاً من كل شىء.. ما عليها، وما فى باطنها، وما تحت الثرى.. يأخذك كل هذا.. ومن حيث لاتشعر.. الى معبد إيمانى.. وأنت الراصد المستريح.. وكل شىء من حولك فى ديمومته الحركية التى خلقه الله من أجلها.. تسخيراً وتوظيفاً.. لخدمة الانسان.. خليفة الله فى الأرض.. حيث يقول تعالى:

﴿الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علماً﴾ (الطلاق ٦٥: ١٢)

- ومن يتأمل فى آيات النظر فى القرآن الكريم يلاحظ أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الكون المادى الملموس، وأنزل القرآن كون الله المعنوى.. وجعل من كل منهما مرآة للآخر.. تأمل قول الله تعالى:

﴿تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير﴾ (الملك٦٧:١)

﴿تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾ (الفرقان٢٥:١)

﴿تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً﴾ (الفرقان١٠)

ولا يمكن أن يتم الايمان.. وتتزن الحياة البشرية إلا بالكونين معاً.. الكون المادى والكون المعنوى..

- ونتأمل قوله تعالى: ﴿تبارك الله رب العالمين﴾ (الأعراف٧:٥٤)

- وبقدر عمق فهم النظر والتدبر فى الكون المادى الفسيح يكون التوحيد.. ويكون الإيمان.. وتكون التقوى.

بهذه البساطة كانت بداية إيمان سيدنا إبراهيم يوم أن أراد الله له أن يعمل بصره وبصيرته فى كون الله فبدأ متيقناً وإنتهى اكثر يقيناً منفرداً سباقاً بالايمان فى قومه. أما المشى والسير والهجرة والرؤية والنظر بالعين والفؤاد فى آيات الله و فى كل مخلوقاته على الأرض - زيادة فى المعرفة والعلم، وترسيخ وتثبيت للإيمان.. وجاءت كل الرسالات متخذة من الحياة الكونية دليلاً وبرهاناً على الربوبية والوحدانية.

- فهل ياترى النظر والتفكر والتأمل فى خلق الكون وتسخيره وتدبيره وإدارة شئونه مُجمّع تَرَاكُمِىّ للعلوم والمعارف.. وجَاذِبٌ للايمان؟..

- نعم هو بلا شك كذلك.. هو العلم والمعرفة.. وهوالجاذب الايمانى.. والدافع الفطرى لصدق العبودية، وتمام الطاعة، والإلتزام - بين العبد وربه.

جاء القرآن حاضاً ومثيراً لهذه الدفعية الفطرية الايمانية بالرؤية والنظر.. بالعين والقلب.. وبالفراسة والإستشعار فى الكون الالهى - فى كل مخلوقات الله وآياته.. الحى منها والجامد.. القريب منها والبعيد.. الملموس منها والمحسوس.. الظاهر منها والباطن.. المنظور منها والمسطور.. فكانت بداية الوحى على نبينا صلوات الله وتسليمه عليه بالآية الكريمة:

﴿إقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الانسان من علق، إقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم، علم الانسان مالم يعلم﴾

وهنا يربط القرآن فى احكام بديع بين الخلق الكونى المنظور.. لكل ما خلق ﴿كل شىء﴾ وبين الخلق الكونى المسطور ﴿القرآن الكريم﴾ !!

فمنظومة الخلق الكونى العام، والخلق البشرى الخاص للسمع والبصر والفؤاد، والوهب الالهى للانسان من علوم الله.. ماهى إلا توافقات زمانية ومكانية.. لإسعاد البشر.. فى كل زمان ومكان.. شريطة أن يعمل الإنسان مداركه ومجهوداته الإبتغائية فى كل دروب الكدح والعمل فى الحياة.. فى حدود منهج الله سبحانه وتعالى.. متبعاً أوامره مجتنباً نواهيه.

- والإثارة القرآنية لدراسة الكون جاءت فى قول الله تعالى:

﴿قل أنظروا ماذا فى السموات والأرض﴾ (يونس١٠:١٠١)

﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير﴾ (العنكبوت٢٩:٢٠)

﴿أو لم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شىء فى السموات ولا فى الارض إنه كان عليماً قديراً﴾ (فاطر٣٥:٤٤)

﴿سنريهم آياتنا فى الافاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد﴾ (فصلت٤١:٥٣)

- ويتكرر الأمر والإستفهام الالهى فى آيات النظر فى القرآن ب: ﴿أنظر﴾ .. ﴿فانظر﴾ .. ﴿أنظروا﴾ .. ﴿فانظروا﴾ .. ﴿ألم تر﴾ ؟! .. ﴿ألم ير﴾ ؟! .. ﴿ألم يروا﴾ ؟! .. ﴿أولم ير﴾ ؟! .. ﴿ألم تروا﴾ ؟! .. وهى إثارة لفحص الكون كله وتدبره ذاتياً وجماعياً.. وإثارة أكبر لدراسة خَلق البشر والإبل:

﴿وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾ ؟! (الذاريات٥١: ٨)

﴿أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون﴾ ؟! (الطور٥٢: ٣٥)

﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾ ؟!..

- ويتكرر الاستفهام: ﴿أفلا تعقلون﴾ ؟! .. ﴿أفلا يتدبرون﴾ ؟! .. ﴿أفلا تتفكرون﴾ ؟! .. ﴿أفلا تتذكرون﴾ ؟! .. ﴿أفلا يرون﴾ ؟! .. ﴿أفلا تسمعون﴾ ؟! .. ﴿أفلا يسمعون﴾ ؟! .. ﴿أفلا تبصرون﴾ ؟! .. ﴿أفلا يبصرون﴾ ؟! .. ﴿أفلا ينظرون﴾ ؟! .. ﴿أفلم يسيروا﴾ ؟! .. ﴿أفلم يدبروا﴾ ؟! .. ﴿أفلم ينظروا﴾ ؟! .. ﴿أو لم ينظروا﴾ ؟! .. ﴿أو لم يسيروا﴾ ؟! .. ﴿أو لم يتفكروا﴾ ؟! .. ﴿أو لم يروا﴾ ؟! ..

- فالأمر والحال كذلك تكليف بالدراسة والتعمق فى ﴿كل شىء﴾ والارتفاق والانتفاع من ﴿كل شىء﴾.. فى إطار المنهج القرآنى.

- والتكليف فى حدود السعة والقدرة والإدراك.. من كافة الوجوه المادية والذهنية.. فى شتى نشاطات الحياة الاقتصادية والاجتماعية..

﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ ..

﴿لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها﴾ ..

﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ (النحل١٦: ٨٩)

- سألت ابنتى: ماذا عن التراث والعلم والكون والقرآن ؟!

- قلت يابنيتى! القرآن إذ يثيرنا للنظر والرؤية بمسير ورحلات.. فالاثارة والحال كذلك.. تكليف وإستنهاض لدراسات جغرافية شاملة أرضية وكونية فضائية!.. وعلم الجغرافية.. هو من العلوم التجريبية.. التى تبحث فى كل مظاهر سطح الأرض الطبيعية والبشرية.. وتشعبت إلى جغرافية التضاريس.. وجغرافية البيئة.. وجغرافية الكون.. وجغرافية الاقاليم.. والجغرافية السياسية.. والجغرافية الحيوية.. والجغرافيا الفلكية.. والجغرافيا الإقتصادية.. والجغرافيا البشرية.

وجاءت مسميات التراث الجغرافى الإسلامى تحت عنوان البلدان وتقويمها، أو المسالك والممالك، أو الخرائط، أو التقاسيم.. وجاءت هذه الأسماء فى كتب المسعودى (كتاب التنبيه)، والمقدسى (أحسن التقاسيم)، وابن رستة (الأعلاق النفيسة)، وابن خلدون (المقدمة)، والخوارزمى (صورة الأرض).. الكتاب الذى قال عنه نللينو.. إن مثل هذا الكتاب لاتقوى على وضعه أمة أوربية فى فجر نهضتها العلمية!.. والكتاب يعالج دوائر العرض وخطوط الطول، والجبال، والبحار، والانهار، وأسماء المدن.

- أما المرحلة الثانية لتطور الجغرافيا عن المسلمين ومن علماء هذه المرحلة ابن خرداذبة والإصطخرى وابن حوقل والمقدسى وابن فضلان والمسعودى والهمدانى، ثم الشريف الإدريسى وعبد الله البكرى. وإتجهت البحوث الجغرافية إلى الدراسات العامة، كذلك إلى الدراسات التخصصية (صفة جزيرة العرب) للهمدانى و (كتاب الهند) للبيرونى. وبدأت مرحلة وضع المعاجم (معجم ما أستعجم) للبكرى (معجم البلدان) لياقوت الحموى. وفى الوقت الذى كان يجوب فيه المقدسى العالم كله طولاً وعرضاً ليكتب كتابه فى القرن العاشر فى جغرافية الأرض وشعوبها، واضعاً المنهج العلمى للجغرافيا الحديثة.

- ونفس الكلام هو هو فى علوم الرياضيات والطب والصيدلة والفلك والهندسة..

. والآن إنقلب الوضع من حال إلى حال.. فالمسلمون عن العلم منصرفون.. وغيرهم على المنهج العلمى سائرون.

- والهمدانى الذى ألف (صفة جزيرة العرب) وهو يمنى الجنسية، أضاف إليها ثلاث كتب أخرى (الاكليل) ، (سراء الحكمة) ، (الجوهرتين العتيقتين) ولقد

رسخت كتب ومحتويات (المسالك والممالك) أو صورة الأرض لأبى القاسم محمد بن حوقل الموصلى، (كتاب الهند) للبيرونى ونزهه المشتاق فى إختراق الآفاق (للشريف الإدريسى)، و (الفوائد فى أصول علم البحر والقواعد) لشهاب الدين أحمد بن ماجد النجدى - ملك الملاحة - وهو بحق كتاب فلك وملاحة وأجهزة وهندسة شواطئ، وحتى أن فاسكورى دى جاما الرحال البرتغالى إستعان به فى رحلاته الشهيرة. وأما الرحلات التاريخية المسجلة لسيلمان السيرافى، وأبو حامد الغرناطى، وابن جبير، وابن بطوطة وغيرهم فكل ذلك أرسى ودعم الأصول البحثية لعلوم الجغرافيا.

- وأدت البيئة الصالحة للعلم فى ظل الأمن الإسلامى، وفى ظل حرص الخلفاء والأمراء على معرفة البلاد، والقيام بالعديد من الرحلات للتعرف على أحوال البلاد والعباد، وعاداتهم وتقاليدهم.. وبهذا تدفقت مشاعر الإخوة، وتآلفت القلوب، وتوثقت العروة بين النفوس، وعرف المسلمون زمامات وأحوال بلادهم من الصين إلى روسيا ودول الكومنولث إلى الشمال الأفريقى إلى الأندلس وأفريقيا على امتدادها!

- هضم الأمراء والولاة فقه الكون، وفقه الحياة، وفقه الدين، وفقه الإعمار وفقه الايمان.. وفقه الولاية - بالمفهوم الإجتماعى والإقتصادى والبشرى.. حتى أن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قال: ﴿لو تعثرت بغلة بأرض العراق لسئل عنها عمر! ياويل عمر!)

بهذه التراكمات كانت الحضارة الإسلامية، إعماراً، وعدلاً، وحرية، ومساواةً بين الأوطان، وثقة فى الله، دنيا وآخرة.

والمُسَلم به أن الرحلة الجغرافية وعيونها المبصرة هى معمل العالم، وقلم التدوين فى صفحات العلم.. وبهذا المفهوم أسس العرب والمسلمون هذا العلم الذى يلعب الدور الهام والرئيسى فى حياة الشعوب.. وأخذوه أحد السبل للإعمار والتخطيط العمرانى والتنمية الحقيقية.

- ومن حيث أن الجغرافيا كعلم نبتت وترعرعت فى البيئة الإسلامية وعلى يد العلماء المسلمين، وهى أصل الأصول فى العلوم السياسية والإقتصادية.. ومن هنا كان لهم التقدم والسيادة.

ويثيرنا القرآن بالنظر والتفكر لما فوق الأرض وما تحت الثرى إستنهاضاً للدراسات البيولوجية للكائنات الحية.. ويثيرنا للاستنهاض بالدراسات الجيولوجية.. والحال كذلك فهى إثارة لدراسة موارد باطن الارض من الوجوه كافة!.. فديدان الأرض وحشراتها وقوارضها وحبوبها وجذور نباتاتها وممالك الحياة فى البيئة البحرية مكونات رئيسية فى علوم الأحياء!.. وهى علوم أسس لها علماء الاسلام!.. أما نحن فتغيبنا عن ساحات العلوم الحياتية وأهملنا تكليفاً شرعياً قرآنياً!.. وعلم الجيولوجيا - هو فى الحقيقة من وضع العلماء المسلمين وهم بحق مؤسسوه، وواضعو أسسه النظرية والعملية ومن أبرز علماء الإسلام فى هذا المضمار ابن سينا والرازى والكندى والهمدانى والإدريسي وياقوت الحمرى.

وإذا كان الأمر وبإختصار شديد يُعَرّف علمياً بأن.. الجغرافيا - تعنى بعلوم سطح الأرض بشمولية المفهوم.. وأما الجيولوجيا - فتعنى بعلوم باطن الأرض ومناجمها، وخاماتها البطنية والجبلية.. وهذا يتيح الرصد والتسجيل العلمى لسطحِ، ولباطنِ الأرض - ومن كل الوجوه العلمية.. مع الأخذ فى الإعتبار تأثيرات الزمن على كل مايرصد من تغييرات طبيعية وإجتماعية وإقتصادية وسياسية..

- ومن حيث أثارَنا القرآن بالنظرِ والتفكرِ ودراسة الافلاك والابراج والنجوم والكواكب.. فهى إثارة للدراسات الفلكية والكونية والفضائية المجردة.. التى لاتعرف الشعوبية ولا القومية.. والحال كذلك - هى إثارة لدراسة الموارد بطريقة أعم وأشمل..

- وفى العصر الحديث فإن الرحلة العلمية الجغرافية والبيلوجية أخذت بعداً أعم وأشمل من المفهوم العادى للرحلة البرية، ونقلتنا، وإنتقلت بنا - إلى الرصد من أعلى الكرة الأرضية - بواسطة الاقمار الصناعية، وبرحلات الفضاء !!

ومن هنا تعرضنا لغزو الفضاء وعلومه.. ولتحليل برنامج وكالة ناسا للفضاء، كنموذج عصرى حديث لتوظيف وسائط العلم الحديث لخدمة علوم الجغرافيا، والجيولوجيا، والعلوم الكونية، والطبيعية!

- والقرآن الكريم يثيرنا كذلك للتعمق فى الدراسات التاريخية والدراسات الحضارية.. بإيمانها وبماديتها وبتاريخها.. بقصصها وأمثالها.. بعبرها وعظاتها.. وإذ جاء القرآن بقصص الأولين، وبسابق أحوال السابقين - فهو يثيرنا للدراسات التاريخية.. والنظرات الكونية فى الملك والممالك.. كون الله

وخلقه وملكه، وممالك المخلوقات.. الانسان، والنبات، والحيوان، والحشرات، والأسماك، والطيور، والطحالب، والفيروسات.. والمادة والسبيكة.. والخلطة واللون.. والماء والدخان.. والغذاء والكساء.. دراسة كل الأحياء، وكل الجوامد.. دراسة كل العلوم الطبيعية وكل الطاقات - طاقة الضوء والحرارة والرياح والمد والجزر - طاقات الانارة والتدفئة.. ويثيرنا كذلك لدراسة النداءات القرآنية، والقصص القرآنى، والاجتماع والتغير الاجتماعى، والتداول الحضارى.. !!

إذن فنحن مكلفون بدراسة كل علوم الحياة وفقهها.. ودراسة تأثيرها وتأثرها.

- سألوا فى تعجب: وكيف نؤدى كل هذه التكليفات؟!

- قلت : ياسادة خففوا عن أنفسكم.. نحن المسلمين جميعاً.. مكلفون بأن ننشئ لكل شئ مدرسة أو معهداً أو كلية أو مركز دراسات بحثية!.. تكرارية أو متفردة بحسب الزمان والمكان والإمكانات.. فالاسلام والحال كذلك دين يعالج فقه كل علوم الحياة!.. والقرآن الكريم بآياته الكونية يدفع المسلم.. وغير المسلم.. إلى النظر والفحص والاستقراء وهذا هو العلم التجريبى.. الذى يُعملُ ويُوظفُ العقل والقلب فى آن واحد طريقاً لليقين والايمان والخشية والخضوع لصاحب الملك والملكوت!.. والآيات الكونية القرآنية.. على وجه الخصوص.. تدفع للعمل والكسب والابتغاء.. وتدفع للعلم والبحث دفعاً.. فلا إيمان بغير عمل وإتقان، ولا خشية بلا علم وتفقه.. وتأمل قوله تعالى:

﴿إنَّمَا يَخشَى اللهَ من عباده العلماءُ﴾.

ناهينا أن الآيات القرآنيةَ هى المرجعية المطلقة للعلم، وتأمل قول الله تعالى: ﴿وما نريهم من آية إلا هى أكبر من أختها﴾ (الزخرف٤٣: ٤٨).

والآيات الكونية جاذب أعظم للايمان.. وملتقى أكبر للفكر والعلم والتقدم والتحضر.. والآيات الكونية هى المنجم الإتفاقى بين البشر!

والآيات الكونية فى القرآن تثيرنا لتنظيم الوقت!..

ورأس رأس المال الوقت!..

فالليل للنوم والراحة.. ووقت السَحَر لقرَاءَة القرآن.. ووقت البكور للكد والكدح والإبتغاء.. ووقت الظهر للمقيل والراحة.. ووقت العصر لمعاودة الإبتغاء والسعى.. والصلوات الخمس لميقاتها.. فالصلاة بميقات.. والمؤتمر الأسبوعى يوم الجمعة.. وبانفضاض مؤتمر الجمعة - حث على الإنتشار،

والإبتغاء، والكد، والكدح.. برمجة للوقت، وحث على الأخذ بالإرادة الجادة للحياة الكريمة.. وفي ذلك قضاءً على القلق، والاضطرابات الذاتية والجماعية!.. وتنظيم الوقت والإنهماك في العمل هو الطريق الوحيد للسعادة وراحة البال والقضاء على القلق والاضطراب.. وبخاصة بين شباب الأمة الاسلامية!

إختلافاتنا سطحية في شكلية فقه العبادات والمعاملات!.. أما فقه الحياة.. فنحن عنه غائبُون.. مُغَيَّبُون.. مُعرِضُون.. لَاهُون؟!.. ولا شك أن في خلق الكون التحدي.. وفي تسخيره القبول.. وفي تدبيره الرحمة.. وللانسان الخلافة في الأرض.. وللبشر شطط.. وفي القرآن النهي.. في التقوى بركة وعلم.. والله يهب العلم من يشاء، ويؤتِي الحِكمَةَ من يشاء من عباده، ﴿ومن يؤتى الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً﴾

في الايمان سكينة وراحة.. وبالايمان والتقوى - ييسر الله الرزق، والكسب، والعلم، والرضا، والاطمئنان.

فالاثارة للتعمق في الدراسات الكونية ثلاثية البعد: عبادة.. وعلم.. وعمل!

ويتناول هذا الكتاب.. في محاولة متواضعة.. نظرات في الآيات القرآنية الكونية وفي فقه الحياة.. وهي آيات لاخلاف عليها في الجوهر بين المسلم وغير المسلم.

- سألت زوجتي: وأين الدفعية إذن من هذا الإتفاق؟!..

- أجبت: الإتفاق هنا إتفاق جوهر.. بإطلاقات جوهر الأشياء، وجوهر الرسالات السماوية، وجوهر الايمان!.. والناس بالطبع ليسوا كذلك!.. والدفعية سنة سماوية مؤكدة يعلمها رب الأنفس وخالقها..

﴿لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾

وأحسب أن كتابنا هذا.. في جملته.. يمثل مائدة علمية إتفاقية إيمانية - للشباب المسلم والشباب غير المسلم.. هم في مسيس الحاجة اليها اليوم قبل الغد.. حتى نضيق من هوة الاختلاف، والجدل، والفرقة، والتعصب الأعمى!

والآيات الكونية.. في الاجمال الجمادي والإجتماعي والسياسي.. وردت قرينة الخلق، والتسخير، والجعل والارسال، والانزال، والإصلاح، والإفساد.. وهي أمور لا خلاف عليها.. وهذا معناه أننا مكلفون بالارتفاق والانتفاع المتكامل - بكل ما خلق، وسخر، وجعل، وأرسل، وأنزل، نصلح ولا نفسد.

والحال كذلك فالآيات الكونية تَحوِي موضوعات علمية مادية وإجتماعية ملموسة

لكل ذى بصر وبصيرة، وتدفع إلى البحث والجد والاجتهاد والتقدم والرقى.. إستنهاضاً لذواتنا، ولشعوبنا العربية، والاسلامية - فى جميع الموضوعات الحياتية.. علوم ﴿كل شئ﴾.. والتى هى أساس كل تقدم عصرى ومادى.

وعلى رأس هذه العلوم (الشيئية) الجغرافيا بشموليتها، وعلوم الجيولوجيا، والطبيعة، والرياضة، والكيمياء، والطب، والفلك، والصيدلة، وعلوم الزراعة، والصناعة، وعلوم الفضاء.. وكل مايتبع ذلك من علوم، وفنون، وحرف، وصناعات.. وأيضاً علوم التاريخ، والسيَر، والقصص القرانى، والحِكَم الاجتماعية الخالدة لسابق الامم والشعوب، بمنظور قرآنى.

والسبيل الوحيد للاستنهاض الحضارى العربى والاسلامى أن نعنى بهذه الموضوعات العقلية الكونية فى جميع مؤسساتنا: جامعة الدول العربية، وفى منظمة الشعوب الإسلامية، وفى مدارسنا، ومعاهدنا، وجامعاتنا، ومؤسساتنا البحثية المتخصصة.. قراءةً ودراسةً عميقةً ومتكاملة - لكل ما أورده كتابنا المقدس.. القرآن الكريم.. الذى لاتنتهى عجائبه.. وحتى قيام الساعة.

﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك انه على كل شئ شهيد﴾ (فصلت: ٥٣)

وحرام أن نتفرق شيعاً وأحزاباً.. مهدرين الطاقات، والجهود، والموارد - فيما لاعائد من ورائه.

- سأل ولدى متعجباً: هذه الاجندة لابد وأن تكون كبيرة جداً ؟!

- قلت: يا ولدى! هذا صحيح!.. لذلك جاء كتابنا - الاجندة - فى جزئين:

الجزء الاول.. الكون فى آيات القرآن.

الجزء الثانى.. الانسان فى آيات القرآن.

وإستغرق العمل فيهما قرابة الست سنوات.. إستعنت فيه بصفة الأساس بكل ماصدر، ووقع تحت يدى عن الاعجاز البيانى والعلمى والطبى فى القرآن الكريم.. وإستعنت كذلك بالعمل الرائع الذى أنجزته الشركة العالمية للكمبيوتر صخر فى مباحث القرآن والسُنَّة.. واستعت بالعمل الجاد الذى سجلته وطورته شركة سلسبيل.. فى خصوصية مباحث القرآن الكريم.. والحمد لله كان للمنهج البحثى الموضوعى النتائج المتواضعة التى أضعها بين يدى القارئ الكريم.. فى شبه تصنيف موضوعى كونى متكامل للآيات الكونية.. ولايكتب أبداً لهذا التصنيف الموضوعى الإستقلال عن التصنيف والتحليل الموضعى.. الذى يذخر به تراثنا

الإسلامى فى كتب التفاسير·· والتصنيفين الموضعى والموضوعى يكملان بعضهما البعض ··

ويقع الجزء الأول·· نظرات كونية فى آيات القرآن·· فى أربعة أبواب:

الباب الاول: الكون والتوحيد فى آيات القرآن·
الإنشاء والتسخير والتدبير·

الباب الثانى: المنظومة السماوية والحياة فى القرآن·

الباب الثالث: المنظومة الأرضية والحياة فى القرآن·

الباب الرابع: غزو الفضاء فى القرآن·

- سألت ابنتى: هل يمكن أن تعطينا فكرة مبسطة عن هذ الأبواب ؟!

- أجبت: بنعم!·· واستطردت قائلاً:··

الباب الأول·· الكون فى آيات القرآن·· يقع فى فصلين:

و يقدم الباب لمفهوم الكون·· من حيث هو كل ماخلق الله من شئ·· جماد، ونبات، وحيوان، وإنسان، وسموات، وأرض، وما بينهما، وما فيهما، ومن فيهما ·· والقرآن إمام فى الكونيات·· بحسب أنه كتاب علم، وخبرة، وحكمة - منزل من الله سبحانه على قلب رسوله الكريم - الذى مانطق إلا بما أوحى إليه به !! والحال كذلك فالقرآن والسنة هما المرجعية المطلقة·· أما العلم البشرى·· المبنى على فرضيات تخمينية·· فلا يكتسب حجية إلا بما يتفق ومرجعيات القرآن والسنة··

﴿قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والأرض﴾ (إبراهيم١٤:١٠) ··

﴿سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾ (البقرة٢:٣٢) ··

ورحم الله الإمام مالك حيث قال: (لاأعلم شيئاً يُحتاجُ إليه إلا وهو فى الكتاب والسنة)!·· ومفاد القول·· هو تسخير الحكمة الكونية والحكمة القرآنية لفقه الحياة المتجددة المتكاملة جمادياً وإجتماعياً·

ويقول تعالى: ﴿مافرطنا فى الكتاب من شئ﴾ وقوله الحق ··

ونعرض لما جاء فى وصف القرآن فى القرآن، وكذا لما جاء حول السنة النبوية فى القرآن·· كما نعرض لخلق الله للكون، ومافيه، ومن فيه·· وأخيراً نعرج سريعاً على تهيئة الكون للحياة فى القرآن·· ونقرن ذلك بعرض للإشارات القرآنية فى إعجاز الخلق والتسخير والتدبير الكونى·· ونعرض للماء، والروح والحياة الكونية·· ونتناول دراسة معرفية للزمان، والنسبية فى القرآن·

ولما كانت حياة الذرة تشابه حياة المجرة - أصبح لزاماً علينا دراسة الكون

فى منظومات كلية جامعة·· تؤثر وتتأثر مكوناتها بعضها ببعض·

ونقصر المنظومات الكلية الجامعة بقدر الإدراك على منظومتين أرضية وسماوية·· بمنظور إسلامى·· بإشارات كونية، من القرآن الكريم·

ويشتمل أول باب على فصلين: الأول يورد تعاريف ومفاهيم وردت فى آيات القرآن عن: الكون، والقرآن، والسنة، والخلق الكونى العام، والوحدانية·· والفصل الثانى يعرض لآيات القرآن المتضمنة الإنشاء والخلق والتسخير والتدبير فى الكون·· ومن مشتملاتهما:

الفصل الأول: الكون والتوحيد·· ومن مشتملات هذا الباب:

٠١ الكون·	٠٢ علم الكون والقرآن·
٠٣ القرآن كتاب علم وخبرة وحكمة·	٠٤ علم الله فى القرآن·
٠٥ سنة رسول الله ﷺ هداية·	٠٦ من خلق السموات والأرض·
٠٧ من خالق الإنسان وهاديه ورازقه·	٠٨ لا إله إلا هو·

والفصل الثانى: الإنشاء والتسخير والتدبير الكونى فى آيات القرآن فنستهله بالسُؤل القرآنى:

﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها، رفع سمكها فسواها، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها، والأرض بعد ذلك دحاها، أخرج منها ماءها ومرعاها، والجبال أرساها، متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ (النازعات٧٩: ٢٧-٣٣)

﴿أفرأيتم النار التى تورون، أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون﴾ (الواقعة٥٦: ٧١،٧٢)·

﴿أفرأيتم الماء الذى تشربون، أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون﴾ (الواقعة٥٦: ٦٨،٦٩)·

﴿أفرأيتم ما تحرثون، أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾ (الواقعة٥٦: ٦٤)

﴿أفرأيتم ما تمنون، أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾ (لواقعة٥٦: ٥٨،٥٩)

بهذا كان السُؤل القرآنى حول خلق السماء وسنن الخلق فيها ؟! وحول نشأة المجموعة الشمسية وسننها الكونية وطاقاتها المتجددة ؟! وحول إنزال الماء·· وتتابع دورات الماء العذب فى الكون ؟! وحول الزراعة·· أساس الأساس فى الحياة كلها؟! وحول الخلق البشرى؟!·· وفى الاجمال حول كل الخلق (كل شىء) ؟!

وبداية نحن نشهد أن الله هو الخالق ﴿خالق كل شىء﴾، المنشئ للأكوان، المنزل للماء من السحاب، وهو الزارع أصلاً·· ونحن الحارثون الزارعون مجازاً·· وهو الخلاق العظيم!··

وبداية نقول أن كل ما أنشأ، وخلق، وسخر، وأنزل، وزرع، وأبدع.. على الهيئة التى نراها وندركها.. فهو كونى فى الاجمال وفى التخصيص.

وجاء السؤال القرآنى الخاص بخلق الأرض فى قوله تعالى: ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين﴾ (فصلت٤١: ٩)

ونشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له، وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم.. حقاً وصدقاً.

وإنشاء الكون أو خلقه معناه إبداع خلقه من لاشىء ﴿بديع السموات والأرض﴾.. ومن هذه البداية الإبداعية للخلاق العزيز العظيم.. تجلى خلق الماء، وخلق السموات والأرض، ومابينهما، وما فيهما، ومن فيهما.. فهو الأول، وهو الآخر.. وما كان الخلق إلا بالحق ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ .. والله ﴿خالق كل شىء﴾ خالق الزمان حيث لم يكن.. ﴿وهو الذى خلق الليل والنهار﴾ .. وخلق الكون فى ستة أيام، ثم إستوى إلى السماء، وإستوى على العرش.. يدبر الأمر فى الكون..!! ﴿ألا له الخلق والأمر﴾.. ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾.

والله سبحانه وتعالى سخر الكون.. سخر كل المخلوقات.. كل مافى السموات، وما فى الأرض، وما بينهما، ومن فيهما.. لإسعاد الإنسان - خليفة الله فى الأرض!.. ﴿خلق لكم مافى الأرض جميعاً﴾ و ﴿سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض﴾ و ﴿وما بينهما﴾ !!

وقد يشغل بال الانسان.. بوجه عام.. مسائل خلق الكون.. فيما يخص خلق السموات، والأرض، وما بينهما، وخلقهما بالحق، وزمن الخلق!..

من هنا نحن مطالبون بدراسة الكون والتعرف على قوانينه، وقوانين الحياة فيه، وسننه، وسنن إستقرار الحياة، ومطالبون أيضاً بدراسة أسباب الفساد فى الأرض.. وما يتبعه من إختلال ودمار!..

ويشغل بال غير المسلم فيما يخضعه للرصد والمشاهدة الأمر الإلهى ﴿كن فيكون﴾ وأسرار الخلق والخليقة!..

والتسخير الكونى فى شتى المظاهر الكونية يعنى أننا مكلفون بالارتفاق والانتفاع بكل ماخلق الله وسخر!.. ومن هنا فقد كان للزمن، ولعناصر الكون، وللسبح والحركة، وللسكون والنسبية مكان بارز فى آيات القرآن.. وهذا مانعرض له فيما بعد.. تحت مسمى.. النسبية فى القرآن!!

والحال كذلك فالمنظومة الكونية.. خلق، وتسخير، وتكليف بالارتفاق والانتفاع بمكوناتها.. حيث أوجدها سبحانه وتعالى بكمال وتمام إبداعه.. ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾.

ونعرض لبدء الخلق العام.. السموات والارض، والماء والحياة، والخلق بالحق، وزمن خلق السموات والأرض. ونعرض للتسخير، والتكليف بالارتفاق، والتدبير الكونى الشامل وهو ما يعرف قرآنياً بتدبير الكون ﴿يدبر الأمر﴾.. ﴿ألا له الخلق والأمر﴾؟! ومن مشتملات هذا الفصل:

٠١ الانشاء الكونى فى آيات القرآن.
٠٢ السموات والأرض فى القرآن.
٠٣ بداية خلق الكون.
٠٤ ﴿وهى دخان﴾.
٠٥ ﴿إئتيا طوعاً أو كرهاً﴾.
٠٦ تزيين السماء الدنيا.
٠٧ السماء متعددة فى الخلق.
٠٨ الرتق والفتق فى القرآن.
٠٩ السماء مرفوعة بعمد لاتراها.
٠١٠ الإستواء على العرش.
٠١١ وكان العرش على الماء فى القرآن.
٠١٢ بدء الحياة الكونية فى القرآن
٠١٣ اعجاز خَلق الانسان.
٠١٤ فى الفضاء حياة.
٠١٥ الافلات من مجال الأرض.
٠١٦ خلق الكون بالحق فى القرآن.
٠١٧ زمن الخلق الكونى فى القرآن.
٠١٨ إبداع الخلق الكونى.
٠١٩ ﴿يقول كن فيكون﴾
٠٢٠ ﴿يقول له كن فيكون﴾
٠٢١ اليوم والألف سنة فى القرآن.
٠٢٢ التسخير الكونى فى القرآن.
٠٢٣ التدبير الكونى فى القرآن.
٠٢٤ من مظاهر التدبير الكونى.
٠٢٥ هو الله.
٠٢٦ من واحة الايمان.

ـ ولخصنا مضمون هذه الدلالات الكلية على أنها هى الأدلة المادية على وجود الله ووحدانيته!.. وأضفت للقوم أن الكون أنشىء من عدم وإلى الأجل المحدد.. وان نظرية النشوء والإرتقاء ولدت ميتة فى المفاهيم الإسلامية الصحيحة.. وسبحان الله فإن الغرب الذى طَنَنَ لها.. عاد وكَفَنَهَا وأبَّنَهَا بِشَرِ النوَاح.. ولاشك أن إشارات القرآن تدل بواضح الدلالة الحقة على أحدث مافى الكون من علوم فضائية وطبيعية ونسبية.. وكما التسخير إنتظام وإستمرار واضطراد فإن التدبير ملك وملكوت يتفرد بهما المولى سبحانه وتعالى لاشريك له.

ـ سأل ولدى: وماذا عن الباب الثانى فى الأجندة ؟!

ـ قلت: يا ولدى ! الباب الثانى.. المنظومة السماوية فى القرآن:

والمنظومة السماوية فى الأصل هى عبارة عن السموات، والمجرات، والبروج، والنجوم، والكواكب، وما بينهما.. من شهب ونيازك.

ونعرض للمنظومة السماوية من حيث التسخير والتكليف بالارتفاق.. بدلالة الزمن .. ﴿وكل فى فلك يسبحون﴾، وللأجل الإلهى المقدر.. ﴿كل يجرى إلى أجل مسمى﴾.. ونعرض للمنظومة السماوية من ناحية الانزال والتنزيل: (الماء، الارواح، الارزاق، البينات، الحديد، الرسالات والكتب، الملائكة والروح القدس).وترتبط المنظومة السماوية بخلق الزمان.. فالزمان خلق من عدم ﴿خلق الليل والنهار﴾، وللأجل المحتوم ﴿لكل أجل كتاب﴾، ومدد الزمان فترات وآناء، ونهايته آجال.. لذلك أصبح لزاماً علينا أن نعرض للزمان فى آيات القرآن.

ولما كانت الدلالات الكونية على الزمان نحددها بضوء الشمس والقمر والنجوم.. فنعرض لهذا كله إن شاء الله ضمن مانعرض.

وخلق الله الزمان يوم خلق السموات والأرض والشمس والقمر.. ﴿وهو الذى خلق الليل والنهار وسخر الشمس والقمر كل فى فلك يسبحون﴾ (الانبياء٢١:٣٣)

ولكل هذا كانت لعناصر الكون سرعاتها الذاتية والنسبية.. فلكل شىء فى الكون مكانه، وزمانه، وسرعته الذاتية، وسرعته النسبية ـ كأثر لزمانه، ولمكانه ولحركته، ولتجاذبه ﴿وكل فى فلك يسبحون﴾ !! وهذا جوهر النسبية ببساطة شديدة!..

فالحركة، والمكان، والزمان من خصائص كل شىء من مخلوقات الله، والشىء الساكن له مكانه وزمانه، أما سرعته فمعدومة.. وللنظرية النسبية مكان بارز فى الآيات القرآنية، وذلك بحسب أنها تعالج وحدة الزمان ـ المكان، وتعالج وحدة الزمان ـ المكان ـ الكتلة ـ الطاقة، وكلها فى الاساس يعتمد على السرعة، والتى هى زمان ومكان.. والنسبية فى القرآن وردت فى العديد من النصوص، أقربها: ﴿إن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ !! (الحج٢٢: ٤٧).

وجوهر السرعات الكونية سرعة الضوء.. والضوء هو القاسم المشترك الأعظم للمنظومة السماوية للنجوم والكواكب والاقمار !!.. وبالذات لنجوم البروج والشمس والقمر وجميعها تلعب دوراً حياتياً هاماً لمن على ظهر الارض !!

وتلخيصاً اذا كانت الروح من السماويات، والماء منزل من السماء، وخلقه سابق لخلق السموات والأرض.. ﴿وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء﴾.. فنعرض للروح والماء والانزال والتنزيل..(الارزاق، الكتب السماوية، الحديد) ضمن المنظومة السماوية ..

وفى الإجمال نعرض للمنظومة السماوية المادية فى القرآن لكل الكونيات التى

تعلو الأرض·· نعرض للسموات، والمجرات، والنجوم، والشمس، والقمر·· ونعرض للزمان، وللنسبية فى القرآن·· نعرض آيات القرآن الكونية فيما يخص خلق الكون المادى وتسخيره·· كما نعرض لخلق وحياة الانسان فى آيات القرآن بحسب أن خلق أدم عليه السلام سماوى·· عرضنا لهذا كله فى ستة فصول:

الفصل الأول: السموات والارض والحياة ·
الفصل الثانى: الزمان فى القرآن·
الفصل الثالث: المجموعة الشمسية فى القرآن·
الفصل الرابع: النظرية النسبية فى القرآن·
الفصل الخامس: النجوم والبروج فى القرآن·
الفصل السادس: المنظومة السماوية فى التاريخ الاسلامى وفى العلم·

والباب الثانى ـ الفصل الأول: السموات والارض والحياة الكونية·· يشمل:

٠١ السموات والأرض والحياة الكونية· ٠٢ السموات والأرض السبب والغاية·
٠٣ عظمة الخلق دليل الوحدانية. ٠٤ السماء والحياة الكونية·
٠٥ السماء وبروجها وشمسها وقمرها· ٠٦ الإنزال والتنزيل·
٠٧ الروح والحياة الكونية· ٠٨ الحياة التامة والكون·
٠٩ الولاية لله· ٠١٠ الماء والحياة الكونية·
٠١١ ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾

الباب الثانى ـ الفصل الثانى: الزمان فى القرآن·· ومشتملاته:

٠١ الزمان· ٠٢ خلق الزمان فى القرآن·
٠٣ وظيفة الزمان فى القرآن· ٠٤ القبلية والبعدية فى القرآن·
٠٥ الآن فى القرآن· ٠٦ زمان الكائنات فى القرآن
٠٧ الاجل نهاية زمن· ٠٨ التوقيت الهجرى والميلادى

والباب الثانى الفصل الثالث: المجموعة الشمسية فى القرآن·· ومشتملاته:

٠١ زمان خلق الشمس والقمر· ٠٢ آية تسخير الشمس والقمر·
٠٣ حركة الشمس· ٠٤ وظيفة الشمس الكونية·
٠٥ الشمس والأذان للصلاة· ٠٦ الخلايا الضوئية والسخانات
٠٧ طاقات الشمس· ٠٨ الشمس والعلم الحديث·
٠٩ القمر فى القرآن· ٠١٠ وظيفة القمر الكونية·
٠١١ المد والجذر· ٠١٢ المجموعة الشمسية·

الباب الثانى الفصل الرابع: النظرية النسبية فى القرآن٠٠ ومن مشتملاته:
٠١ نسبية أينشتين٠ ٠٢ النظرية النسبية فى القرآن
٠٣ سرعة دوران القمر حول الأرض٠ ٠٤ سرعة الضوء فى القرآن
٠٥ أصحاب الفيل ونسبية أينشتين٠ ٠٦ الرجفة والصيحة والنسبية
٠٧ سرعة عروج الملائكة فى القرآن٠
الباب الثانى الفصل الخامس: النجوم والبروج فى القرآن٠٠ ومشتملاته:
٠١ النجوم والبروج فى القرآن٠ ٠٢ النجوم التسخير والوظيفة٠
٠٣ النجوم والسجود والعبادة٠ ٠٤ النجوم والقسم القرآنى٠
٠٥ أفلاك النجوم فى القرآن٠ ٠٦ عبادة الكواكب والنجوم٠
٠٧ الشهب والنيازك والكسف٠ ٠٨ البروج فى القرآن٠
والباب الثانى الفصل السادس: المنظومة السماوية فى التاريخ الإسلامى (علم الفلك الإسلامى)٠

وعلى كل حال فمعلومات البشر عن المنظومة السماوية تكاد تكون معدومة !!٠٠ أو بالأصح فقيرة جداً جداً!٠٠ وإن هُيِئَ للبعض غير ذلك!٠٠ لكنها النسبية بين المعارف والعلوم والأزمان والبلاد والعباد!٠٠

ـ سأل ولدى الأكبر: هلا ننتقل إلى حيث معارف البشر فى منظومة الأرض؟!

ـ قلت : يا ولدى! أنت واهم يا ولدى! وكثيرون مثلك٠٠ يتصورون أن البشرية قطعت شوطاً كبيراً فى علوم الأرض والحياة!٠٠ لكن تأكدوا ياقوم! أن العلم يقفز العلم قفزات سريعة٠٠ لكنه ليس مُتَشبعاً بالمعارف!٠٠ أو حتى مُرضِياً!٠٠ فالبشرية بين الآنة والأخرى ترتبك أمام أبسط ظواهر الكون الأرضية!٠٠ وعلى كل حال فالبشرية حققت بعض التقدم الجزئى فى بعض المعارف لمنظومتنا الأرضية!!

ونستهل الباب الثالث: المنظومة الأرضية والحياة فى القرآن ـ بقول الله تعالى: ﴿والأرض فرشناها فنعم الماهدون﴾ (الذاريات٥١: ٤٨)٠٠ وقوله تعالى: ﴿فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ (الأعراف ٧: ٢٥)

وفرشناها: أى جعلناها ممهدة مذللة حتى يستطيع الانسان العيش فيها٠٠ منتفعاً بكل خيراتها ﴿هوالذى خلق لكم ما فى الارض جميعاً﴾٠٠ وفى الارض المعاش٠٠ وفيها الممات٠٠ ومنها البعث ان شاء الله٠٠ ﴿فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ (الاعراف٧: ٢٥)٠

والأرض بيضاوية، زيتونية الشكل، معلقة فى الفضاء الكونى ومتوسط

قطرها ٧٤٠ر١٢ كيلو متر، ومتوسط محيطها ٠٤٢ر٤٠ كيلو متر، ومساحة سطحها ٥١٠ مليون كيلو متر مربع، وحجمها أكثر من مليون مليون كيلو متر مكعب، وكتلتها بما يعادل ٦٦٠٠ مليون مليون طن.

ويغطى سطح الأرض ٧١٪ بحار ومحيطات، بسمك متوسط ٤ كيلو متر تقريبا. ويحيط بها غلاف جوى يصل سمكه لقرابة الالف كيلو متراً. وإن كان لايكاد يحس به وبضغطه فوق إرتفاع ٤٠ كيلو متر من سطح الأرض !!

والحياة على الأرض يقصد بها الحياة على اليابس ٢٩٪ وفى البحار والمحيطات ٧١٪، وتحت سطحهما، وبتأثيرات هوائهما وشمسهما. وتنظم وتنتظم هذه الحياة الأرضية فى صور نباتية، وحيوانية، وبشرية. والحياة النباتية يندرج فيها حوالى ٤١ مليون نوع من أنواع الحياة النباتية، وأما الحياة الحيوانية فيندرج فيها نحو مليون فرع !!

والله وهب الأرض فى ذاتها حياة كونية خاصة. فالأرض فى حركة دائمة دائبة، والمجرات، والنجوم، والكواكب، والشمس، والقمر، والضوء، والرياح، والمواد فى مختلف أشكالها الصلبة والسائلة والغازية - فى حركة نسبية دائمة دائبة لاتتوقف فى كون الله الفسيح !!

وقد تتساوى يابسة الأرض وبحارها فى أن بكليهما مساحة صحراوية، أو شبه صحراوية، من حيث مقدار الحياة البيولوجية. فإذا كان تساقط الماء على اليابسة ٤٠ سم أو أقل من التساقط السنوى فإن النباتات تكون مبعثرة وخشنة. فى حين إذا كانت الأمطار غزيرة فتغزر النباتات. وقد يتحدد غياب الحياة البيولوجية ليس فقط لندرة الماء، ولكن أيضا بندرة عنصر الفوسفور. و التصحر فى البحار والمحيطات مرده إلى غيبة الكربون، والنتروجين، والنترات - وهذا يعوق التكاثر. وهناك العديد من الميكروبات المائية، وأهمها الطحالب الخضراء المزرقة، والتى بها مجموعة من الأنزيمات، قادرة على الإتحاد بالنتروجين المذاب فى الماء، والمأخوذ من الهواء، مع عناصر أخرى - لتكوين مركبات بيولوجية صالحة للاستخدام. وإذا كان الفوسفور متوافرا فى الطبقات العليا من البحار، فإنه يبدو بعيد الإحتمال، وإن الأزوت المثبت، والخضراء المزرقة، وغيرها من الكائنات تعجز عن غزو هذه البيئة.

وفى الإجمال فإن مادة الحياة على يابس الأرض أكثر وزناً نوعياً، وتكثيفاً نسبياً عنها فى البحار، والمحيطات - فى الوقت الراهن - لأن البشر لم يتدخلوا بمجهودات منظمة لزراعة المياة المالحة !!

ونعرض لأمر التهيئة الكونية للحياة فى الأرض يابساً، وبحراً٠٠ ونبدأ بحياة الأرض تسخيراً، وتدبيراً من المولى سبحانه لإحيائها بالنباتات، وبالدواب، وبالطيور، وبشتى مظاهر الحياة لخدمة بنى البشر٠٠ فمن الأرض كانت النشأة٠٠ وهى المستقر٠٠ والأرض تحيا وتموت٠٠ وأرض الله واسعة٠٠ ﴿وفى الأرض آيات للموقنين﴾٠ وقد حظيت نشاطات الانسان فى الارض بنصيب وافر من آيات القرآن بين زرع، وحرث، ورى، وحصاد، وتخزين، واستقرار، وهجرة، ونقل، وانتقال، وإعمار، وحضارات حولَ الانهارِ وعندَ مصباتها، وإرتفاق الانسان للبحار من نقلٍ، وإنتقالٍ، وصيدٍ، وتعدين، واستغلالٍ لطاقات المدّ والجزر، وطاقات الرياح على السواحل!

ومن حيث أن الكربون هو القاسم المشترك الأعظم للغذاء والكساء٠٠ فنعرض للكربون فى الكون والقرآن!

ونعرض للجبال فى القرآن، والغلاف الجوى، والرياح فى القرآن، والسحاب فى القرآن، والزلازل والبراكين فى القرآن!

كما نعرض لعلوم المنظومة الأرضية فى التراث الاسلامى، وللفساد فى الأرض والبيئة من وحى لطائف الإشارات فى آيات القرآن الكريم!

ويشمل الباب الثالث على عشرة فصول:

الفصل الأول: الأرض والحياة فى القرآن٠
الفصل الثانى: البحار والحياة فى القرآن٠
الفصل الثالث: الكربون فى الكون والقرآن٠
الفصل الرابع : الجبال فى القرآن٠
الفصل الخامس: الغلاف الجوى٠
الفصل السادس: الرياح فى القرآن٠
الفصل السابع: السحاب فى القرآن٠
الفصل الثامن: الزلازل والبراكين فى القرآن٠
الفصل التاسع: المنظومة الأرضية فى التراث٠
الفصل العاشر: الفساد فى الأرض٠

الباب الثالث ـ الفصل الأول: الأرض والحياة فى القرآن٠٠ ومشتملاته:

٠١ الحياة فى الأرض٠ ٠٢ النشأة من الأرض٠
٠٣ خلق لكم مافى الأرض جميعاً٠ ٠٤ أرض الله واسعة٠
٠٥ إحياء الأرض٠ ٠٦ فى الأرض آيات٠

٠٧ خلق الزرع٠
٠٨ خلق الحدائق٠
٠٩ استخلاف الانسان فى الأرض٠
٠١٠ الانسان و الزراعة٠
٠١١ خلق الانعام٠
٠١٢ الانسان يهيىء الأرض للحياة
٠١٣ استصلاح الأراضى فى القرآن٠
٠١٤ الاستصلاح والاستزراع٠
٠١٥ بدء عصر الماء٠
٠١٦ تسوية الأرض ومد الطرق٠
٠١٧ الأرض الجديدة والتهجير٠
٠١٨ الهجرة أجدى وأنفع٠
٠١٩ الرزق اللدنى٠
٠٢٠ استزراع الأرض٠
٠٢١ الاستزراع فى القرآن٠
٠٢٢ زراعة الأرض فى القرآن٠
٠٢٣ حرث الأرض فى القرآن٠
٠٢٤ الرى فى القرآن٠
٠٢٥ الحصاد فى القرآن٠
٠٢٦ التخزين فى القرآن٠
٠٢٧ الانعام والطاقات الحيوانية٠
٠٢٨ التخطيط العمرانى فى القرآن
٠٢٩ حضارات الأنهار فى القرآن٠

و الباب الثالث ـ الفصل الثانى: البحار والحياة فى القرآن٠٠ ومشتملاته:

٠١ البحار والحياة٠
٠٢ البحار آية كونية٠
٠٣ تنجيم البحار٠
٠٤ كيف تكونت البحار٠
٠٥ الملاحة البحرية فى القرآن٠
٠٦ ثروات الخلجان٠
٠٧ حركة من الشرق الى الغرب٠
٠٨ انتاج الطعام البشرى بتنمية الخلية الواحدة٠
٠٩ المستقبل وغذاء البحر٠
٠١٠ البحار فى القرآن٠
٠١١ مروج البحرين٠
٠١٢ البحر المرتوق٠
٠١٣ البحر مشارك أصيل فى حياة الأرض
٠١٤ طاقات البحار والمحيطات والخلجان٠
٠١٥ الكربون والبيئة البحرية٠
٠١٦ البحر والجو آلة حرارية٠
٠١٧ المنشآت البحرية٠
٠١٨ الكيمياء البحرية للكربون والحرائق٠
٠١٩ مولد ثانى أكسيد الكربون٠
٠٢٠ دعوة مفتوحة٠

و الباب الثالث ـ الفصل الثالث: الكربون فى الكون والقرآن٠٠ ومشتملاته:

٠١ الكربون فى الكون٠
٠٢ الكربون فى القرآن٠

٠٣ الطعام والكربون فى القرآن.
٠٤ المراعى فى القرآن.
٠٥ الحبوب فى القرآن.
٠٦ الخضروات.
٠٧ الخضروات فى القرآن.
٠٨ الفاكهة فى القرآن.
٠٩ التنفس والماء والغذاء(الكربون).
٠١٠ الكربون والكساء فى القرآن

والباب الثالث ـ الفصل الرابع: الجبال فى القرآن.. ويشمل:

٠١ تكوين الجبال.
٠٢ الجبال فى القرآن.
٠٣ خلق وتسخير الجبال.
٠٤ ﴿والجبال أوتاداً﴾.
٠٥ وبينهما برزخ لايبغيان.
٠٦ وأخرجت الأرض أثقالها.
٠٧ الجبال والحياة.
٠٨ الجبال ويوم القيامة.
٠٩ الجبال والتسبيح والخشية والخشوع
٠١٠ الجبال والمنظومة الحياتية المشاركة معها.
٠١١ الجبال واتزان الأرض.
٠١٢ الجبال والماء والغذاء.
٠١٣ الجبال والانشاءات المدنية.
٠١٤ الجبال والنحل والعسل.
٠١٥ الجبال والثمر والناس والدواب والانعام والالوان.

والباب الثالث الفصل الخامس: الغلاف الجوى.

والباب الثالث ـ الفصل السادس : الرياح فى القرآن.. ويشمل:

٠١ الرياح.
٠٢ الرياح فى القرآن.
٠٣ الريح فى القرآن.
٠٤ تأثيرات قوى الريح.
٠٥ الرياح والعلم الحديث.

والباب الثالث ـ الفصل السابع: السحاب فى القرآن.. ومن مشتملاته:

٠١ السحاب فى القرآن.
٠٢ نشأة السحاب فى القرآن.
٠٣ أنواع السحاب.
٠٤ إنزال الماء.
٠٥ السحاب والعلم الحديث.
٠٦ الرعد والبرق.
٠٧ الرعد والبرق فى القرآن.
٠٨ السحاب والظل.

٠٩ السحاب يختزل الالوان. ٠١٠ الجو يدفأ عند سقوط الجليد
٠١١ البرق يفقد البصر. ٠١٢ الرعد يفقد السمع.
٠١٣ صواعق البرق والرعد.

والباب الثالث ـ الفصل الثامن: الزلازل والبراكين فى القرآن.. ويشمل:
٠١ الزلازل والبراكين. ٠٢ الزلازل فى القرآن.
٠٣ الزلازل فى التراث الاسلامى. ٠٤ الزلازل والعلم الحديث.
٠٥ الارض وزلزالها وأثقالها. ٠٦ الآثار الاقتصادية والاجتماعية للزلازل والبراكين
٠٧ رصد الزلازل والبراكين.
٠٨ الظواهر الغريبة لكوكب الأرض. ٠٩ الزلازل فى مصر

والباب الثالث ـ الفصل التاسع: علوم المنظومة الارضية (الجغرافيا والجيولوجيا) فى التراث الإسلامى.

والباب الثالث ـ الفصل العاشر: الفساد فى الارض.. ويشمل:
٠١ الفساد فى الأرض. ٠٢ الإختلال فى الارض.
٠٣ تدمير طبقة الأوزون. ٠٤ الاختلال البيئى.
٠٥ الأعاصير والفيضانات. ٠٦ الأعاصير الاستوائية
٠٧ ظاهرة الاختلال الجوى ـ النينو. ٠٨ جداول بالاعاصير والفيضانات
٠٩ ظاهرة المطر الحامضى. ٠١٠ الاختلال والفوضى والدمار.
٠١١ هل الغلاف الجوى مختل. ٠١٢ عالمية الاجراءات.
٠١٣ قمة الارض. ٠١٤ ميلاد حضارة.

ـ سألت ابنتى: وماذا عن غزو الفضاء ؟!

ـ أجبت: يابنيتى! فى مدارستنا هذه (الاجندة) يحوى الباب الرابع علوم الفضاء فى القرآن.. فغزو الفضاء فى العصر الحديث هو ناتج تطبيقى لتقدم العلوم، وهو مرادف للتجارب العلمية للعلوم التطبيقية التكنولوجية ـ بغض النظر عن النظم السياسية.. والبشرية يشغلها ارتفاق كل مافى الارض: الزرع والحصاد، وتدبير الغذاء، والكساء والسكن والإنتقال، والنقل والرعاية الصحية. ويشغلها كذلك حصر الموارد وتصنيعها وتسويقها.. والبشرية مهمومة

بنظم التعليم والتدريب والتعلم فى جميع بقاع الأرض، مضافا إلى كل هذا أن الفضول المعرفى، والمعارف الثقافية، عظمت من شأن دور الإعلام، والإتصال والتنمية والتغيرات الإجتماعية·· وأضحى المجتمع رهين فاعليات الأجهزة فى الإنتاج، والتعليم والبحث العلمى، والتدفقات التحويلية، ومقدرة الجهاز الإدارى فى الدولة على تنظيم المدخرات الوطنية وتوجيهها للاستثمار، وفتح اسواق تجارية والحفاظ عليها·· مجتمع متوافق الأدوار·· بين الأفراد والجماعات والقيادات وحتى السفراء والعلماء والحكماء والقادة·· وإن الذخائر الأدبية والإجتماعية والأخلاقية تثرى بالقديم·· وتثرى القديم فى آن واحد·· وأما العلوم التكنولوجية الحديثة فهى تبلى كل يوم وتتطور فى كل لحظة·· وعلى هذا فإن إستنهاض أمة إلى الطريق التكنولوجى·· قد لايأخذ إلا عدة سنوات قليلة!، والعكس من هذا فإن الإستنهاض الحضارى·· أو المسخ الحضارى·· يأخذ أجيال وأجيال لأن الأبعاد الحضارية تعيش فى وجدان الشعوب!، والتحدى وتحمل المسئولية قد يعجلا من الإستنهاض الحضارى·· أما الإفلات من براثن الثورة التكنولوجية، فيتأتى بالبساطة الإختيارية، وبلغة أهل الإجتماع النزول (التدنى) بحدود الإشباع: من مأكل وملبس ووسائط ترف، مع الإرتفاع قدر الطاقة بالمدخرات الوطنية وتوظيفها فى التعمير والتنمية·· مع توظيف الحكمة الإجتماعية فى موضعها الصحيح، بحسب أن الحكمة الإجتماعية لاتتقادم أبداً!!

- كل ماسبق يجعل من الأهمية بمكان·· وعلى الأقل فى الدول العربية مجتمعة·· دراسة القوى والثروات، ودراسة تقويم قوة الثروة أى قوة الموارد الطبيعية فى الأرض من مناجم ومزروعات، وثروات سمكية، وثروات حيوانية، وظروف وتغيرات مناخية·· وهذا يتطلب البحث فى طرق رصد وتوقع المحاصيل على المستوى الدولى، ومن الأقمار الصناعية التى تجوب العالم· والبحث عن ما يمكن التوسع فى زراعته، وكذا · الأرض التى يمكن إستصلاحها وإستزراعها، وكذا المواقع البحرية التى يمكن زراعتها وصيدها·· وأشياء أخرى كثيرة كانت الأهداف الأساسية لبرامج الفضاء المعلنة·· ولنعيش ونتعرف على طريقة التفكير حول غزو الفضاء·· السبب والمهمة·· والهدف التنمية والقوة!!

- ففى سياق التقويم العلمى لمجهودات وكالة ناسا للفضاء كتب دون باترسون يقول: (إن الفوائد الجوهرية التى نتجت عن الجهود الأمريكية فى الفضاء هى

حتى الان فوائد علمية. فقد إكتسبت علوم الفلك والفيزياء الشمسية والاستكشاف مكاسب جمة. وحدد الفلكيون وصنفوا عدداً كبيراً من مصادر الأشعة فوق البنفسجية وأشعة إكس وجاما. كذلك اكتشفوا نجوم الكواسار والبولسار وتوصلوا إلى نظريات جديدة أحياناً ما كانت تثير الجدل حول أصل وشكل قوانين الكون. وبالبحث فى الفيزياء الشمسية تكونت فروض حول تكوين وطريقة عمل الشمس وعلاقتها بباقى العناصر الفلكية. وقد قاد البحث فى الفيزياء الفضائية إلى اكتشاف أحزمة (فان ألن) والغلاف الأيونى المشع، وهالة الشمس الأيدروجينية، والبلازما، والمجال المغناطيسى، وصدمات الإلتواء، والذيل المغناطيسى والإشعاعات المحبوسة، والرياح الشمسية، والمجال المغناطيسى لما بين الكواكب. وإن اكتشاف القمر والكواكب قد عاد بكنز من المعلومات العلمية الجديدة.

وإن مقدار التقدم العلمى عن أول نشاط فضائى منذ ٣٢ سنة (١٩٦٠م - ١٩٩٢م) لانظير له فى الغالب فى أى فترة مماثلة فى التاريخ البشرى.. ومن سوء الحظ فإن هذا التقدم إحتاج إلى وقت طويل لكى يؤثر فى حياة رجل الشارع الذى لم يتحمس له.. وإن الوظائف الطاغية لاستمرار نشاط بحوث الفضاء من المحتمل ألا تكون علمية فى طبيعتها.. ولاشك أن البشرية تحتاج إلى نظرة جديدة شاملة حتى تستطيع التعامل مع مشاكل السكان والإسكان.. والإتصال والمواصلات.. والزراعة والصناعة.. والتعدين والطاقة مع تضاؤل الأرض والمعادن والماء، وكذلك مع البيئة الطبيعية التى تنقرض ببطء.. ولا شك أن مراقبة الأرض لابد أن تحدد هندستها وخواص السطح وصفاته، وخواص جسمها الديناميكى، وتفتح الطريق أمام فهم فيزياء الطقس والتنبؤ بالأحوال الجوية، والتغيرات الجوية والمناخية.. وإدارة المصادر الطبيعية والبيئية.. ذلك بالإضافة إلى شبكة الإتصالات العالمية الإقتصادية، وأقمار الأحوال الجوية، والتى تجمع معلومات عن السحب مما يساعد على تكهنات بالطقس تتسم بالدقة. وكما وإن المراقبة الحرارية ربما تساعد على التنبؤ بالزلازل المدمرة!.

- إن النظر والتدبر إلى الأرض من الفضاء يحقق العديد من الفوائد الإجتماعية والسياسية.. والجامعة العربية ومنظمة العالم الاسلامى مطالبون بقيام نشاط تنسيقى مشترك لدولهما فى مجال بحوث الفضاء.. والاسلاميون

مبشرون بالسيادة فى هذا المجال (لتركبن طبقا عن طبق)٠٠ ونحن نحن المخاطبون بالآية٠٠ ويشمل الباب الرابع على مايلى:

٠١ النظرة الفضائية فى القرآن٠
٠٢ ألم تر٠٠!!
٠٣ المجموعة الشمسية٠
٠٤ غزو الفضاء فى العصر الحديث
٠٥ الأقمار الصناعية٠
٠٦ مكوك الفضاء٠
٠٧ تلسكوب الفضاء٠
٠٨ برنامج مكوك الفضاء٠
٠٩ الأرصاد الجوية والفضاء٠
٠١٠ الأرصاد البيئية٠
٠١١ الأرض من الفضاء٠
٠١٢ الكون والعلم الحديث٠
٠١٣ المجرات الكونية والعلم٠
٠١٤ إعجاز رفع السماء والعلم الحديث٠
٠١٥ العلم ولغز أصل الكون٠

- يابنيتى ! الدراسات الكونية تكليف إسلامى شأنها فى ذلك شأن باقى الدراسات التعليمية والتدريبية٠٠ ومن حيث أن إعمال آيات النظر والتدبر فى الكون والقرآن فريضة إسلامية٠٠ فينبنى على ذلك أن التفكير فريضة إسلامية٠٠ وبالتبعية فإن التعليم والتدريب والعمل وفى مختلف المهن والحرف والنشاطات المباحة شرعاً من ضمن الفرائض الاسلامية٠٠ والزراعة فريضة إسلامية٠٠ وإستصلاح الأراضى واحياء الموات والاستزراع فرائض إسلامية٠٠ والتجارة والتعدين والتنجيم والتصنيع فرائض إسلامية٠٠ والسياحة -٠٠ بقصد التعليم والتعلم وإستيعاب العبر والتعرف على الشعوب والنقل الحضارى٠٠ - فريضة إسلامية٠٠ والمدارسة التاريخية لحياة الأمم والشعوب والافراد والجماعات وزمانهم وظروفهم وبيئاتهم فريضة إسلامية كذلك٠٠ وبإختصار شديد فإن كل النشاطات البشرية النافعة تنطوى تحت لواء التكليف الفرائضى الإسلامى !!

- أى أننا مكلفون بالإرتفاق والإنتفاع بكل ما فى الكون٠٠ وهذا لايتأتى إلا بدراسات كونية متعمقة٠٠ وإذا كانت آيات النظر والتدبر فى القرآن وردت بنصوص آمرة مسيراً ونظراً وإعمالاً لكل الحواس والشعور والمهارات وطاقات الأداء البشرى٠٠ فالأمر والحال كذلك تكليف إسلامى٠٠ لاخيار فيه٠٠ فى شتى مجالات الحياة٠٠ فى شتى المؤسسات البشرية المعروفة من حضانة الطفل ومدرسة القرية والمسجد والمعهد والجامعة٠٠ وفى مختلف أماكن العمل من أى موقع وحتى الأمم المتحدة ومجلس الأمن٠٠ وفى شتى بقاع الكون٠٠ اليابس

والبحر والنهر والمنجم والبئر والجبل والغلاف الجوى و أفلاك ومكونات الفضاء الخارجى !!

نحن مكلفون بالارتفاق والانتفاع من مختلف ظواهر سطح وباطن الأرض، والظواهر الفلكية، ومختلف ضروب نشاطات الحياة فى كون الله الفسيح !!

ـ وهذه المنظومة من التكاليف الإسلامية مسئولية الفرد والأسرة والمجتمع وولاة الامور.. أى أنها مسئولية جماعية !! ومردودها إن سلباً أو إيجاباً جماعى بصفة الأساس ذاتى بالتبعية.. !! ومن خجل فإن موقعنا الإسلامى من هذا الفقه الحياتى تحت حدود الفقر فى كل شىء !!

ـ أما فقه العبادات والمعاملات فما أسهله وما أيسره وما أخفه فى الأداء.. مردوده ذاتى بصفة الأساس عام بالتبعية.. ومن أسف أننا حتى فى هذا فرق وشيع بين متشيع ومتصوف وسنى.. أشعلنا النار فى الجسد الاسلامى الضعيف.. حروب هنا وحروب هناك وتصفيات عابثة للمال والسلاح والموارد والشباب المسلم.. ومشاكل حدود بين الدول الاسلامية.. وإنقسامات يندى لها الجبين داخل الأوطان والمجتمعات وحتى فى الأسر المسلمة!!

ـ ومن الاسباب الرئيسية لكل هذه الظواهر هو غيبة الوعى العام عند المسلمين.. وتجزىء السنن الكونية والقرآنية.. وشل فعاليات سنن كونية مهمة من هذه السنن سنة التسخير و الارتفاق والانتفاع.. وسنة الأجل.. وسنة التداول الحضارى.. وسنة التدرج فى المجال الاجتماعى والسياسى.. وسنة المدافعة !!

أزمتنا أزمة فكر.. فأين نحن من الحضارة الاسلامية؟؟.. وأين أين نحن من الحضارة المعاصرة؟؟ !!

ـ أزمتنا يا أحباب! هى أزمة ترك وإهمال للكونين الإلهيين.. كون الله المنظور.. وكون الله المسطور ـ القرآن الكريم !!

ـ أهملنا الموارد الكونية.. الانسان والأرض والماء والزرع والصناعة وإدارة الاعمال وأهملنا تعظيم القيمة للموارد المتاحة.. أهملنا تاريخنا وحضارتنا وكنوزنا فى المعارف الانسانية والاجتماعية.. أهملنا السياحة.. فى الاتجاهين.. نعرض ما عندنا، ونتعرف على ما عند الآخرين.. ننقل ونُطور ونُحَسِن

ونَجَود !!

- أهملنا القرآن والسنة٠٠ منهجا الكون الحياتى الكامل المتكامل٠٠ ولنتأمل قول الله تعالى:

﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾ (المائدة: ٤٨) ٠٠ وقوله تعالى:

﴿وأنّ هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ (الأنعام٦: ١٥٣)

- أزمتنا ليست أزمة منهج٠٠ أزمتنا - أزمة فهم للكون بكليته !!٠٠ وهى أزمة فهم للقرآن والسنة بشموليتهما !!٠٠ غرقنا فى فقه العبادات والمعاملات٠٠ وأهملنا فقه الكون والحياة !!٠٠

- ولما كان ذلك كذلك٠٠ وجدت من النفع العام أن نطرح هذا الاطار فى بعض عناصر فقه الحياة٠٠ بنظرات إطارية عامة بين الكون والقرآن والحياة!!

- وقد يرى البعض ونحن معهم - أننا فى مسيس الحاجة لغلق (أو تضييق) باب الإجتهاد فى فقه العبادات٠٠ فللسلف والخلف فى هذا الفقه باع لايجارى ولا يضارع٠٠ وعلينا وعلى شبابنا الإتباع لا الإبتداع !!

- ويرى البعض ونحن معهم - ضرورة التدرج فى المناهج الدينية فى فقه العبادات والمعاملات والأخلاق بما يتواءم مع سن المستهدف٠٠ طفل، صبى، شاب، رجل - فى الحضانة والمدرسة والمعهد والجامعة٠٠ فى الحقل والمصنع ومختلف الأعمال !!

- ويرى البعض ونحن معهم - ضرورة ربط فقه الكون والحياة وما نزل بخصوصهما من نصوص قرآنية وأحاديث شريفة بالعملية التعليمية والعملية البحثية على حد سواء بما يساعد على ترسيخ القيم الجوهرية الصحيحة فى نفوس الجميع وبطريقة ذاتية٠٠ وحسية ملموسة٠٠ موضوعات إتفاقية بين الجميع٠٠ المسلم والمسلم، وبينهما وبين غير المسلم !!

- ويرى البعض ونحن معهم - ضرورة إعمال وتيسير السبيل لآيات النظر والتدبر القرآنية والكونية بكل الوسائل المتاحة٠٠ صورة، رسم، شريط فيديو،

شريط سينما، عرض فى نادى، عرض فى معمل، عرض سينيمائى، عرض تليفزيونى.. رحلة ترفيهية، رحلة علمية، رحلة كشفية أو جوالة.. دروس متخصصة، محاضرات عامة، ورش عمل، ندوات، مؤتمرات.. وسائط إعلام وتوعية الحضانة والمدرسة والجامعة، المسجد، النادى، الإذاعة، السينما، التليفزيون، الصحف والمجلات، والكتب، والمعارض !!

- ويرى البعض ونحن معهم - ضرورة تقوية وتدعيم إذاعة القرآن الكريم بما يسمح بالتوسع فى البرامج الكونية القرآنية.. وتوزيعها على خريطة البرامج اليومية.. مع التوازى فى التوسع فى البرامج الكونية القرآنية فى مختلف الإذاعات والقنوات التليفزيونية العاملة.. محلياً وفضائياً.. فى مصر وفى الوطن العربى.. بحسب وحدة الثقافة واللغة والدين والتأثير والتأثر !!

- ويرى البعض ونحن معهم - ضرورة إدخال الثقافة الكونية القرآنية - مادة أساسية فى المقررات الدراسية بالتعليم العالى الخاص والحكومى.. معاهد وكليات وجامعات !!

- ويرى البعض ونحن معهم - ضرورة أن تتولى مؤسسات التعليم والشئون الدينية والشباب والثقافة ووزارات الإنتاج والخدمات الاهتمام بنشر الوعى فى خصوصية الفقه الكونى القرآنى فى الجوانب التطبيقية فيما يخص نشاط جهته !! وصولاً إلى تكاملية النشاط !! وعلى أن تقوم مؤسسة التعليم والأزهر الشريف بالمسئولية التكاملية لإعداد معهد علمى يتخرج منه جيل من المدرسين المتخصصين فى التنشئة على الوعى الكونى وفقه الحياة.. تكون مهمتهم تدريس هذه الكنوز الكونية القرآنية الاتفاقية فى إطار متكامل حتى نهاية التخرج من المدرسة أو الجامعة !!

- إذ ربما نُقَرِّبُ بموضوعات الفكر الكونى الحياتى القرآنى.. الفجوة بين فرقاء الاختلاف حول فقه العبادات، ونجمعهم حول مائدة إتفاق حياتية كونية قرآنية ؟!
- ناهيكم أن الاهتمام بالدراسات الكونية القرآنية تعتبر أداءًا لتكليفٍ معطلٍ ومشلولٍ فى واقعنا الاسلامى.. وهو إعمال فقه الحياة.. وربما تدفع هذه النوعية من الدراسات بنا الى التلاحم مع علوم وفنون وحرف العصر !!

- والرواد والفقير معهم.. إنما نحاول وضع العلوم والمعارف التطبيقية على أطراف الموائد القرآنية.. تتبدل الحواف المعرفية البشرية وتتغير مع تقدم الزمان.. ويبقى القرآن شاباً جديداً متجدداً معجزاً وحتى قيام الساعة !!

- أخيراً لعل هذا العمل ومضة نور على طريق فقه الحياة وإرادتها.. ولعله إطار عقلى إيمانى إتفاقى بين كل البشر مهما إختلفت نزعاتهم وثقافاتهم وحتى أعمارهم ومهنهم.. ولعله نسيج تكاليف عقلية حياتية بالانتفاع والارتفاق بعناصر الخلق الكونى، وصولاً لإعمار الكون وسعادة الإنسان وعزة الشعوب..

على الله قصد السبيل.. والله الموفق والمستعان،،

دكتور عبد الهادى ناصر

شبين الكوم.. ديسمبر ١٩٩٣م

الكون والتوحيد فى آيات القرآن

ـ شملت جلسة مُدارستنا العائلية الثالثة أسرتنا وشيخ أزهرى مبرز وتدارسنا العلاقة بين الكون والتوحيد فى آيات القرآن.. مهَّدتُ للشيخ عن القلق الذى ساد الجلستين السابقتين، ولخصْتُ له مادار فيهما من أسئلة وإجابات.. وكنت قد حَكيت له (منفرداً) عن عاصفتنا النقاشيَّة فى سابق الجلستين.. ذلك كله بقصد البُعد عنِ التجهيل.. ولعل الشيخ يعيشُ الواقع الفكرى لحضور الجلسة.. فى محاولة وَصل الأجيال.. وتبسيط المعارف والثقافات.. حصولا فى النهاية على أكبر فائدة من المُدارسة.

قال الشيخ: جئتكم زائراً مهنئاً على موضوعية الجلستين السابقتين.. وأرجو أن أكون مع أسرتكم مستمعاً شاهداً لميلاد تجربة جديدة.. أدعو الله لها بالخير والنجاح!!

ـ سأل ولدى الكبير: مالمقصود بالكون؟!.. وما علاقته بآيات القرآن؟!..

ـ أجبت: ياولدى! مفهوم الكون هو كل ماخلق الله من شىء.. جماد، ونبات، وحيوان، وإنسان، وسموات، وأرض، وما بينهما، وما فيهما، ومن فيهما..

والمُستعرض للكونيات فى القرآن يجد أنها تشغل نسبة كبيرة جداً من آياته ـ بِحَسْبِ أنه كتاب مُنزل من علام الغيوب.. كتاب خبرة وحكمة.. مُنزل من الله سبحانه وتعالى.. على قلبِ رسوله الكريم، الذى بلَّغ ما أوحَى به إليه.. فالقرآن والسنة يا ولدى! هما كتالوج الكون الجمادى وحياته المادية والإجتماعية والروحية.. وهما المَرجعية المُطلقة عند المسلمين.. أما العلم البشرى يا ولدى! فمبنى على فرضيَّات تَخمِينية.. ولا يكتسب العِلم حُجِّية إلا بما يتفق ومرجعيات القرآن والسنة.

ورحم الله الإمام مالك حيث قال: (لاأعلم شيئاً يُحْتَاجُ إليهِ إلاَّ وهو فى الكتاب والسنة)!

ويقول تعالى: ﴿مافرطنا فى الكتاب من شىء﴾

القرآن كتاب سماوى منزل من عند الله تعالى.. يَمزِجُ بين الكون ومظاهر الحياة وبين الحقائق الكونية الثابتة.. فالقرآن يُؤسس علوم: التوحيد، والعقيدة، والتربية، والأخلاق، وكل علوم الحياة.. فى بناء شَاملٍ مُتماسك متلائم مع فطرة كل انسان أياً كان مستواه الفكرى.

ويسمو هذا الفكر البشرى كلما ارتاد آفاق الكون.. وكشف آياته، وتعرف على

سنن الله فى الكون وقوانينه - فى الاطار القرآنى..

فالحضارة الغربية احترمت الكون.. مع أن إحترام الكون أصل من أصول التكاليف الاسلامية.. فكان للغربيين التقدم العلمى المادى المعاصر.

وآن الأوان يا ولدى! أن نأخذ الدراسات الحياتية الكونية التجريبية طريقاً للتقدم العلمى، والتنمية.. طريقاً لخدمة وإعمار المجتمعات الاسلامية.

فى ذات الوقت ياولدى! يجب علينا أن نأخذ القرآن بكليته إستنهاضاً للخُلق القرآنى ومكارمه.. وصولاً إلى استصلاح الإنسان، الذى جرفته المادة وحضارتها الخادعة.

ولنستعرض يا ولدى! ما جاء فى وصف القرآن فى القرآن، وكذا ما جاء حول السنة النبوية فى القرآن، وخلق الله للكون، ومافيه، ومن فيه. وأخيراً نعرج سريعاً على تهيئة الكون للحياة فى القرآن.. ونُتبع ذلك بعرض للإشارات القرآنية فى إعجاز الخَلق، والتسخير، والتدبير الكونى.. ونعرض للماء، والروح، والحياة الكونية..

ثم نتناول دراسة مَعرفية للزمان، والمسافات، والمواقع، والسرعات، والنسبية الكونية فى القرآن.

ولما كانت حياة الذرة تشابه حياة المجرة.. أصبح لزاماً علينا دراسة الكون فى منظومات متكاملة.. تُؤثر وتتأثر بعضها ببعض.. نقصرها على منظومتين.. أرضية، وسماوية.. بمنظور إسلامى وبإشارات من القرآن الكريم.

وتشمل مدارستنا فى هذا الخصوص التمهيدى على فصلين:

الفصل الأول: ويشمل تعاريف ومفاهيم.. وردت فى آيات القرآن عن: الكون، والقرآن، والسنة، والخَلق الكونى العام، والتوحيد.

والفصل الثانى: ويحوى آيات السنن الكونية القرآنية.. المتضمنة الإنشاء، والخلق، والتسخير.. وهذه السنن التسخيرية قرينة أننا مكلفون شرعاً بتسخير كل ما خلق الله وسخر.. من كل شىء.. لمنفعة البشر جميعهم.. وعلى هذا فنحن مكلفون بارتفاق كل شىء يا أحباب!

أما سُنَّة التدبير الكونى يا ولدى! فقرينة تكليفنا شرعاً باستنهاض إرادة الحياة الكريمة بإتقان كُلّى لشتى النشاطات البشرية فوق وتحت الأرض وفى الفضاء.

١- الكون

- ويا ولدى! الكون هو كتاب الله المنظور.. هو كتاب الله المادى.. هو وسيلة الايضاح التعليمية الكونية.. هو مجال ومكان وزمان الحياة لكل ذرة ومجرة فى الكون يحتاج إليها الإنسان.

ونحن المسلمين مُكلّفون ومطالبون بالنظر إلى الكون.. والغوص بعقول نابهة فى أعماق مُفرداته، والتفكر فيه، وقراءته، ثم الإنتقال بالعمل الايجابى الى تسخيره لمصلحتنا، ولمصلحة البشرية جَمْعاء.. والارْتفاق والانتفاع بـ ﴿كل شىء﴾ فى الكون.. وهذا لايَتأتى ذلك الا بدراسة ﴿كل شىء﴾ فى الخَلق والخَليقة.. بمدارس علمية متخصصة.. تنفيذاً لأمر الله تعالى: ﴿إقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الانسان من علق﴾

- نحن مُطالبون مُكلفون بقراءة ودراسة كل ما خلق الله من شىء.. ﴿كلّ شىء﴾.. وفوق ذلك نحن مكلفون مطالبون بقراءة تراكمات المعارف البشرية المدونة فى الكتب.. ونحن مكلفون مطالبون بقراءة خَلْق الانسان، وطعامه النباتى والحيوانى.. وكل ما سخر له فى الحياة الدنيا.. وتأمل ولدى!

قول الله تعالى: ﴿فلينظر الانسان ممَّ خُلق﴾

وقوله تعالى: ﴿أفلا ينظرون الى الابل كيف خُلقت﴾

وقوله تعالى: ﴿فلينظر الانسان إلى طعامه﴾

وقوله تعالى: ﴿فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شىء قدير﴾

- نحن مُطالبون بالسير فى الأكوان وقراءتها.. والانتقال الجاد من النظر الى الدراسة العقلية الايمانية العميقة المتأنية.. تأمل ولدى!

قول الله تعالى: ﴿أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون﴾ (الأعراف٧:١٨٥)

وقوله تعالى: ﴿قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون﴾ (يونس١٠:١٠١)

وقوله تعالى: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج﴾ (ق٥٠:٦)

وقوله تعالى: ﴿وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء

فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ (الأنعام٦:٩٩)

- ما سبق كله ياولدى! يندرج تحت دراسة السنن الكونية المادية المعجزة.. فى الخلق والجَعل والتسخير والتدبير.

- ناهيك ولدى! أننا مطالبون بقراءة السنن الاخلاقية والاقتصادية والاجتماعية فى الامم السابقة وتأمل..

قول الله تعالى: ﴿أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شىء فى السموات ولا فى الأرض إنه كان عليماً قديراً﴾ (فاطر٣٥:٤٤)

وقوله تعالى: ﴿أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً فى الأرض فما أغنى عنهم ماكانوا يكسبون﴾ (غافر٤٠:٨٢)

- نحن مطالبون مكلفون.. نحن جميعاً يا أحباب!.. بقراءة وتدبر سنن وعواقب المجرمين، والمفسدين، والظالمين، والمنذرين، والمكذبين.. الأعراف٧ (٨٤،١٠٣)، ويونس١٠ م (٣٩،٧٣)، والنمل٢٧ (١٤،٥١)، والقصص٢٨:٤٠، والصافات٣٧:٧٣، والزخرف٤٣:٢٥

- والدراسات الكونية الاخلاقية الاجتماعية.. لها مناهجها وطرائقها البحثية - أسسها علماء المسلمين من أمثال عبد الرحمن بن خلدون فى المقدمة - والتى تعتبر وبحق أساس علم الاجتماع الحديث.. كما أن الإمام أبو حامد الغزالى أثرى الفكر البشرى فى المشكلة الاخلاقية.

- ختاماً لنتأمل قول الله تعالى: ﴿انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثماً مبيناً﴾ (النساء٤:٥٠)

- وهدف التكليف بقراءة وتدبر الكون هو هدف ايمانى بالدرجة الاولى.. يقول الله تعالى:

﴿إن فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين، وفى خلقكم وما يبث من دابة لآيات لقوم يوقنون، واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون، تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾ (الجاثية٤٥ -٣:٦).

- وملخص القول:

- إذا أردتم يا أحباب! أن تكونوا من أهل الايمان فعليكم بتأمُّل كون الله المنظور!٠٠ ﴿إن فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين﴾ الجاثية :٠٣

- وإذا أردتم أن تكونوا من أهل اليقين فعليكم بالتدبر فى الانسان وممالك الدواب٠٠ ﴿وفى خلقكم وما يبث من دابة لآيات لقوم يوقنون﴾ الجاثية:٠٤

- وإذا أردتم أن تكونوا من أهل التفكر والتدبر والتعقل فعليكم بدراسة الكون، وتسخيره، والارتفاق بمفرداته - للنفع البشرى٠٠ النبات٠٠ والرياح٠٠ والزمان٠٠ والظواهر الكلية للكون٠٠ ﴿وإختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون﴾

- وإذا أردتم حصاد الايمان فعليكم بالقرآن٠٠ ﴿فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾ الجاثية:٠٦،٥

- فالكون يا أحباب! كتاب الله المنظور٠٠ والقرآن كتاب الله المسطور٠٠ متجدد الأسرار والآيات العلمية٠٠ ماعونان مسطوحان مفرودان للبَيَان والتِبيَان٠٠ ولإثراء المعارف والعلوم البشرية٠

﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ (فصلت٤١:٥٣)٠

فالعلم البشرى يا أحباب! - حصيلة تراكمية لفكر الأجيال٠٠ ويُثرى كل جيل ويُضيف إلى معارف الجيل الذى سبقه، بِتواصل وبلاَ إنقطاع٠

- وفى شأن القراءة العادية للسجل البشرى يقول الأستاذ عباس محمود العقاد: (إنه يقرأ لا رغبة فى الانعزال عن الحياة، بل لأن حياة واحدة - هى حياته الشخصية - لاتكفيه، وإنما هو فهم لدروس وعبر وخلاصة أكثر من حياة واحدة، والقراءة هى الوعاء الأكبر لعبر ودروس الآخرين، بمعنى أنها سجل البشرية٠٠ سجل العبقرية والإتقان والإبداع، والتميز والتفوق)٠٠ فما بالكم يا أحباب! بقراءة وتَدَبُر سنن الله تعالى فى الكون والقرآن٠٠ والارتفاق والانتفاع بما فى كَوْنَى الله٠٠ كون الله المنظور، وكون الله المسطور؟!٠٠

- وقراءة الكون٠٠ و الغوص فى جواهر مفرداته٠٠ تقدم للمسلم ولغير المسلم علماً يقينياً٠٠ دليلاً على قدرة وإبداع الخالق٠٠ ودليلاً على صدق رسالة الاسلام٠

- نحن مكلفون بأن ندرس، ونبحث، ونتدبر، ونعقل، ونُدَوِن، ونكتب٠٠ ويقرأ عنا الآخرون٠٠ وكل هذا يا أحباب! فريضة على كُلِّ مسلمٍ ومسلمة٠

- ولكل شىء فى الوجود طُرُقُهُ الخاصة فى التعرف عليه، ورصده، وقيَاسه٠٠ وعلى وجه العموم فإن الانسان مكلّف مطالب بإعمال كل حواسه السمعية والبصرية والقلبية والعقلية٠٠ لدراسة وتفهم وإرتفاق كل شىء فى الكون والقرآن٠٠ فهى

إذن قراءة ودراسة لعلوم تجريبية.. مبنية على المشاهدة والرصد والتجربة والأدلة والبراهين.. لمكونات نظام كونى مُنَظَمٍ مُنْتَظِمٍ.. لاتبديل، ولا تحويل لسُننه وآياته.. ﴿فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً﴾ (فاطر٣٥:٤٣)

- والكون يا أحباب! هو عبارة عن وجود ﴿كل شىء﴾ فى العالم، وهو مرادف للوجود المطلق.. ومعناه السموات والأرض وما بينهما.. من مجرات، وبروج، ونجوم، وكواكب، وكل ما خلق الله من شىء - جماد، ونبات، وحيوان، وإنسان، وغلاف الأرض، ومادة الفضاء، والمادة، والمادة المضادة، وتأثيرات القوى الكونية، والقوى المضادة.

- ومعلومات العلماء خاصة.. والبشر عامة.. عن ثراء الكون بسيطة، فقيرة، متباينة، لأنها مبنية على فرضيات تخمينية.. فمعرفتنا عن مكونات الفضاء، وعن النظام الكونى: الشمس ومجموعتها الكوكبية، وحتى عن مكونات الأرض، وغلافها الجوى لا زالت فى بداية الطريق.. وأما معلوماتنا عن المجرات والسحب الكونية الواقعة بين المجرات، وعن النجوم البعيدة، وكواكبها وأقمارها.. فلا زالت ألغازاً علمية كبيرة - أمام علماء الفضاء، والعلوم، والفلك، والطبيعة، والرياضيات، والكيمياء، والبيولوجيا.

- والعلماء لايعرفون فك لغز كمية المادة فى الكون ؟!.. ولا يعرفون كنه الكون ؟!.. وما إذا كان مفتوحاً إلى مالانهاية ؟!.. أم أن الكون مغلق ؟!.. وهل تبدأ كتلة الكون فى إعادة ضم المجرات المتمددة؟!..

- والمادة الكونية الماثلة أمام العلماء ولهم عنها بعض المعلومات لاتزيد على١٠٪ من مادة الكون!.. والباقى وقيمته٩٠٪ من مادة الكون - هى فى واقع الحال مادة سوداء، ذات تكوين مجهول، ويسميها العلماء بالكتلة المفقودة وهى الكتلة الأكبر، والكون يتمدد فى مجالها.. ويقول الله تعالى: ﴿وإنا لموسعون﴾

وتوصّل العلماء أخيراً إلى ثقوب كونية سوداء، وهى نقط للجاذبية، ومن القوة بحيث تمتص كل شىء.. بما فى ذلك الضوء والماء و ﴿كل شىء﴾.. وهو مالم يتم التعرف عليه ورصده من قبل ويشغل بال العلماء الآن، انبناءا على بعض ماعرفوه عن المادة، البحث عن مجرات المادة المضادة.. بمعنى أنه إذا تصادمت مجرات تكويناتها من المادة العادية مع مجرات مكونة من المادة المضادة فيحدث فناء كوني - من هذا التصادم، أو الإلتقاء.. وتنتج إنفجارات ذات طبيعة إشعاعية مميزة بأشعة جاما وغيرها بما لم يحط به الإنسان علماً.

- وللمجرات والنجوم والكواكب مواقع ذاتية ومسافات بينية هائلة، لا يمكن

تصورها.. فيقول تعالى: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ (الواقعة: ٧٥، ٧٦).. ولكل شيء فى الوجود زمانه وأجله! ﴿لكل أجل كتاب﴾ (الرعد:٣٨)..، ولكل شيء حركته المنتظمة البسيطة فى ذاتها.. أى أنها حركة منتظمة وبسيطة لكل مجرة، ولكل نجم، ولكل كوكب، ولكل قمر، لكنها حركة نسبية مركبة فيما بين النجوم، والكواكب، والأقمار بحسب سرعاتها، وبحسب مواقعها فى الكون.. وبحسب كتلة كل منها.. ويقول تعالى: ﴿وكل فى فلك يسبحون﴾ (يس:٤٠).. ومن قراءة المسافات، والازمان، والسرعات، والكتل، والاوزان الكونية كانت قوانين الميكانيكا لنيوتن!.. - لكن نيوتن أهمل نسبية الحركة (أهمل الربط بين الزمان والمكان فى آن واحد)!!.. فكانت بعده وبأمد طويل قوانين نسبية أينشتين، ومجالها محدود زمانه ومكانه كونياً!!.. فأينشتين أهمل أثر تكرار المدة، أى تكرار الافعال لمدد طويلة ولتكرارات عديدة؟!.. فنظرياتهما تواجه عديداً من المآزق!!.. ربما!! والله أعلم.. تفسر نظرية الإختلال لفيغنبوم مآزقهما؟، ومن عجب! أن كل هذا ويزيد!!.. وارد بالقرآن والسُنة..

- من هنا يا أحباب! فالكون والقرآن والسنة هم مصدر الهام العلماء!.. وتقابل نظرياتهم مآزق فى مواجهة عُمق الكون ومكوناته، لكن تبقى الآيات الكونية القرآنية منجماً إعجازياً متجدداً لسنن الله فى الكون بقدر إدراكنا للأشياء؟!.. فالحركة الكونية فى بساطتها وتعقيداتها - هى حركة بتدبير من الله سبحانه وتعالى، وبقدرته، وبعزته..﴿ألا له الخلق والأمر﴾ (الأعراف:٥٤).. ﴿يدبر الأمر﴾ (الرعد:٢).. ﴿إن العزة لله جميعاً﴾ (يونس:٦٥)

وحركة النماء فى النبات، والحيوان، والإنسان، وحركة الانتقال للحيوان والانسان، وإلى منتهى الحياة.. تتم بإرادة الله سبحانه وتعالى.. إلى الأجل المحدد بعلمه جلّ جلاله!.. وكذلك فالبعث وعود الحياة أمور يختص بها الله سبحانه وتعالَى.. ﴿رب كل شيء﴾.. وسبق أن ذكرنا وكررنا يا أحباب! أن التدبير الالهى يقابله تكليفنا باستنهاض إرادة الحياة القوية العزيزة الكريمة.. حيث يُذكرنا رسول الله ﷺ: ﴿المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف﴾ .. فهل آن الأوان أن نأخذ هذا الاشارات وتلك التكليفات.. بدراسة الكون!.. مأخذ البحث والتعمق والتطبيق، سبيلا إلى إرارة الحياة.. وقوة مجتمع وأمة؟!.. ويعرف هذا المجال فى لغات الأقوام بلفظ (كوزموس) فى الإنجليزية والفرنسية COSMOS، وفى اللاتينية COSMUS، وفى الألمانية KOSMOS، وفى الروسية KOCMOC، وأساسيات المجال هذا مبنية على ماورد بالكتاب والسنة؟!..

- وللأسف الشديد!.. فإن من يريد أن يغوص ويتعمق فى هذا المجال عليه بمرجعيات الكوزمولوجى فى مؤلفات الغرب، أو بالتراجم النادرة، والمتأخرة - فى بلاد العرب.. نحن مكلفون بإعمال هذه العلوم ونواتجها فى حياتنا اليومية يا أحباب!..

٣- علم الكون فى القرآن والسنة!

- سألت ابنتى: وما علاقة علم الكون بالقرآن والسنة ؟!..

- وأجبت: يابنيتى! علم الكون هو العلم الذى يبحث فى قوانين العالم، ذلك من جهة أصله وتكوينه، أما علم الكون العقلى (الكوزمولوجيا العقلية) فهو العلم الذى يبحث فى مسائل الكون المتعلقة بأصله وطبيعته من جهة أنه واقع متعين خارج الذهن!..

- وإذا كان القرآن الكريم - كتاب الله المسطور - أنزله الله نوراً وهدى ورحمة للعالمين يبشر المؤمن وينذر الكافر، إلا أنه قد حَوَى الكثير من الدلالات والمعجزات الحسية الكونية بقدر إدراكنا لمعانى الآيات فى الإجمال وفى وحدة الموضوع، ومعانى السور ومقاصدها، ومعانى المفردات فى التفصيل والجوهر.

- وكما أن الكون كل لايتجزأ.. فإن القرآن كل لايقبل التجزئة كذلك.. وإلا كان الفساد.. وحلّ الاختلال.. ووقع الدّمَار.. وتلك سُنّةٌ من السنن الكونية والاجتماعية.. وردت على سبيل التنوع والشمول فى مجمل القصص القرآنى.. قصص أنبياء الله ورسله إبراهيم.. وداود.. وسليمان.. ونوح.. وصالح.. ولوط.. وموسى.. وعيسى.. ومحمد.. صلوات الله عليهم جميعاً!.. فدينُ الله واحد ورسالاته متممه بعضها البعض.

- وتقفز البشرية كل يوم يا أحباب! بالعديد والجديد من المعلومات!.. إلا أننا وعلومنا ومعارفنا البشرية فى تبديل مستمر!.. ونستطيع أن نسلم بداهة أنه لا يوجد رأى نهائى فى العلم البشرى!..

- وتزداد المعارف، ويترسخ الفكر، ويقترب العلم والمعارف والفكر البشرى فى النهاية إقتراباً حثيثاً من مائدة القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ.. وعلى هذا فلا حجية مقطوع بها إلا لما ورد فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بحسب أن الاسلام هو الرسالة الخاتمة التى هضمت كل الرسالات وحوت جواهرها!..

٠٣ القرآن كتاب منهج وخبرة وحكمة!

- سأل ولدى: وهل القرآن كتاب منهج علمى وخبرة تطبيقية ؟!

- أجبت: نعم يا ولدى! القرآن كتاب الله المسطور المقروء٠٠ والقرآن مرآة للكون وتوصيفاً له!٠٠ هو كتاب كريم مجيد، لاريب فيه، نزل بالحق٠٠ والقرآن الحكيم يا ولدى! كتاب علم وخبرة من لدن عليم خبير، كتاب حكمة وعلم من لدن حكيم عليم، كتاب مُبين، لا عوج فيه، منزل من العزيز الحكيم العليم الخبير، أنزله الله على رسولنا الكريم ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم - صراط العزيز الحميد، فيه التكاليف والفرائض٠٠ ولاتكلف نفس إلا وسعها!٠٠ كتاب مبارك، وفيه بركات لاتعد ولاتحصى تستحق التذكر والتدبر٠٠ من هنا كان التفكر والتدبر وإعمال العقل من ضمن الفرائض الإسلامية!٠٠

﴿قرآناً عربياً غير ذى عوج - لعلهم يتقون﴾٠٠ ﴿ولعلهم يعقلون﴾٠٠ ولينذر به الناس أجمعين!٠٠

ويسر الله القرآن للذكر، وعلم الله القرآن، وأنزله الله بالحق على محمد رسوله، وجمعه فى قلبه، وتولى الله حفظه إلى يوم الدين٠٠ هو قرآن عربى، مبين مجيد، كريم، حكيم٠٠ وهو الكتاب المقدس عندنا نحن المسلمين!!

يقول تعالى: ﴿ما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون﴾ (العنكبوت٢٩:٤٨)

ويقول تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روْحاً من أمرنا ما كنت تدرى مالكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم، صراط الله الذى له مافى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور﴾ (الشورى٤٢:٥٢،٥٣)

- القرآن يا ولدى! هدى، ونور٠٠ نور من الله تعالى أنزله على رسولنا ﷺ ٠٠

﴿قل ماكنت بدعاً من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلى وما أنا إلا نذير مبين﴾

رسول الله ﷺ الذى جاء بالدين الحق ليظهره على الدين كله، وليخرج الناس من الظلمات إلى النور٠٠ وفوق كل هذا وذاك فإنه الله٠٠ هو الذى يصلى علينا وملائكته ليخرجنا من الظلمات إلى النور، وكان بالمؤمنين رءوفاً رحيماً٠ ويطالبنا

الله تبارك وتعالى بالتدبر فى الكون والقرآن، والتعقل فى مضمون اياته، وتَعَلّم علومه،

- فالقرآن كتاب علم وخبرة وحكمة الهيٓة مُنزل ممَّن خلق الأرض والسموات العلى.. وهو هدى وهداية للحياتين الدنيا والاخرة.. وما يعلم تاويله الا الله.. وجاء ذلك كله فى قوله تعالى:

﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ (غافر٤٠:٢)

وقوله تعالى: ﴿تنزيل من الله العزيز الحكيم﴾ (الأحقاف٤٦:٢) (الجاثية٤٥:٢)

وقوله تعالى: ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم * إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين﴾ (الزمر ٣٩:١،٢)

وقوله تعالى: ﴿تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾ (السجدة ٣٢:٢)

وقوله تعالى: ﴿والذى أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقاً لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير﴾ (فاطر ٣٥:٣١)

وقوله تعالى: ﴿كتاب أنزل إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين﴾ (الأعراف ٧:٢)

وقوله تعالى: ﴿ألر تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ (يونس١٠:١)

وقوله تعالى: ﴿ألر تلك آيات الكتاب المُبين﴾ (يوسف١٢:١)

وقوله تعالى: ﴿ألمر تلك آيات الكتاب والذى أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لايؤمنون﴾ (الرعد١٣:١)

وقوله تعالى: ﴿ألر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾ (الحجر١٥:١)

وقوله تعالى: ﴿تلك آيات الكتاب المبين﴾ (الشعراء٢٦:٢)

وقوله تعالى: ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ (لقمان٣١:٢)

وقوله تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب﴾ (ص٣٨:٢٩)

وقوله تعالى: ﴿إنا جعلناه قرآناً عَرَبياً لعلكم تعقلون﴾ (الزخرف٤٣:٣)

وقوله تعالى: ﴿كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون﴾ (فصلت٤١:٣)

وقوله تعالى: ﴿قرآناً عربياً غير ذى عوج لعلهم يتقون﴾ (الزمر٣٩:٢٨)

وقوله تعالى: ﴿وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً﴾ (طه٢٠:١١٣)

- من كل ماتقدم ياولدى! نحن مطالبون بإجادة العربية كوعاء لرسالة الاسلام!.. مطالبون نحن بتعريب التعليم المتوسط والعالى على إمتداد الوطنيين العربى

والإسلامى!.

- ولا يقصد يا أحباب! بالتعريب تعريب التعبير فتلك نظرة قاصرة!.. بل إن جوهر التعريب يكمُن فى التفكير أولا.. ثم فى التعبير تبعاً.. و من هنا تتجسد المسئولية فى إعتماد اللغة العربية لغةَ علمٍ تدريساً، وبحثاً، وتأليفاً بديلاً عن اللغات الأجنبية، ولابد أن تكون اللغة العربية لغة فكرٍ ولغةِ علمٍ معاً.. حتى لانظل تابعين فكرياً وثقافياً!..

- والاستقلال الفكرى واللغوى روح وجسد.. لايقبلان التجزئة ولا تناسخ بينهما!.. فماعون ووعاء الفكر اللغة، ولا يتصور تهجيناً هزيلاً بين التغريب الفكرى واللغة ينتج عنهما كيان حضارى.. أو حتى إستمرار لهوية.. فهذا هو الضياع بعينه يا سادة!..

- صحيح ياولدى! التعريب سابق.. والفكر تابع.. لكن تبقى الخبرة الثقافية العامة، والمعارف البشرية الحديثة فى العلوم الجمادية غذاء لا غنى عنه للتعريب والفكر..!!

- من هنا فالدعوة للتعريب دعوة مرنة لابد وأن تدعمها حركة ترجمة فعالة، وصلاً بالحضارات والمنجزات البشرية.. وهذا حق فطرى أصيل من حقوق البشر على وجه الأرض!.. ونصادف صواباً إذا نشرنا تحفيظ القرآن الكريم.. كله أو بعضه.. مع إلتزام كل وسائل الإعلام والإتصال الجماهيرى باللغة العربية.. وأقصد بها الفصحى اليسيرة التى تصل الى عامة الناس!..

- ياولدى! قرآننا دستور ومنهج من الله أحكم الحاكمين، علام الغيوب، الخبير، العزيز، خالق كل شىء.. وتأمل ياولدى! قوله تعالى: ﴿وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم﴾ (النمل٢٧:٦).. وقوله تعالى: ﴿الر كتاب أحكمت آياته من لدن عليم خبير﴾ (هود١١:١).. وقوله تعالى: ﴿تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العلى﴾ (طه٢٠:٤)

- فالقرآن والحال كذلك يا ولدى! كتاب خبرة.. كتاب حكمة.. كتاب إطار - إطار فكر وعلم.. منزل من لدن حكيم عليم.. منزل من لدن عليم خبير.. وفى الإجمال فالقرآن كتاب فكر، وعلم، وخبرة، وحكمة إلهية!.. كتاب منزل من الله سبحانه وتعالى، خالق الكون كله!!

- والقرآن يا ولدى! كتاب العبر فى الخَلق والتسخير والتدبير الكونى.. كتاب العبر فى التشريع البشرى.. اقتصادياً واجتماعياً وحضارياً!.. ويصف ربنا تبارك وتعالى القرآن بقوله: ﴿ق والقرآن المجيد﴾ (ق٥٠:١).. وقوله تعالى: ﴿إنه لقرآن

كريم﴾ (الواقعة٥٦:٧٧).. وقوله تعالى: ﴿بل هو قرآن مجيد﴾ (البروج٨٥:٢١).. وقوله تعالى: ﴿ألم، ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ (البقرة٢:١-٥).

- وقوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ (آل عمران٣:٧)

- والله نور السموات والأرض.. ورسوله محمد ﷺ نور.. والقرآن نور.. نزل به الروح الأمين على الرسول النور.. نور على نور، يهدى الله لنوره من يشاء!!

﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ (المائدة٥:١٥)

﴿نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء﴾ (النور٢٤:٣٥)

- فياقوم! أى شرف هذا حلّ بأمة محمد ﷺ جاءهم من الله نور محمد ﷺ ، ونور القرآن.. وآمرنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.. جاءنا نور منه الله جل فى علاه.. وأسأنا الفهم، وأسأنا التصرف، وآخسَنّا التّرْك والإهْمَال - فكانت التبعية، وكان التخلف.

٠٤الإشارات العلمية فى القرآن

- سألت ابنتى: وما علاقة القرآن بالعلم؟!..

- أجبت: يابنيتى! العلم مبتداه وجوهره ومنتهاه من الله سبحانه وتعالى.. فلا علم بلا مدخلٍ ومسمى.. ولا علم بلا جوهر ومضمون وتأثير وتأثر، وغاية ونفع، وأثر وضرر.. وتأملى يابنيتى! قول الله تعالى:

﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ (البقرة٢:٣١،٣٣)

ويابنيتى! لله وحده العلم المطلق!.. والله قد أحاط بكل شىء علماً، وهو أعلم العالمين، ولا إحاطة بعلم الله، ومن يعلم الشىء البسيط من علم الله فبمشيئة منه

جلّ جلاله•• وما علمُنا الا اليسير القليل•• والله محيط بكل العلم وكل الاشياء••
يقول تعالى: ﴿إنّ الله قد أحاط بكل شىء علماً﴾ (الطلاق٦٥:١٢)
ويقول تعالى: ﴿ولا يحيطون به علماً﴾ (طه٢٠:١١٥)
ويقول تعالى: ﴿ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء﴾ (البقرة٢:٢٥٥)
ويقول تعالى: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ (الإسراء١٧:٨٥)

- والحقائق العلمية فى القرآن حقائق ثابتة من الحق سبحانه وتعالى إكتشفها الإنسان، أو لم يكتشفها فهذا شأنه•• ولابد أن نزيح عن الاذهان فكراً جزئياً فيما يخص أن الحقيقة العلمية ليست فقط متعلقة بعلوم الجماد•• ولكنها متعدية لتشمل الحياة الإجتماعية والإقتصادية لأمور يعلمها الله سبحانه وتعالى عن النفس البشرية المتباينة بين الأمارة، واللوامة، والمطمئنة•• ويعلمها جل جلاله عن الأسر، والمجتمعات، والشعوب، والكوكب، والكواكب، والكون كله!••

وإرجعى يابنيتى! إلى كل علوم الدنيا التطبيقية وراجعى أهم المراجع البشرية المحايدة فستجدين إنصافاً ما بعده إنصاف للإشارات العلمية فى القرآن الكريم لجميع علوم الجماد والإقتصاد والإجتماع!•• وطالعى يابنيتى! كتاب الإشارات العلمية فى آيات القرآن•• وأمامك يابنيتى! أهم مراجع ومصادر هذا العمل إقرأى وراجعى!•• لعل في ذلك الزيادة والإفادة!•• ومما لاشك فيه ستشعرين بالسرور والفَخار أن كل حقائق العلم والكون تتفق وآيات القرآن وإشاراته الإعجازية!••

من كل مثل!!

- سأل ولدى الاكبر: هل معنى هذا أن الشمولية العلمية متحققة فى القرآن؟!

- أجبت: بالقطع متحققة يا ولدى! فالله جلّ جلاله محيطٌ بالعلوم على اطلاقها•• وعلى هذا جاء الورود القرآنى شاملا كل نشاطات الحياة الكونية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية•• على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع والدولة والأمة والبشرية•• فالقرآن والحال كذلك تكامل علمى وثقافى•• تحدد فيه المنهج•• منهج العلوم الكونية ومنهج العلوم الفقهية العادية (فقه العبادات والمعاملات) ومنهج فقه الحياة فى شتى دروبها•• فى كل شىء!•• تأمل ولدى! قول الله تعالى:

- ﴿ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾

(الإسراء١٧:٨٩)
- ﴿ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون﴾ (الزمر٣٩:٢٧)
- ﴿ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شىء جدلاً﴾ (الكهف١٨:٥٤)
- ﴿ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون﴾ (الروم٣٠:٥٨)

والاسلام يا ولدى! دين الفطرة الإختيارية!.. وأمثال القرآن فطرية - يتقبلها كل الناس وكل الأعمار!..

- ديننا يا ولدى! دين الفطرة البشرية التى خلق الله الناس عليها.. يقول تعالى:
- ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون، ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون، ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين، ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون، ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماءً فيحيى به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون، ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون، وله من فى السموات والأرض كل له قانتون، وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم، ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء فى ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون، بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدى من أضل الله وما لهم من ناصرين، فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (الروم٣٠:٢٠-٣٠)

- و تُجملُ آيات النظر وأمثال القرآن وقصصه - منهاجا لفقه الحياة!..
- ولايعلم الأثر المباشر لمنهج الاسلام وكذلك آثاره طويلة المدى وقصيرته إلا الله تعالى!.. ولنتأمل قوله جل جلاله:
- ﴿فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لاتعلمون﴾ (النحل١٦:٧٤)
- ﴿أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً﴾ (الإسراء١٧:٤٨)، (الفرقان٢٥:٩)
- ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ (العنكبوت٢٩:٤٣)

- ﴿وكلاً ضربنا له الأمثال وكلاً تبرنا تتبيراً﴾ (الفرقان٢٥:٣٩)

- ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ (الحشر٥٩:٢١)

- ﴿أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال﴾ (الرعد١٣:١٧)

- ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾ (إبراهيم١٤:٢٤،٢٥)

- ﴿وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال﴾ (إبراهيم١٤:٤٥)

- ﴿ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون﴾ (الأعراف٧:١٧٧)

- ﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ (النحل١٦:١١٢)

- ﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لايعلمون﴾ (الزمر٣٩:٢٩)

- ﴿فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين، فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين، فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين ،ولما ضُرِبَ ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون، وقالوا ءآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون، إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبنى إسرائيل، ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون﴾ (الزخرف٤٣:٥٤-٦٠)

- ويا ولدى! ما جاء عالم وما إستطاعت البشرية مجتمعة أن تجد تناقضاً بين فقه الجماد وفقه الحياة فى نصوص القرآن منذ زمن التنزيل وحتى قيام الساعة.. ولا تخلط يا ولدى!! بين الإسلام وبين أحوال المسلمين.. فالعيب فينا والخِصْب والثراء فى ديننا وكتابنا المقدس القرآن الكريم!..

هـل شعـرتـم بجوهر ما أقـول ؟!.. الله أسأل ذلك!..

٥ سنة رسول الله هداية

- سأل ولدى: وهل شمولية السنة كشمولية القرآن ؟!..

- أجبت: ياولدى ! الشمولية واحدة هى هى!.. فالقرآن دستور ومنهج، والسنة دستور حي ومنهج تطبيقي!.. السنة يا ولدى ! قرآن حي!.. ويقول الله تعالى فى شأن الرسالة والرسول ﷺ:

﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ (آل عمران٣:١٤٤)

ويقول تعالى: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً﴾ (الاحزاب٣٣:٤٠)

ويقول تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم﴾ (محمد٤٧:٢)

ويقول تعالى: ﴿وهو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً﴾ (الفتح٤٨:٢٨)

ويقول تعالى: ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ (التوبة٩:٣٣)، (الصف٦١:٩)

ويقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى انزل على رسوله والكتاب الذى نزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾ (النساء٤:١٣٦)

ويقول تعالى: ﴿ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون﴾ (النور٢٤:٥٢)

ويقول تعالى: ﴿يُصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ (الاحزاب٣٣:٧١)

ويقول تعالى: ﴿وأطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ (الأنفال٨:٤٦)

ويقول تعالى: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ (المائدة٥:٥٥)

ويقول تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى﴾ (النجم٥٣:٣،٤)

ويقول تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم﴾ (الشورى٤٢:٥٢)

ويقول تعالى: ﴿وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم﴾ (النمل٢٧:٦)

ويقول تعالى: ﴿وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم﴾ (المؤمنون٢٣:٧٣)

ويقول تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ (القلم٦٨:٤)

ويقول تعالى: ﴿نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء﴾ (النور٢٤:٣٥)

- وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿تركت فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي﴾ الحديث رقم ٣٢٣٢ فى صحيح الجامع.

- وردد جميع الأنبياء لأقوامهم: ﴿إن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ !!

- ومن وصايا أمير المؤمنين على ابن أبى طالب لعبد الله ابن عباس لما بعثه للاحتجاج إلى الخوارج قال موجهاً: (لا تخاصمهم بالقرآن فإن القرآن حمّال ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكن حاججهم بالسنة فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً).. !!

- ومعنى حمّال أى يحمل معانى كثيرة إن أخذت بأحدها احتُجّ بالآخر.. ومعنى محيصاً: مَهْرَباً.. بمعنى أن السنة هى التطبيق الحى لجوهر القرآن.. بما لايقبل إساءة التأويل أو الفهم ؟!..

- وعلى هذا فالقرآن والسنة هما الاطار السماوى المرجعى لفقه الحياة بكل أبعادها وسننها الكونية وفقهها الحياتى الثقافى والحضارى.. وهما غير قابلين للتجزىء والتبعيض.. فيهما التدرج والتعذير والتسهيل والسماحة.. هما عبادة.. وثقافة.. وحضارة.. وهما تربية.. وهما أخلاق.. وهما علاقات أسرة.. وأحكام مجتمعات.. وهما اعلام واتصال.. وهما محددا التغيرات الاجتماعية.. وهما العلاقات بين الشعوب والأمم!..

- وشمولية الكون كشمولية القرآن والسنة.. والاسلام يفتح الباب على مصراعيه للتفقه.. واعمال العقل.. والفكر.. والابتغاء.. والجِد.. والعمل!.. والاسلام يعتنى بفقه العبادات والمعاملات وبفقه الحياة وسنن الكون - التاريخية، والاجتماعية، والأخلاقية - فى حبكة ربانية حقة..

- وتعج المكتبة العربية بثراء لانظير له فى فقه العبادات والمعاملات!..

- وبسبب الجدل والاختلاف الشكلي فى فقه المعاملات والفروع انقسمنا شيعاً وأحزاباً، و بسبب تغيبنا وبعدنا عن جوهر المنهج القرآنى فنحن فقراء بخجلٍ فى فقه الحياة !!

- ففقرنا فى السنن الكونية والعلوم الجمادية والإجتماعية فقر مُهين!.. هو فقر الترك والإهمال لشرائع السماء!.. ففى الوقت الذى يعنى القرآن الكريم بالسنن

الكونية والحياتية، وتورد السنة النبوية المشرفة الكونيات وأدق تفاصيل الحياة البشرية من كل الوجوه ـ بتدفقات تُذهِل العلماء غير المسلمين!.. فنحن عن هذا منصرفون لاهون عابثون!..

ـ ويرجع ذلك التناقض بين الاطار الاسلامى وواقع المسلمين إلى إنصرافنا عن العلوم التجريبية.. نحن غَرقَى الجَدل فى العبادات والمعاملات، والتشيع للمذاهب، والملل، والنحل!..

ـ ويَبدو للمَنصف الَراصد للواقع الحالى للمسلمين.. أننا عطلنا الأوامر القرآنية فيما يخص السنن الكونية والحياتية.. بالنظر فى الكون والقرآن والسنة.. ودراستهم الدراسة الإطارية المتعمقة الواجبة.. وتسخير الموارد الكونية لاسعاد مجتمعاتنا الاسلامية !!

ـ ولما كان ذلك كذلك.. جازفت بهذه المُدَارسة العقلية الاسلامية الايمانية بدراسة آيات النظر فى الكون والقرآن.. خالصة لوجه الله تعالى.. سائلاً المولى العلى القدير.. ان تفتح هذه المحاولة الباب أمام عمل مؤسسى منظم لمثل هذا الصنف من الدراسات.. لعلها خطوة على طريق العود بالأمة الاسلامية إلى سابق ريادتها الثقافية والحضارية والعلمية للبشرية جمعاء!..

٠٦ من خلق السموات والأرض ؟!

ـ قال ولدى: سألنى صديقى الحَيْرَان ! من خَلَق السموات والأرض ؟!..

ـ قلت: يا ولدى ! عليك أن ترد عليه السؤال بسؤال إعمالاً لقول الله تعالى:

ـ ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ (الزخرف٤٣:٩)

ـ ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ (لقمان٣١:٢٥)

ـ ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾ (العنكبوت٢٩:٦١)

ـ ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون﴾ (الزمر٣٩:٣٨)

- ﴿أم من خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون﴾ (النمل٢٧:٦٠)

وهكذا يا ولدى ! فإن آيات القرآن أوردت الاجابة على خَلق الله للسموات والأرض بالإستفهام الإستنكارى!··

- يا ولدى ! خلقهن العزيز العليم·· الذى لاشريك له فى الملك·· الواحد الأحد الفرد الصمد!··

- ويرد خلقهما كثيراً فى القرآن بنصوص فى خلق الأرض وحدها، وخلق السماء وحدها، وخلق السموات والأرض معاً، وخلق مابينهما· ويجمل القرآن·· وعلى وجه العموم·· خلقهما مع التسخير، والجعل فى الكون، والإنزال من السماء، والإخراج من الأرض، والإيلاج بين الليل والنهار، والتكوير بين الشمس والقمر، وتتابع الليل والنهار، وخلق الدواب، والنبات، والأزواج، وخلق آدم والبشر، وما يعملون وما يعلمون·· وبالإجمال يورد مع خلقهما خلق كل شىء فى الكون - حيث يقول تعالى: ﴿خالق كل شىء﴾··

- والشىء يا ولدى ! فى اللغة: هو مايصح أن يُعلم به، ويُخبر عنه، أو يُحكم عليه، وفى الاصطلاح هو الموجود، سواء كان وجوده خارجياً، أو ذهنياً، لذلك قيل الشىء، والثابت، والموجود - ألفاظ مترادفة·· فلا يطلق على المعدوم، وقيل للشىء هو مايصح أن يوجد، أما الممتنع أى المستحيل، أو المعدوم فيسمى شيئاً لغة، ولكنه ليس شيئاً بمعنى أنه غير ثابت·· ولذلك قيل الشىء حقيقة فى الموجود، ومجازاً فى المعدوم·

- والشيئية تساوى الوجود، وهى صحة العلم والإخبار عنه·· وسبحان الله العظيم إذ يقول تعالى فى شأن القرآن الكريم كون الله المعنوى ﴿مافرطنا فى الكتاب من شىء﴾·· وفى شأن الكون المادى يقول تعالى: ﴿وهو الخلاق العليم﴾·· ويقول تعالى: ﴿إنا كل شىء خلقناه بقدر﴾·· ويقول تعالى: ﴿الذى خلق فسوى﴾·· ويقول تعالى: ﴿الذى خلق سبع سموات طباقاً ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور﴾·· ويقول تعالى: ﴿بديع السموات والأرض﴾·· ويقول تعالى: ﴿هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شىء عليم﴾ (البقرة ٢:٢٩)·· ويقول تعالى: ﴿وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير﴾ (الأنعام٦:٧٣)··

ويقول تعالى: ﴿هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم مايلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ (الحديد٥٧:٤)٠٠ ويقول تعالى: ﴿وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾ (هود١١:٧)٠٠ ويقول تعالى: ﴿وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون﴾ (الانعام٦:٩٧)٠٠ ويقول تعالى: ﴿وهو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾ (الأعراف٧:٥٧)٠٠ ويقول تعالى: ﴿وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون﴾ (الأنبياء٢١:٣٣)٠٠ ويقول تعالى: ﴿وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين إثنين يغشى الليل النهار إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (الرعد١٣:٣)٠٠ ويقول تعالى: ﴿هو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (النمل١٦:١٤)٠٠ ويقول تعالى: ﴿وهو الذى أرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهوراً﴾ (الفرقان٢٥:٤٨)٠٠ ويقول تعالى: ﴿وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً﴾ (الفرقان٢٥:٥٣)

- والخلق والابداع جاء بالحق٠٠ والتسخير٠٠ والجعل٠٠ والانزال٠٠ والمد والبسط٠٠ والارسال - كل ذلك - ماكان لعباً ولهواً، بل كل ذلك صادر عن عزة وحكمة، قرين التكليف للانسان بالانتفاع والارتفاق والاستغلال لكل شىء على وجه الارض وفى الكون٠٠ حيث يقول تعالى ﴿هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعاً﴾٠٠ وقال عز من قائل ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾!٠٠

- والتكليف هنا يا ولدى ! لعموم الانسان الذكر والانثى ابتغاءً٠٠ وكدحاً٠٠ وعبادةً!!

٠٧ من خالق الإنسان وهاديه ورازقه ؟!

- سالت ابنتى: ماذا عن خلق الإنسان فى القرآن ؟!

- أجبت: يابنيتى ! الله خالق كل شىء٠٠ خلق الكون، وخلق الزمن، وخلق آدم من

عدم!.. وآدمُ خُلِقَ من تراب متفرداً منذ النشأة الأولى!..

- عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ﴿خلق الله التربة يوم السبت، وخلق منها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم يوم الجمعة، فى آخر الخلق، فى آخرساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل﴾ (أنظر الحديث رقم ٣٢٣٥ فى صحيح الجامع).

- وعن أبى موسى أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر، والأبيض، والأسود، وبين ذلك، والسهل، والحزن، والخبيث، والطيب، وبين ذلك﴾ أنظر الحديث رقم ١٧٥٩ فى صحيح الجامع.

- وعن السيدة عائشة أن رسول الله ﷺ قال: ﴿خُلقَت الملائكة من نور، وخُلقَ الجان من مارج من نار، وخُلِقَ آدم مما وصف لكم﴾ أنظر الحديث رقم ٣٢٣٨ فى صحيح الجامع.

- وخلق الله حواء من آدم.. وأهبطهما وإبليس إلى الأرض!..

ويخلق الإنسان من زوجية آدم وحواء.. يحدد الله لكل إنسان أربع أساسيات بعد الحمل بأربعين يوماً: الخَلق، والخُلق، والرزق، والأجل..

- وعن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ فُرِّغَ ابن آدم من أربع: من الخَلق، والخُلق، والرزق والأجَل﴾ (أنظر الحديث رقم٤٢٠٠ فى صحيح الجامع).

- هكذا خلق الله الانسان علمه البيان!.. سخر له الكون لحياته وخدمته وإسعاده.. وجعل حياته ميسرة مليئة بالخيرات لعله يتقى الله.. ويسلم ويؤمن.. ويعبد.. ويعمل.. ويكد.. ويتبع أوامر الله - التى نزلت على رسوله صلى الله عليه وسلم فى القرآن والسنة المشرفة!.. وفي الحديث الشريف استشهاد هداية ورزق بهذا الخصوص..

- عن أبى هريرة وأبى سعيد قالا أن رسول الله ﷺ قال: ﴿سبعة يظلهم الله يوم لاظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ فى عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا فى الله فإجتمعا على ذلك وإفترقا عليه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل دعته إمرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ما تنفق يمينه﴾ (أنظر الحديث رقم ٣٦٠٣ فى صحيح الجامع).

- وتبقى الحياة الكونية بإرادة الله بالنشأة الكونية (فى غالبيتها) من الأزواج

ـ من ماء التكاثر، أو من البيض، أو من البذور، أو من الشتلات.. الرطبة المائية.. لكل شىء !! فى حياة النباتات.. والطيور.. والحيوانات.. وحياة غالب كل شىء!..

ـ والخَلق والتسخير والتيسير والتدبير والبقاء والخلود والفناء وارد مشمول فى الآيات الكونية القرآنية!.. يقول تعالى:

﴿ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شىء فاعبدوه وهو على كل شىء وكيل﴾ (الأنعام٦:١٠٢)

ويقول تعالى: ﴿هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون﴾ (غافر٤٠:٦٧)

ويقول تعالى: ﴿هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون﴾ (الانعام٦:٢)

ويقول تعالى: ﴿وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع ثم فصلنا الآيات لقوم يفقهون﴾ (الأنعام٦:٩٨)

ويقول تعالى: ﴿وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فى ماآتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾ (الأنعام٦:١٦٥)

ويقول تعالى: ﴿وهو الذى أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الإنسان لكفور﴾ (الحج٢٢:٦٦)

ويقول تعالى: ﴿هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض فمن كفر فعليه كفره ولايزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتاً ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خساراً﴾ (فاطر٣٥:٣٩)

ويقول تعالى: ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً﴾ (الفتح ٤٨:٢٨)

ويقول تعالى: ﴿هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور وإن الله بكم لرءوف رحيم﴾ (الحديد٥٧:٩)

ويقول تعالى: ﴿هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين﴾ (الجمعة٦٢:٢)

ويقول تعالى: ﴿هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾ (الملك٦٧:٢٣)

ويقول تعالى: ﴿هو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً﴾ (الفرقان٢٥:٥٤)

ويقول تعالى: ﴿هو الذى يحيى ويميت فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ (غافر٦٨:٤٠)

ويقول تعالى: ﴿هو الذى يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقاً وما يتذكر إلا من ينيب﴾ (غافر١٣:٤٠)

ويقول تعالى: ﴿هو الذى أنزل من السماء ماءً لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون﴾ (النمل١٦:١٠)

ويقول تعالى: ﴿هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ (يونس٦٧:١٠)

ويقول تعالى: ﴿وهو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾ (يونس٢٢:١٠)

يقول تعالى: ﴿هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعاً﴾ (البقرة٢٩:٢)

ويقول تعالى: ﴿وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لايحب المسرفين﴾ (الأنعام١٤١:٦)

وقوله تعالى: ﴿وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد﴾ (الشورى٢٨:٤٢)

ويقول تعالى: ﴿هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ (يونس١٠: ٥)

ويقول تعالى: ﴿وهو الذى ذرأكم فى الأرض وإليه تحشرون﴾ (المؤمنون٢٣: ٧٩)

ويقول تعالى: ﴿وهو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً﴾ (الأحزاب٣٣: ٤٣)

- ويا أحباب ! الإنسان كائن عاقل.. لذلك يتنوع الخطاب العقلى القرآنى بين الحقيقة والمشاهدة.. تأملوا قول الله تعالى:

﴿تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور، الذى خلق سبع سموات طباقاً ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير﴾ (الملك٦٧: ١ـ ٤)

وقوله تعالى: وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون، والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم، والقمر قدرناه حتى عاد كالعرجون القديم، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر، ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون﴾ (يس ٣٦: ٣٧ـ٤٠)

ـ ويا أحباب ! يتنوع الدليل العقلى فى آيات القرآن عل وحدانية الله سبحانه وتعالى: ﴿ لو كان فيهما ءالهة إلا الله لفسدتا فسبحن الله رب العرش عما يصفون، لايُسأل عما يفعل وهم يسئلون، أم إتخذوا من دونه ءالهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معى وذكر من قبلى بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون﴾ (الانبياء ٢١: ٢٢ـ ٢٤)٠

﴿ما اتخذ الله من ولد، وما كان معه من إله، إذاً لذهب كل إله بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض، سبحان الله عما يصفون﴾ (المؤمنون٢٣: ٩١)

﴿ أفمن يَخلق كمن لايَخلق أفلا تذكرون﴾ (النحل١٦: ١٧)

ويا أحباب ! يقدم القرآن الكريم لهذا الإستفهام التوبيخى الإستنكارى بستة عشر آية فى سورة النحل ١ـ ١٦ حيث يقول تعالى:

﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون، ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لاإله إلا أنا فاتقون، خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون، خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين، والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون، ولكم فيها جَمَالٌ حين تريحون وحين تسرحون، وتحمل أثقالكم إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لاتعلمون، وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين، هو الذى أنزل من السماء ماءً لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لأية لقوم يتفكرون، وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن فى ذلك لأيات لقوم يعقلون، وما ذرأ لكم فى الارض مختلفاً ألوانه إن فى ذلك لاية لقوم يذكرون، وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون، وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون، أفمن يخلق كمن لايخلق أفلا تذكرون﴾ (النحل١٦: ١ـ١٧)

ـ ويا أحباب ! تتكرر مراراً المقدمة والنتيجة العقليتين٠٠ وتأملوا قوله تعالى:

﴿خلق السموات بغير عمدٍ ترونها، وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم، وبث فيها من كل دابة، وأنزلنا من السماء ماءً، فأنبتنا فيها من كل زوجٍ كريمٍ، هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه، بل الظالمون فى ضلال مبين﴾ (لقمان٣١:١٠،١١)

- حقاً يا أحباب ! هو الله الواحد الأحد.. كل شيء من خلقه وجعله وإبداعه وتنزيله وإنزاله وبعثه ووحيه.. كل شيء من تسخيره وتدبيره وحده لا شريك له فى ملكه.. هو الواحد الأحد الفرد الصمد لا إله إلا هو.. الحي القيوم.. جل جلاله القائل فى محكم تنزيله:

- ﴿قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد﴾ (الاخلاص١١٢:١-٤)

- ﴿قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والأرض﴾ (إبراهيم١٤:١٠)

- ﴿الله لا إله إلا هو، الحى القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، له ما فى السموات وما فى الأرض، من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، وسع كرسيه السموات والأرض، ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم﴾ (البقرة٢:٢٥٥)

- ﴿الله لا إله إلا هو الحى القيوم﴾ (آل عمران٣:٢)

- ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ (الشورى٤٢:١١)

إنشاء وتسخير وتدبير الكون

١- الإنشاء الكونى

- سألت ابنتى: أفهم معنى إنشاء عمارة أو كوبرى، لكنى لا أفهم معنى إنشاء الكون؟!

- قلت: يابنيتى! أنشأ الله الكون فنشأ.. وأنشأ الخَلق فنشأوا ﴿وأن عليه النشأة الأخرى﴾.. أما إذا إستنشأنا شركة مقاولات كوبرِيًا أو عِمَارَة فأنشأتها لنا.. فهذا معناه تكامل أعمال وأفعال.. ومن أين نشأت ؟! معناه نهضت ؟!.. ونشأت السحابة!.. معناه أنشأها الله.. وتأملى يابنيتى! قول الله تعالى:

﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها، رفع سمكها فسواها، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها، والأرض بعد ذلك دحاها، أخرج منها ماءها ومرعاها، والجبال أرساها، متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ (النازعات ٧٩:٢٧-٣٣)

﴿أفرأيتم النار التى تورون، أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون﴾ ؟! (الواقعة٥٦:٧١-٧٢)

﴿أفرأيتم الماء الذى تشربون، أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون﴾ ؟! (الواقعة٥٦:٦٨-٦٩)

﴿أفرأيتم ما تحرثون، أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾ الواقعة(٥٦:٦٤)

﴿أفرأيتم ما تمنون، أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾ (الواقعة٥٦:٥٨،٥٩)

بهذا كان الاستفهام الاستنكاري القرآني حول الخلق والتسخير والتدبير الرباني التى لا طاقة لكل البشر ببعض من أصاغرها.. حتى لو إجتمعوا له ؟!:

- سؤال حول خلق السماء ؟!
- وسؤال حول نشأة المجموعة الشمسية ؟!
- وسؤال حول إنزال الماء ؟!
- وسؤال حول الزرع والزراعة ؟! فنحن نحرث عملاً وأداءً!.. ونزرع مجازاً!!
- وسؤال حول الخَلق البشرى ؟!
- وفى الاجمال أسئلة حول كل شىء.. كل خَلق الكون ؟!

وبداية نحن نشهد أن الله هو الخالق ﴿خالق كل شىء﴾، المنشئ للأكوان، المنزل للماء من السحاب، وهو الزارع.. وهو الخلاق العظيم!!

بداية نقول أن كل ما أنشئ وخلق وسخر وأنزل وزرع وأبدع.. على الهيئة التى نراها وندركها.. فهو كونى فى الاجمال، أما كل المفردات الشيئية من المخلوقات والأكوان فكونية فى التخصيص!!

وجاء السؤال القرآنى الخاص بخلق الأرض فى قوله تعالى:

﴿قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين﴾ (فصلت٤١:٩)

ونشهد أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم حقاً وصدقاً··!!

- ويابنيتى! إنشاء الكون أو خلقه - معناه إبداع خلقه من لاشىء··

﴿بديع السموات والأرض﴾!! ومن هذه البداية الإبداعية للخلاق العزيز العظيم تجلى لنا خلق الماء، وخلق السموات والأرض، ومابينهما، وما فيهما، ومن فيهما·· ﴿هو الأول، وهو الآخر﴾·· وما كان الخلق إلا بالحق ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾!!

- ويابنيتى! الله ﴿خالق كل شىء﴾ خالق الزمان حيث لم يكن، أى كان الزمان عدماً!·· ﴿وهو الذى خلق الليل والنهار﴾!·· وخلق الكون فى ستة أيام ثم استوى إلى السماء، واستوى على العرش يدبر الأمر فى الكون ﴿ألا له الخلق والأمر﴾·· و ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾!!

- ويابنيتى! العمل الإنشائى عمل منظومى لجملة مكونات تؤثر فى بعضها البعض: مدخل، سلم، كريدور، صالات، حجرات، مطابخ، حمامات، دورات، فرندات، أبواب شبابيك·· وكل مسخر لخدمة المنشأة!!

ومفهوم السُخْرَة عند العوام هو العمل بلا أجر!! وسخر الله معناه أنه خلق مجمعات منظومية لخدمة الإنسان ولا يريد منه جزاءا ولا شكوراً ؟؟!!

- يابنيتى الله يضع الكون المادى فى كفة المحسوس الملموس فى اطار الشيئية ﴿خالق كل شىء﴾!·· ويجعل من القرآن المرآة الكونية المعنوية الإطارية الشاملة ﴿كل شىء﴾·· ويقول تعالى: ﴿مافرطنا فى الكتاب من شىء﴾!!

- والله سبحانه وتعالى سخر الكون، وسخر كل المخلوقات -·· مافى السموات، وما فى الأرض وما بينهما، ومن فيهما·· - لإسعاد الإنسان خليفة الله فى الأرض··· ومن هنا فالانسان مكلف شرعاً باستغلال كل ماخلق الله وسخر ﴿من شىء﴾ من أجل الإنسان خليفته فى الأرض!!

- ويشغل البال - بوجه عام - مسائل الكون فيما يخص خلق السموات والأرض وما بينهما، وخلقهما بالحق، وزمن الخلق!·· ويشغل بال غير المسلم فيما يخضعه للرصد والمشاهدة الامر الإلهى ﴿كن فيكون﴾، والتسخير الكونى فى شتى المظاهر الكونية·· من هنا كان للزمن ولعناصر الكون وسبحاتها، وحركتها،

وسكونها مكان بارز فى آيات القرآن الكريم.. وهذا مانعرض له فيما بعد.. تحت مسمى.. النسبية فى القرآن الكريم ؟!..

ـ والحال كذلك.: فالمنظومة الكونية.. خلق وتسخير وتدبير ـ وكما أراد الله لها أن تكون.. جاءت بكمال وتمام إبداعه.. ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾!!

ـ نعرض لبدء الخلق العام.. السموات والارض، وللماء والحياة، وللخلق بالحق، ولزمن خلق السموات والأرض.كما نعرض للتسخير والتدبير الكونى ـ وهو مايعرف قرآنياً بتدبير الكون ﴿يدبر الامر﴾.. والله الموفق والمستعان.

٢. السموات والأرض فى القرآن

ـ سأل ولدى: هل بسبب الاداء المنظومى للكون جاءت السماوات والأرض مقرونتان بكثرة فى الآيات القرآنية ؟!

ـ أجبت: يا ولدى! الارض هى الجرم المقابل للسماء، وجمعه أرضون، لم تجىء مجموعة فى القرآن الكريم.. لكنها فى الضمنية الكونية القرآنية متعددة فى الخلق ﴿والارض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾ ويعبر بها عن أسفل الشىء، كما يعبر بالسماء عن أعلاه. والسماء هى كل ماعلا الارض فللسحاب سماؤه، وللنجوم والكواكب سماؤها. والسماء فى كل الحالات غازية التكوين البنائى، وتأمل قول الله تعالى: ﴿ثم استوى الى السماء وهى دخان﴾.. ﴿فارتقب يوم تاتى السماء بدخان مبين﴾.. ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾ فالدخان والغمام والسحب كلها مظاهر غازية للمواد الكونية ـ الماء والكربون. ومن عجب بحق ان ايها او كلها يدخل فى تركيبها الاكسيجين والهيدروجين منفصلين مع عناصر اخرى كالكربون مع الاكسيجين فى الدخان (ك أ) و (ك أ٢) أما فى حالة طبقات السماء الدنيا كالاوزون فالمكون الرئيسى الاكسيجين (أ٣)، أما السحاب والغمام فهو كما الماء (يد٢ أ)، مضافاً اليه بعض الكربون.. والكربون المكون الرئيسى للسماء.. هو هو عنصر التكوين الرئيسى للغذاء والكساء والفحم والبترول والغازات الطبيعية والشجر والنباتات والحيوانات والانسان فى الأرض..!! وسبحان الله وكما لو كانت الحياة فى شتى صورها قائمة فى الاساس على مكونين سماويين الماء والكربون.. مصداقاً لقوله الكريم ﴿وأنزل من السماء ماء﴾ وقوله

﴿ثم استوى الى السماء وهى دخان﴾ (فصلت١١:٤١)··!!

ياولدى! إن الاستواء إلى السماء، والاستواء على العرش - استواء يليق بجلاله من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف، وتدبير الأمر - كلها أمور متعلقة بالذات الإلهية، وعلى المخلوقات التسبيح بالرضا، وعلى الانس والجن أن يعملوا ابتغاء مرضات الله ويعبدوا الله·· ولنتأمل قوله تعالى: ﴿وإن من شىء إلا يسبح بحمده﴾، وقوله ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾، وقوله ﴿وما خلقنا السموات والأرض ومابينهما لاعبين * ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لايعلمون﴾ (الدخان٤٤ ـ٣٩،٣٨)!!

- والإنسان وعمله سببان رئيسيان لخلق الكون·· ﴿وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ (هود٧:١١)·· فنحن مطالبون بالعمل، وبالإجادة فى الأعمال، وعلى الإنسان أن يعمل صالحاً لإعمار الأرض وعلى الهيئة التى أرادها الله·· ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ (التوبة١٠٥:٩)!!

- وقراءة الكون كتاب الله المنظور المفتوح بدأ بها الوحى على رسولنا صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق﴾!! فنحن مطالبون بقراءة الكون المنظور المفتوح·· قبل قراءة الكتب المسطورة!··

وقد ورد بالقرآن الكريم العديد من الآيات التى تشير إلى خلق السماء، وإلى خلق السموات والأرض، وإلى خلق الأرض، وهى فى التكامل النهائى آيات خلق الكون·· ونورد كلا فى الموضع الذى يتناسب مع العرض·· ونؤكد أن كل شىء فى الكون يؤثر ويتأثر بالأشياء الأخرى وهذه هى عظمة الخلق والإبداع الكونى العام والخاص!!·· هو خَلقٌ بالحق ياولدى!!·

٠٣ بداية خلق الكون

- سألت زوجتى: وكيف كانت بداية الخلق الكونى ؟!

- أجبت: القلم أول شىء خلقه الله سبحانه·· فعن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

﴿إن أول شىء خلقه الله القلم، فأمره أن يكتب فكتب كل شىء يكون﴾··
حديث صحيح انظر الحديث ٢٠١٦ فى صحيح الجامع··

وأما متى بدأ خلق الكون فهذا موضوع لازال خلافياً بين العلماء·· ونظرياتهم

كلها مبنية على الفرض والتخمين، لا القطع واليقين.. فساعة يقدرون زمن الرتق والفتق (الإنفجار العظيم) منذ ١٥ مليار سنة، وأخرى يقدرونها منذ ١٨ مليار سنة.. وذهبوا لتقديرات متباينة فى شأن النشأة الأولى.. وبعضهم شطح أمثال دارون فى نظريته عن النشوء والإرتقاء ذات المضمون الإلحادى.. وبعضهم أخذ الحفريات وتحولات المادة دليلاً ومرجعاً.. وهى كلها فرضيات تخمينية.. لاترقى لدرجة القطع و اليقين!.. وأرى أنه من الأنسب أن نحيل الإجابة إلى نصوص القرآن والسنة!..

ـ ولنتأمل قول الله تعالى: ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين * ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض إئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين * فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم﴾ (فصلت٤١:٩-١٢)

= نقول: خَلق سبع سموات في يومين، وخَلق الأرض بجبالها وبحارها في يومين، وخَلق مابينهما في يومين بلا تداخل!.. والله أعلم !!

ويقول تعالى: ﴿وهو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شىء عليم﴾ (البقرة٢:٢٩)

= وقد تفيد الآيات أن خلق الكون تم فى ستة أيام متداخلة.. فربما ـ والله أعلم ـ أن أيام الخلق الأربعة تداخلت.. فى يومين.. مع الأربعة أيام الخاصة بتقدير الأقوات.. ﴿خلق الأرض فى يومين﴾.. ﴿ثم استوى إلى السماء فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها﴾.. ﴿قدر فيها أقواتها فى أربعة أيام﴾.. وعلى هذا فالتداخل.. بين يومين والستة أيام الخاصة بخلق الأرض والأقوات.. يومين للأرض، وأربعة أيام تخص تقدير الأقوات.. وتداخل يومي خلق السموات فى الستة أيام.. فيكون خلق السموات والأرض فى ستة أيام (من أيام الأرض).. كما ورد فى سبع آيات قرآنية!!

ـ ونحيل لما ورد فى الحديث.. عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

﴿خلق الله التربة يوم السبت، وخلق منها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم يوم الجمعة، فى آخر الخلق، فى آخرساعة من ساعات

الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل﴾!٠٠

مسند الإمام أحمد، وصحيح مسلم٠٠ الحديث رقم: ٣٢٣٥ فى صحيح الجامع

- والتربة ربما يقصد بها هنا السموات والأرض حال الرتق٠٠ وقبل الفتق!٠٠

- والمكروه فى الخلق يقصد به ﴿شر ما خلق﴾ (الفلق١١٣:٢)٠٠ أى الجان٠٠ وخلق الجان بالطبع سابق على خلق آدم وارجع إلى قوله تعالى: ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار، وخلق الجان من مارج من نار﴾ (الرحمن٥٥:١٤،١٥)٠٠ وقوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون، والجان خلقناه ﴿من قبل﴾ من نار السموم﴾ (الحجر١٥:٢٦،٢٧)٠٠ وقوله تعالى: ﴿الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ (السجدة٣٢:٧)!٠٠ بمعنى أن خلق آدم جاء فى آخر الخلق!٠٠ ﴿ثم استوى الى السماء وهى دخان﴾٠٠!!

٠٤ وهـى دخـان

- وأضفت مجيباً: ويقرر البروفسور يوشيدى كوزاى مدير مرصد طوكيو فى المؤتمر السعودى الثامن للإعجاز العلمى فى القرآن الكريم: (لم يصل العلم إلا منذ فترة بسيطة جداً الى أن السماء كانت دخاناً٠٠ وقد أصبح هذا شيئاً مشهوداً ومرئياً الآن٠٠ بعد اطلاق سفن الفضاء والأقمار الصناعية)٠ ويقرر سيادته وبصور التقطها لنجم فى السماء وهو يتكون ٠٠ وقد بدا كتلة من الدخان فى وسطها تكون الجزء المضىء من النجم وحوله الدخان، وتحيط بالدخان حافة حمراء دليل على ارتفاع درجة الحرارة٠٠ ويضيف قائلاً٠٠ كنا نعتقد منذ سنوات فقط أن السموات كانت ضباباً ولكنها دخان٠٠ لأن الضباب خامد وبارد٠٠ والدخان حار وفيه حركة٠٠ وهذا يدل على أن السماء كانت دخاناً٠٠ وقال: إننى متأثر جداً باكتشاف هذه الحقيقة العلمية فى القرآن الكريم!)٠٠

- يراجع كتاب٠٠ الأدلة المادية على وجود الله٠٠ لفضيلة الداعية الإمام الشيخ محمد متولى الشعراوى - القاهرة ١٩٨٩٠

- والمكون الرئيسى للدخان الكربون والاكسيجين، والأخير من مكونات الماء٠٠ وبالماء والكربون كانت الحياة٠٠ ودورة الكربون فى الجو الأرضى دورة معقدة مؤثرة فى البيئة والمناخ الحياتى للأرض٠٠ ولنا فى هذا الموضوع مبحث لاحق إن شاء الله تعالى٠٠ وليرسُخ لدينا أنه بالماء المنزل من السماء وبدخان السماء كانت وتبقى الحياة فى الأرض٠٠ وحتى الأجل المقدر للسموات والأرض!!

٥. إئتيا طوعا أو كرها

ـ ومن دلائل القدرة الالهية! أن تؤمر السموات والأرض بالإتيان طوعاً أو كرهاً، وتأتيا طائعتين·· وهذه القدرة والعزة، والإستنطاق الكلامى مع الأكوان·· والاستجابة والانصياع الاختيارى من مفردات الكون تفرد بها الله خالق كل شئ سبحانه وتعالى·· ذى العزة والجبروت·· رب واحد أحد لكون طائع!··

٦. تزيين السماء الدنيا

ـ ويأتى فى آيات القرآن الكريم تزيين السماء الدنيا بمصابيح الكواكب·· وخلقت المصابيح الكونية هذه لتكون رجوماً للشياطين وحفظاً!!

يقول تعالى: ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير﴾ (الملك٦٧:٥)·· وقوله تعالى: ﴿إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب﴾ (الصافات٣٧:٦)

ـ والسماء والسماء الدنيا مترادفتان، بحسب قوله تعالى: ﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾ (الحجر١٥:١٤ـ١٥)

ـ وسماؤنا غازية التكوين، أغلبها أزوت وأوكسجين ٩٩٪، ١٪ بخار ماء وغازات أخرى، وهذا السقف يعلونا بألف كيلو متر، والأرض تحتفظ بسقفها بجذب غازاتها بفعل الجاذبية الأرضية·· وسماؤنا حافظة لغازات تكوينها ولغازات الغلاف الجوى كله، حافظة لنا من تأثيرات الأشعة الكونية الضارة ومن وقوع الشهب على أهل الارض·· فتقوم بتفتيت الشهب قبل أن تسقط على الارض، حافظة بفضل توزيعها العادل لحرارة الشمس فى الغلاف الجوى فيتولد السحاب والرياح، حافظة هى للحياة فى الأرض بفضل نفاذيتها للضوء من الشمس والقمر والنجوم·· فإذا عنه الرؤية والتمثيل الضوئى والغذاء والكساء والتنفس·· محفوظة هى السماء بفضل الله، لا بفضل أحد··

﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً﴾ (الأنبياء٢١:٣٢) !!··

ـ وأما عن توزيعات النجوم والكواكب بين السماء والأرض وعددها، فحديثاً سنة ١٩٨٨م، يقرر الفيزيائى الفلكى أدموند بيريشينفر بمعهد ماساشوتس

للتكنولوجيا أن المجرات فى عناقيد، وسرعات سلاسلها العنقودية المجرية نطاقها كبير وجاذبها عظيم، وتحدد مؤخراً أن المجرات الكونية مجتمعة على هيئة عناقيد تشمل ملايين الملايين موزعة بطريقة غاية وآية فى النظام والجمال..!! وهذا فى نطاق١٠٪ (عُشر) الكون.. وأما التسعة أعشار من باقى الكون ففيها يتمدد كوننا الصغير بكل مجراته ونجومه وشموسه واقماره وأرضنا المتناهية فى الصغر؟!.. ويقول جل جلاله: ﴿والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون﴾ (الذاريات٥١:٤٧)!!

٠٧ السماء متعددة فى الخلق

- ومعنى السماء الدنيا فى الأيتين السابقتين مايفيد ضمناً أنها ضمن السبع سموات الواردة بسورتى فصلت والبقرة - بما يفيد السبع سموات.. والسماء فى القرآن الكريم قد تفيد ذات المعنى سبع سموات إعمالاً لقوله تعالى:

﴿فقضاهن سبع سموات فى يومين﴾ (فصلت٤١:١٢)..

= فالسماء والسموات مترادفات.. قال المفسرون: إن السماء بالإفراد تعني جهة العلو والجمع سموات طباق.

= والمقطوع به علمياً الآن أن مكونات الكون فيما بين السموات والأرض من مجرات، وسدم، ونجوم، وأقمار، وكواكب، ونيازك، وشهب لاتقع تحت سقف واحد، أو على سطح بذاته.. فقباب السموات متعددة تعدد ورودها فى آيات القرآن الكريم بالسبعة، أو بمضاعفاتها.. والله أعلم!!

٠٨ الرتق والفتق فى القران

- سألت ابنتى: ماذا عن الفتق والرتق والإنفجار العظيم ؟!

- قلت: يابنيتى! الرتق معناه الوصل والانضمام، أما الفتق فعكس ذلك ومعناه الفصل والتباعد.. ويقال رتق الفتق حتى إرتتق، ولنقرأ ﴿كانتا رتقاً﴾.. ورَتقاً معناه الوصل والإلتصاق ولنتأمل قول الله تعالى:

-﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون﴾ (الانبياء٢١:٣٠)

- ولنتأمل حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.. سابق الإشارة إليه.. والذى يتفق تماماً والآية الكريمة.. من حيث أصل التكوين للسموات والارض من

تربة واحدة، بغض النظر عن حالات اليبوسة والسيولة والغازية.. حيث ورد فى الحديث.. عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

﴿خلق الله التربة يوم السبت، وخلق منها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم يوم الجمعة، فى آخر الخلق، فى آخرساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل﴾.

مسند الإمام أحمد، وصحيح مسلم.. الحديث رقم: ٣٢٣٥ فى صحيح الجامع.

- سبحان الله!.. خلق مرتوق التربة (السموات والأرض).. مفتوق الأجواء التى تفصل بينهما.. خلق الله كل شئ فى ستة أيام.. خلق التربة ﴿السموات والأرض﴾.. وخلق ﴿ما بينهما﴾ ومن بينهما.. وهذا الخَلق البَيْنِىّ لايتأتى إلا بعد الفتق!!.. فى ستة أيام من أيام الدنيا؟!.. ورد ذلك فى سبع آيات قرآنية هى:

١. ﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ (الأعراف٧:٥٤)

٢. ﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر مامن شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون﴾ (يونس١٠:٣)

٣. ﴿هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم مايلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ماكنتم والله بما تعملون بصير﴾ (الحديد٥٧:٤)

٤. ﴿وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾ (هود١١:٧)

٥. ﴿الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم أستوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون﴾ (السجدة٣٢:٤)

٦. ﴿الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً﴾ (الفرقان٢٥:٥٩)

٧. ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾ لغوب: إعياء وتعب (ق٥٠: ٣٨)

- فخلق ﴿السموات والأرض﴾ فى ستة أيام ورد متفرداً فى أربع آيات، وورد

ضمنياً فى السبع آيات:

٠١ ﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ (الأعراف٧:٥٤)

٠٢ ﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر مامن شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون﴾ (يونس١٠:٣)

٠٣ ﴿هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم مايلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ماكنتم والله بما تعملون بصير﴾ (الحديد٥٧:٤)

٠٤ ﴿وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾ (هود١١:٧)

- وخلق ﴿ما بينهما﴾ ورد ضمنياً فى الستة أيام فى ثلاث آيات متفردة من السبع آيات الخلق الكونى القرآنية السابقة:

٠١ ﴿الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم أستوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون﴾ (السجدة٣٢:٤)

٠٢ ﴿الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً﴾ (الفرقان٢٥:٥٩)

٠٣ ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾ لغوب: إعياء وتعب. (ق٥٠:٣٨)

- وهذا الورود التضمينى يقطع بأن الرتق والفتق تم أيضاً وضمناً فى ستة أيام الخلق الأول.. النشأة الأولى.. والله أعلم!!

- بمعنى أن السموات والأرض فُتِقَتا فى ضمنية الستة أيام فكان (الإنفجار العظيم) وكان خلق ﴿ما بينهما﴾.. ومن بينهما.. والله أعلم!!

- ويرجع الدارسون لأصل الكون أن بداية التكوين جاءت مع الفتق، الانفجار العظيم! وأورد القرآن الكريم وصف الانفجار العظيم فى الرتق والفتق الكونى منذ أكثر من١٤٠٠ سنة.. فالرتق لغة يفيد الوصل والاتحاد.. وهذا هو بدء الخلق كما صوره الحديث الشريف وصورته آيات التنزيل.. والفتق يفيد الانفصال القهرى.. ولما كان الامر متعلقاً بالسموات والارض.. وبحجمهما الذى لاندركه..

فلابد وأن يتم الفتق بدوى عظيم حقاً!!

- والسماء المرتوقة يلزمها الرفع والدفع عن الأرض، وإلا لعاد الرتق، ويكون الدمار، فالثقوب السوداء الجاذبة فى الفضاء، تَجذبُ كل مفتوقات الكون.. ونرجع إلى حيث النشأة الأولى.. وتأملوا يا أحباب قول الله تعالى:

﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً﴾ (فاطر٣٥:٤١)..

﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ (الحج٢٢:٦٥)

٠٩ السماء مرفوعة بعمد لانراها!!

- عادت لتسأل: وماذا عن رفع السموات، وماذا عن عرش الرحمن فى القرآن ؟!

- أجبت بقول الله تعالى: ﴿خلق السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾ (الرعد١٣:٢)

- وإن رفع السموات بغير عمد ترونها، معناه أن السموات مرفوعة وبعمد لانراها، والنص القرآني تحتمل أمرين:

أولا: أنه لا عمد قط عليه نقف عند ﴿بغير عمد﴾!..

والثاني: أنها ذات عمد منذ نشأة خلق السموات والأرض.. ونقرأ ﴿بغير عمد ترونها﴾!.. وكونها ذات عُمد فهذا أمر توصل إليه العلم الحديث، وأنبأ به القرآن الكريم، منذ أكثر من ١٤ قرناً.. حيث ورد فى أبحاث الفضاء كَشف الخيوط الكونية التى تربط عناصر الكون، وباكتشاف الخيوط الكونية تمكن العلماء من تحقيق طبيعة هذه الخيوط، والتى تماثل الأعمدة.. وعرفوا عنها طبيعة مادتها، وخواصها، وكثافتها - بقياسات علمية دقيقة، وهذه الخيوط تصل الأرض والكواكب والنجوم، بالسموات العلا!.. لكن اعمدة السماء ليست من هذا النوع من الأعمدة الذى يشبه أعمدة المبانى من المواد الإنشائية أو المعدنية.. فسبحان الله العظيم!..

- والبناء والرفع للقبة السماوية الكونية أمر عظيم الشأن حقاً.. يقول تعالى:

- ﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها، رفع سمكها فسواها، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها، والأرض بعد ذلك دحاها، أخرج منها ماءها ومرعاها، والجبال

أرساها، متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ (النازعات٧٩:٢٧-٣٣)

يأتي مع هذا البناء العظيم الرفع الأعظم، وتتوالى الأزمان.. الليل والنهار، وتدحى الأرض وتتكور، ويخرج الله منها الماء والمرعى، متاعاً للبشر وللأنعام، وأرسى الله الجبال حتى لاتختل الأرض، أو تميد.. فتهلك.. ويهلك من عليها!!

وخلق السموات سبعاً طباقاً -.. وهو ما يفيد السبعة، أو يفيد التعددية كما أسلفنا.. - وخلق الأرض سبعاً مثلهن. أى أن الأرض، منذ النشأة - متعددة العدد.. ومتعددة الطبقات، بمعنى تعددية فى الأرض، وتعددية فى طبقات كل أرض.. فتعددية الطبقات الأرضية أمر توصل إليه العلم الحديث، أما تعددية الأرض ككوكب فأمر لازال فى علم الله ؟!..

ومن أقوال العلماء: والفرق بين بناء السماء وبنيان الخلق أن بناء السماء بلا فواصل ولا لبنات وهذا عمل إلهي لا يتسنى للبشر مثله وعمل الناس في المباني وضع حجر يلتصق به آخر ولايسمى هذا بناء بل يسمى بنيان إنه بنيان قد يخر ساقطا. وفي هذا قوله تعالى: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾ (الصف٦١:٤)!!

١٠. الاستواء على العرش

- ويأتى الاستواء على العرش وتسخير الشمس والقمر وجريهما لأجل مسمى بتدبير الله سبحانه وتعالى. والاستواء على العرش هنا استواء يليق بجلاله من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف، كما هو مذهب السلف بقول الإمام مالك: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة، وقال الإمام أحمد: إخبار الصفات تمر كما جاءت بلا تشبيه ولا تعطيل فلا يقال: كيف ؟! ولم ؟! نؤمن بأن الله استوى على العرش كيف شاء، وكما شاء بلا حد ولا صفة يبلغها واصف أو يحدها حاد. نقرأ الآية والخبر ونؤمن بما فيهما ونوكل الكيفية فى الصفات إلى علم الله عز وجل. وقال القرطبى : لم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة، وإنما جهلوا كيفية الاستواء، فإنه لا تعلم حقيقته!.. ﴿ليس كمثله شيء﴾!.. يقول تعالى: ﴿إن ربكم الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر مامن شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون﴾ (يونس١٠:٣)

- وقوله تعالى: ﴿ الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الامر

بينهن لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علماً﴾ (الطلاق ٦٥: ١٢)

١١٠ وكان العرش على الماء

- والماء جوهر بسيط، من طباعه أن يكون بارداً رطباً مشفاً متحركاً إلى المكان الذى تحت كرة الهواء وفوق الأرض (ابن سينا - تسع رسائل)، والماء عنصر فى الفلسفة القديمة وهو أيضاً أصل فى القرآن الكريم، كان

منه كل شىء حى.. ﴿وجعلنا من الماء كل شىء حى﴾.. وفى البداية كان العرش على الماء ﴿وكان عرشه على الماء﴾، مما يفيد سبق خلق الماء لخلق السموات والارض، حيث لفظ ﴿كان﴾ يفيد المغايرة، والحال كذلك فخلق العرش وخلق الماء بداهة سابق لخلق الكون..!!

- ويقول تعالى: ﴿وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾ (هود١١:٧)

- والماء فى القرآن الكريم كان منه كل شىء حى، حيث قال تعالى: ﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون﴾ (الأنبياء٢١:٣٠)

- ولا تخلق الحياة الكونية إلا فى وجود الماء بمكونيه الأساسيين: الأيدروجين والاوكسيجين، وهذا ماتأكد لعلماء الفضاء، والطبيعة، والفلك، وكان للقرآن السبق فى هذا منذ أربعة عشر قرناً من الزمان.. حقاً إنه الاعجاز الإلهى للقرآن الكريم!!

١٢٠ بدء الحياة الكونية فى القرآن

- قلنا أن الله سبحانه وتعالى خلق السموات ورفعها بعمدٍ غير مرئية، لكنها وبالمَنطق عمد من الأعمدة الكونية، لانراها بالعين المجردة، وهذه هى طبيعة الخيوط الكونية.. وألقى فى الأرض رواسى.. والإلقاء يفيد أن الرواسى والجبال هى إضافات بإلقاء من الله سبحانه وتعالى من العلياء إلى الأرض.. فإما أنها من نيازك السماء، أو من براكين الأرض..وحكمة خلق الجبال على الأرض

حتى لاتهتز الأخيرة، ولاتختل!·· فيُهْلِك اهتزازها ومَيدُها ماعليها ومن عليها!·· والبراكين تتفجر من باطن الأرض وتقذف مافى باطنها الى اعلى وبارتفاعات كبيرة ثم من هذا التراكم البركانى تتكون الرواسى والجبال·· وهذا أيضاً إلقاء من سماء، بحسب أن السماء لغة هو كل ما علا الأرض··!!

ـ وبث الله سبحانه وتعالى فى الأرض من كل دابة· والدابة هى كل مايدب على الأرض من زواحف وحشرات وحيوانات· وأنزل الله تعالى الماء من السماء إلى الأرض، فأنبت فى الأرض النباتات والدواب أزواجاً·· حيث يقول تعالى:

﴿خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ (لقمان ٣١:١٠)

والبداية فى الخلق زوجية متفردة ﴿ومن كل خلقنا زوجبن﴾·· زوجين من كل دابة، ومن كل نبات، والإنبات فى الأرض، والإخراج منها، من كل زوج·· ذكر وأنثى·· وهذا ماقد يفيد ويفهم منه أن الخلق والبث سماوى فى النشأة!، أما التكاثر الحياتى فأرضى فى التكاثر!·· والله أعلم !!

وتبدأ الحياة فى كوننا بأن خلق الله مخلوقاته خلقاً متميزاً من : طيور، وحشرات، وحيونات، ونباتات بعضها قابل للتهجين والبعض لا!·· ومع نشأة الحياة فى الكون من خلق الله، وبلا أزلية ولا نشوء وتطور وإرتقاء·· وهنا تتراجع وتسقط نظرية النشوء والإرتقاء لداروين·· ذات المضمون الالحادى··!!

والسجود لله عام فى السموات والأرض، ومن كل الأحياء والدواب والحشرات والنباتات والملائكة·· وهذا ما قد يفيد ضمناً بوجود حياة فى الكواكب الأخرى·· حيث قال تعالى: ﴿ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون﴾ (النمل١٦: ٤٩)

١٣. آية خَلق آدم وخلق الإنسان

ـ سألت ابنتى: وماذا عن آية خلق آدم فى القرآن والسنة ؟!

ـ أجبت: يابنيتى ! إذا أردنا أن نعرض لآية خلق آدم، وخلق حواء، وتتابع التكاثر الزوجى لذرية آدم يلزمنا إستعراض التصنيف الموضوعي من نصوص القرآن والسنة·· ثم نستعرض يابنيتى ! خلق الانسان فى العلم الحديث·· وبهذا نلمس آية إعجاز خلق الإنسان·· بدءاً من بداية الخلق ﴿من منى يمنى﴾·· مروراً

بالولادة·· ثم الرضاعة!··

ولقد شغل بال العديد من علماء العالم من غير المسلمين كيف يورد القرآن·· ككتاب من الكتب القديمة·· (على حد تعبيرهم)·· حقائق علمية مذهلة ؟!·· ففى حين نزل القرآن فى بيئة صحراوية!·· على رسول أمي!·· فى زمان لم يكن العلم فيه على مستوى من التقدم!·· وينقل عن هذا الكتاب أدق التفاصيل التى تقطع بأن القرآن الكريم منزل من عند الله سبحانه وتعالى!··

= هذه يابنيتى ! قولتهم !·· وهذه آراؤهم !·· والتى جهر بها العلماء المبرزين للعالم أجمع ؟!··

وما عـُرِضَ على علماء الغرب من السنة النبوية المشرفة، فى شأن ما أوردته علوم السنة، فيما يخص الخلق الجنينى للإنسان - جعلهم يقررون، فى عظمة العلماء، وبمنطق التسليم - أن علم محمد ﷺ - إنما هو تنزيل ووحى من عند الله تعالى!··

وحين سئل البعض من علماء الغرب ما موقفه من الايمان بمحمد ؟!·· وما موقفه من المسيحية ؟!··

أجابوا: (إن محمداً وعيسى من مدرسة واحدة)·· وهذا جوهر لمعانى سامية!·· ومن نماذج هؤلاء العلماء البروفسور كيث مور، والبروفسور مارشال جونسون، والبروفسور جولى سامسونج، والبروفسور بارتان!··

= نعرض لآيات الرضاعة وفوائدها من حيث هى غذاء وتطعيم للطفل فى آن واحد، فى ذات الوقت تتحقق للأم فائدة مقابلة وهى إنقاص الحيض وسهولة إنكماش الرحم، وأما النظرة التى لا توصف ولا تقدر فهى تلك المتمثلة فى العلاقة المضطردة من الأم والوليد - علاقة الأمومة والبنوة!··

= ونورد يابنيتى ! الإشارات فى الآيات القرآنية التى تعرض لجسم ولبدن الإنسان·· ونختم بالآيات القرآنية التى تعرض للروح عامة، ولروح الإنسان خاصة !!

وإذا كان الإنسان كمخلوق متميز مكرم من الله سبحانه وتعالى على الوجه والهيئة المتفردة التى خلقه الله عليها لخلافته فى الأرض·· آية التكريم فى الخلق جسمه، وبدنه·· المتعدد النعم·· بأزواج وأفراد فى النعم والتكوين، وروحه، ونفسه، وعقله!··

- والروح ياابنتى ! من خصوصيات الذات الإلهية·· ونعرض للنفس من حيث أنها من متممات الذات الإنسانية!·· وعلى هذا فنعرض لخلق الإنسان فى ثلاث !!

أ - آية خـَلق الانسان فى القرآن·

ب ـ الروح والإنسان فى القرآن٠
ج ـ النفس والانسان فى القرآن٠

٠١ خلق أدم فى القرآن٠
٠٢ خلق حواء فى القرآن٠
٠٣ خلق ذرية آدم فى القرآن٠
٠٤ خلق ذرية آدم فى العلم٠
٠٥ تسخير السمع والأبصار والأفئدة٠
٠٦إعجاز السمع والإبصار٠
٠٧ إعجاز خلق الإنسان والعلم٠
٠٨ الحمل والولادة والرضاعة٠
٠٩ جسم الإنسان فى القرآن٠
٠١٠ مكونات جسم الإنسان٠
٠١١ إعجاز الجلد فى جسم الإنسان٠
٠١٢ الخلايا طويلة العمر٠
٠١٣ الغدد فى جسم الانسان٠
٠١٤ الوراثة والبيئة٠

١٠١٣ خـَلق ادم

ـ سأل ولدى: وكيف كان خلق آدم ؟!

ـ أجبت: يا ولدى ! القرآن يجيبنا بتفصيلات دقيقة٠٠ ويورد أن الله سبحانه وتعالى خلق سيدنا آدم من تراب، وقَدّرَ معيشته فى كوكب الأرض، وسخر له، مافى السموات، وما فى الارض، وما بينهما!٠٠ وفى شأن خلق سيدنا آدم عليه السلام يقول الله تعالى: ﴿الذى أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ (السجدة:٧:٣٢)

وأنبأ الله سبحانه وتعالى الملائكة بهذا الخلق الطينى٠٠ حيث يقول تعالى:
﴿إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من طين﴾ (ص٧١:٣٨)

وأنبأ سبحانه وتعالى الملائكة أن صلصال خلق آدم٠٠ من حمأ مسنون٠٠ حيث قال تعالى:

﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون* إذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين* فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلاّ إبليس أبى أن يكون مع الساجدين* قال ياإبليس مالك ألاّ تكون مع الساجدين* قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون﴾ (الحجر١٥/٢٨:٣٣)

ويتلاحظ هنا يا ولدى ! أن الملائكة لمْ تسأل عن الروح٠٠ فى حين أن البشر تشغلهم هذه المسألة٠٠ ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلا﴾

ويتجاوز إبليس حدود العبودية لله سبحانه وتعالى فيقول متجاوزاً:

﴿أ أسجد لمن خلقت طيناً﴾ (الإسراء١٧:٦١)

وإبليس من الجن يطيع ويعصى·· ﴿فسجدوا إلاَّ إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾ (الكهف١٨:٥٠)·· ﴿إبليسُ أبَى﴾ (طه٢٠:١١٦)·· واستكبر·· وكفر·· ﴿إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾ (البقرة٢:٣٤)·· لأنه الوحيد لم يكن من الساجدين·· ﴿إلاَّ إبليس لم يكن من الساجدين﴾ (الأعراف٧:١١) !!

وينبهه المولى سبحانه وتعالى: ﴿مامنعك ألاَّ تسجد إذ أمرتك* قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين﴾ (الأعراف٧:١٢)·· وقوله تعالى: ﴿إلاَّ إبليس أبى أن يكون مع الساجدين* قال ياإبليس مالك ألاَّ تكون مع الساجدين* قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأٍ مسنون* قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين﴾ (الحجر١٥:٣١:٣٥)

والأمر هنا يا ولدى ! لايقف عند حد خلق آدم !·· بل يتعداه إلى تسخير السمع والأبصار والأفئدة·· حيث يقول تعالى: ﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ماتشكرون﴾ (السجدة٣٢:٩)·· وقوله تعالى: ﴿وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ماتشكرون﴾ (المؤمنون٢٣:٧٨)·· وقوله تعالى: ﴿هو الذى أنشأكم وجعل لكم الأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾ (الملك٦٧:٢٣)

وإن إستخلاف الله سبحانه وتعالى لآدم، والإخبار بإنباء الملائكة بهذا، هى من بدايات وبديهيات الخَلق البشرى المُتَفَرِد، المُكرّم فى الخِلقة والحياة الكونية، وقوامه إطلاع الملائكة، مخلوقات الله النورانية عالية القدر، المسخرة العابدة الطائعة·· حيث يقول الله تعالى:

﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم مالا تعلمون وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين* قالوا سبحانك لا علم لنا إلاَّ ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم* قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون* وإذ قلنا للملائكة إسجدوا لآدم فسجدوا إلاَّ إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾ (البقرة٢:٣٠:٣٤)

ويقول العلماء: هذا ولسيدنا آدم طوران:

الأول: قبل النبوة وفي هذه الفترة أكل آدم من الشجرة المُحرمة وكانا إنساناً عادياً.

الثاني: اصطفاه الله للنبوة بقوله تعالى: ﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾.

٢٠١٣ خلق حواء في القران

- يابنيتي! خلق الله سبحانه وتعالى حواء من آدم، لتكون زوجاً وسكناً له.. حيث قال تعالى: ﴿هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ (الأعراف١٨٩:٧).. وقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها﴾ (النساء١:٤).. وقوله تعالى: ﴿هو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون﴾ (الأنعام٩٨:٦).. وقوله تعالى: ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها﴾ (الزمر٦:٣٩)

- ويابنيتي! جدير بالملاحظة أن الله تعالى أنبأنا بخلق آدم.. ولم يخبرنا تفصيلاً بخلق حواء.. لكن أهل الكتاب زعموا أن حواء خلقت من ضلع آدم الأيسر.. ونحن أمرنا ألا نصدق أهل الكتاب ولا نكذبهم فيما لانص عندنا فيه!..

- ويخرج آدم عن أمر ربه، لحكمة حددها الله سبحانه وتعالى، لخلافته فى الأرض.. حيث يقول الله تعالى: ﴿وقلنا ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا إهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾ (البقرة٢:٣٥:٣٧)

والهبوط هنا يا أحباب ! بمنطق آية طه ﴿اهبطا﴾ يكون الهبوط ثنائياً . أما اهبطوا فالهبوط جماعي ثلاثى.. لآدم، وزوجه، وأبليس معهما.. ليقوم كل برسالته ووظيفته، وتتوالى الذريات، ذرية الإنس وذرية الجن، من بعد الهبوط.. ويبدأ التاريخ البشرى بتدفقاته وتغيراته ؟؟ !!

ونقف يا ولدى ! عند الإعجاز فى خلق آدم من تراب كمثل يتحدى به الله سبحانه وتعالى العباد.. كآية من آيات الله الكبرى.. حيث يقول تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ (آل عمران٥٩:٣).. وقوله تعالى: ﴿قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً﴾ (الكهف ٣٧:١٨).. وقوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ (الروم٢٠:٣٠).. وقوله تعالى: ﴿ثم جعلكم أزواجاً﴾ (فاطر١١:٣٥).. وقوله تعالى: ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين

وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون﴾ (النحل١٦:٧٢)٠٠ وقوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (الروم٣٠:٢١)٠٠ وقوله تعالى: ﴿فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ (الحجرات٤٩:١١)٠٠ وقوله تعالى: ﴿وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾ (الذاريات٥١:٢١)

وبعد خلق آدم يا ولدى ! من طين كان خلق البشر، ومن ذات السلالة الطينية المتفردة، وجاء ويجيء نسل آدم وحواء من سلالة من ماء مهين٠٠ والطين فى أصله عبارة عن تراب وماء، ونفخت الروح لآدم، ولزوجه، وتنفخ لنسله - بأمر من الله سبحانه وتعالى: ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾ (الرحمن٥٥:١٤)٠٠ وقوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون﴾ (الحجر١٥:٢٦)٠٠ وقوله تعالى: ﴿هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون﴾ (الأنعام٦:٢)٠٠ وقوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ (المؤمنون٢٣:١٢)٠٠ وقوله تعالى: ﴿ثم جعلنا نسله من سلالة من ماء مهين﴾ (السجدة٣٢:٨)٠٠ وقوله تعالى: ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾ (المرسلات ٧٧:٢٠)

ويقول العلماء: أنبأنا الله تعالى بخلق آدم ولم يخبرنا بخلق حواء لكن أهل الكتاب زعموا أن حواء خلقت من ضلع آدم الأيسر٠ ونحن أمرنا ألا نصدق أهل الكتاب،ولا نكذبهم فيما لانص عندنا فيه.

٣٠١٣ خلق ذرية آدم فى القرآن

- سأل ولدى الأكبر: وماذا عن تكاثر ذرية آدم فى القرآن ؟!

- أجبت: ياولدى ! التكاثر بالذرية الآدمية سنة كونية من سنن الله تعالى٠٠ فبعد خلق آدم أبى البشر، وحواء أم البشر جميعاً٠٠ جعل الله (أى سخر الله) الذكورة والأنوثة لتكاثر الإنسان، وأصبح وهب الحياة، أمراً إلهياً، يأتى به ملك بعد ٤٢ يوماً من الحمل، بنص حديث سيدنا رسول الله ﷺ ٠٠ ويقضى الإنسان وحتى أجله المقدر مع لحظة وهب الحياة٠٠ وتتابع البشرية قوم بعد قوم من ذرية آدم متكاثرين منتشرين على سطح كوكب الأرض٠٠ وأنظر إلى قوله تعالى:

﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا

سجداً وبكياً﴾ (مريم١٩:٥٨)٠٠ وقوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾ (الأعراف٧:١٧٢) وقوله تعالى: ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ (الصافات٣٧:٧٧)٠٠ وقوله تعالى:﴿وآية لهم أن حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون﴾ (يس٣٦:٤١)٠٠ وقوله تعالى: ﴿ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً﴾ (الإسراء١٧:٣)٠٠ وقوله تعالى: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين﴾ (العنكبوت٢٩:٢٧)٠٠ وقوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية وما كان لرسول أن يأتى بآية إلاّ بإذن الله لكل أجل كتاب﴾ (الرعد١٣:٣٨)٠٠ وقوله تعالى: ﴿هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء﴾ (آل عمران٣:٣٨)٠٠ وقوله تعالى: ﴿فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإنى سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾ (آل عمران٣:٣٦)٠٠ وقوله تعالى: ﴿ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾ (آل عمران٣:٣٤)٠٠ وقوله تعالى: ﴿وربك الغنى ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم مايشاء كما أنشأكم من ذرية قوم اخرين﴾ (الأنعام٦:١٣٣)٠٠ وقوله تعالى: ﴿قال إنى جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتى قال لاينال عهدى الظالمين٠٠ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم﴾ (البقرة٢:١٢٤،١٢٦)

وتنقل يا ولدى ! السلالات البشرية بالنطف٠٠ ومن ماء مهين٠٠ من منى يمنى ولنرجع إلى قوله تعالى: ﴿قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا﴾ (الكهف١٨:٣٧)٠٠ وقوله تعالى: ﴿خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾ (النحل١٦:٤)٠٠ وقوله تعالى: ﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾ (يس٣٦:٧٧)٠٠ وقوله تعالى: ﴿من نطفة إذا تمني﴾ (النجم٥٣:٤٦)٠٠ وقوله تعالى: ﴿ألم تك نطفة من منى يمنى﴾ (القيامة٧٥:٣٧)٠٠ وقوله تعالى: ﴿من نطفة خلقه فقدره﴾ (عبس٨٠:١٩)

٠٤٠١٣ خلق ذرية ادم والعلم

- سألت ابنتى: وماذا يقول العلم فى خلق ذرية آدم ؟!٠٠
- أجبت: يابنيتى ! العلم الحديث يقرر أن النطفة المنوية الذكرية ذات ٢٣

كرموزوم·· وهذا العدد، نصف الموجود فى الخلايا الحية فى الحيوانات، والنباتات·· ولا بد لها من أن تتحد مع بويضة أنثوية، وهى الأخرى ٢٣ كرموزوم·· أى لابد أن تتحد (تتماشج)، نطفة الرجل وبويضة الأنثى، ليبدأ الحمل للأنثى ببويضة ملقحة ذات ٤٦ كرموزوم، شأنها فى ذلك شأن كل الخلايا الحية فى الوجود·· سبحان الله·· يضاف ياابنتى ! أنه لا تكاثر للإنسان إلاّ من رجل وإمرأة·· فسبحان الله العظيم·· وأنظرى إلى قوله تعالى:

﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾ (الإنسان٧٦:٢)··

وقوله تعالى: ﴿والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً وما تحمل من أنثى ولا تضع إلاّ بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلاّ فى كتاب إن ذلك على الله يسير﴾ (فاطر٣٥:١١)··

وقوله تعالى: ﴿ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين﴾ (المؤمنون٢٣:١٣)··

- ثم تصير هذه النطفة علقة فى رحم الأنثى·· حيث قال تعالى:

﴿ثم كان علقة فخلق فسوى﴾ (القيامة٧٥:٣٨)··

وقوله تعالى: ﴿خلق الإنسان من علق﴾ (العلق٩٦:٢)··

ويتتابع خلق الإنسان·· فتخلق من العلقة مضغة·· وتخلق من المضغة العظام·· ويكسى العظام لحماً·· وتأملى يابنيتى قوله تعالى:

﴿ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ (المؤمنون ٢٣: ١٤)··

وقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذ ل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء إهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾ (الحج ٢٢: ٥)··

والآية السابقة من سورة الحج توضح لنا يابنيتى ! أن خلق المضغة له طوران·· مضغة مخلقة، ومضغة غير مخلقة·· وهذا ما كشف عنه العلم الحديث·· والقرآن الكريم·· معجز سابق لكل علم وبأربعة عشر قرناً من الزمان!··

يضاف يا أحباب ! أن خلق الإنسان وحياته فى إتجاه واحد، صاعد، غير مرتد·· من الولادة، وحتى الشيخوخة·· وهذا ما توصل إليه العلم الحديث أيضاً·· وتأملوا قول الله تعالى:

﴿ومن نعمره ننكسه فى الخلق أفلا تعقلون﴾ (يس٣٦:٦٨)٠٠

٠٥٠١٣ اية السمع والبصر والفؤاد !!

- سألت زوجتى: وماذا عن آية السمع والبصر والفؤاد فى القرآن ؟!
- أجبت: هى ثلاثة أسئلة فى سؤال٠٠ نجمل فى البداية٠٠ ثم نفصل بإختصار شديد٠٠ فتعلمون يا أحباب ! أن الله سبحانه وتعالى خلق السمع والبصر والفؤاد، وسخرها للبشر، لعلهم يشكرون٠٠ ولكن الإنسان ما أجحده٠٠ والخلق والإنشاء والتسخير الالهى قرين التكليف بالارتفاق والانتفاع٠٠ الإنتفاع الذاتى أولاً، والمجتمعى ثانياً، والبشرى ثالثاً بكل إمكانيات السمع والبصر والفؤاد٠٠ وأنظر إلى قول الله تعالى:
﴿وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ماتشكرون﴾ (المؤمنون: ٢٣:٧٨)٠٠
وقوله تعالى: ﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ (السجدة٣٢:٩)٠٠
وقوله تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ (النحل١٦:٧٨)٠٠
وقوله تعالى: ﴿قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ماتشكرون﴾ (الملك٦٧:٢٣)٠٠
وقوله تعالى: ﴿ولا تقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً﴾ (الإسراء١٧:٣٦)٠٠
وقوله تعالى: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾ (يونس١٠:٣١) !!

٠١ إعجاز السمع !!

معروف يا أحباب ! أنه لولا اللغة لما وجدت حضارة٠٠ واستعمال اليد والكلام ساعد كثيراً فى نمو العقل٠٠ وتمتد الأجزاء العصبية المتممة لليد واللسان والحنجرة لتشغل مساحة كبيرة من حجم الدماغ٠٠ فى ذات الوقت الذى تضبط فيه

المراكز العصبية للكتابة والكلام.. (ومنها السمع، وإمساء الأشياء، والتصرف بها).. فإنها بدورها تُنَبّه بهذه الأفعال وتُقوي عمل الدماغ الذى يحدد لها عملاً متزامناً وفى آن واحد!!.. ويبدو أن عمل الدماغ يتلقى المعاونة من تناسق عمل العضلات!.. كما يبدو أن التدريب الرياضى.. ينبه ويقوى الجسم.. وبالتالى ينبه ويحفز العقل!.. (والمسلم به أن منظومة عمل المراكز العصبية ـ تعمل فى نسق مشترك.. فالأمعاء والعضلات والعمود الفقرى متناسقة من الناحية الوظيفية.. وتعتمد العضلات الهيكلية فى تعاونها على المخ.. وعلى العمود الفقرى.. وكذا على أعضاء عديدة.. إنها تتلقى أوامرها من الجهاز العصبى الرئيسى.. ونشاطها من القلب والرئتين وغدد الأندركين والدم.. ولكى تتمكن من تنفيذ توجيهات العقل فإنها تنشد معاونة الجسم كله).. ١والبد تعمل إذا وهبت نعمة البصر.. فاليد تحس.. وتعمل.. فى آن واحد.. وملخص القول العين مدرك الابصار فيها للموجات الضوئية.. واليد مدرك الإحساس منها للطاقات الوضعية، وللطاقة الصوتية الترددية فى الأجسام، وللطاقات الحرارية بالحالة التى عليها الجسم الملموس.. والأذن مدارك الإحساس فيها للموجات الصوتية !!

وتأتى الموجات الصوتية فى ذبذبات الهواء إلى الجهاز شديد التعقيد للأذن الداخلية والأذن الوسطى وينقل الصوت إلى مركز الإحساس فى منظومة العقل البشري !!

وفى هذه الجزئية علينا بالتسليم بأن العين، واليد، والأذن، واللسان ـ أشياء غير متجانسة من الناحية التشريحية.. ولكنها متجانسة من الناحيية الفسيولوجية فيما يخص الإدراك والإحساس ويترجم الدماغ والقلب (الفؤاد) هذه المدارك والأحاسيس إلى أشياء معقولة ومفهومة ومتفق عليها بشرياً !!

ومن الإعجازات الكونية العامة ببساطة الوظائف ـ سمعاً وبصراً وإحساساً وتعقلاً: تقترن دائماً بقاعدة معقدة. وهذه من بديهات الملاحظات الكونية فى كون الله الفسيح فى الذرة.. وفى المجرة.. فى النبات.. وفى الحيوان.. وفى الإنسان ذاته!.. ﴿وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾ (الذاريات٥١:٢١) !!

ويذهب الأستاذ رمزى الغنيمى فى كتابه.. (منظومة العقل البشري) ـ كتاب الحرية ٢٩ ـ الطبعة الأولى ـ القاهرة ١٩٩١م.. شارحاً تعريف العقل ذاكراً أن:.. (العقل) إنما هو نظام حيوى أو مجال حيوى عليه القدرة على الوعى بما يدور حول مركزه الحيوى (المخ) الذى يسيطر على (المجال) ويعمل على الحفاظ على توازنه

١ـ الإنسان ذلك المجهول ألكسيس كاريل بيروت الطبعة الرابعة ١٩٨٥م.

الحيوى وبقائه).. ويضع أ. رمزى الغنيمى نموذجاً لمجال نشاطات مجال العقل البشرى من سبع مدارات حول المخ وهي:

١- مدارات التجسيم (الجسم والمحسوسات).
٢- مدارات التفكير (التأمل والتركيز والإستبطان).
٣- مدارات العاطفة والوجدان.
٤- مدارات الخيال والجنون.
٥- مدارات النسيان (المخازن الأساسية للذاكرة).
٦- مدارات الغيبوبة (النوم والأحلام).
٧- المدارات المفتوحة أو القناصة (نافذة على المطلق).

والسمع والبصر والإحساس تنطوى تحت مدارات التجسيم لكنها تعمل فى توافق تأثيرى مع بقية المدارات المجالية للبشر.. !!

ويعالج القرآن الكريم النشاط البشرى فى مجمل المحسوسات السمعية المرتبطة بالعقل البشرى ونشاطاته فى إشارات قرآنية:

﴿إقرأ﴾.. ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾.. ﴿استمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾.. والنداءات القرآنية على تنوعها.. ﴿يا أيها الناس﴾.. ﴿يا أيها الذين أمنوا ا﴾.. ﴿يا آدم ا﴾.. (يا ....).. ﴿يا بنى آدم ا﴾.... ويورد القرآن كذلك لبعض المحسوسات البصرية المرتبطة بالعقل البشرى فى الإشارات القرآنية: ﴿ألم تر؟!﴾.. ﴿ألم يرو؟!﴾.. ﴿أنظر؟!﴾.. ﴿سيروا فى الأرض وانظروا﴾!!.. ﴿اسمع به وابصر﴾!!.. ﴿أفلا تعقلون﴾؟!.. ﴿أفلا يتدبرون﴾؟!.. ﴿أفلا تتفكرون﴾؟!.. ﴿أفلا تتذكرون﴾؟!.. أفلا تذكرون﴾؟!.. ويربط القرآن الكريم وفى إحكام بديع بين السمع والبصر والفؤاد.. وبين العلم.. فى قول الله تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ ؟!..

بمعنى أن جميع النشاطات العقلية التجسيمية والفكرية والخيالية والعاطفية والتعليم والتعلم وإدراكات الصُحُوَ والرؤى المنامية.. كلّ ذلك رهين.. بالسمع، والبصر، والفؤاد؟!.. وهذه حقيقة لا مُـرَاءَ فيها.. !!

٢. إعجاز الإبصار !!

ويعرض الأستاذ محمد عبد القدوس فى كتابه الإسلام فى حياتنا الحديثة..

العديد والكثير من الآراء للمتخصصين.. نعرض لبعض منها١.. فى ست خصوصيات:

١ ـ هدب العين.
٢ ـ جفن العين.
٣ ـ دموع العين.
٤ ـ قرنية العين.
٥ ـ قزحية وحدقة العين.
٦ ـ عدسة العين.

١ـ هدب العين والفوائد ـ حيث يقول:.. هدب العين (الرموش) تقوم بقطع الضوء الجانبى ومنعه من الوصول للعين. فالضوء المباشر هو الذى يصل فقط، وهو الذى يشكل الصورة !!

ولولا رمش العين لدخل إليها الضوء القادم من جميع الإتجاهات ـ مما كان يؤثر على كفاءة الصورة ويسبب عدم وضوح تفاصيلها !!

٢ـ ويعرض لمعجزة حركة جفن العين حيث يقول الدكتور أسامة عصفور: (... إن إغلاق العين وفتحها.. والذى يتم بطريقة أتوماتيكية له فائدة كبيرة، متمثلة فى مسح السطح الخارجي للعين من أية أتربة وشوائب.. وتوزيع طبقة رقيقة جداً من السائل الدمعى على السطح الخارجى للعين لمنع جفاف الطبقات السطحية للعين مما يحافظ على بريقها ولمعانها وبالتالى يؤدى إلى تحسين البصر) !!

٣ـ ويقول الدكتور أسامة عصفور فى شأن الدموع: (إنها نوعان: داخلية وتفرزها العين، وبانتظام ـ وهى أجسام مضادة وأنزيمات ـ وتقوم بقتل معظم الميكروبات والفيروسات التى تصيب العين، بالإضافة إلى دورها فى تنظيف العين والحفاظ على بريقها. ونقص إفراز الدموع الداخلية يسهل الإصابة بعدوى أمراض العين. والدموع الخارجية لا علاقة لها بالدموع الداخلية دائمة الإفراز ـ بل هى الدموع التى تنشأ عن الإنفعالات النفسية مع البكاء وتسقط على الخد !!)

٤ـ والقرنية وهى الجزء من العين الذى يطل منه الإنسان على العالم، وهو جزء شفاف، ولا تحتوى على أوعية دموية، وهى الجزء الوحيد فى الجسم الذى لا يتغذى أساساً من الدم، ولكن تمتص القرنية غذاءها من السائل الدمعى الذى يغطى سطحها !!

١ـ الإسلام فى حياتنا الحديثة محمد عبد القوس مكتبة مصر القاهرة ١٩٩٢م.

٥- والقزحية تتحكم فى لون العين، عن طريق الصبغات الموجودة بالعين، وفى داخل القزحية توجد الحدقة والتى تضيق فتحتها مع الضوء المبهر، وعلى العكس، تتسع فتحتها مع الضوء الضعيف ليتمكن الإنسان من رؤية الأشياء بوضوح !!

٦- وعدسة العين فهى مكونة من ملايين الخلايا.. بقطر يصل إلى عشرة ملليمترات مثبتة بالعديد من الأربطة تحفظها فى مكانها، وبهذه الأربطة يتم تغيير البعد البؤرى ليتمكن الإنسان من رؤية الأشياء القريبة والبعيدة !!

ونعرض فيما يلى لرأى الدكتور أيمن نصار والوارد بكتاب الأستاذ/ محمد عبد القدوس - سابق الإشارة إليه - بالصفحات ١١٤: ١١٧ ونوجز فى التالى:

١- عملية الإبصار تعتمد على عصبية الشبكية - وخلاياها تختلف إختلافاً كلياً عن خلايا الجسم الأخرى - وهى أشبه بالمرآة.

٢- خلايا الإبصار فى الضوء القوى ٦ مليون خلية، وخلايا الإبصار فى الضوء الضعيف١٢٠ مليون خلية - فإذا جلست فى حجرة مظلمة تستطيع الرؤية النسبية بعد عدة دقائق بفضل خلايا الإبصار فى الضوء الضعيف.

٣- وظيفة العين والمخ - فى خصوبة الأبصار - متلازمتان، ومرتبطتان بالعصب البصرى. كل عين تعمل مستقلة، وفى خلال واحد على مليون من الثانية يقوم المخ بتعديل الصورة المقلوبة..!! ويضعها فى شكلها المعدل، ويقوم أيضاً بدمج صورتى العينين فى صورة واحدة - وهى التى نراها..!!

ومن هنا فإن العلاقة وثيقة بين طبيب العين وطبيب الأعصاب. وإن أى خلل يصيب المخ يؤدى إلى فقد البصر نهائياً، ورغم سلامة العين..!!

٤- شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يقع الضوء الداخل إلى عين الإنسان فى بقعة لا يزيد حجمها على واحد على عشرة من المليون من الشبكية. وعلى هذه المساحة المتناهية فى الصغر تسقط صور جميع الأشياء التى نراها.. وتسقط مقلوبة طبعاً؟!..

٥- حساسية الشبكية مقصورة على إلتقاط ألوان الطيف فى قوس قزح، أى بأطوال بين ٠,٨ ميكرون، ٠,٤ ميكرون -.. الميكرون - وحدة قياس طولية وتساوى واحد على الألف من المليمتر من (٠,٨ ميكرون للأحمر) الى (٠,٤ ميكرون للبنفسجي).. -، وأما موجات التليفزيون والراديو والأشعة فوق الصوتية والأشعة البنفسجية فلا قبل للعين برؤيتها. وهناك غيبيات لا نراها رغم وجودها..!!

ويضيف الدكتور معتز محمد مراد المرزوقى فى مباحث العلم فى رحاب القرآن - المؤتمر الأول للإعجاز العلمى فى القرآن ١٩٨٥م. ١

السمع يبدأ مع الجنين قبل ولادته وقبل أن تبدأ الحواس الأخرى.

السمع هو الحاسة الوحيدة التى لا تنام بالكلية الكاملة مستدلاً بذلك بالورود القرآنى فى شأن أهل الكهف (فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا).

الأذن تحول طرقات وذبذبات الأصوات إلى موجات هادئة.

وهذه الموجات تحرك أوتار نهاية العصب السمعى، ذو الإتصال الفوقى بالمخ.

إكتمال خلق وعمل العين يتم بعد ولادة الطفل بشهور.

من تمام النعم الإلهية توافق عمل حاسة البصر وحاسة السمع مع الوعى الكامل للفؤاد - مخاً وقلباً وعقلاً وتنشأ عند الإنسان المعلومة الدقيقة المدققة من واقع الحياة والكون.

الفؤاد - المخ والقلب والأعصاب - مسئول عن حفظ المعلومات واسترجاعها سواء بالرغبة أو بالموقف أو بالحديث. ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون)

جاء ترتيب السمع قبل البصر فى القرآن قرين الترتيب النضوجى - فالطفل يولد وحاسة السمع كاملة، ولكنه يبصر بعد عدة شهور من الولادة.. والفؤاد ينضج مع مرور الزمان وعلى مدى حياة الإنسان.. !!

وكما أن لأصابع الإنسان بصمة البنان تميزه عن أخيه الإنسان.. فى ذات الوقت فإن لعين الإنسان وفى سوادها بصمتها.. التى تميز الإنسان.. عن أخيه الإنسان !! سبحان الله العظيم.. بصمة بنان!.. وبصمة عين!.. وبصمة صوت !!

٠٧٠١٣ الإعجاز الطبى للإنسان !!

- سأل ولدى: وماذا عن الإعجاز الطبى للانسان فى القرآن والعلم والسنة ؟!
- أجبت: مهلاً.. مهلاً.. يا ولدى ! وأستأذنكم أحبابى أن أقصر الإجابة على الإعجاز فى مرحلة الحياة المبكرة للإنسان: وهي مرحلة الخلق الجنينى.. على موعد أن أستكمل الإجابة فى كتاب قادم بإذن الله تعالى.. وأضع تحت تصرفكم رصيد هائلا من المعلومات متمثلة فى العديد من المراجع، ومجموعة هائلة من شرائط الفيديو العلمية، ومجموعة لابأس بها من برامج الكمبيوتر.. التى

١- المؤتمر الأول للإعجاز الطبى فى القرآن دار الحكمة - القاهرة - ١٩٨٥م.

تعالج فى مجموعها سؤالك يا ولدى !!

= نختصر فنعرض للإعجاز العلمى الجنينى للإنسان، والذى تعرض له أساتذة التخصص بالمؤتمرين السعوديين السابع والثامن للإعجاز العلمى فى القرآن الكريم.. ونوجز عن أعمال مؤتمر الإعجاز العلمى فى القرآن - بحوث السادة:

١ - البروفسور كيث. ل. مور: أستاذ التشريح وعلوم الأجنة، بجامعة موردوا بكندا.

٢ - البروفسور ماريشال جونسون: رئيس قسم التشريح، ومدير معهد دانيال بجامعة توماس جيفرسون، بأمريكا.

٣ - البروفسور جولى سامسونج: أستاذ أمراض النساء والولادة، جامعة مارت وستن، شيكاغو، أمريكا.

٤ - البروفسور بارتان ت. ف.: رئيس قسم التشريح، بفينتويا، بكندا.

٥ - البروسفور جوريلا ج. س.: أستاذ التشريح، كلية الطب، جامعة جورج تاون، واشنطن، أمريكا.

إعجاز خلق الإنسان فى بحوث علماء الغرب:

١. بحوث البروفسور كيث مور K. MOORE

يعتبر البروفسور كيث ل. مور يا ولدى ! من أكبر علماء العصر فى مجال علم الأجنة والتشريح، وقد أبدى دهشته حين عرف بالآيات القرآنية التى تتحدث عن النطفة والعلقة وحينما رأى د. مور العلقة، والتشابه بينهما وبين الجنين قال إن ذلك التشابه متطابق تماماً مع ماعرفناه حديثاً فى علم الأجنة. ويضاف إلى ذلك أن مور تأكد معملياً أن الجنين فى مرحلة العلقة يكون معلقاً فى رحم الأم.. وإن الامر الاكثر إثارة هو أن العلقة فى لغة العرب هى الدم المتجمد (نقاعة الدم!! بقول الامام على كرم الله وجهه).. وهنا يقرر البروفسور كيث مور أن الجنين فى الرحم يكون عبارة عن دم متجمد عالق !! وحين تكاملت له المعرفة بما جاء بالقرآن والسنة عن أن العلقة تتحول إلى مضغة.. وتتبع العالم المبرز ذلك.. فوجد فعلاً أن الجنين فى الطَوْر الذى يلى العلقة يشبه تماماً المضغة.. ونشر ذلك فى الصحافة الكندية وسئِل فى أعقاب النشر.. هل هذا يعنى أنه ترك المسيحية ودخل الإسلام؟؟ وَرَدّ البروفسور مور بأن المسيح ومحمد من مدرسة واحدة!!..

ولما سُئِلَ كيث مور.. لماذا لا ينشر هذه الآراء فى كتبه ؟!

كان البروفسور كيث مور عالماً.. صادقاً.. حيث أصدر الطبعة الثالثة من مؤلفه.. بالإضافات الإسلامية.. تحت العنوان التالى:

DEVELOPING HUMAN, CLIINICALLY ORIENTED EMBRYOLOGY, KEITH L. MOORE. WITH ISLAMIC ADDITIONS.

والكتاب يا ولدى ! مترجم إلى ست لغات: الأسبانية، والإيطالية، والروسية، والصينية، واليابانية، والألمانية، وورد بالكتاب المذكور مايلى:

(العصور الوسطى : كانت معلوماتنا من علم الأجنة فى العصور الوسطى قليلة.. وفى القرآن الكتاب المقدس عند المسلمين - ورد أن الإنسان يخلق من مزيج من الإفرازات للذكر وللأنثى.. وقد وردت جملة إشارات من أن الإنسان يخلق من نطفة من المنى.. وبين أيضاً.. أن النطفة تستقر فى المرأة بعد ستة أيام.. واتضح علمياً أن البويضة الملقحة تبدأ فى النمو بعد ستة أيام من الإخصاب.. وجاء فى القرآن الكريم أيضاً أن النطفة تتطور.. فتصبح قطعة من دم جامد عالق.. والبويضة المُلَقَّحَة بالشكل(٣:٥) والرسم لايختلف عن شكل العَلَقة.. التى جاءت فى الوصف القرآنى.. ويذكر القرآن إلى أن مظهر الجنين فى هذه المرحلة يشبه شيئاً ممضوغاً كاللبان، أو كالخشب.. ويوضح ذلك فى الشكل ١٠:٥ وفيها آثار لأسنان.. كأنها ممضوغة.. والجنين بعد٤٠: ٤٢ يوماً لايشبه جنين الحيوان فى هذه المرحلة - لأن الجنين البشرى يبدأ بإكتساب مميزات الإنسان فى هذه المرحلة.. كما هو مبين بالشكل ١٤:٥)، ويضيف البروفسور كيث مور فى كتابه: (.. ويقول القرآن الكريم أيضاً أن الجنين يتطور داخل ثلاث حجب بظلمات ثلاث أو ثلاث طبقات:

الجدار الرحمى البطني.

الجدار الرحمي.

الغشاء الداخلي.

ولايتسع المجال لمواضع هامة مشوقة وردت بالقرآن الكريم).. هذا ما ذكره د. كيث مور فى كتابه العالمى !!

وما سبق هو ما أملاه عليه ضمير العالم الباحث يا ولدى !.. وهو تطابق ماورد فى القرآن والسنة وما توصل إليه بعلمه.. فى خصوصية التقسيم المرحلى لخلق الإنسان.. نطفة، فعلقة، فمضغة، فعظام، فتكسية العظام لحماً !!

ويقف البروفسور كيث ل. مور ليذكر فى أحد المؤتمرات العلمية مايلى:

(.. لان مراحل تطور الجنين البشرى معقدة.. وذلك بسبب التغيرات المستمرة

التى تطرأ عليه.. فإنه يصبح بالإمكان تبنى نظام جديد فى التصنيف بإستخدام الإصطلاحات والمفاهيم التى ورد ذكرها فى القرآن والسنة.. ويتميز النظام الجديد لتقسيمات مراحل خلق الإنسان بالبساطة والشمولية.. وينسجم ويتطابق مع علم الأجنة الحالى.. ولقد كشفت الدراسات المكثفة للقرآن وللسنة خلال السنوات الأخيرة عن تصنيف مدهش للأجنة البشرية.. لأن ذلك سجل القرن السابع الميلادى.. فى حين أن علم الأجنة لم يعرف شيء عن تطور وتصنيف الجنس البشرى إلاّ مع حلول القرن العشرين.. ولهذا السبب فإن أوصاف القرآن للأجنة البشرية لايمكن بناؤها على المعرفة العلمية للقرن السابع الميلادى.. والإستنتاج الوحيد المعقول هو أن الله قد أوحى بها إلى محمد ﷺ .. وما كان له أن يعرف هذه التفاصيل.. لأنه كان أمياً ولهذا لم يكن قد نال تدريباً علمياً) ؟! ﷺ ..

وقد أضاف البروفسور كيث مور الآيات والاحاديث النبوية الشريفة إلى كتابه!

- وصدق قول الله تعالى: ﴿ويرى الذين أوتوا العلم إنه أنزل إليك من ربك ويهدى إلى صراط العزيز الحميد﴾.. صدق الله العظيم.

٢. بحوث بروفسور م. جونسون MARSHAL GOHNSON

- وياولدى ! قدم البروفسور ماريشال جونسون رئيس قسم التشريح ومدير معهد دانيال بجامعة توماس جيفرسون بفلاديفيا بأمريكا فى المؤتمر السعودى السابع بحوثه عن الوصف الدقيق للجنين ولتركيباته الداخلية.. وجاء بها مايلى:

(.. يصف القرآن فى الواقع المراحل الخارجية للجنين وليس فقط هذا.. ولكنه يؤكد أيضاً المراحل التى داخل الجنين أثناء خلقه وتطوره.. مؤكداً على أحداث رئيسية.. تعرف عليها العلماء المعاصرون) !!

- وقدم صوراً علمية حديثة أخذت للجنين وهو مضغة.. وبطول سنتيمتر آخذ فى الدوران حول نفسه.. برأس بقطر كبير من جهة ويتناقص القطر فى الجهة الأخرى.. وأظهرت الصور التطور الخلقى للمضغة.. وذكر أن الوصف المُضـَغِى.. يصدق على المضغة المخلقة، والمضغة غير المخلقة.. وكما ذكر القرآن.. ﴿من مضغة مخلقة وغير مخلقة﴾.. وقال البروفسور ماريشال جونسون: (.. إننى كعالم أستطيع فقط أن أتعامل مع أشياء.. أستطيع أن أراها.. أستطيع أن أفهم علم الأجنة.. وتطور علم الأحياء.. أستطيع أن أفهم الكلمات

- التى تترجم من القرآن·· وكما ضربت لكم مثلاً من قبل·· فلو أننى نقلت نفسى - فرضاً - إلى الفترة التى نزل فيها القرآن·· وحتى بمعرفتى لما ذكرته اليوم·· وإذا أردت وصف هذا العمل !! لما استطعت وصف الأشياء التى وصفت بالقرآن·· وأننى لا أرى سبباً·· ولا أرى دليلاً على أن الرسول محمد الفرد - قد حصل على هذه المعلومات·· وطورها·· من أى جهة كانت·· ولذلك فإننى لا أرى شيئاً·· مع مفهوم أن التدخل الإلهى كان شاملاً للعلم الذى كان على النبى محمد أن يبلغه··) !!

- وقال مكرراً: (نعم إنه الوحى·· والوحى فقط من الله سبحانه وتعالى) !!

ونردد قول الله تعالى: ﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ (ص:٨٨) إنه الإعجاز الحق!!

٠٣ بحوث البروفسور ج. سامسونج G. SAMSONG

- ويا ولدى ! يعرض البروفسور جولى سامسونج، أستاذ أمراض النساء والولادة، جامعة مارت وستن، شيكاغو، أمريكا، فى المؤتمر السعودى السابع، فى خصوصية خلق الإنسان فيقول:

(يخلق الانسان من النطفتين·· أى بعد إجتماع نطفة الذكر، وبويضة الأنثى·· وبعد ذلك يتقرر البرنامج الوراثى فى الكروموزات من لون العين، والجلد، والشعر·· فالإنسان مقدر فى مرحلة الكروموزات·· التى هى مرحلة النُطف) !!

- وهذه المقولة تتطابق مع قول الله تعالى: ﴿قتل الإنسان ما أكفره من أى شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره﴾ !!

- ويعود البروفسور جولى سامسونج ليقرر: (تظهر جميع أجزاء الجنين خلال الاربعين يوما الأولى·· والجنين يكون منحنياً على نفسه) !!

وهذا مايتفق وحديثى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:

٠١ قال رسول الله ﷺ: ﴿إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً·· ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: رزقه، أجله، وعمله، وشقى أو سعيد﴾!!

(رواه مسلم فى كتابه القدر حديث ١، جزء٤ صـ ٢٠٣٦)

٠٢ وفى صحيح مسلم عن حذيفة بن أسيد عن النبى ﷺ:

﴿إذا مر بالنطفة إثنان وأربعون ليلة·· بعث الله إليها ملكاً·· فصورها، وخلق سمعها، وبصرها، وجلدها، ولحمها، وعظامها، ثم قال يارب·· ذكر أم أنثى ؟··

فيقضى ربك ماشاء.. ويكتب الملك !! ثم يقول: يارب أجله ؟ فيقول ربك ماشاء.. ويكتب الملك !! ثم يقول يارب رزقه ؟ فيقضى ربك ماشاء.. ويكتب الملك !! ثم يخرج الملك بالصحيفة فى يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص)!!

وفى الحديث الثانى.. حدد سيدنا رسول الله ﷺ .. التوقيت الزمانى.. دون إسترسال بتتابع الزمن.. بمدة ٤٢ يوما تحديداً.. حيث قال ﷺ: ﴿إذا مر بالنطفة ٤٢ ليلة بعث الله ملكاً فصورها﴾ !!

وبعد أن عرف البروفسور جولى سامسونج بالحديثين.. وهو متخصص فى أمراض النساء والولادة.. أعلن رأيه فى أحد المؤتمرات العلمية فى خصوصية التعليق على حديثى سيدنا رسول الله ﷺ !! قال البروفسور:

(من هذين الحديثين.. يمكننا إستخلاص جدول محدد حول التطور الرئيسى للجنين قبل ٤٠ يوماً.. ومرة أخرى تأكدت هذه النقطة تكراراً من قبل المتحدثين فى المؤتمر صباح اليوم - يوم المؤتمر - أى أن الموافقة العلمية الحديثة موافقة مطلقة مع الأحاديث النبوية الشريفة.. ناهيك عن المدة التى دونت وكتبت فيها تلك الأحاديث.. وبذلك لابد لها وأن تكون - الأحاديث - قد دعمت بالمعرفة الإلهية.. وهى تعكس المعرفة الإلهية!.. وعليه أعتقد أنه لايوجد خلاف بين المعرفة العلمية الطبية والوحى الإلهى.. بل أن الوحى يدعم أساليب الكشف العلمية التقليدية المعروفة.. ويجيء القرآن وبعد سنوات من تاريخ الحديثين مؤيداً لما تطرق إليه الحديثان.. ويكشفه العلم المعاصر.. هذا مما يدل على أن القرآن كلام الله.. والأحاديث المحمدية وحى من عند الله) !!..

حقاً.. يستطيع المسلمون أن ينزلوا العلم منزلته.. ويعملوا التكليف الإلهى الوارد فى آيات النظر فى القرآن.. ولو أرادوا.. ولو فعلوا.. لسادوا وتسيدوا !..

والقرآن حق وصدق.. منزل من الحق سبحانه وتعالى !!

٤- بحوث البروفسور بارتان ت. ف PARTAN T.V.

- ياولدى ! يتميز البروفسور بارتان ت. ف، رئيس قسم التشريح، بفينتوبا، بكندا، ببحثه عن الحقيقة.. وهو حُرُ النزعة.. وله مؤلفات عديدة فى أمراض النساء والولادة.. وله بحوث قرآنية.. وفيها يقرر:

(إننى لأجد الحق فى أن أوافق فى عقلى الى أن هذا الهام إلهى، أو وحى

قاد الرسول محمد إلى عرض القضايا بهذا الشكل.. وأضاف.. وبدراسة الحديث الشريف الذى رواه مسلم وفيه يقول.. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إذا مرّ بالنطفة إثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها ولحمها وجلدها وعظامها ثم قال ياربى أذكر أم أنثى فيقضى ربك مايشاء﴾.. وأقرر أن: الصورة للجنين فى اليوم السابع والثلاثين لاتمييز فيها للإنسان.. والصورة فى اليوم الثانى والأربعين ليس فيها شكل الإنسان أبداً.. أما فى نهاية اليوم الثانى والأربعين.. وبعد مرور المدة المقررة الواردة بالحديث.. فقد تم تصوير الجنين.. ويوضح التصوير أن الجنين فى المرة الثالثة هذه.. أى بعد مضى ٤٢ يوماً يصبح واضح المعالم)

وصدق الله العظيم.. حيث يقول: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى﴾ !!

٥. بحوث البروفسور جوريلا ج. GEORILLA G.S. .س

ـ ويا ولدى ! البروفسور جوريلا ج. س.، أستاذ بقسم التشريح، بجامعة جورج تاون، واشنطن دى. سى.، أمريكا، يقرر فى المؤتمر السعودى السابع للإعجاز العلمى للقرآن مايلى: (وصف القرآن التطور البشرى منذ تكوين الأمشاج.. إلى أن أصبحت كتلا عضوية.. وإن هذا الوصف وهذه الإيضاحات الجليلة والشاملة.. لكل مرحلة من مراحل تطور الجنين.. وفى معظم الحالات إن لم يكن فى جميعها.. ويعدد هذا الوصف فى قدمه إلى قرون عديدة (١٤ قرنا!!).. وقبل تسجيل المراحل المختلفة للتطور الجنينى البشرى التى وردت فى العلوم التقليدية العلمية) !!

ـ ويعود البروفسور جوريلا يا ولدى ! ليكشف عن العديد من الحقائق العلمية حول التكاثر البكرى فيقول: "كشف العلم الآن عن كثير من كائنات تتوالد وتنجب بدون تلقيح الذكور.. فجميع ذكور النحل عبارة عن بيضة لاتلقح بذكور النحل ـ والبيضة التى تلقح بماء ذكور النحل تكون شغالة، وأما الذكور فتأتى وتتكاثر مباشرة من بيض الملكة دون ماء الذكور.. وهناك أمثلة أخرى كثيرة على ذلك.. بل وتمكن العلم الحديث عن إمكانية أن ينبه بعض البيض فيتم التكاثر دون حاجة إلى تلقيح الذكر.. وفى نوع آخر لتناول الموضوع.. فإن البيض الغير مخصب لكثير من الحيوانات اللافقرية والبر مائية والثديية السفلى.. يمكن تنشيطه بوسائل ميكانيكية كالوخز بالإبرة أو بالصدمات الحرارية.. أو بوسائل

كيميائية بأى عدد من المواد الكيميائية المختلفة.. ويعتبر هذا النوع من التطور الجنينى طبيعياً» !!

فسبحان الله العظيم أن هناك خلق بهذه النوعية بلا أب !!

ولقد أورد القرآن الكريم.. هذا الخلق فى حالات.. كخلق سيدنا آدم بلا أب ولا أم.. وخلق حواء بأب وبلا أم.. وخلق سيدنا عيسى من أم وبدون أب !!

وسبحان الله العظيم جلت قدرته !!

١٣. ٨ـ الحمل والولادة والرضاعة !!

ـ سألت زوجتي: وماذا عن الحمل والولادة والرضاعة فى القرآن ؟!

ـ أجبت: الله سبحانه وتعالى إختص ذاته بمعرفة مافى الأرحام، وخلق البشر فيها، وأخراجهم منها، أطفالاً فصبية فشيوخاً.. وهو وحده يعلم نوع الجنين.. وسبق أن تعرضنا للتفسير العلمى للبروفسير كيث مور فيما يخص الظلمات الثلاث: الجدار الرحمى البطنى، والجدار الرحمى، والغشاء الداخلى.. وقد ورد ذلك فى قوله تعالى:

﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذ لكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون﴾ (الزمر٣٩:٦)..

وقوله تعالى: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ (لقمان٣١ـ٣٤)..

وقوله تعالى: ﴿هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ (آل عمران٣:٦)..

وقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنُبَيِّنَ لكم ونقر فى الأرحام مانشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكى لايعلم من بعد علم شيئاً﴾ (الحج٢٢:٥)..

وقوله تعالى: ﴿الله يعلم ماتحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار﴾ (الرعد١٣:٨)

ـ والله سبحانه وتعالى يولي عناية خاصة للعلاقة بين الإنسان ووالديه.. وبينه

وبين أمه على وجه الخصوص·· ويحدد القرآن الكريم مدد الرضاعة مضمومة إلى فترة الحمل·· أو قائمة بذاتها·· كما يورد إمكانية الإسترضاع بمرضعة·· وفى هذه الحالة تعتبر المُرضعة أمّ رضاعة·· ولها تشريعات خاصة كالأم تماماً·· وورد ذلك فى قوله تعالى:

- ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لى فى ذريتى إنى تبت إليك وإنى من المسلمين﴾ (الأحقاف٤٦:١٥)··

وقوله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله فى عامين أن أشكر لى ولوالديك إلى المصير﴾ (لقمان٣١:١٤)··

وقوله تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لاتكلف نفس إلا وسعها لاتضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذ سلمتم ماآتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير﴾ (البقرة٢:٢٣٣)

٢ـ٨ ،١٣ إعجاز الرضاعة والعلم !!

- ويا أحباب ! من آيات الرضاعة فى أيامها الأولى أن المولود الرضيع يحصل من مكونات لبن أمه على الغذاء، ويحصل أيضاً على تطعيم طبيعى·· فلبن الأم فى الأيام الخمس الأولى بعد الولادة مباشرة من ذلك النوع من اللبن الأمهاتى الذى يسمى (اللبأ) وهو غنى بالبروتينات·· والفيتامينات·· ويحوى على أجسام حيوية مضادة للأمراض·· ذو أثر وتأثير على المستقبل الحياتى، والمرضى، والمناعى للطفل·

- وبقدرة الله تعالى، ومع مرور الوقت فإن لبن الأم، تتغير صفاته تباعاً مع مرور الزمن ليواكب احتياجات الطفل، وبعد حوالى ثمان شهور من الولادة يكون للطفل القدرة على بدء الهضم لشرْب الخضار المسلوق، والمضروب بالخلاط، وبعض العصائر، وسوائل النباتات الطبية·· وطردياً يبدأ قوام لبن الأم فى التغير وتزداد ملوحته وتقل سكرياته بدءاً فى تهيئة الطفل إلى الإنتقال فى نهاية

العامين إلى ذاتية الفطام، وبمعنى أن إستمرار الرضاعة يصيب الأم ببعض المضاعفات نتيجة لطلوع أسنان الطفل اللبنية !!

- ومن إعجاز خلق الله تعالى أن الأم التى تقوم برضاعة وليدها رضاعة طبيعية ينالها من الفوائد العديدة.. منها إنقاص الحيض، وسهولة إنكماش الرحم، وزيادة واضطراد علاقة الامومة والبنوة بين الأم والوليد !!

- ولبن الأم بوجه العموم هو غذاء متكامل.. معقم.. دافىء.. يحوى الفيامينات (أ)، (ب)، (ج)، (د) التى تقى المولود من العشى والعمى الليلى.. وتقيه من الأسقربوط.. وتقيه أيضاً من لين العظام، والكساح، وشلل الأطفال !!.. فسبحان الله العظيم !!

- ولما كانت الرضاعة نسب وعصب.. جاءت حكمة تحريم أمهات وإخوة وأخوات الرضاعة فى النكاح، والزواج، والمصاهرة !! وتأمل قوله تعالى:

﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وامهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة..﴾ (النساء٤:٢٣)

- والرضاعة عصب ونسب فى القرآن ومن هنا تأتى حكمة تحريم أمهات وأخوات الرضاعة !! بحسب أن إكتمال خلق الإنسان يتم بالوريد فى بطن الأم.. وبالرضاعة من الثدى لمدة حددها الله تعالى بحولين كاملين !! ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ !!

- والرضاعة تحريم.. ﴿.. وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ماقد سلف إن الله كان غفوراً رحيماً﴾ (النساء٤:٢٣).. ذلك لحكم إنسانية رفيعة لازلنا نجهل حقيقة كنهها !!

- وعن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

﴿الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة﴾ - أخرجه البخارى ومسلم.

- وهذا التحريم الإلهى بجانب أنه يعطى لأولى الأرحام وقاراً وقدسية.. ويبعدهم عن البهيمية.. فإنه كذلك يبعدهم عن مانجهل عن العوامل الوراثية التى هى بالقطع تتزايد كثيراً فى هذه النوعية من المحرمات.. وربما بدون هذا التحريم لحدث إختلال للجنس البشرى كله..خلقياً و خلقياً والله أعلم !!

وقوله تعالى: ﴿هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون﴾ (غافر٤٠:٦٧)..

وقوله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لى فى ذريتى إنى تبت إليك وإنى من المسلمين﴾ (الأحقاف٤٦:١٥)..

وقوله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك لتشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ (العنكبوت٢٩:٨)..

وقوله تعالى: ﴿والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله إن الله بكل شيء عليم﴾ (الأنفال٨:٧٥)..

وقوله تعالى: ﴿النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً كان ذلك فى الكتاب مسطوراً﴾ (الأحزاب٣٣:٦)

٩٠١٣ جسم الإنسان فى القرآن !

- سأل ولدى: ماذا عن جسم الإنسان فى القرآن ؟!
- أجبت: يا ولدى ! فى القرآن الكريم يُخْتَص الانسان هيكلياً بوصف الجسم تارة والبَدَن تارةً أخرى.. بنصوص فى ثلاث مواضع في قوله تعالى:

﴿وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم﴾ (البقرة٢:٢٤٧)..

وقوله تعالى: ﴿إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون) (المنافقون ٦٣:٤)..

وقوله تعالى: ﴿فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون﴾ (يونس١٠:٩٢)..

وقوله تعالى: ﴿هم أحسن أثاثا ورئيا﴾ (مريم)

١٣ـ١٠ مكونات جسم الإنسان !

- ويا ولدى ! الجسم أو البدن هو المكون المحسوس مادياً فى الإنسان وهو مع النشأة كما سبق وذكرنا٠٠ خلق من تراب، أو من طين، والطين هو فى الحقيقة تراب مضاف إليه الماء٠٠ والصلصال والحمأ والفخار٠٠ جميعها فى النشأة ماهى إلا من مكون ترابى أرضى، ومكونات الأرض الأصلية هي ٧ر٤٦٪ أوكسجين، ٧ر٢٧٪ سليكون٠ ٠٧ر٨٪ ألومنيوم، ٠٥ر٥٪ حديد، ٦٥ر٣٪ كالسيوم، ٧٠ر٢٪ صوديوم، ٦ر٢٪ بوتاسيوم، ٠٨ر٢٪ ماغنسيوم، ٦٢ر٠٪ تيتانيوم، ١٤ر٠٪ أيدروجين٠

- وحول أرضية الإنسان وجسم الإنسان من حيث التكوين، يقرر الدكتور/ الكسيس كاريل فى كتابه الإنسان ذلك المجهول من صـ٧٣ وحتى صـ١٣٨

«لقد خلق الإنسان من تراب الأرض، ولهذا السبب تتأثر وجوه نشاطه الفسيولوجية والعقلية تأثيراً كبيراً بالتكوين الجغرافى للبيئة التى يعيش فيها، وطبيعة الحيوانات والنباتات التى يتغذى عليها عادة٠٠ كذلك يتوقف بناؤه ووظائفه على إختياره عناصر معينة من بين الأطعمة النباتية والحيوانية الموضوعة تحت تصرفه»!

- وإن جسم الإنسان يتكامل من عملية تغذية مستمرة، ودائمة، ومتكررة، قبل أى شيء آخر٠٠ إنه يتكون من حركة لا تنقطع للمواد الكيماوية٠٠ وإن الأساس لجميع وجوه النشاط البدنى ينشأ من العالم المجاور٠٠ الأرض٠٠ ثم لايلبث أن يعود إليه!

- ولا يفوتنا أن الماء هو سر الحياة فى جسم الإنسان٠٠ إما فى المشرب٠٠ أو فى المأكل٠٠ ويقوم الماء بتذويب الفضلات ويخرج فى أربع صور: البول، مكون رئيسى فى البراز، فى العرق، فى تنفس الإنسان٠ ويعمل الماء٠٠ وبصفة رئيسية٠٠ على التكييف الحرارى للجسم٠

- والبويضة البشرية الأنثوية والمنى الرجالى البشرى شأنهما شأن جسم الإنسان يتكونان من ذات المركبات التى يتركب منها جسم الإنسان التى هى فى الواقع من مكونات تراب الأرض٠٠ والجنين إذ يتغذ بالحبل الوريدى من جسم أمه٠٠ فالسلسلة البشرية كاملة من الأرض٠٠ وإلى الأرض٠٠ وتبعث حية٠٠ خروجاً من الأرض ثانية٠٠ فسبحان الله العظيم حيث يقول:

﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ (طه٢٠:٥٥)

والجسم الإنسانى بحواس السمع والبصر والفؤاد٠٠ (حواس التعقل)٠٠ بجانب العديد من الأجهزة٠٠ الجهاز التنفسى٠٠ الجهاز الهضمى٠٠ الجهاز

البولى.. الجهاز التناسلى..* الجهاز العضلى.. الجهاز العصبى.. الجهاز الجلدى.. الجهاز الهضمى للطعام.. الجهاز السمعى.. والجهاز البصرى. وكل جهاز منقسم الى عدد من الأعضاء بدقة متناهية فى التكوين !!

فسبحان الله الخلاق العظيم !!

- ويا ولدى ! الجسم يحوى حوالى ألف مليون مليون خلية ويستهلك الجسم من هذه الخلايا حوالى ٧٥٠٠ خلية فى الدقيقة الواحدة.. وعرضنا للجهاز البصرى وللجهاز السمعى !!

١١.١٣ إعجاز الجلد فى جسم الإنسان !!

- سألت ابنتى: ماذا عن الجلد فى القرآن ؟!

- أجبت: يابنيتى ! الجلد هو الغطاء الخارجى لجسم الإنسان، غير قابل للإحتراق بواسطة الماء أو الغازات أو الجراثيم التى تعيش على سطحه. والجلد هو مأوى كمية هائلة من أعضاء الإستقبال، ويحس باللمس، والضغط، والألم، والحرارة، والبرودة. والجلد الموجود فى الغشاء المخاطى للطعم يميز الطعم والحرارة. وشبكة أعصاب الشم للجلد الداخلى للأنف تميز الروائح. أما جلد الأذن وأغشيتها فيدخلان وبشدة فى الجهاز السمعى. والجلد الذى يغطى الشبكية الصغيرة يصبح شفافاً ويكون القرنية والعدسات الشفافة ويدخل فى عمل الجهاز البصرى !!

- والجلد يابنيتى ! فى مجمل وظيفته هو بوابتنا إلى العالم الخارجى.. والجلد حارسنا من التأثيرات الضارة لأشعة الشمس وللبيئة الجوية بصفة عامة!.. فإذا تعرض ربع جلد الإنسان لمخاطر حريق فإن هذا معناه الموت المحقق بتأثيرات التقلبات فى البرد والحر، والشمس والليل، والنور، والظلام، والرياح، والأمطار، والجليد، والأتربة، والميكروبات، والرطوبة، والضغط، والحشرات، والجراثيم، والضوضاء، والتلوثات الغازية!!

- ويحمى الجلد الخلايا من الغرق فى الماء أو فى الغازات !! والجلد يحمى الجسم من الجفاف، ويخلصه من السموم بطرد العرق، ويحفظ درجة حرارة الجسم عند ٣٧مْ !!

- والجلد يابنيتى ! مُتَرْجِمٌ للشعور ويُغَيِّر لونه بين الصفرة والحمرة بتغير الحالة النفسية للإنسان، ويؤخذ مظهر الجلد كترمومتر للغذاء.. وهو وسيط صناعى حيث

يقوم الجلد وبتعرضه لأشعة الشمس بتكون فيتامين (د) وحالة الجلد تساعد الطبيب في تشخيص أغلب الأمراض !!

- والجلد لا يعرف الكذب يوم الحساب.. راجع وتكلم الجلد - دراسة عن الجلد في العلم والأديان السماوية الثلاثة (اليهودية المسيحية الإسلام) - كتاب.. دكتور ابراهيم خليل دار الصفاء(١) القاهرة ١٩٩١م.

وتأملي يابنيتي ! قول الله تعالى في سورة فصلت الآيات ٢٠:٢٢: ﴿حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون * وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون * وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيراً مما تعملون﴾ (فصلت٤١:٢٠:٢٢)

والجلد جهاز متقدم للشعور العام والشعور الايماني على وجه التخصيص، والجلد جهاز متقدم للإحساس العام كذلك.. وتأمل في قول الله تعالى:

﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين * الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل فما له من هاد﴾ (الزمر٣٩:٢٢:٢٣)

وقوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً﴾ (النساء٤:٥٦)

- ويابنيتي ! يقرر العالم البروفسور تاجا داك تاجا صن رئيس قسم التشريح والأجنة بتايلاند، وعميد كلية الطب، في مؤتمر الإعجاز القرآني الثامن بالسعودية بقوله:

«نعم إذا كان الحَرق عميقاً يدمر عضو الإحساس ويشعر الإنسان بالألم.. والقرآن يذكرنا بأنه عندما ينضج الجلد ويدمر، يخلق الله للكافرين جلوداً أخرى - حتى يذوقوا العذاب بالنار، مما يشير إلى المعرفة بأطراف الأعصاب في الجلد. وهذا يعني أن مستقبل الإحساس بالألم لابد أن يكون في الجلد ولذلك فالله سبحانه وتعالى يخلق لهم جلداً جديداً.. وبحسب أن الجلد مركز الإحساس بالحريق - فإذا اتضح فقد الإحساس، يعاقب الله الكفار بإعادة الجلود، وإعادة حرقها مرة بعد مرة - وكما ورد بالآية» ..

- و يابنيتي ! يدخل الجلد في مجموعات الألوان والأصباغ خلقياً في ظاهرة إعجازية في اختلاف ألوان البشر متماثلاً لإعجاز الإختلاف الخلقي للثمار

وللجبال ولنتأمل قول الله تعالى:

﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود * ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور﴾ (فاطر٣٥: ٢٧،٢٨)

وقوله تعالى فى شأن اختلاف ألوان البشر بإختلاف ألوان جلودهم:

﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين﴾ (الروم٣٠:٢٢)

- ويذهب ابن كثير - وهو من أكابر علماء التفسير والمتوفى سنة ٧٧٤ هجرية - إلى ماهو أعمق فى تفسير إختلاف الألوان٠٠ وأورد أنه لا يوجد إنسان فى جميع أهل الأرض منذ النشأة وحتى قيام الساعة يشابه أخاه الإنسان، بل ولابد أن يفارقه بشىء جلدى ظاهر، وأشياء أخرى كثيرة باطنة !! ويجىء العلم الحديث ليكتشف العلماء هذه الإنفرادية البشرية فى بصمة الأصابع !! مصداقاً لقوله تعالى:

﴿أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه * بلى قادرين على أن نسوى بنانه﴾ (القيامة٧٥:٣،٤)

- وصدق الله العظيم حيث قال:

﴿وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾٠٠ ﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق﴾ !

- ويورد الأستاذ إبراهيم خليل فى كتابه (وتكلم الجلد) عناصر بمعلومات عن الجلد ولم يكتشفها العلماء حتى اليوم:

١ - الجلد يفهم٠

٢ - الجلد يقشعر عند سماع القرآن٠٠ ثم يلين٠

٣ - للجلد ذاكرة لاتخطىء لأنه سيشهد علينا٠

٤ - الجلد لايعرف الكذب لأن الله لايقبل شهادة الكذاب٠

٥ - الجلد قوى الحجة ساطع البرهان٠

٦ - الجلد يؤمن بالله وباليوم الآخر٠

٧ - جلد الكافر ينصهر بالعذاب يوم القيامة (يصهر به مافي بطونهم والجلود)

١٢-١٣ الخلايا طويلة العمر فى جسم الانسان !!

- سأل ولدى: وكيف نحتفظ بذاكرتنا ؟!

ـ أجبت: يا ولدى ! هناك من الخلايا تحيا مع حياة الإنسان.. وتبقى معه حتى الممات خاصة الخلايا العصبية!.. وتحفظ هذه الخلايا العصبية للإنسان مداركه، وتعليمه، وتعلمه، وثقافته، وتذوقه، وحضارته، وحضارات الآخرين، ولغته، ولغاتهم، وخبرته، وخبراتهم، وتحافظ على تكاملية مفاهيمه، ووعيه، وتجاربه، وخبراته !!

١٣-١٣ الغدد فى جسم الانسان !!

ـ وسألت ابنتى: وماذا عن الغدد فى جسم الإنسان ؟!

ـ أجبت: يابنيتى ! تقوم الغدد فى الجسم بوظائف تخصصية على جانب كبير من الأهمية لتوازن الجسم خلقياً وأدائياً، وأى إضطراب فى أى منها يؤدى إلى نوع معين من الإختلال فى وظائف الجسم.

١٣-١٤ الوراثة والبيئة !!

ـ وسأل ولدى الأكبر: وماذا عن الوراثة وتأثيرات البيئة على الإنسان ؟!

ـ يا ولدى ! عن العوامل الوراثية والعلاقات الإجتماعية وأثر البيئة والنشأة وأثر الايمان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿تجدون الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا، وتجدون خير الناس فى هذا الشأن أشدهم كراهية وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه ويأتى هؤلاء بوجه﴾.. رواه البخارى فى كتاب المناقب باب قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (الحجرات ٤٩:١٣)

ـ ولو عدنا إلى أرضية النشأة وجسم الإنسان من حيث التكوين.. وما قرره الدكتور الكسيس كاريل.. فى كتابه الإنسان ذلك المجهول.. (لقد خلق الإنسان من تراب الأرض، ولهذا السبب تتأثر وجوه نشاطه الفسيولوجية والعقلية تأثيراً كبيراً بالتكوين الجغرافى للبيئة التى يعيش فيها، وطبيعة الحيوانات والنباتات التى يتغذى عليها عادة.. كذلك يتوقف بناؤه ووظائفه على إختياره بعناصر معينة من بين الأطعمة النباتية والحيوانية الموضوعة تحت تصرفه..)!!

وهذه الأمور تقطع بتأثير الوراثة والبيئة على الإنسان فى جميع مراحل خلقه ونموه وحياته !!

ـ وهناك يا ولدى ! من العلوم العديد الذي يتناول هذا الموضوع ومنها علم الأجناس البشرية، وعلم البيئة، وعلم الاجتماع، وعلوم الجغرافيا البشرية والتاريخ.. وعلى وجه التعميم فالانسان فى علاقة متبادلة تأثيراً وتأثراً مع البيئة !!

ب. الروح والإنسان فى القرآن !!

ـ وسأل ولدى: وما تقول لنا عن الروح ؟!

ـ قلت: يا ولدى ! إختلفوا فى أمر الروح ؟!.. فقال كثير من أرباب علم المعانى، وعلم الباطن، والمتكلمين، والفلاسفة .. لا نعلم حقيقة الروح؟!..

ـ ومنهم ياولدى ! من ذهب إلى أن الروح الإنسانى هو المسمى بالنفس الناطقة!!

ـ وقالوا فى الروح ياولدى ! إنه مجرد متعلق بالبدن، وقال البعض أن الروح غير مجرد.. بمعنى أن (الروح) هو مبدأ الحس والحركة، ومبدأ الحياة فى البدن، وقيل هو الحياة والحرارة الغريزية، والدم والدماغ.. واختلفوا فى النفس والروح، فقيل هما شيء واحد، وقيل هما متغايران، وقيل النفس منها الأخلاق والصفات، والروح فيها الحياة، وقيل الروح هو الطبيعة التامة للكائن، وتقوم به صورته، والروح المخلوق روح إلهى، قام به الروح القدس - روح الأرواح. وقيل روح الشيء نفسه، وجسد الإنسان صورته وروحه معناه، وسره هو الروح الإلهى أو روح القدس. وقيل الروح حيوانى وإنسانى، والروح الحيوانى مبدأ الحركة والحس، والإنسانى ما به الحياة والإدراك. وفى اصطلاح أهل الله وغيرهم هى السر الخفى والنفس والفؤاد والقلب والكلمة (المعجم)!!.. وبعضهم قال ان الروح سرمدية من أمر الله واليه ترد وتبعث ان شاء الله..!!

ـ ووردت الروح فى القرآن يا ولدى ! على عدة أوجه نوجزها فى الوحى.. وفى القدرة والثبات.. وجبريل عليه السلام.. والروح التى سأل عنها اليهود.. والمسيح بن مريم.. وخلق آدم.. والراحة فى جنة النعيم.. وذلك على النحو التالي:

١ـ الوحى .. كقوله تعالى:

﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾ (النحل٢:١٦).. وقوله تعالى: ﴿رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق﴾ (غافر١٥:٤٠).. وقوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم﴾

(الشورى٤٢:٥٢)

٢ـ الروح.. القدرة والثبات.. كقوله تعالى:

﴿لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ (المجادلة٥٨:٢٢).. وقوله تعالى: ﴿يابنى إذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ (يوسف١٢:٨٧)

٣ـ الروح.. جبريل عليه السلام.. كقوله تعالى: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾ (الشعراء٢٦:١٩٣).. وقوله تعالى: ﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنو وهدى وبشرى للمسلمين﴾ (النحل١٦:١٠٢).. وقوله تعالى: ﴿فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً﴾ (مريم١٩:١٧).. وقوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وأتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون﴾ (البقرة٢:٨٧).. وقوله تعالى: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله مااقتتل الذين من بعدهم من بعد ماجاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل مايريد﴾ (البقرة٢:٢٨٣).. وقوله تعالى: ﴿إذ قال الله ياعيسى بن مريم أذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلاً وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذنى وتبرئ الاكمه والابرص بإذ نى وإذ تخرج الموتى بإذ نى وإذ كففت بنى إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين﴾ (المائدة ٥:١١٠)

٤ـ الروح.. التى سأل عنها اليهود.. فأجيبوا بأنها من أمر الله، وقد قيل أنها الآية: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ (الإسراء١٧:٨٥).. وقوله تعالى: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ (المعارج٧٠:٤).. وقوله تعالى: ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لايتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً﴾ (النبأ٧٨:٣٨).. وقوله تعالى: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾ (القدر٩٧:٤)

٥- الروح.. والمسيح بن مريم.. وردت في قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ولاتقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولاتقولوا ثلاثة إنتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أنّى يكون له ولد له مافى السموات ومافى الأرض وكفى بالله وكيلا﴾ (النساء٤:١٧١)

٦- الروح.. وخلق آدم.. ويقول سبحانه وتعالى:

﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾ (ص٣٨:٧٢)

وقوله تعالى: ﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ماتشكرون﴾ (السجدة٣٢:٩)

٧- روح.. بمعنى الراحة فى حياة جنة النعيم.. فى قوله تعالى:

﴿فأما إن كان من المقربين * فروح وريحان وجنة نعيم﴾ (الواقعة٥٦:٨٨،٨٩)

ويجمع المسلمون على أن الروح مخلوقة وحادثة مصداقاً لقوله تعالى:

﴿وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ (الروم٣٠:٢٧)

- سألت ابنتى: وماذا عن النفس ؟!

- أجبت: يابنيتى هذا موضوع يطول شرحه.. وتطلق النفس على الذات. كما تطلق على العقوبة في قوله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ كما نطلق على النفس الأمارق بالسوء في قوله تعالى: ﴿فطوعت له نفسه قتل أخيه﴾.. ﴿وكذلك سولت لى نفسى﴾.. ونعرض للنفس وللحياة النفسية فى مُدَارَسَةٍ لاحقة إن شاء الله تعالى !!

١٤. فى الفضاء حياة !!

- سأل ولدى: أفى الفضاء حياة ؟! ..

- أجبت: نعم ياولدى ! ويجمع العلماء، ورواد الفضاء، ومعامل الفضاء أن هناك حياة أخرى فى الكون بل ذهبوا إلى أكثر من هذا وراحوا يرسخون لدى العامة والخاصة بإجماعهم على أن هناك حضارة ربما هى على الأقل مثل حضارتنا البشرية على كوكب الأرض إن لم تكن الحضارة الفضائية الواقعة خارج نطاق كوكبنا الأرضى أكثر تقدماً.. وربما تكون الحياة والحضارة خارج الأرض فى أكثر من كوكب أو فى أكثر من مجموعة كوكبية.. وبدأوا يبحثون فى آن واحد عن عدة أشياء أين الكواكب المتماثلة مع الأرض ؟! وما هو السبيل للإتصال

بهذه الحضارات ؟! كيف بدأت وكيف تطورت ؟!٠٠

يا أحباب ! نشأ فى معارف البشر علمٌ جديد يطلقون عليه (علم الأحياء الخارجية) وهو ذلك الفرع من العلوم الذى يفسر الحياة البيولوجية تحت تأثير ظروف الفضاء الخارجى٠٠ والبحث قائم عن كوكب تماثل ظروفه الطبيعية مع ظروف الأرض من حيث الغلاف درجات الحرارة الخواص الميكانيكية الكونية من حيث التربة وسرعة الدوران والجاذبية٠٠ وما إلى ذلك!!

- وعلم آخر يؤسسون له٠٠ وهو (علم المجتمعات الخاجية)٠٠ يعنى بمشاكل الحياة فى الظروف الخارجية من حيث طرق الإعاشة ونمو الكائنات الحية فى هذه الظروف الإحتمالية

- وعلم ثالث له مدارسه ومؤيدوه والعاملون فيه٠٠ وهو علم الإتصال بالحضارات الكونية الخارجية (علم الإتصال بالنجوم)٠٠ عن طريق إرسال واستقبال إشارات لاسلكية بنفس الطرق العلمية المستخدمة فى علم الفلك !!

- مشكلات كل هذه العلوم هى عجز التكنولوجيا العالمية الحديثة عن رصد إشارات من مجموعات نجمية متناهية فى البعد عن مجموعتنا الشمسية٠٠ ويرجعون ذلك إلى نظرية يسمونها الإنطلاقة الكبرى نشأت مع الإنفجار العظيم٠٠ وربما تتطور المعدات الرصدية ويكون بمقدور البشرية معرفة بعض الأشياء عن الحياة فى الفضاء الخارجى !!

- يا أحباب ! إكتشفوا حديثاً بذوراً كونية١٠٠ بصفات وراثية جديدة !!

- وأثبت العلم، وبما لايدع مجالاً للشك، أن التهجين يبدأ من حيث خلق الله الاشياء كونياً فى الكون، أو برياً فى الأرض٠٠ فكل ماهو برى فى حياتنا الأرضية هو كونى فى الاساس٠٠ ولم تستطع البشرية جمعاء خلق خلية واحدة او حتى التعرف على اسرارها !!

- والخلق والنشأة الأولى بدأت من تراب وماء وهواء، وهو وحده سبحانه الذى يعلم السر وأخفى٠٠ ولنعقل جيداً ان أحداً لم يتمكن من خلق خلية حية واحدة وحتى الآن !!

- ومعلوم يا ولدى ! أن تسبيح الكائنات الحية الذكية المتواجدة فى الكون سموات وأرض لله سبحانه وتعالى٠٠ ومعلوم أيضاً أن الأرض لا ترد فى القرآن الكريم جمعاً٠٠ الأمر الذى قد يستفاد منه ضمناً أن هناك كواكب أرضية أخرى

١- راجع كتاب البذور الكونية فريد هويل وآخر ١٩٨١م٠٠ترجمة أ. د. أحمد مستجير عن الهيئة المصرية العامة للكتاب

فى الكون، وعليها وفيها حياة، وربما حياة ذكية تسبح وتعبد الله سبحانه وتعالى، وذكر تباين التسبيح، قد يزيد من إحتمال الإشارة إلى الكائنات الذكية فى الكون.. حيث قال جل من قائل:

﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم﴾ (الإسراء١٧:٤٤)

- والأرض دواماً يأتى ذكرها فى القرآن مفردة يا ولدى! بما يحمل احتمال أن تعبير من فى الأرض فى النصين السابقين يحتمل أن يشمل أراضى أخرى غير كوكبنا الأرضى - والله أعلم..

- وأنظر ياولدى! إلى قول الله تعالى: ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير﴾ (الشورى٤٢:٢٩)

وعلى الإطلاق فإن لله مايشاء ويخلق مايشاء متى وأين شاء.. حيث يقول تعالى: ﴿لله ملك السموات والأرض يخلق مايشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور﴾ (الشورى٤٢:٤٩)..

وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل مايشاء﴾ (الحج٢٢:١٨)..

وقوله تعالى: ﴿وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم مافرطنا فى الكتاب من شىء ثم إلى ربهم يحشرون﴾ (الأنعام٦:٣٨)

- ويا ولدى! هذا التشابه! وهذه المثلية! للدواب والطيور فى أمم أمثالنا فى الكون.. يقطع على الأقل بوجود حياة على كواكب أخرى.. غير كوكبنا الذى نعيش عليه!!

- ومن عجب فإن خلق السموات والأرض أكبر بكثير من خلق الناس.. فإذا كان خلق السموات المتعددة ﴿سبع﴾؛ وخلق الأرض المتعددة ﴿مثلهن﴾، فإن خلق الحياة فى هذه الأرض المتعددة أمر على الله يسير.. حيث أورد القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ (غافر٤٠:٥٧)..

وقوله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾

- وإذا كان يا ولدى! الخلق بالمثلية قائم!.. وإعادة الخلق للسموات والأرض حقيقة!.. فإن خلق مافى السموات والأرض من باب أولى يصبح أيسر وأهون على

الله!

- وهذا مايورده القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم﴾ (يس٣٦:٨١)

- ومن كل ماتقدم يا ولدى ! يستفاد أن القرآن الكريم قطع وبحزم فى نصوصه عن وجود حياة فى الكون الخارج عن كوكبنا الأرضى.. وتأكد العلماء حديثاً من ذلك.. فالنيازك.. أجزاء من كواكب كونية.. التى جاءت إلى الأرض قد حوت كثيراً من الجزيئات العضوية،وهذه الجزيئات العضوية الواردة من الفضاء الخارجى تشابه تلك التى تأقلمت فى التجارب البيولوجية فى الأرض.. وهذا يقطع بوجود مظاهر للحياة فى الكون !! وتجاهد البشرية فى التعرف على كنه هذه الحياة !!

- ويشغل بال العلماء الآن الاتصال بحياة عاقلة فى الكون الخارجى بين النجوم والكواكب !! ويشغلهم كنه الحياة على الكواكب !! وتشغلهم الحياة جميعها أوبعضها وعناصرها ومظاهرها، وتأثيرها على الأرض، وعلى الإنسان. !!

فضلاً عن ذلك فقد صممت رسائل إعلامية بدائية للاتصال بالكائنات الكونية الذكية تبث وترسل تباعاً ودواماً من خلال محطات متخصصة ١ على امل الاتصال بحضارات كونية اخرى غير حضارتنا الارضية. !!

- وعليه فإن كل ما تقدم يهدم الوجودية، ويهدم نظرية التطور للكائنات الحية المتفردة للإنسان بالذات فى مواجهة الفكر الإلحادى فى نظرية داروين للنشوء والارتقاء.. ويفتح الباب واسعاً فسيحاً للدراسات المتكاملة فى شتى فروع العلم للتعرف على كنوز المعارف الحياتية فى الكون.. والله يحق الحق ويزهق الباطل !!

١٥. الإفلات من مجال الأرض !!

- سألت ابنتى: وهل يمكننا الذهاب للتعرف على هذه الحياة ؟!

- قلت: يابنيتى ! هى حياة فى الفضاء.. والإنسان تمكن مبكراً من غزو الفضاء، ولنتأمل قول الله تعالى: ﴿يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لاتنفذون إلا بسلطان﴾ (الرحمن٥٥:٣٣)

- ونسوق هذه الآية فى هذا الموضع لنوضح ثلاثة معان: الإستطاعة والنفاذ تفيد الجذب والجاذبية، وأقطار السموات والأرض تفيد كروية السموات والكواكب ومدارات السباحة للكواكب النجمية، ولا تنفذون إلا بسلطان تفيد الحفز على

١- راجع كتاب الاتصال مع النجوم - رين هارت

البحث عن طرق النفاذ، والأخير حدوثه وارد.. وهذه الثلاث توصل اليها العلم الحديث.. ومجهودات العلماء فى هذا الشأن لاتتوقف.!!

- فقوانين نيوتن الشهيرة فى الميكانيكا الكلاسيكية واجهت مأزقاً فى التطبيق العام.. استنهضتها قوانين أينشتين للنسبية.. وكليهما يواجه موقفاً حرجاً فى تفسير ظواهر الفساد والاختلال.. ونعرض لهذا فيما بعد إن شاء الله تعالى.. بمعنى أن العلم البشرى لازال فى بداية الطريق، وإن هُيئَ للناس غير ذلك يابنيتى!

- وإذا فهمنا مقصد الآية الكريمة.. ﴿لتركبن طبق عن طبق﴾ استنهاض همَمُنا.. وصولاً للنفاذ من أقطار السموات والأرض.. ركوباً لطبق عن طبق.. مستكشفين أسرار الفضاء والأرض.. مؤدين لتكليف إسلامى بالارتفاق والإنتفاع بكل مافى الكون.. ونرجع إلى هذا الموضوع بمدارسة أشمل فى خصوصية غزو الفضاء !!

١٦. (خلق بالحق)

- سألت زوجتى: ما هى حدود وضوابط الخَلق الكونى ؟!

- أجبت: هو الخلق بالحق.. والحق هو أصل المطابقة والموافقة.. ويقال على عدة أوجه:

- الاول: يقال لموجد الشىء بسبب ماتقتضيه الحكمة ولهذا قيل فى الله تعالى هو الحق وقال تعالى: ﴿ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق﴾، وقيل: (فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تؤفكون).

- والثانى: يقال للموجد بحسب مقتضى الحكمة ولهذا يقال فعل الله تعالى كله حق وقال تعالى: ﴿هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً﴾.. إلى قوله تعالى.. ﴿ماخلق الله ذلك إلا بالحق﴾

وقال تعالى فى شأن يوم القيامة: ﴿ويستنبئونك أحق هو قل إى وربى إنه لحق﴾ (ويكتمون الحق) وقوله عز وجل ﴿الحق من ربك﴾.. ﴿وإنه للحق من ربك﴾.

- والثالث: فى الاعتقاد للشىء المطابق لما عليه ذلك الشىء فى نفسه كقولنا اعتقاد فلان فى البعث والثواب والعقاب والجنة والنار حق قال تعالى: ﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق﴾.

- والرابع: للفعل والقول الواقع بحسب مايجب وبقدر مايجب فى الوقت الذى يجب كقولنا فعلك حق وقولك حق قال الله تعالى: ﴿ كذلك حقت كلمة ربك﴾ .. ﴿حق القول منى لاملأن جهنم﴾، وقوله عز وجل: ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم﴾.

ويقال أحققت كذا - أى أثبته حقاً أو حكمت بكونه حقاً وقوله تعالى: ﴿ليحق الحق﴾ فإحقاق الحق على ضربين:

أحدهما- بإظهار الأدلة والآيات كما فى قوله تعالى: ﴿وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً﴾ أى حجة قوية.

والثانى - بإكمال الشريعة وبثها فى الكافة كقوله تعالى: ﴿والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾ .. ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾.. وقوله: ﴿الحاقة ما الحاقة﴾ إشارة إلى القيامة كما فسره بقوله ﴿يوم يقوم الناس﴾.. لأنه يحق فيه الجزاء ويقال حاققته فحققته أى خاصمته فى الحق فغلبته ويستعمل كذلك فى الواجب واللازم والجائز نحو ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين - كذلك حقاً علينا ننجى المؤمنين﴾.. وقوله تعالى ﴿حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق﴾.. وقوله تعالى: ﴿وبعولتهن أحق بردهن﴾.. والحقيقة قد تستعمل تارة فى الشىء الذى له ثبات ووجود كقوله صلى الله عليه وسلم: لحارثة (لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟؟)

- والحق يقابله الباطل فى المعتقدات ويقابله الخطأ فى المجتهدات.

- وحق اليقين عبارة عن فناء العبد فى الحق.. والبقاء به.. علماً وشهوداً وحالا. وقيل علم اليقين الشريعة.. وظاهر اليقين الإخلاص فيها.. وحق اليقين المشاهدة فيها..(المعجم القرآنى)

- ويا أحباب ! خلق الله سبحانه وتعالى السموات والأرض وما بينهما بالحق ويدبر الأمر فيهما، وفيما بينهما، بالحق، لا بالباطل، وسخر الله الكون وما فيه من أرض وسماء ونجوم وكواكب وشمس وقمر لانتفاع الإنسان بها فى الحياة الدنيا (فى الخلافة فى الأرض) ولترقية حياته ووهبه القدرة على التعرف على نواميس هذا الكون الفسيح بالفطرة وبالتفكر وبالتعلم وبالإيمان.

- ويحتاج الإنسان أول مايحتاج إلى هدى الله فى كل مايختص بكينونته وحياته من عقيدة وسلوك وخلق وموازين وقيم وأنظمة وأوضاع وشرائع ومعاملات تنظم واقع الحياة وإذا رضى الله عن الإنسان وفقه إلى هداه فالهدى إنما هو هدى الله، واستبداله ضلال فما بعد الحق غير الضلال، وأمرنا أن نسلم لله رب العالمين، ونقيم الصلاة، ونؤتى الزكاة، ونتقيه حق تقاته.

- فالله سبحانه وتعالى يذكرنا بأنه خلق لنا كل مافى الأرض لإسعادنا وللسمو بحياتنا كخلائف له فى الأرض حيث يقول تعالى:

﴿هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً﴾ (البقرة٢:٢٩)

وهذا معناه أننا مكلفون بارتفاق ما فى الأرض جميعاً من كل شىء. !!

- وقد ورد خلق الكون بالحق فى ١٢ نص قرآنى نوردها فى الآتى:

- النص الأول: فى قوله تعالى: ﴿وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذى إليه تحشرون. وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير﴾ (الأعراف٦:٧٢،٧٣)

ويذكرنا سبحانه وتعالى بحشد هائل من الحقائق الأساسية فى العقيدة الإسلامية: حقيقة الحشر، حقيقة الخلق، حقيقة السلطان، حقيقة العلم بالغيب والشهادة، حقيقة الحكمة والخبرة.

إن الإستسلام لله رب العالمين واجب وضرورة، فهو الذى تحشر إليه الخلائق كلها، لتقف يوم الحساب أمام رب العالمين ببعض ما ينجى من العذاب والعقاب على الشرك - والعياذ بالله - أو التقصير فى فرائضه، ويذكرنا سبحانه وتعالى بأنه الذى خلق السموات والأرض. والذى يخلق يملك ويحكم ويقضى ويتصرف ويصرف.

ولقد خلق السموات والأرض بالحق، فالحق قوام ماخلق الله نشأة ومآلاً وعلى اتساع الكون كله، وسلطان الله مطلق، ومشيئته مطلقة، ومعه ينعدم الزمان، فهو حال مايقول كن فيكون، وذكره للفظ - كن - إنما هو نسخ للزمان أمام المشيئة الإلهية فى الخلق، والإبداع، والتغيير، والتبديل، والأمر والتدبير.. - فى الملك كله -.. نشأة وبعثاً، يوم ينفخ فى الصور، وهو يوم الحشر (وصورته من غيبيات الله سبحانه وتعالى).. وهو جل شانه ﴿عالم الغيب والشهادة﴾.

اختص وانفرد بعلم الغيب المحجوب، وكما يعلم وعلمه الحق هذا الكون المشهود، ولاتخفى عليه خافية من أمر العباد ولا شأن من شئونهم فى السر أو فى العلن أو فى الضمير فأولى لهم أن يسلموا ويؤمنوا ويتقوا. ﴿وهو الحكيم الخبير﴾.

يصرف أمور الكون الذى خلقه وأمور العباد والناس الذين استخلفهم فى الأرض بالحكمة والخبرة.. فالسعيد من اتبعه.. وفاز بفضل الأثرين - الحكمة والخبرة.. خروجاً من التيه والشرك.. إلى نور الهداية والمعرفة والبصيرة.

- النص الثانى: وجاء فى قوله تعالى: ﴿خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار﴾ (الزمر٣٩:٥)

إن الله سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض على أكمل صورة وأحبكهما

وأدقهما، وأغشى الليل على النهار، والنهار على الليل، كل يتقفى الآخر يطلبه حثيثاً.. !!

وسخر لنا الشمس بحرارتها، وضيائها، والقمر بضيائه، وتجري الشمس والأرض والقمر لأجل زمانى يعلمه الله سبحانه وتعالى. وهو جل فى علاه كامل القدرة له العزة جميعا عظيم المغفرة والرحمة وجاءت (ألا) فى النص لكمال الاعتناء بالنص ولشدة الوقع بالتنبيه أنه هو الغالب على أمره الستار لذنوب وعيوب الخلق فليخلص له العباد ولا يشركوا به أحداً.

- النص الثالث: وجاء فى قوله تعالى: ﴿هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون * إن فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والأرض لآيات لقوم يتقون﴾ (يونس١٠:٥،٦)

أي أن الله سبحانه وتعالى خلق الشمس بحرارتها وضوئها، وخلق القمر منيراً، وجعل ظهوره بحسب منازله لتتعين بهما (بالشمس والقمر) مواقيت الحياة. ولا زالتا الشمس والقمر هما المرجعية فى التقويم، وهذا ما خلق وقدر إلا بالحق. وهذا التفصيل فى الخلق يحتاج إلى علم وتعلم، ولا يكفى البيان والمعرفة. وأن كل هذا الذى سبق من اختلاف فى الليل طولا والنهار تتابعاً وإدباراً.. لآيات لمن يؤمن بالله ويتقيه.

- النص الرابع: ورد فى قوله تعالى: ﴿خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير﴾ (التغابن٦٤:٤)

خلق الله سبحانه وتعالى السموات والأرض بالدقة والحكمة البالغة الضامنة والمتضمنة لمصالح الدنيا، والدين، ولم يخلقهما لهواً ولا عبثاً وخلق الإنسان فى أحسن هيئة لمخلوق على وجه الأرض هيئة ومهابة له الخلق ومنه أسباب الحياة والنعم وإليه المصير وليجزي كلا بعمله وإيمانه وتقواه.

- النص الخامس: ورد فى قوله تعالى: ﴿أو لم يتفكروا فى أنفسهم ماخلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون﴾ (الروم٣٠:٨)

وحكمة الورود ليعملوا عقولهم وفكرهم، فيثبتوا، ويعرفوا أن الله سبحانه وتعالى ما خلق السموات والأرض إلا بالحق، ولم يخلقهما عبثا!.. وخلقن لأجل مسمى.. وإن كثيراً من الناس لينكرون البعث والحساب - لإثابة المحسن، ولعقوبة المسيء.

ـ النص السادس: ورد فى قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين * ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لايعلمون﴾ (الدخان٣٨:٤٤،٣٩)

ما خلق الله سبحانه وتعالى الكون لعبا وعبثا !٠٠ وما خلقه إلا بالحق ولكن أكثر الناس يجهلون ولا يعلمون لماذا الخلق ؟٠٠ ولماذا الاستخلاف ؟٠٠ ولماذا كل هذا النعيم ؟٠٠ وينكرون البعث والحساب !!

ـ النص السابع: ورد فى قوله تعالى: ﴿خلق السموات والأرض بالحق إن فى ذلك لآية للمؤمنين﴾ (المؤمنون٤٤:٢٩)

إن الله سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض بالحق القويم لا لهوا ولا عبثا وإن فى خلقهما وإبداعهما صنعة ومظهرا ـ لعلامة ودلالة للموحدين المؤمنين به٠

ـ النص الثامن: ورد فى قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل﴾ (الحجر١٥:٨٥)

تعرض الآية إلى قوة وعظمة الكون ـ السموات والأرض وما بينهما، وعن النشأة والخلق والتعمير، وعن التسخير والتدبير، ومآل كل من عليهما ومن فيهما٠٠ ـ وعن يوم القيامة الآتية ولا ريب فيها فبين الحقيقتين بدء الخلق وقيام الساعة وهما أحق الحقيقة وإحقاق الحق فاصفح ولا تشغل بالك ونفسك بالحزن والغيظ ودع الأمر لله سبحانه وتعالى٠

ـ النص التاسع: ورد فى قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون﴾ (الأحقاف٤٦:٣)

يذكرنا الله سبحانه وتعالى بخلقه للسماوات والأرض وما بينهما بالحق ولأجل مسمى محدود يعلمه هو٠ أما الذين كفروا بالبعث والحساب فى الآخرة فهم معرضون ولا يتفكرون ولا يفكرون فى هذا الموقف العصيب يوم الحشر العظيم٠

ـ النص العاشر: ورد فى قوله تعالى: ﴿خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون﴾ (النحل١٦:٣)

خلق الله سبحانه وتعالى السموات والأرض وما فيهما، ومن عليهما، بالحق، يدبر شئونهما بالحق، يسيرهما بالحق، فلا شيء فيهما عبث، أو مغاير للحق والحقيقة الخالدة، لحكمة الصانع الخالق فتعالى الله عما يشركون٠

ـ النص الحادي عشر: ورد فى قوله تعالى: ﴿ألم ترأن الله خلق السموات والأرض بالحق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد﴾ (إبراهيم١٤:١٩)

إن خلق السموات والأرض واضح وثابت ولاتجاوز ولاتفاوت فى خلقه وخلق مخلوقاته ولو أخذ هذا الإعجاز وحيدا لآمن من تبين ورأي وتعقل وحكم التفكير

والاستنتاج من الرؤية وإعمال البصيرة بعد البصر ولكنه العناد والتجبر والله سبحانه وتعالى قادر على استخلاف جنس غير هذا الجنس واستخلاف قوم غير القوم

- النص الثاني عشر: ورد في قوله تعالى: ﴿وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزي كل نفس بما كسبت وهم لايظلمون﴾ (الجاثية٤٥:٢٢)

حقاً لقد خلق الله سبحانه وتعالى السموات والأرض بالحق، ليدلل بذلك على قدرته ووحدانيته، ولكي يجزي كل إنسان بعمله، وبما اكتسب من خير أو من شر، فلا نقص في إثابة المحسن، ولا زيادة في عذاب المسيء.. - وهم لايظلمون.

- و نوجز مجمل دلالة خلق الكون بالحق في الآتي:

١. أن خلق الكون تم بدقة وتصميم بالغ الدقة والتدبير والإبداع بعزة الله وقدرته وعلمه، وأن البعث شأنه في ذلك شأن الخلق حق واقع بحكمة وخبرة وقدرة الله سبحانه وتعالى، وخلق الماضي، وتدبير اليوم، وبعث الغد.. - لايعصي على الله جلت قدرته فحيثما تنعقد الإرادة يقول للشيء كن فيكون.

٢. أن تكوير الليل على النهار والنهار على الليل وتسخير الشمس والقمر لأجل مسمى موقوت بقيام الساعة ولله العزة ومنه المغفرة.

٣. أن الله سخر الشمس والقمر لوظيفة حياتية للأرض وللإنسان وبجانب ذلك فبهما يكون حساب الزمن والسنوات والشهور والأيام والأوقات.

٤. بمثل ماكان خلق السموات والأرض بالحق فإن خلق الإنسان بالحق تم في أبهى صورة إبداعية لمخلوق وإلى الله المصير.

٥. أن خلق السموات والأرض بالحق ومع ذلك فإن كثيرا من الناس ينكرون البعث ويكفرون به.

٦. أن خلق السموات والأرض بالحق ولكن أكثر الناس يجهلون الخلق والقدرة والعزة والبعث.

٧. أن خلق السموات والأرض بالحق، وفي ذلك آيات للمؤمنين.

٨. أن خلق الكون بالحق، وأن الساعة لآتية، فالصفح مطلوب، والحساب قادم.

٩. أن خلق الكون بالحق، وأن الساعة لآتية، ولكن الذين كفروا منكرون للبعث والحساب.

١٠. أن خلق السموات والأرض بالحق، والله متعال عن شركهم.

١١. أن خلق السموات والأرض بالحق، ولكنه العناد في الكفر من المشركين، وإذا شاء الله لأخذهم، وأحل محلهم قوما آخرين.

١٢٠ أن خلق السموات والأرض بالحق، وأن حساب اليوم الآخر لكل قدر إحسانه أو قدر إساءته.

ويستفاد من هذا كله أن خلق الكون حق، وتسخيره للبشر حق، وخلق الإنسان حق، والبعث حق، والحساب حق، والله حق، فالحق أحق أن يتبع.. وسيقت الدلالات الكونية قرآنياً، كدلائل حسية، على عظمة وإبداع الخالق، ورهبة وهوْل يوم عظيم.

١٧٠ زمن خلق الكون !!

ـ سأل ولدى: ومازمن خـَلق هذا الكون الموهول الفسيح هذا؟!

ـ أجبت: يا ولدى ! خلق الله السموات والأرض فى ستة أيام.. وأورد سبحانه وتعالى تلك المدة مجملة فى ستة أيام فى سبع نصوص (مواضع) قرآنية وأورد بعض تفصيلات المدة فى مواضع أخرى.. نعرض لها فى حينه.. والنصوص هى:

ـ النص الأول: وجاء فى سورة الأعراف فيه ذكر الخلق، وزمنه واستتبع بالاستواء على العرش، وبإغشاء الليل والنهار بتسخير الشمس والقمر والنجوم، ويذكرنا سبحانه وتعالى بأنه اختص بالخلق والامر، فيما هو متعلق بكل هذه الأمور.. حيث قال جل شأنه:

﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ (الأعراف٧:٥٤)

والأمر هو الشأن وجمعه أمور أو أوامر ومصدر أمرته إذا كلفته أن يفعل شيئا وهو لفظ عام للأفعال والاقوال كلها وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿إليه يرجع الأمر كله﴾.. وقوله تعالى: ﴿إن الامر كله لله يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شىء وأمره إلى الله﴾.. ويقال للإبداع فى الأمر: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾.. ويختص به الله تعالى دون الخلائق وقد حمل على ذلك قوله: ﴿وأوحى فى كل سماء أمرها﴾.. وعلى ذلك حمّل العلماء قوله تعالى: ﴿قل الروح من أمر ربى﴾ - أى من إبداعه.. وقوله تعالى: ﴿إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ فإشارة إلى ابداعه.. وعُبّر عنه بأقصر الألفاظ وادلها وأبلغها فى قوله تعالى: ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾ فعبّر عن سرعة إيجاده بأسرع مايدركه الحس والشعور البشرى.

وهنا والأمر متعلق بأن الخلق خلق الله، وبأمر من الله سبحانه وتعالى، والبحث

فى النصوص القرآنية أن زمن أمر الله، وهو الزمن الذى يقضى فى حركة رمش العين فى اتجاه واحد، إما تفتيحاً، وإما غلقاً وتغميضاً، كما فى قوله تعالى: ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾ (القمر٥٤:٥٠)، وبذات المدة الزمانية، يورد القرآن الكريم زمن أمر الله فى لمحة بصر واحدة، فى قصة عرش بلقيس، حيث قال تعالى: ﴿قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم﴾ (النمل٢٧:٤٠)، ناهيك أن الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز إن أمره قد يأتى ليلاً أو نهاراً.. أى فى برهة.. من الليل أو من النهار، حيث قال تعالى: ﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾ (يونس١٠:٢٤)

وإذا كان الأمر أمر تصور وإحصاء وحساب فالستة أيام عندنا هى بواقع ثوان عند الله تعالى: ﴿إن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ - وهو أمر تشبيه.. فمع الله تعالى ينعدم الزمان - الأمر الذى يتفق وجلال القدرة والعزة الإلهية !!

- النص الثانى: وفيه ذكر الخلق، وزمنه.. محدداً بالستة أيام، ورد الله على اليهود الادعاء بالتعب والإعياء، من مجهود الخلق الكونى.. فى قوله تعالى:

﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾

لغوب: إعياء وتعب. (ق٥٠:٣٨)

وهذه الآية جاءت رداً على كهنة التوراة من اليهود الذين زعموا أن الله خلق السموات والأرض فى ستة أيام أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة، وأنه تعب فاستراح يوم السبت، واستلقى على ظهره فوق العرش.. فيكذبهم الله تعالى.. والمعنى أن الله سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض فى كثافتها وسعتها وما بينهما من المخلوقات البديعة فى ستة أيام (من أيام الدنيا).. وما مسه من إعياء وتعب حاش لله.. والواقع والمنطق أننا لو تركنا الوحدات الزمانية على أرضنا وذهبنا إلى وحدات أكبر من ذلك لكان لدعوى اليهود حول تعب وإعياء الله سبحانه وتعالى ظل من حقيقة - هذه واحدة.. والثانية - أنه تعالى دحض قولهم وافقهم فى المدة الزمانية، والمدى الزمانى، ودحض ادعاءهم بما يدعون على الله كذباً من إعياء وتعب، وأضف أن الآية التى تلت الآية ٣٨ من سورة ق تقول: ﴿فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾ (ق٥٠:٣٩) أى بمعنى،

ونزه ربك عما لايليق به، وصل واعبده، وقتى الفجر والعصر.. ﴿ومن الليل فسبحه وأدبار السجود﴾ (ق٥٠:٤٠) أى بمعنى، ومن الليل فتهجد وصل عقب الصلوات المفروضة.

ويرد عليهم فى موضع آخر فيقول تعالى: ﴿أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى إنه على كل شىء قدير﴾ بمعنى، أنه لم يتعب، ولم يضعف بخلقهن.. حيث أنه قادر لايعجزه شىء!!

- النص الثالث: وينقلنا الله سبحانه وتعالى إلى التذكير بخلق الكون موضوعاً، وإلى مدة الخلق وهى ستة أيام، والاستواء على العرش، ديمومة تدبير أمر الكون، والشفاعة بالإذن الإلهى، والأمر بالعبادة حيث يقول تعالى:

﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر مامن شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون﴾ (يونس١٠:٣)

- النص الرابع: فيذكرنا الله سبحانه وتعالى بأنه خلق السموات والأرض، وفى ستة أيام، ثم استوى على العرش، ويورد لنا مدى علمه الواسع الكامل الشامل كما يلج فى الارض، وما يخرج منها، وما ينزل من السماء، وما يعرج فيها، وكذلك دوام المعية الإلهية للعباد أينما كانوا، والعلم التام بما يعمل العباد فى قوله تعالى:

﴿هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم مايلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ماكنتم والله بما تعملون بصير﴾ (الحديد٥٧:٤)

- النص الخامس: فيذكرنا بخلقه سبحانه للسماوات والأرض، وما بينهما، وفى ستة أيام، ثم استوى على العرش، ويذكرنا بانفراده سبحانه وتعالى، بالولاية والشفاعة لنا جميعا.. حيث يقول تعالى:

﴿الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم أستوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولا شفيع. أفلا تتذكرون﴾ (السجدة٣٢:٤)

- النص السادس: فيذكرنا بخلق السموات والأرض، وفى ستة أيام، وقبلها كان عرشه على الماء، وبين لنا الحكمة من الخلق لابتلائنا، ليبين له أينا أحسن طاعة وعبادة، ويوضح لنا موقف الكافرين من البعث، وقولهم فيه بأنه السحر.. يقول تعالى: ﴿وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين

كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾ (هود١١:٧)

- النص السابع: ويصف ذاته بالرحمة ﴿الرحمن﴾ الذى خلق السموات والأرض، وما بينهما، فى ستة أيام، ثم استوى على العرش، فإن أردت أن تسأل فسل عنه خبيراً، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون﴾٠٠ فيقول تعالى:

﴿الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً﴾ (الفرقان٢٥:٥٩)

- وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

﴿خلق الله التربة يوم السبت، وخلق منها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم يوم الجمعة، فى آخر الخلق، فى آخرساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل﴾٠٠

حديث صحيح٠٠ أنظر الحديث ٣٢٣٥ فى صحيح الجامع٠٠ وسبقت الإشارة إليه!!

- بمعنى أن القرآن والسنة يجمعان على أن الخلق الكونى تم فى ستة أيام من أيامنا٠٠ أيام الأرض٠٠ بعكس ما قد يذهب إليه البعض بأنها ستة مراحل٠٠ كل مرحلة ألف سنة ؟!٠٠

ويضاف أن خلق السموات والأرض ورد فى ستة أيام فى أربع آيات:

٠١ ﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ (الأعراف٧:٥٤)

٠٢ ﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر مامن شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون﴾ (يونس١٠:٣)

٠٣ ﴿هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم مايلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ماكنتم والله بما تعملون بصير﴾ (الحديد٥٧:٤)

٠٤ ﴿وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾ (هود١١:٧)

- وخلق السموات والأرض ﴿وما بينهما﴾ فى ستة أيام ورد أيضا فى ثلاث آيات:

٠١ ﴿الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم أستوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون﴾ (السجدة٣٢:٤)

٠٢ ﴿الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً﴾ (الفرقان٢٥:٥٩)

٠٣ ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾ لغوب: إعياء وتعب• (ق٥٠:٣٨)

- وهذا الورود التضمينى يقطع بأن الرتق والفتق تم أيضاً وضمناً فى ستة أيام الخلق الأول !!•• إبان زمن النشأة الأولى !!•• والله أعلم !!

٠١٨ إبداع خلق الكون !!

- سألت ابنتى: ما معنى إبداع خلق الكون ؟!

- قلت: يابنيتى ! معنى الإبداع هو الخلق من العدم !!•• وتأملى ما أورده جل فى علاه عن إبداع خلق السموات والأرض فى موضعين:

- الأول: فى قوله تعالى: ﴿بديع السموات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون﴾ (البقرة٢:١١٧)

- الثانى: فى قوله تعالى: ﴿بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم﴾ (الأنعام٦:١٠١)

- وتأمل ما رواه أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال:

﴿لما خلق الله الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال، فألقاها عليها، فاستقرت، فعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت: يا رب ! هل فى خلقك شىء أشد من الجبال ! قال نعم، الحديد، قالت: يا رب ! فهل فى خلقك شىء أشد من الحديد ! قال: نعم النار، قالت: يا رب ! فهل فى خلقك شىء أشد من النار ! قال: نعم، الماء، قالت يا رب ! فهل فى خلقك شىء أشد من الماء ! قال: نعم، الريح، قالت: يا رب ! فهل فى خلقك شىء أشد من الريح ! قال: نعم، ابن آدم، يتصدق بيمينه، فيخفيها عن شماله﴾!!

مسند الامام أحمد والترمزى الحديث رقم٤٧٧٠ فى ضعيف الجامع••

والله تعالى هو الذى خلق الكون، وهو الذى أبدع خلقه، وهو الذى خلق كل شىء وهو بكل شىء عليم، وهو الذى يقضى بالأمر بقوله كن فيكون حال ماتحل الإرادة بالخلق والتدبير••!!

. وأحسب أننا لو بحثنا عن مدلولات خلق الكون وإبداعه من عدم، ولو دققنا

معانى قوله تعالى: ﴿كن فيكون﴾ كأمر إلهى فى نصوص القرآن الكريم لكان أجدى وأنفع ! من مناقشة مراحل خلق الكون !!.. حيث أن هذا يدخلنا بالتضمين فى أمور تتنافى وروح ﴿كن فيكون﴾.. والله تعالى أعلم !!

١٩. (يقول كن فيكون).. الكينونة المنشئة !!

- سأل ولدى: وماذا تقصد بالتدقيق فى معانى ﴿كن فيكون﴾ ؟!

- قلت: يا ولدى ! ﴿كن﴾ فعل أمر ينزل على محل لأى أمرٍ من الامورِ فيُظهِرُهُ ﴿كن فيكون﴾ بإذن الله.. وهذه هى الكينونة الكاشفة!.. أما يا ولدى إذا نزل هذا الأمر ﴿كن﴾ على غير محل ﴿فيكون﴾ أيضاً ما أراد الله.. وهذه هى الكينونة المنشئة!.. فلله الانشاء والكشف معاً.. وورد ياولدى ! التعبير الإلهى ﴿ويوم يقول كن فيكون﴾ بدون لفظ ﴿له﴾ مرة واحدة فى القرآن الكريم؟!.. وجاء ذلك الورود قرين خلق السموات والأرض، وهو خلق من عدم، بمعنى أن فعل الأمر ﴿كن﴾ نزل على غير محل.. فيكون ما أراد الله !!.. وبلغة أهل التشريع.. والحال كذلك تكون كينونة منشئة للسماوات والأرض، حيث لم تكن هناك سماوات وأرض يوم خلقهما الله.. يقول تعالى: ﴿وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير﴾ (الأنعام٦:٧٣)

٢٠. (يقول له كن فيكون).. الكينونة الكاشفة !!

- يا ولدى ! يذكر الإمام الشيخ محمد متولى الشعراوى: (إن الله سبحانه وتعالى حين يريد أن يظهر لنا شيئاً يمارس مهنته فى الحياة.. فإنما يقول له كن فيكون.. فيخرخ بكلمة كن من علم الله سبحانه وتعالى إلى كون الله فنعرفه.. وفى هذه الآيات لابد أن نلتفت إلىَ قوله تعالى ﴿يقول له﴾ وما دام الحق سبحانه وتعالى يقول ﴿يقول له﴾.. فمعنى ذلك أن هذا الشىء موجود.. وإلا لما قال الله تعالى ﴿يقول له﴾ لأن الخطاب هنا لشىء موجود فعلا.. فهى فى الحالة الثانية كينونة كاشفة !!..

وبإنزال شرح شيخنا على الآية ٧٣ من سورة الأنعام.. سابقة الذكر.. فالأمر يقطع بأن السموات والأرض خلقتا من عدم، حيث ورد قرين خلقهما تعبير ﴿يقول كن فيكون﴾، ولم يرد فى العبارة لفظ ﴿له﴾..!!

ـ ويا ولدى ! ورد التعبير القرآنى ﴿يقول له كن فيكون﴾ فى سبع مواضع (نصوص)٠٠ فى قول الله تعالى:

٠١ ﴿بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ (البقرة٢:١١٧)

٠٢ قوله تعالى: ﴿قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق مايشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾

٠٣ قوله تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ (آل عمران٣:٥٩)

٠٤ قوله تعالى: ﴿إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ (النمل١٦:٤٠)

٠٥ قوله تعالى: ﴿ماكان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ (مريم١٩:٣٥)

٠٦ قوله تعالى: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ (يس٣٦:٨٢)

٠٧ قوله تعالى: ﴿هو الذى يحيى ويميت فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ (غافر٤٠:٦٨)

ـ ويستفاد يا ولدى ! من جملة النصوص السابقة أن الكون خلق من عدم وفى ستة أيام من أيام الأرض٠٠ أما أمر التدبير الكونى أياً كان الشأن ولأى أمر من الأمور فهو أمر كاشف٠٠ كان خافياً علينا، معلوماً لله سبحانه وتعالى علام الغيوب !!

٠٢١ اليوم والألف سنة فى القرآن ؟!

ـ عاد ولدى يسأل فى دهشة: ومن أين جاءوا بمراحل الخلق الكونى ؟!

ـ أجبت: يا ولدى ! سلموا بالخلق فى ستة أيام٠٠ وعادوا يفرضون سطحياً لبرودة الأرض على مراحل بعد الإنفجار العظيم٠٠ وفسروا ستة أيام الخلق الكونى بأنها ستة آلاف سنة !!٠٠ بحسب أن اليوم عند الله بألف سنة٠٠ وهذا تأويل خاطىء يا ولدى !٠٠ فمع المشيئة الإلهية تعطل السنن والظواهر كنار سيدنا إبراهيم مثلاً٠٠ ولليوم والألف سنة دلالة على النسبية الزمانية للسرعات الكونية٠٠ سرعة الجمادات المتحركة منسوبة إلى سرعة الضوء، وكذلك فإن لليوم والخمسين ألف سنة دلالة ثالثة لنسبة تكبير وتضعيف سرعة الملائكة مضاعفة متكررة بقيم خيالية لسرعة الضوء الجمادى، او هى فى المقابل نسبة انكماش

زمانى لسرعات الملائكة والروح القدس، وهذا مانعرض له مع عرضنا للنظرية النسبية فى القرآن الكريم٠٠ وتأمل قول الله تعالى:

﴿إن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ (الحج٢٢:٤٧)

﴿فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ (السجدة٣٢:٥٠)

وهذه النسبية بين اليوم الإلهى والألف سنة مما نعد ونحصى أتاحت لعلماء النسبية ولعلماء الرياضيات العرب حساب سرعة الضوء بدقة متناهية ٠٠ وراجع ياولدى ! البحث العلمى المنشور تحت مسمى ـ إعجاز حساب سرعة الضوء بالتقويم الشهرى العربي٠٠ للطبيب محمد دودح هيئة الإعجاز العلمى للقرآن بمكة٠٠ منشور بكتاب الكون والإعجاز العلمى القرآنى٠٠ دكتور منصور حسب النبى٠٠ دار الفكر العربى١٩٩٠م٠

ـ وارجع يا ولدى ! لمعالجتنا للنظرية النسبية لألبرت أينشتين فى القرآن والسنة٠٠ الباب الثانى٠٠ ونخصص لها جلسة مدارسة قادمة بإذن الله تعالى !!

ـ واليوم الإلهى المشار إليه فى النصوص القرآنية والمقرونة بخلق السموات والأرض يعادل٣٦٥٢٥٠ يوما مما نعد ونحصى فى الأرض، وهذا يفيد ان يومنا يساوى (٣٦٥٢٥٠:١) من أيام المولى جل علاه، وهذا رقم لايمكن تصوره لأهل الجزيرة العربية !!

والذى يمكن حمله عليه هو تمثيل أو تشبيه الأمر الإلهى كواحدة كلمح بالبصر٠٠ وحينئذ نستطيع مجازاً أن نقول: اليوم الأرضى عبارة عن ٨٦٤٠٠ ثانية٠٠ واليوم الأرضى عبارة عن جزء واحد (١) مقسوماً على (٣٦٥٢٥٠ جزء من يومٍ من أيام الله)٠٠

وذلك للتصور والتبسيط٠٠ ولا أكثر٠٠ يا ولدى ! يمكن تجاوزاً حمل زمن لمح البصر على أنه خارج قسمة٨٦٤٠٠ ثانية / لليوم الواحد تقسم على٣٦٥٢٥٠ لليوم النسبى٠٠ فينتج عن هذه العملية الحسابية البسيطة:

زمن لمح البصر يساوى ٢٣٧ر٠ ثانية٠٠ (أى أقل من ربع ثانية) !!٠٠

ـ ويا ولدى ! نعتقد أن هذا النص وهذه القيمة لايمكن أن تحمل أو تفسر إلا على أنها الزمن الذى يستغرق فى واحدة كلمح البصر، بحركة واحدة للعين إما فتحها أو إغلاقها٠٠ والأقرب الفتح٠٠ مصداقا لقوله تعالى: ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾٠٠ ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾٠٠ والله أعلم !!

ـ ختاماً نعتقد أن خلق السموات والأرض وما بينهما شأنه شأن مخلوقات الله وشأن ان كل شىء إنما تم تنفيذا لأمر الله ﴿كن فيكون﴾٠ ومصداقا لقوله تعالى:

﴿ألا له الخلق والأمر﴾ ولا يصح أن نحمل النص ﴿فى ستة أيام﴾ أكثر مما يحتمل، ونذهب إلى القول بأنها ستة آلاف سنة، وأن الخلق تم على مراحل.. ومثل هذا الزعم يتناقض وروح وجوهر كن فيكون.. ويفتح باب الشك فيما ينسبه اليهود من التعب والاعياء.. والله يدحض فريتهم فى قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض فى ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾ (ق٥٠:٣٨)

وللتقريب للذهن ولا أكثر يا ولدى ! فإن لفظ ﴿كن﴾ قد يستغرق نطقه منا زماناً فى حدود أقل من ربع الثانية سابق الاشارة إليه !!..

- والله سبحانه وتعالى يوضح لنا ولعقولنا المحدودة زمن أمره.. بزمن واحدة من لمح البصر فى مرة !!.. ومرة أخرى بزمن نطق لفظ ﴿كن﴾ !!.. - ليقرب لنا زمن الأمر الإلهى تخيلا وتبسيطاً.. !!

- وذهب سادتنا.. من السلف الصالح.. ومعهم الحق أن زمان ﴿كن﴾ هو مابين الكاف والنون.. أي زمان معدوم.. فالأجدر والأيقن أن يقَر فى أذهاننا.. فى عقولنا وقلوبنا.. أن خلق السموات والأرض إنما تم فى ستة أيام من أيام الدنيا.. كما حدثنا بهذا القرآن بنصه المباشر !!

- والمقطوع به يا ولدي ! أنه مع الذات الإلهية ينعدم الزمان متى إنعقدت الإرادة الإلهية لخلق، أو فعل، أو عمل أي شيء.. بالمشيئة.. ﴿كن فيكون﴾!!

٢٢. التسخير الكونى ؟!

خلق الله سبحانه وتعالى كل شيء.. الماء، والكون - السموات والأرض وما فيهما وما بينهما من شيء، ليسخره لبنى آدم فى النهاية تسخيرًا عامًا، وذلك بحسب أننا خلائف الله فى الأرض، لنعبده، ونحمده، ونشكر له، على عظيم نعمه ولا نشرك بعبادته أحدًا، وكل نعم الأرض وزينتها ماجاءت وما كانت إلا لإسعاد البشر، ويفوز بنعيم الدارين الأولى والآخرة أيّنا أحسن عملاً، حيث يقول سبحانه وتعالى:

﴿هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعا﴾.. وقوله تعالى ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾

ويورد فضيلة الشيخ محمد الغزالى فى كتابه كيف نتعامل مع القرآن الكريم: وهل كلمة سخر وردت لنتغنى بها؟! دون أن نُدرك أن الأشياء المُسَخَرة لنا يجب أن نُسَخرُها لأنفسنا.. وهذا هو الفكر الطبيعى للأمة الاسلامية.. بدل أن يُسخرنا فى البر والبحر الاجانب.. عباد الله، الذين لادين لهم ؟؟!!

ويورد القرآن الكريم آيات التسخير على نحو يتصل بتسخير مافى السموات وما فى الأرض جميعاً، وتسخير مافى الأرض، وتسخير البحر والفلك والأنهار، والشمس والقمر والنجوم، والليل والنهار، وتسخير الجبال فى العديد من المواضع نوجزها فى التالي:

سخر الله سبحانه وتعالى الماء فى السماء، وفى بحار الأرض وأنهارها وثلوجها وسحبها، وكذلك الأرزاق للناس أجمعين، وسخر لنا مافى السموات وما فى الأرض وما بينهما، وأسبغ علينا من النعم الكثير، الظاهر منها والباطن، وللأسف هناك منا من يجادل فى كرم الخلق والرزق والأنعم والتسخير، بغير علم، ولا هدى، ولا دليل من كتاب منزل.

والتسخير الالهى للكون يقابله تكليف الانسان بالارتفاق والانتفاع.. وللأسف نحن نقابل هذا التسخير وذاك التكليف بالاعراض والاهمال.. ياسبحان الله !!

= نعرض للتسخير الكونى فى سبع مواضع قرآنية !!

- ١. تسخير مافى السموات والأرض.. وجاء ذلك فى قوله تعالى:

﴿ألم تروا أن الله سخر لكم مافى السموات جميعا وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾ (لقمان٣١:٢٠).. وقوله تعالى: ﴿وسخر لكم مافى السموات والأرض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (الجاثية٤٥:١٣).. وقوله تعالى: ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم مافى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾

- ٢. تسخير مافى الأرض جميعاً.. ويذكرنا سبحانه وتعالى بتسخيره مافى الأرض جميعا للناس.. يابساً وبحراً.. فنحن مكلفون دينياً بارتفاق كل سطح الأرض يابسها وبحارها وأنهارها وفلكها.. وينبهنا بأنه ممسك للسماء أن تقع علينا، وذلك من رأفته ورحمته.. حيث يقول تعالى:

﴿ألم تر أن الله سخر لكم مافى الأرض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤف رحيم﴾ (الحج٢٢:٦٥)

- ٣. تسخير البحار والأنهار والفلك.. ويذكرنا سبحانه وتعالى بخلق السموات والأرض، وانزاله جل علاه للماء من السماء، وإخراجه الثمرات والنباتات رزقاً للناس، وتسخيره لنا الفلك لتجرى فى البحر، وكذلك تسخيره الأنهار، كما سخر لنا الشمس والقمر، وسخر لنا الليل والنهار.. حيث يقوله تعالى:

﴿الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من

الثمرات رزقاً لكم وسخر الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار * وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار﴾ (إبراهيم١٤:٣٢،٣٣)

ـ ٠٤ تسخير الزمان والشمس والقمر والنجوم·· يذكرنا سبحانه وتعالى بتسخيره الزمن، والشمس، والقمر، والنجوم·· وهنا يتجلى تكليف الارتفاق والانتفاع·· بالزمن كرأس لرأس المال، وبالشمس كمصدر للطاقة الحرارية والضوئية، وبالقمر وضوئه ودلالته كمؤشر للزمان والتواريخ، وكذا امكانياته التعدينية، وبالنجوم كأساس مرجعي للمسافات وللتقويم·· فى قوله تعالى:

﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ (النحل١٦:١٢)·· وقوله تعالى: ﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ (الأعراف٧:٥٤)·· وقوله تعالى: ﴿الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾ (الرعد١٣:٢)·· وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير﴾ (لقمان٣١:٢٩)·· وقوله تعالى: ﴿يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير﴾ (فاطر٣٥:١٣)·· وقوله تعالى: ﴿خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار﴾··(الزمر٣٩:٥)

ـ ٠٥ تسخير البحر·· ويذكرنا سبحانه وتعالى فى موضع خامس بتسخير البحر، وما عليه من سفن، وما فيه من خيرات، استنهاضاً للناس وحفزاً على السعى لإستخراج مأكلنا من نباتات وأسماك، وملبس، وخامات، من معادن وبترول وغير ذلك·· وهذا هو مفهوم التكليف بالابتغاء·· لعلنا فى النهاية نشكر له ونحمد على جزيل أنعمه·· حيث يقول تعالى:

﴿الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (الجاثية٤٥:١٢)·· وقوله تعالى: ﴿وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (النمل١٦:١٤)

٦٠ تسخير الجبال٠٠ وفى شأن تسخير الجبال قال تعالى:
﴿وسخرنا مع داوود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين﴾ (الأنبياء٧٩:٢١)
وقوله تعالى: ﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق﴾ (ص١٨:٣٨)
- ٠٧ تسخير الرياح والسحاب٠٠ وفى شأن تسخير الرياح والسحاب يقول تعالى:
﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ (البقرة١٦٤:٢)

- ومناط التكليف هنا الارتفاق بالرياح وبماء السحاب فى شتى مناحى الحياة٠

- ونخلص من الآيات السابقة أننا مطالبون بارتفاق واستغلال الغلاف الجوى وما فى الأرض، وارتفاق واستغلال البحار والأنهار والفلك، وارتفاق واستغلال الأمثل للزمان، والشمس والقمر والنجوم، وارتفاق واستغلال الجبال، وارتفاق واستغلال الرياح والسحاب٠

وبإختصار فما فى الكون مُسخر كله للإنسان، وعليه وجب على البشر ارتفاق واستغلال الكون، فالانسان مُكلفٌ بإعمال العقل لفك ألغاز الكون، والإنتفاع بما فيه، واستغلاله، الاستغلال الأمثل٠٠ إعمالا لقوله تعالى: ﴿هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعا﴾٠٠ ﴿وسخر لكم مافى السموات وما في الأرض جميعا منه﴾

- ومن حيث تمام الترابط الكونى سبباً وغاية، وترابط المنظومات الكونية بعلاقات تأثيرية من تدبير الله تبارك وتعالى، على ذلك نعرض للتدبير الكونى فى القرآن الكريم٠

التدبير الكونى !!

ويقصد بالتدبير الكونى - إدارة الكون من ناحية خلق الحياة وتسييرها وبقائها الكون عامة، وفى كوكبنا الأرضى خاصة، ذلك من ناحية تسخير الكون للحياة لتيسيرها وتسييرها - جماداً ونباتاً وحيواناً ملائكة وجناً وإنساً، ووضع ضوابط لبنى البشر بالرسالات والرسل للتبصير والإرشاد.. إستجلاءً لمعرفة حقيقة الخلق، والحياة، والموت، والبعث، والجزاء والعقاب - فى عالمى الغيب والشهادة.

وإدارة الحياة فى الكون يقصد بها تنسيق وابداع الكون كله، وتسخيره للحياة.. ولا ينتظم تسخير الكون، ولا إدارته إلا بالوحدانية والصمدية لله سبحانه وتعالى، وبولايته المنفردة العامة سبحانه وتعالى، مصداقاً لقوله الكريم: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾.. وقوله تعالى: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ (السجدة٣٢: ٥).. وقوله تعالى: ﴿الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر لكم الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾ (الرعد١٣:٢).. وقوله تعالى: ﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر مامن شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون﴾ (يونس١٠:١٣).. وقوله تعالى: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾ (يونس١٠:٣١)

٢٣. من مظاهر التدبير الكونى !!

ومن أبرز ما يردده القرآن من مظاهر التدبير الكونى تمهيد الأرض وسبلها وجعلها صالحة للحياة.. وإلقاء الجبال بكل منافعها الإتزانية بحيث لاتميد الأرض بمنافعها المنجمية ومواردها الطبيعية.. خَلق الأزواج.. وخَلق الزمن -زمن النوم، وزمن الكدح والابتغاء.. وخلق السموات العلا حفظا للأرض وللكون.. وخلق الشمس بطاقاتها الهائلة.. وأنزل ماء السحاب، وأخرج ماء الأرض.. وأنبت النبات والحب والفاكهة.. وخلق من صَنَعَ السيارات والسفن والغواصات

والطائرات - خلق الانسان من ماء مهين.. جاء ذلك كله فى قوله تعالى:

﴿ألم نجعل الأرض مهاداً، والجبال أوتاداً، وخلقناكم أزواجاً، وجعلنا نومكم سباتاً، وجعلنا الليل لباساً، وجعلنا النهار معاشاً، وبنينا فوقكم سبعاً شداداً، وجعلنا سراجاً وهاجاً، وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا، لنخرج به حباً ونباتاً، وجنات ألفافاً﴾ (النبأ٧٨:٦-١٦)

﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون، وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾ (يس٣٦:٤١-٤٢)

﴿ألم نخلقكم من ماء مهين، فجعلناه فى قرار مكين، إلى قدر معلوم، فقدرنا فنعم القادرون، ويل يومئذ للمكذبين، ألم نجعل الأرض كفاتاً، أحياء وأمواتاً، وجعلنا فيها رواسى شامخات وأسقيناكم ماء فراتاً، ويل يومئذ للمكذبين﴾ (المرسلات٧٧:٢٠-٢٩)

﴿ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ماتشكرون﴾ (الأعراف٧:١٠)

﴿وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجاً سبلا لعلهم يهتدون، وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون﴾ (الأنبياء٢١:٣١-٣٢)

ومن آيات التدبير هذه يتجلى لنا أننا مكلفون بالأخذ بالسبل لدفع وتنشيط إرادة وإدارة الحياة.. حياة الفرد وحياة الأسرة وحياة المجتمع وحياة البشرية جمعاء.. مكلفون بدفع وتنشيط فقه الحياة على الأرض.. !!

٢٤. لاإله إلا هو !!

- سأل ولدى: أتذكرنا بسؤال ذعلب اليمانى لأمير المؤمنين علي ابن أبى طالب !!

- ياولدى ! ليس هذا محله.. ومع كل كان سؤاله لأمير المؤمنين: ﴿هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين ؟!﴾

- فرد عليه علىّ كرم الله وجهه: أفأعبد مالا أرى ؟!

- فقال وكيف تراه ؟!

- قال: "لاتدركه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان، قريب من الأشياء غير ملامسٍ بعيد عنها غير مباينٍ، متكلمُ لا بروية، مريدُ لا بهمة، صانع لا بجارحة، لطيف لا يوصف بالخفاء، كبير لايوصف بالجفاء، بصير لا يوصف بالحاسة، رحيم لا يوصف بالرقة، تعنو الوجوه لعظمته وتجب القلوب من مخافته)...

.. تعنو بمعنى تذل، وتجب بمعنى خفق واضطرب.

- قلت.. يا ولدى ! عد إلى القرآن وتذكر صفات الله تعالى:

- ﴿هو الله الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور﴾ (الملك٦٧:٢)

- ﴿هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم * هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون﴾ (الحشر٥٩:٢٢،٢٣)

- ﴿هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعا﴾ (البقرة٢:٢٩)

- ﴿هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتًا ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارًا﴾ (فاطر٣٥:٣٩)

- ﴿هو الذى يحيى ويميت فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ (غافر٤٠:٦٨)

- ﴿هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً﴾ (الأحزاب٣٣:٤٣)

- ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ (التوبة٩:٣٣)

- ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾ (الصف٦١:٩)

- ﴿الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب﴾ (الشورى٤٢:١٧)

- ﴿الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علماً﴾ (الطلاق٦٥:١٢)

- ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ (الأنبياء٢١:٢٥)

- ﴿فلما آتاها نودى يا موسى، إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى، إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى، إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى، فلا يصدنك عنها من لايؤمن بها واتبع هواه فتردى﴾ (طه٢٠:١١-١٦)

- ﴿يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم﴾ (النمل٢٧:٩)

- ﴿فلما أتاها نودى من شاطىء الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إنى أنا الله رب العالمين﴾ (القصص٢٨:٣٠)

- ﴿أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾ (العنكبوت٢٩:٥١)

نعم ! نعم ! وجب على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أن تعبد وتحمد وتشكر وتلتمس صراط ربنا المستقيم فى كل آن نفرغ فيه من أعمالنا وفى كل ركعة وكل صلاة وكل يوم وإلى نهاية الأجل !! نُرتِل ونَبتَهِل ونَتَعَبّد بأم الكتاب:

- ﴿بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، ملك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾

وبقى الأهم.. نشهد بالوحدانية لله الواحد القهار.. نحمده عملاً وكداً وكدحاً وإبتغاءً.. نتأمل عظمة الدين الاسلامى فى التحديد الدقيق للمفهوم العام للعبادة، بحسب أنها منهج كلى للحياة، عمل بالمفهوم الحياتى الشامل، ووفاء بتعاليم الاسلام فى كليتها، بلا تجزىء، أو تعطيل، أو تبعيض!!.. نبرأ من نوازع الهوى والشهوات وحب المال والدنيا وتقديم ذلك على الآخرة دار البقاء.. حيث ورد قول الله تعالى: ﴿وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياى فارهبون﴾ (النحل١٦:٥١).. ﴿يا عبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة فاياى فاعبدون﴾ (العنكبوت٢٩:٥٦).. ﴿وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ (الأنعام٦:١٥٣)

- ومن كل ماسبق فإن القرآن الكريم يربط بجلاء بين الكون.. والإيمان.. والعمل.. والعلم.. والحياة كلها.. !!

- فوحدة الموضوع متحققة بين القرآن، والكون، والعلم، والحياة كلها.. !!

وربنا تبارك وتعالى يضع الكون والحياة فى كفة.. ويضع القرآن ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم فى كفة أخرى - وكلاهما يعادل الآخر.. ويفسر بعضه بعضاً !!

والتوازن بين الكون، والوحى - القرآن والسنة - يبقى ولآخر الزمان.. كلاهما مرآة للآخر.. ويفسر بعضه بعضاً !!

ويُجمِلُ أمير المؤمنين على ابن أبى طالب التوحيد الخالص فى إحدى خطبه فيقول شارحا:

(ما وحَّده من كيَّفَهُ، ولا حقيقته أصاب من مثَّله، ولا إياه عنى من شبَّهه، ولا صمده من أشار إليه وتوهَّمه. كلُّ معروف بنفسه مصنوع، وكلُّ قائم فى سواه معلول، فاعل بغير اضطراب آلة، مقدِّرٌ لابجول فكرة، غنى لا باستفادة. لاتصحبه الأوقات، ولا ترفده

الأدوات، سبق الأوقات كونُهُ، والعدم وجوده، والإبتداء أزله.

بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له وبمضاداته بين الأمور عرف أن لاضد له، وبمقرنته بين الأشياء عرف أن لاقرين له، ضاد النور بالظلمة، والوضوح بالبهمة، والجمود بالبلل، والحرور بالبرد. مؤلف بين متعادياتها مقارن بين متباعداتها، مفرق بين متدانياتها. لا يشمل بحد، ولا يحسب ببعُد، وإنما تحد الأدوات أنفسها، وتشير إلى نظائرها، منعتها (مُنذ) القدمية، وحمتها (قد) الأزلية وجنبتها (لولا) التكملة. بها تجلى صانعها للعقول، وبها إمتنع عن نظر العيون.

لا يجرى عليه السكون والحركة وكيف يجرى عليه ماهو أجراه، ويعود فيه ما هو أبداه، ويحدث فيه ما هو أحدثه ؟! إذاً لتفاوتت ذاته واتجزأ كنهه، ولامتنع من الأزل معناه، ولكان له وراء إذ وجد له أمام ! ولالتمس التمام إذ لزمه النقصان ! وإذاً لقامت آية المصنوع فيه، ولتحول دليلاً بعد أن كان مدلولاً عليه، وخرج بسلطان الإمتناع من أن يؤثر فيه ما يؤثر فى غيره.

الذى لا يحول ولا يزول، ولا يجوز عليه الأفول، ولم يلد فيكون مولوداً، ولم يولد فيصير محدوداً، جل عن إتخاذ الابناء، وكهر عن عن ملامسة النساء، لاتناله الأوهام فتقدره، ولا تتوهمه الفطن فتصوره، ولا تدركه الحواس فتحسه، ولا تلمسه الأيدى فتمسه. لا يتغير بحال ولا يتبدل بالأحوال، ولا تبليه الليالى والأيام، ولا يغيره الضياء والظلام، ولا يوصف بشىء من الأجزاء ولا بالجوارح والأعضاء ولا بعرض من الأعراض، ولا بالغيرية والأبعاض. ولا يقال له حد ولا نهاية، ولا إنقطاع ولا غاية. ولا أن الأشياء تحويه، فتقله أو تهويه أو أن شيئاً يحمله فيميله أو يعدله. ليس فى الأشياء بوالج ولا عنها بخارج. يخبر لا بلسان ولهوات ويسمع لا بخروق وأدوات. يقول ولا يلفظ، فيحفظ ولا يتحفظ، ويريد ولا يضمر. يحب ويرضى من غير رقة، ويبغض ويغضب من غير مشقة، يقول لمن أراد كونه ﴿كن﴾ فيكون ! لابصوت يقرع، ولا بنداء يسمع، وإنما كلامه - سبحانه - فعل منه أنشأه ومثّله، لم يكن من قبل ذلك كائناً، ولو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً.

لا يقال: (كان) بعد أن لم يكن، فتجرى عليه الصفات المحدثات، ولا يكون بينها وبينه فصل، ولا له عليها فضل، فيستوى الصانع والمصنوع، ويتكافأ المبدع والبديع.

خلق الخلائق من غير مثال خلا من غيره، ولم يستعن على خلقها بأحد من خلقه، وأنشأ الأرض فامسكها من غير اشتغال، وأرساها على غير قرار، وأقامها بغير قوائم، ورفعها بغير دعائم، وحصنها من الأود والاعوجاج ومنعها من التهافت والانفراج، أرسى أوتادها وضرب أسدادها واستفاض عيونها، وخد أوديتها فلم

يهن ما بناه، ولا ضعف ما قواه.

هو الظاهر عليها بسلطانه وعظمته، وهو الباطن لها بعلمه ومعرفته، والعالى على كل شىء منها بجلاله وعزته، لا يعجزه شىء منها طلبه، ولا يمتنع عليه فيغلبه، ولا يفوته السريع منه فيسبقه، ولا يحتاج إلى ذى مال فيرزقه.

خضعت الأشياء له، وذلت مستكينة لعظمته، لاتستطيع الهرب من سلطانه إلى غيره فتمتنع من نفعه وضره، ولا كفء له فيكافيه، ولا نظير له فيساويه، هو المفنى لها بعد وجودها، حتى يصير موجودها كمفقودها.

وليس فناء الدنيا بعد ابتداعها، بأعجب من إنشائها واختراعها ! وكيف ولو إجتمع جميع حيوانها من طيرها وبهائمها، وما كان من مراحها وسائمها وأصناف أسناخها وأجناسها ومتلبدة أممها وأكياسها، على إحداث بعوضة ما قدرت على إحداثها، ولا عرفت كيف السبيل إلى إيجادها، ولتحيرت عقولها فى علم ذلك وتاهت، وعجزت قواها وتناهت، ورجعت خاسئة حسيرة عارفة بأنها مقهورة، مقرة بالعجز عن إنشائها، مذعنة بالضعف عن إفنائها.

وإن الله - سبحانه - يعود بعد فناء الدنيا وحده لاشىء معه !!.. كما كان قبل ابتدائها، كذلك يكون بعد فنائها، بلا وقت ولا مكان، ولا حين ولا زمان. عدمت عند ذلك الآجال والأوقات، وزالت السنون والساعات، فلا شىء إلا الواحد القهار الذى إليه مصير جميع الأمور. بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها، وبغير امتناع منها كان فناؤها، ولو قدرت على الامتناع دام بقاؤها. لم يتكاءده صنع شىء منها إذا صنعه، ولم يؤده منها خلق ما خلقه وبرأه، ولم يكونها لتشديد سلطان، ولا لخوف من زوال أو نقصان، ولا للإستعانة بها على ندٍ مكاثرٍ، ولا للإحتراز بها من ضد مثاورٍ، ولا للإزدياد بها فى ملكه، ولا لمكاثرة شريك فى شركه، ولا لوحشةٍ كانت منه فأراد أن يستأنس إليها.

ثم هو يفنيها بعد تكوينها، لا لسأم دخل عليه فى تصريفها وتدبيرها، ولا لراحة واصلة إليه، ولا لتقل شىء منها عليه، لم يمله طول بقائها فيدعوه إلى سرعة إفنائها، لكنه - سبحانه - دبرها بلطفه، وأمسكها بأمره، وأتقنها بقدرته، ثم يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه إليها، ولا إستعانة بشىء منها عليها، ولا لإنصراف من حال وحشة إلى حال إستئناسٍ، ولا من حال جهلٍ وعمى إلى حال علمٍ والتماسٍ، ولا من فقرٍ وحاجة إلى غنى وكثرة، ولا من ذل وضعة إلى عزٍ وقدرةٍ) !!..

٢٥. من واحة الإيمان !!

يستفاد مما سبق أن الله سبحانه وتعالى له الكمال المطلق، والقدرة المطلقة، والوجود المطلق، والعلم المطلق، والأمر والتدبير بحكمة وبصيرة مطلقة.. هو الله خالق الأكوان ﴿إن كل شيء خلقناه بقدر﴾.. خالق الموت والحياة.. يحيى ويميت.. مرسل الرسل.. منزل الكتب السماوية.. هادى العباد.. له ملكوت كل شيء.. وهو على كل شيء قدير.. ﴿قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد﴾.

آمنا بالله وبكتبه ورسله والملائكة.. آمنا بأن الموت حق، والبعث حق.. وآمنا بالقضاء والقدر حلوه ومره.. كل من عند ربنا.. إليه المرجع وإليه المصير !!..

له جل جلاله نشهد بالوحدانية.. بالربوبية.. ندعوه فى كل وقت وحين.. بـ ﴿الحمد لله رب العالمين﴾.. سائلين الله الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين أن يهدنا ﴿الصراط المستقيم﴾.. اللهم تقبل دعاءنا آمين..!!

والإنسان خليفة الله فى أرضه، خلق الله له كل شيء عليها وفيها، وسخر المخلوقات لخدمته، وسخر الكون لإسعاده وتمتعه. والانسان مكلف بالارتفاق والانتفاع بكل مافى الكون. وسنن الله فى الكون لاتغيير فيها ولا تبديل بتغير الزمان والمكان ﴿فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً﴾ (فاطر)

فإن أحسن الانسان الارتفاق والانتفاع بما سخره الله له فى الكون، وان أحسن الطاعة، وأجاد العبادة، وأتقن العمل، وآمن، واتقى، والتزم بشرائع الله وأوامره كان له نعيم الحياتين الدنيا والآخرة، وإن عصى وتكبر كانت له نار جهنم خالداً فيها أبداً.. !!

وبهذا فالإنسان هو محور قضايا الكون والحياة، لأن الحياة على الأرض، بدون الإنسان لا إعتبار لها.. !!

ومن واقع ماسبق عرضه من خلق السموات والأرض وما بينهما، وهو ماقد نتفق

ومن واقع ماسبق عرضه من خلق السموات والأرض وما بينهما، وهو ماقد نتفق أن نطلق عليه الكون المادى، وهو ماعرضنا له من ناحية الخلق والتسخير الكونيين.. للسموات والأرض وما بينهما، وللأرض وما عليها، وللشمس، وللنجوم، ولليل والنهار، وللبحار، وللفلك، وللرياح، وللسحاب لابد من وقفة نحاول أن نفهم القصد الإلهى من الخلق والتسخير، نفكر، ونتأمل.. فى أكوان الله.. خلقاًوتسخيراً وارتفاقاً.. فنحن مطالبون أن نسترجع ونراجع !!..

أين نحن من التكليف بالارتفاق والانتفاع بما فى الكون من موارد ؟؟..

وما فى القرآن الكريم من اشارات وعلوم وحِكَم.. وصراط مستقيم ؟؟..

فالله سبحانه تعالى مستخلف الإنسان فى الأرض، خلق له ما فى الأرض جميعا، وسخر له كل ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما، وكلفه بالارتفاق بما خلق وسخر وجعل وأنزل وأرسل !!

والإنسان هو المستخلف فى الأرض، وهو الغاية من الحياة كلها فى الكون، ومعنى هذا أننا مكلفون بدراسة فقه الحياة.. جنبا الى جنب.. مع فقه العبادات والفروع، الأمر الذى ينقلنا إلى دراسة الخَلق والتدبير الإلهى الحياتى الكونى من ناحيتين: الأولى الحياة الكونية فى القرآن.. والثانية حياة الانسان فى القرآن.. ونعرض لذلك فى دراستين متكاملتين:

- <u>الدراسة الأولى:</u>

المنظومة السماوية والحياة فى الكون والقرآن.

المنظومة الأرضية والحياة فى الكون والقرآن.

علوم الفضاء فى الكون والقرآن.

- <u>الدراسة الثانية:</u>

حياة الإنسان فى الكون والقرآن.

الباب الثانى

المنظومة السماوية فى القرآن

- فى جلستنا العائلية الرابعة الممتدة إتفقنا على مدارسة المنظومة السماوية وعلاقتها بالحياة تأثيراً وتأثراً..

- سأل ولدى: نحن نعيش على الأرض! وما علاقة المكونات السماوية بحياتنا؟!
- أجبت: ياولدى! المنظومة السماوية فى الأصل هى عبارة عن السموات، والمجرات، والبروج، والنجوم، والكواكب، والشمس، والقمر، وما بينهم، وفى الإعتبار فإن المنظومة السماوية هى كل ماعلا الأرض.. من طبقات الغلاف الجوى والسحاب.. وياولدى! لاتقوم الحياة بدون الشمس وضيائها وحرارتها، ولا تهب رياح فى غيبة حرارة الشمس، ولا يحمل سحاب فى غيبة الرياح، ولا يعزب ماء الأرض بغير دورة السحاب، ولا يتكون الجليد ولا يسقط المطر بغير سحاب، ولا ينمو زرع ولا حرث بغير ماء، ولا يوجد حى، ولا ينمو، ولا يبقى إلا فى وجود الماء، وتفسد مياه البحار والخلجان فى غيبة المد والجزر والرياح والحرارة، ولا مد ولا جزر فى غيبة القمر، ولا إتزان بين الأكسيجين والكربون إلا فى تتابع الليل والنهار ووجود الحياة النباتية الخضراء، ولا تتابع لليل والنهار فى غيبة الشمس والقمر، ولا إتزان لحركة الشمس والقمر فى غيبة أياً من مكونات المجموعة الشمسية، ولا ديمومة مؤقتة ولا إتزان للمجموعة الشمسية إلا فى وجود البروج والمجرات وباقى مكونات الكون الفسيح.. ويا ولدى! لايوجد كتاب جمع هذه المنظومة وربطها بالحياة الجمادية والروحية غير القرآن الكريم.. وعلى هذا نعرض يا ولدى! للمنظومة السماوية والحياة فى القرآن والعلم الحديث من حيث التسخير فى الزمان.. ﴿وكل فى فلك يسبحون﴾، وللأجل الإلهى المقدر.. ﴿كل يجرى إلى أجل مسمى﴾.. ونعرض للمنظومة السماوية من ناحية الانزال والتنزيل: الماء، الارواح، الارزاق، البينات، الحديد، الرسالات والكتب السماوية، الملائكة والروح القدس.
- وترتبط المنظومة السماوية ولدى! بخلق الزمان.. فالزمان خلق من عدم ﴿خلق الليل والنهار﴾، وللأجل المحتوم ﴿لكل أجل كتاب﴾، ومدد الزمان فترات، ونهايته آجال.. لذلك أصبح لزاماً علينا أن نعرض للزمان فى آيات القرآن.
- ولما كانت الدلالات الكونية على الزمان نحددها بالشمس والقمر.. وبالبروج والنجوم - فنعرض لهذا كله إن شاء الله ضمن مانعرض.
- ويا ولدى! خلق الله الزمان يوم خلق السموات والأرض والشمس والقمر.. ﴿وهو الذى خلق الليل والنهار وسخر الشمس والقمر كل فى فلك يسبحون﴾

(الأنبياء ٢١: ٣٣)

- ولكل هذا يا ولدى! كانت لمكونات الكون سرعاتها الذاتية.. فلكل شىء فى الكون مكانه، وزمانه، وسرعته الذاتية، وسرعته النسبية، كأثر لزمانه، ولمكانه ولحركته، ولتجاذبه ﴿وكل فى فلك يسبحون﴾.. فالحركة، والمكان، والزمان من خصائص كل شىء من مخلوقات الله، والشىء الساكن له مكانه وزمانه، أما سرعته فمعدومة يا ولدى!..

- ويا أحباب! للنظرية النسبية مكان بارز فى الآيات القرآنية، وذلك بحسب أنها تعالج وحدة <u>الزمان - المكان</u>، وتعالج وحدة <u>الزمان - المكان - الكتلة - الطاقة</u>. وكلها فى الأساس تعتمد على السرعة، والتى هى زمان ومكان.. والنسبية فى القرآن وردت فى العديد من النصوص، أقربها: ﴿إن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾.

- وجوهر السرعات الكونية سرعة الضوء.. والضوء هو القاسم المشترك الأعظم للمنظومة السماوية للنجوم والكواكب والأقمار!!.. وبالذات لنجوم البروج وللشمس والقمر والتى تلعب دوراً حياتياً لمن على ظهر الأرض.

- تلخيصاً اذا كانت الروح من السماويات، والماء منزل من السماء، وخلقه سابق لخلق السموات والأرض.. ﴿وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء﴾.. فنعرض للروح والماء والانزال والتنزيل (للارزاق والكتب السماوية والحديد) ضمن المنظومة السماوية.

- نعرض فى الإجمال يا أحباب! للمنظومة السماوية الجمادية والروحية والحياة فى القرآن.. لكل الكونيات التى تعلو الأرض.. نعرض للسماوات، والمجرات، والنجوم، والشمس، والقمر. ونعرض للزمان، وللنسبية فى القرآن والسنة.. كما نعرض للعلاقة بين خلق وحياة الانسان والمنظومة السماوية

باب ثان.. فصل أول

السموات والأرض وحياة الكون

١٠ السموات والأرض وحياة الكون

- سألت إبنتي: وما العلاقة الثلاثية بين السموات والأرض وحياة الكون ؟!
- أجبت: يابنيتي! الكون كل لايتجزأ ولا غنى لمكون من مكونات الكون عن الآخر.. فالكون خلق بالحق.. وكل شيء خُلق بقدر.. وذكر بعض ما لايتجزأ كذكر كله.. ومع كل يابنيتي! تتضمن جميع الآيات القرآنية والتى ورد بها خلق السموات، إقتران هذا الخلق الإلهي للسموات بخلق الأرض، ﴿خلق السموات والارض﴾.. وهذا الخلق الثنائي أوردته السنة النبوية المشرفة - كما سبق تكراره - في خلق التربة.. مصداقاً لحديث رسول الله ﷺ.. حيث قال:

﴿خلق الله التربة يوم السبت، وخلق منها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم يوم الجمعة، فى آخر الخلق، فى آخرساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل﴾..

مسند الإمام أحمد، وصحيح مسلم..

حديث صحيح انظر الحديث رقم: ٣٢٣٥ فى صحيح الجامع..

وتحدد وقت خلقهما زمانياً بستة أيام.. فى سبع آيات قرآنية.. وأجمع القرآن والسنة بما لا يقبل التحريف، أو التأويل، أو التحميل أن الستة أيام من أيام الأرض!!..

وأورد القرآن ضمنا مايفيد كروية السموات بالعروج.. ﴿ماينزل من السماء وما يعرج فيها﴾.. وأما كروية الأرض فأمر معروف.. ﴿والارض بعد ذلك دحاها﴾.

ويذكرنا المولى جل فى علاه أننا خلقنا لنعمل العمل الصالح.. ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾.. وخلقنا لنعمل ونعبد الله، فالعبادة رأس ومخ صوالح الأعمال.. ﴿وماخلقت الإنس والجن إلا ليعبدون﴾.. فالعمل والعبادة.. جسد ورأس!!..

والماء المنزل من السماء، تخرج به الثمرات رزقاً.. فالسماء والأرض مسخرات لارزاق العباد.. ﴿يرزقكم من السماء والارض﴾!!..

وبحسب أن السموات والأرض من مخلوقات الله، فلهم الحياة الإعتبارية للأجل المحدود.. ﴿وجعل لهم أجلا لاريب فيه﴾.. ولله الوجود المطلق، والحكمة المطلقة، والعلم المطلق، وله إطلاقات الخلق والتسخير فى الكون.

نعرض لكل هذا بحسب ماورد بالقرآن الكريم٠٠

٢٠ الكون السبب والغاية ؟!

- سأل ولدى الأكبر: قد يسأل سائل ولماذا خَلق الكون؟!٠٠ وما غاية خَلقه؟!٠٠

- أجبت: يا ولدى! يجيبك القرآن بقول الله تعالى: ﴿وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾ (هود١١:٧)

فالكون والحياة خلقا للسعى والعمل والكدح، فتاج العمل العبادة؟!

يقول تعالى: ﴿وما خلقت الانس والجن الا ليعبدون﴾٠

وعن سببية الخلق، والتسخير لكل ما فى الأرض للإنسان٠٠ يجيبك القرآن بقول الله تعالى: ﴿هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شىء عليم﴾ (البقرة٢:٢٩)

- وبعمومية تسخير ما فى السموات، وما فى الأرض، وإسباغ النعم، يورد القرآن غاية من غايات الخلق، فى قول الله تعالى: ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾ (لقمان٣١:٢٠)

- وعن حكمة استواء الارض للحياة، والسماء للغطاء الكونى كغاية من غايات الخلق٠٠ مضافاً الى ذلك غاية خلق الأرزاق٠٠ ويورد القرآن ذلك - بقول الله تعالى: ﴿الذى جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾ (البقرة٢:٢٢)

- ويا أحباب! هذا هو الربط المنظومى الثلاثى٠٠ بين منظومة السماء، ومنظومة الأرض، ومنظومة الحياة الايمانية٠٠ سبباً وغاية!!

٣٠ عظمة الخَلق دليل الوحدانية ؟!

- سألت ابنتى: هل نأخذ عظمة الخلق دليلاً مادياً على الوحدانية ؟!

- أجبت: نعم يابنيتى! نعم فإن خَلق السموات والارض لأمرٍ عظيم الشأن٠٠ ويؤخذ دليلا على الوحدانية٠٠ وعلى تمام وكمال علم الله٠٠ وبدء الخلق وإعادته أمر يؤخذ قرينة على تمام وكمال الحكمة والعزة لله٠٠ ويورد القرآن ذلك بقوله تعالى:

- ﴿يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون﴾ (فاطر٣:٣٥)

- ﴿وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله وهو الحكيم العليم﴾ (الزخرف٤٣:٨٤)

- ﴿هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم مايلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ماكنتم والله بما تعملون بصير﴾ (الحديد٥٧:٤)

- ﴿وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ (الروم٣٠:٢٧)

- ﴿وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير﴾ (الانعام٦:٧٣)

- ﴿ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم ماتخفون وما تعلنون﴾ (النمل٢٧:٢٥)

- ﴿أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لاريب فيه فأبى الظالمون إلا كفوراً﴾ (الإسراء١٧:٩٩)

٤- السماء وحياة الكون

- سأل ولدى: وما علاقة المنظومة السماوية بحياة الكون ؟!

- أجبت: يا ولدى! السماء العلا، والعرش، والماء، وسدرة المنتهى، وجنة المأوى، والملائكة، والروح، والكتب السماوية، والأرزاق، والحديد، والقرآن.. كل هذا من السماويات الواردة فى آيات القرآن. بعض منها يتنزل إلى الأرض كبعض الملائكة وبعض الماء. والبعض اهبط به للأرض كسيدنا آدم، وحواء، والبعض انزل به كالكتب السماوية، وآخرها القرآن. والأرزاق تتنزل دواماً وبمشيئة الله سبحانه وتعالى.. والسماء يرفع إليها، ويعرج فيها، وينزل منها. فسيدنا عيسى عليه السلام رفع إلى السماء، وسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام عرج إليها. والملائكة والروح تعرج إلى السماء، وتنزل إلى الأرض، وبالكيفية التى أرادها الله.. والسماء الدنيا لها سحبها وماؤها. ونوجز آيات القرآن التى عرضت للسماء، وبروجها، وشمسها، وقمرها، ونستعرض للتنزيل من السماء للماء،

والكتب السماوية، والأرزاق، ولتنزيل القرآن، وتنزيل الملائكة بالروح، وتنزل الملائكة من السماء إلى الأرض، وتنزيل الحديد٠٠ فيما يلى:

٥. السماء وبروجها وشمسها وقمرها

- سألت ابنتى: هل نبدأ بمنظومة السماء ببروجها وشمسها وقمرها ؟!
- قلت: يابنيتى! السماء سقف محفوظ فى ذاته حافظ لما بينها وبين الأرض٠٠ والبروج مرتكزات فى الفضاء الكونى وزينته ومؤشر ميقاته٠٠ والشمس مصدر الطاقة والضوء٠٠ والقمر منير فى الكون، عَدّاداً للشهور والسنوات!!

و يابنيتى! السماء حدود الكون المنظور وهو لايتعدى١٠٪، أما الكون المفقود٠٠ الكتلة المفقودة٠٠ فهو بواقع٩٠٪ وفيه يتمدد كوننا، وبالتالى تتوسع سماؤنا ببروجها ونجومها وأقمارها وكواكبها٠٠ وتأملوا قوله تعالى ﴿وإنا لموسعون﴾٠

يقول تعالى: ﴿والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون﴾ (الذاريات٥١:٤٧)

ويقول تعالى: ﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون﴾ (الأنبياء٢١:٣١)

ويقول تعالى: ﴿ولقد جعلنا فى السماء بروجاً وزيناها للناظرين﴾ (الحجر١٥:١٦)

ويقول تعالى: ﴿تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً﴾ (الفرقان٢٥:٦١)

ويا أحباب! آية السماء فى بنائها من غازات٠٠ وحفظها للأرض وماعليها ومن عليها من الدمار الاشعاعى، أو التصادمى بفعل النيازك والشهب٠٠ وآيتها الكبرى فى نفاذها لضوء وحرارة الشمس الى الغلاف الجوى ومنه الى الفضاء الكونى الخارجى اذا زادت الحرارة الجوية عن حدود حياتية معينة٠٠ وآيتها تهيئة الجو الذى يعلو سطح الأرض للطيران٠٠ وحفظ توازن الغلاف الجوى الغازى ضماناً لحياة الأحياء على الكوكب الأرضى٠٠ ﴿وهم عن آياتها معرضون﴾ ؟!

٦. الإنزال والتنزيل

- سأل ولدى: وماذا عن الإنزال والتنزيل ؟!
- قلت: يا ولدى! يقول الله تعالى: ﴿أنزل من السماء ماء﴾٠٠ فالماء على الإطلاق

منزل من السماء.. ويستوى فى ذلك الإنزال من السماء الدنيا أو من السماء العلا.. ويقول تعالى: ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾.. والحديد منزل هو الآخر.. والكتب السماوية منزلة بآياتها وبيناتها.. والملائكة تتنزل بالروح بأمر ربها لتبث الحياة فى شتى أصناف المخلوقات على الأرض. وبالماء والروح تستمر الحياة الى الأجل المسمى..

ونعرض لبعض آيات القرآن التى تعطى الصورة متكاملة عن حكمة الإنزال والتنزيل.

أ. عن ماء السماء، ونبات كل شىء - يُورِد القرآن العديد من الآيات.. نذكر منها:

قوله تعالى: ﴿وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه انظروا إلى ثمرة إذا أثمر وينعه إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون﴾ (الأنعام٦:٩٩)

وقوله تعالى: ﴿وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار﴾ (إبراهيم١٤:٣٢)

وقوله تعالى: ﴿ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد﴾ (ق٥٠:٩)

وقوله تعالى: ﴿وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً﴾ (النبأ٧٨:١٤)

وقوله تعالى: ﴿وهو الذى ينزل الغيث من بعد ماقنطوا وينشر رحمته وهوالولى الحميد﴾ (الشورى٤٢:٢٨)

وقوله تعالى: ﴿ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ (الروم٣٠:٢٤)

وقوله تعالى: ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذى أحياها لمحيى الموتى إنه على كل شىء قدير﴾ (فصلت٤١:٣٩)

وقوله تعالى: ﴿وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ (الجاثية٤٥:٥)

وقوله تعالى: ﴿إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام﴾ (الأنفال٨:١١)

وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود﴾ (فاطر٣٥:٢٧)

وقوله تعالى: ﴿ألم ترأن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً إن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب﴾ (الزمر ٣٩: ٢١)

وقوله تعالى: ﴿والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتاً كذلك تخرجون﴾ (الزخرف٤٣:١١)

وقوله تعالى: ﴿هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون﴾ (النحل١٦:١٠)

وقوله تعالى: ﴿والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآية لقوم يسمعون﴾ (النحل١٦:٦٥)

وقوله تعالى: ﴿الذى جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى﴾ (طه٢٠:٥٣)

وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير﴾ (الحج٢٢:٦٣)

وقوله تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون﴾ (المؤمنون٢٣:١٨)

وقوله تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماء طهوراً﴾ (الفرقان٢٥:٤٨)

وقوله تعالى: ﴿وأنزلنا لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون﴾ (النمل٢٧:٦٠)

وقوله تعالى: ﴿وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا، ليخرج به حباً ونباتاً﴾ النبأ١٥

وقوله تعالى: ﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾ (يونس١٠:٢٤)

ب. <u>انزال الماء والارزاق</u>: يرد بالقرآن العديد من الآيات عن زَبَد الأنهار والجبال وخيراتها.. والرزق وتنزيله وبسطه.. ونذكر منها:

قوله تعالى: ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الامثال﴾ (الرعد١٣:١٧)

وقوله تعالى: ﴿هو الذى يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر إلا من

ينيب﴾ (غافر ١٣:٤٠)

وقوله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ (الحجر ٢١:١٥)

وقوله تعالى: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير﴾ (الشورى ٢٧:٤٢)

جـ- وفى شأن إنزال الكتب والحديد.. يقول تعالى:

﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز﴾ (الحديد ٢٥:٥٧)

د- والفرق بين الإنزال والتنزيل هو أن التنزيل للنزول المنتظم على مدى السنين ومن ذلك قوله تعالى: ﴿تنزيل الكتب﴾، أما الإنزال فهو يشير لنزول القرآن مرة واحدة وهذا في إنزاله من السماء العليا إلى السماء الدنيا.. انزال الرسالة المحمدية، فالرسالة المحمدية منزلة من السماء، والرسول موحى اليه من ربه.. والتنزيل حظى بقدر كبير من الورود القرآنى نوجز له فى الآيات:

قوله تعالى: ﴿فامنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا والله بما تعلمون خبير﴾ (التغابن ٨:٦٤)

وقوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من الف شهر، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾ (القدر ٩٧:١-٤)

وقوله تعالى: ﴿قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم﴾ (الأحقاف ٣٠:٤٦)

وقوله تعالى: ﴿الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب﴾ (الشورى ١٧:٤٢)

وقوله تعالى: ﴿الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم الى صراط العزيز الحميد﴾ (إبراهيم ١:١٤)

وقوله تعالى: ﴿المر تلك آيات الكتاب والذى أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لايؤمنون﴾ (الرعد ١:١٣)

وقوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ (يوسف ٢:١٢)

وقوله تعالى: ﴿الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم.. فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات

ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ (الأعراف٧:١٥٧)

وقوله تعالى: ﴿كتاب أنزل إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين﴾ (الأعراف٧:٢)

وقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ (النساء٤:١٧٤)

وقوله تعالى: ﴿وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾ (النساء٤:١١٣)

وقوله تعالى: ﴿نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام﴾ (آل عمران٣:٣،٤)

وقوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويلة إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ومايذكرإلا أولوا الألباب﴾ (آل عمران٣:٧)

هـ. عن تنزل الملائكة والروح فى القرآن.. يقول تعالى:

﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾ (النحل١٦:٢)

وقوله تعالى: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك له مابين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً﴾ (مريم١٩:٢٤)

وقوله تعالى: ﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين﴾ (النحل١٦:١٠٢)

و. عن انزال البينات وعموميات التنزيل وشئون الحياة.. يقول تعالى:

﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون﴾ (البقرة٢:٩٩)

وقوله تعالى: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾ (البقرة٢:١٥٩)

وقوله تعالى: ﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون﴾ (البقرة٢: ١٨٥)

وقوله تعالى: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله

وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ (البقرة٢: ٢٨٥)

وقوله تعالى: ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء مايعملون﴾ (المائدة٥:٦٦)

٠٧ الروح والحياة الكونية ؟!

- سألت ابنتي: وماذا عن الروح والحياة الكونية ؟!

- أجبت يابنيتي! سبق أن عرضنا للروح على أنها من الامور التى أختص بها ذاته جل جلاله·· وجاء ورودها القرآنى ونشأة آدم عليه السلام·· ونشأة المسيح عليه السلام·· ونشأة البشر عامة فى قوله تعالى:

﴿يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ (الإسراء١٧:٨٥)

وقوله تعالى: ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾·(ص٣٨:٧٢)

وقوله تعالى: ﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ماتشكرون﴾ (السجدة٣٢:٩)

وقوله تعالى: ﴿والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾ (الأنبياء٢١:٩١)

وقوله تعالى: ﴿إذ قال الله ياعيسى ابن مريم أذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذنى وتبرئ الاكمة والابرص بإذنى وإذ تخرج الموتى بإذنى وإذ كففت بنى إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين﴾ (المائدة٥:١١٠)

ولكى نُكمل الامور الكونية المنزلة - نعرض إلى الحياة التامة والكون، ونختم بعرضنا للماء والحياة الكونية·

٠٨ الحياة التامة فى الكون

- سألت زوجتى: هل لنا أن نأخذ فكرة عن الحياة التامة والكون ؟!

- أجبت: يا أحباب! الحياة ضد الموت.. ومفهومها بديهى لأنها من الكيفيات المحسوسة الغنية عن التعريف. ومع ذلك اختلفوا فى رسمها، فقالوا إنها صفة للموصوف بها العلم والقدرة. وقيل إنها مجموع مايشاهد من قوى الحس، والحركة، والتغذية، والنمو، والتنمية، والتكاثر.. وحياة كل كائن حى سيرته، وما تشمل من مميزات وأحداث. ونقول حياة الإنسان الأسرية، أو الفكرية، أو الأدبية... إلخ.. وقالوا بل الحياة غير هذه القوى جميعها، لأنها بدء كل هذه القوى.

- وشرطوا الحياة بمحلها، أى بالبنية، التى هى الجسم المركب من عناصر، ومع الوجه الذى يحصل من كمال تركيبها، مع الإعتدال النوعي.

ولكل كائن اعتدال نوعى، يستوى فى ذلك النبات، والحيوان، والإنسان، وقيل بل الحياة هى الوجود، وهى تعم المعانى، والهيئات، والأشكال، والصور، والأقوال، والأعمال، وغير ذلك.. وقيل وجود الشىء نفسه حياته التامة، ووجوده لغيره حياة إضافية له.

- فالحق سبحانه وتعالى موجود لنفسه فهو الحى، وحياته هى الحياة التامة الباقية ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾.. والخلق من حيث الجملة موجودون بالله، فحياتهم إضافية. ولذا التحق بهم الفناء والموت. ثم إن حياة الله تعالى فى الخلق واحدة تامة، لكنهم متفاوتون فيها، فمنهم من ظهرت منه الحياة على صورتها التامة، وهو الإنسان الكامل، فإنه موجود بإرادة الله، وجوداً حقيقياً لا مجازياً ولا إضافياً.

- والخلق منهم من ظهرت فيه الحياة غير العاقلة، كالحيوان والنبات. ومنهم من بطلت فيه الحياة كالمعادن، وأمثالها، والمعانى، وما على نوعها - فسارت الحياة فى جميع الأشياء.. فما موجود من إنسان، أو حيوان، أو طائر، أو أسماك، أو نبات، أيا كان، إلا وهو حى حياة تامة - وما حياتها جميعاً إلا بقدرة - الله سبحانه وتعالى.

- وعلماء الأحياء يرجعون سر الحياة فى الإنسان والحيوان والنبات ومانحوها الى البروتوبلازم.. والبروتوبلازم - هو مادة الحياة ذاتها، وهو مركب فى خلايا حية، وهو الجزء الأساسى فى كل خلية، ووظيفة الخلية تنحصر فى إمتصاص الماء والكيماويات والغذاء والتنفس والنمو والتجديد والإحلال والهضم، وفى

الاجمال جميع الوظائف الحياتية.. والبروتوبلازم هو الجزء الوحيد الذى تدب فيه حياة حقيقية فى الكائنات الحية من نبات وحيوان وطير وسمك وإنسان.

ـ وقد قام علماء البيولوجيا بدراسات كثيرة على الخواص الطبيعية والكيماوية للبروتوبلازم.. وكان من نتيجة ذلك التوصل إلى أن البروتوبلازم فى الغالب عبارة عن سائل لزج يشبه بياض البيض فى خواصه المرئية، ويختلف باختلاف الكائن الحى، أو باختلاف العضو فى الكائن الواحد.

ويعتقد أن هذا المزيج من السائل والجسيمات يملأ الفراغ بين البروتينات السلسلية المتصلة فى تشكيل شبكى.. ويدخل الماء بنسبة قد تصل ٩٥٪ من المجموع الكلى لمكونات البروتوبلازم من الدهن والسكر والمعادن، وبكميات متفاوتة.. والبروتوبلازم مكون من الكربون والأيدروجين والأكسجين والكبريت والفوسفور وهذه هى المواد الأساسية للحياة.

وحتى عند مزج هذه المواد بالنسب المعروفة ـ فإن أحدا لايستطيع التوصل إلى البروتوبلازم الحى.. فمعرفة نسب المواد شىء، ومعرفة سر الحياة شىء آخر، ولا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى. !!

٠٩ الولاية لله

ـ وأضفت قائلاً: يا أحباب! لله مُلك السموات والأرض.. والله خالق كل شىء.. والله المسخر للكون كله.. المدبر للأمر كله ﴿يدبر الأمر﴾.. منزل الأرزاق.. مالك الملك.. ومن له الملك والملكية تكون له الولاية والامارة ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ ولما كانت منظومة الكون الأرضية والسماوية فى تبادل تأثيرى مشترك.. فالكل يؤثر ويتأثر بالكل.. والكون مخلوق بالحق.. ولحكمة يعلمها هو سبحانه وتعالى.. وله جل فى علاه الولاية الكونية العامة.. ﴿إن وليى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين﴾ (الأعراف٧:١٩٦)

وقوله تعالى: ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولاتتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون﴾ (الأعراف٧:٣)

وقوله تعالى: ﴿ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ومالكم من دون الله من ولى ولانصير﴾ (البقرة٢:١٠٧)

وقوله تعالى: ﴿إن الله له ملك السموات والأرض يحيى ويميت ومالكم من دون الله من ولى ولانصير﴾ (التوبة٩:١١٦)

وقوله تعالى: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا﴾ (الكهف١٨:٥٠)

١٠. الماء والحياة الكونية

- سأل ولدى: وماذا عن الماء والحياة الكونية ؟!

- أجبت: يا ولدى! الماء مركب كيميائى عجيب ويقول عنه الكيميائيون أنه شديد الإختلاف عن غيره من المواد. فهو مادة خفيفة شفافة. ولايوجد فى الطبيعة ماء نقى كيماوياً، ولكن يوجد ماء عذب، وماء مالح، وماء زعاق (خليط الماء العذب بالمالح).. والماء المالح من مياه المحيطات يحتوى كل لتر -١٠٠٠ جرام على ٣٥,٦ جرام من الأملاح ومنها ٢٧,٩ جرام ملح طعام. أما مياه بحر البلطيق فتحتوى على ٨ جرامات فقط من الأملاح (ماء زعاق)، وأما البحر الميت فيحتوى الكيلو جرام على ٢٥٦ جراما من الأملاح.

- وتحتوى المياه الجوفية ومياه الآبار على مواد مذابه ومواد عالقة - وهذه المواد هى التى تحدد مدى صلاحية الماء للإستخدامات الصناعية أو الزراعية أو الشرب.

- ويا ولدى! الماء العسر يحتوى على أملاح الكالسيوم والمغنسيوم والحديد. والمياه العذبة تحتوى على نسبة عالية من الأملاح والغازات وتستخدم فى الأغراض الطبية.. راجع الكيمياء الصناعية - أسس التكنولوجية - هلموت ستايف.

والماء هو المكون الغالب لأى كائن حى ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حى﴾. فالنباتات الخشبية تحوى٥٠٪ ماء، والخضروات تحوى على٦٠: ٩٨٪ ماء، وجسم الإنسان يحوى على٦٠: ٦٥٪ ماء - وهكذا.

- ويا أحباب! يوجد الماء فى نطاق الكرة الأرضية بما يمثل ٧١٪ من سطح الكرة الأرضية فى البحار والمحيطات والبحيرات والخلجان والأنهار والبحيرات العذبة وفى الغلاف الجوى المحيط بالأرض، والمياه الجوفية تحت سطح الأرض، والمياه العذبة المتجمدة فى المرتفعات الجبلية وفى المناطق القطبية وفى مكونات الكائنات الحية، وفى مكونات التربة الأرضية فوق منسوب المياه الجوفية.

والماء.. يراجع -النظم الهندسية للتغذية والمياه- أ.د. محمد صادق

العدوى، القاهرة ١٩٨٥ .. موزع على النحو التالي:

١- المياه المالحة في البحار والمحيطات،	٢٠٠٠ر٩٧٪
٢- البحيرات والخلجان والبحار المغلقة،	٠٠٨٠ر٠٠٪
٣- مياه عذبة في البحيرات،	٠٠٩٠ر٠٠٪
٤- مياه عذبة في الأنهار وفروعها،	٠٠٠١ر٠٠٪
٥- مياه في مكونات الغلاف الجوي،	٠٠١٠ر٠٠٪
٦- مياه عذبة متجمدة في المناطق القطبية وعلى أعالي الجبال،	١٥٠٠ر٠٢٪
٧- مياه جوفية	٦٢٠٠ر٠٠٪
٨- مياه في مكونات التربة الأرضية فوق منسوب المياه الجوفية وتحت سطح الأرض،	٠٠٥٠ر٠٠٪
٩- مياه في مكونات الكائنات الحية،	٠٠٤٠ر٠٠٪
جملـــــــة	٠٠٠٠ر١٠٠٪

- ومن الخواص الطبيعية للماء أنه يوجد في صورة المادة السائلة أو الصلبة أو الغازية في درجات الحرارة العادية أي درجات النشاطات الحياتية العادية بين درجة صفر ودرجة١٠٠ درجة مئوية، أما في درجات الحرارة التي دون درجة التجمد يتحول الماء إلى ثلج بللوري هش، !!

- والماء يتكون في قطرات المطر وتنكسر فيه أشعة الشمس فتحلل إلى ألوان الطيف،

- والحرارة النوعية للماء عالية فهي تصل إلى الوحدة.. بمعنى أن رفع درجة حرارة كمية معينة من الماء بمقدار ١°م (درجة مئوية واحدة) يحتاج إلى كمية حرارة تزيد خمس أمثال كمية الحرارة اللازمة لرفع نفس الكمية من الجرانيت ١°م (درجة واحدة مئوية أيضا).. ويزيد بمقدار١٣٠٠ مثل (ضعف) الطاقة اللازمة لرفع نفس الكمية من الهواء درجة مئوية واحدة،

- فذوبان الماء يتم بإمتصاص الحرارة وبكمية كبيرة.. وأما تجمد الماء فيخلصه من كمية كبيرة من الحرارة يبثها في الجو ملطفاً،

- والتوازن الدقيق بين الماء والثلج والبخار يجعل سطح الأرض مسرحاً لتغيرات مناخية متكاملة، فبتأثير حرارة الشمس تتكون السحب.. والسحب تتحول إلى مطر، أو إلى ثلوج.. والمطر يجرى في جداول وأنهار.. وتتكامل

حرارة الكرة الأرضية كلها·· برد، وإعتدال، وحرارة·

- والماء المندفع بالسقوط من علياء الأرض، أو من قمم الجبال - يفتت الصخور الضخمة فى الأودية، أو فى مجارى الأنهار، أو عند مهاطلها، أو عند مصباتها·· ويساهم الماء بنشاط غير محدود فى الأشغال التعدينية تخصيباً للأرض، أو غسيلا للمعادن أو تكوينا لطبقات متميزة من هذه المعادن بحسب وزنها النوعي·

والماء سائل شديد الثبات فهو يتكون من إتحاد ذرات الأكسيجين والهيدروجين، ويحتاج إلى طاقة عالية ليتحقق هذا الإتحاد، ولكى يتحلل مرة أخرى فلابد من قدر مماثل من الطاقة· !!

- والماء أكثر المواد المدمرة فهو يذيب مواد كثيرة أكثر من أى سائل آخر ويطلق عليه (المذيب العام)·· والمعروف تبعا لذلك أن جميع العناصر المعروفة على وجه الأرض موجودة وذائبة فى ماء البحر· !!

- والماء له قدرة هائلة على النحت ومرجع ذلك لإحتوائه على شحنتين كهربائيتين متناقضتين وشديدتى القدرة على جانبى جزىء الماء وتفصل بينهما مسافة كبيرة نسبياً·· وبذا يكون للماء القوة على نحت جسيمات صغيرة جداً وإذابتها· وهذه القدرة الشديدة والطاقة الكبرى المزدوجة القطب·· التى تتمتع بها جزيئات الماء·· الدائمة الحركة والإحتكاك، ينتج عن هذا الفصل أيونات· والأيونات عبارة عن ذرات تحتوى على الكترونيات أكثر، أو أقل من المعتاد، وهذه الأخيرة الزائدة، أو الناقصة قابلة وبشدة للتفاعل· !!

- ولماء المطر قدرة فائقة على النحت لإحتوائه على ثانى أكسيد الكربون ذائباً فيه، ولإحتوائه على مواد أخرى يحملها فى طريق نزوله إلى الأرض، وبما يكسبه تفاعلات أيونية نشطة كيميائياً وبذا يصبح شديد القدرة على النحت والتفتيت· وللماء المحمل بثانى أكسيد الكربون ، وعلى وجه الخصوص، القدرة على نحت الجبال والصخور وإذابتها· !!

- وأما ماء الطبيعة الصخرية الساخنة العميقة فغنى بالمعادن الذائبة والتى تعتبر غير قابلة للذوبان فى درجة الحرارة العادية والضغط العادى· !! وحين يشق ماء الصخور طريقاً إلى أعلى فى الفجوات والعيون والتشققات متخلصاً من الضغط ومن الحرارة فيرسب عروقاً من خامات المعادن وقطعاً بلورية ثمينة·

- وعلى العكس فالماء صديق حميم للكائنات الحية فالشموع والزيوت الموجودة على جلود وأسطح الكائنات الحية تجعل الماء قابلا للتكور ولا يكاد يحدث أثراً

محسوساً فإذا مس الجلد أو السطح فليس له أثر لازع أو أكال· وقد تباد بعض أسراب الآفات والطيور برشها بمنظفات صناعية لإذابة الطبقة السطحية الشمعية الدهنية، وبذلك تموت من تأثيرات الجو البارد أو الحار بسبب حرمانها من الطبقة العازلة للحرارة الواقية من الماء··!

ولما كان كل ذلك شأن الماء·· فكان منه كل شيء حياً !!

١٠· دور الماء فى الحياة الكونية

ـ سأل ولدى: ندرك دور الماء فى الحياة ! فهل تذكر لنا الربط بين الماء والحياة فى القرآن والسنة ؟!··

ـ أجبت: يا أحباب ! من الثابت قرآنياً وحياتياً أن الماء أصل من أصول الحياة·· وانظر قول الله تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شىء حى﴾ (الأنبياء٢٩:٦٣)

وخلق الماء سابق لخلق السموات والأرض بدليل قوله تعالى: ﴿وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء﴾ (هود١١:٧)··

وعلماء اللغة يقررون بأن ﴿كان﴾ تفيد المغايرة·· والماء والحال كذلك سبق وجوده خلق السموات والأرض·· وسبق الحياة ذاتها لأن خلق كل الاحياء من الماء أصلاً وجوهراً !!··

وعن أبى سعيد وأبى أيوب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إنما الماء من الماء﴾·· حديث صحيح·· أورده الامام مسلم، وأبى داوود، والامام أحمد، وابن ماجه، والنسائى·· الحديث رقم ٢٣٢٩ فى صحيح الجامع··

= ومن حيث تحوى كل الأحياء ماءً فإن كل الأحياء من الماء نشأت !!··

ويرد الماء المنزل من السماء قرآنياً بلفظ ﴿ماء﴾ لفظاً مطلقاً غير مقيد·· ويجئ ذكره فى غالبية آيات القرآن قرين ﴿وأنزل من السماء ماء﴾··

ـ والماء يا أحباب ! أصل فى إنبات وإخراج الثمرات، وإحياء الأرض بعد موتها، بالزرع والدواب، وجميع الأحياء، وإخراج نبات كل شىء، وكل ماهو أخضر يكون سبباً من أسباب الحياة النباتية لكل الحبوب والنخيل والأعناب والرمان·

وماء السماء للطهارة، ولتثبيت الطرق، وماء السماء يفتت قمم الجبال، ويحمل المعادن التى تسبك، و هو سبب فى تجمع الثروات فى الخلجان ودلتات ملتقى الأنهار والبحار، ومن ماء السماء تخرج الثمرات، وتسخر البحار والأنهار·· وهو ماء الشرب، وإنبات الشجر، وهو ماء إنبات كل أزواج النبات المتعددة، وهو

مصدر إخضرار الأرض، وهو مصدر مياه الأرض كلها فى بحارها وفى جوفها، وهو ماء الطهارة، وهو ماء إنبات الحدائق، وإحياء الأرض، وهو ماء إنبات الأزواج النباتية.. هو ماء الطوفان فى زمن سيدنا نوح عليه السلام.. وهو مشارك بالخلط (على الاقل) ومنذ زمن الطوفان فى تركيبة المياه الجوفية ﴿وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى﴾.. وتأمل كل ذلك فى قول الله تعالى:

﴿وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم﴾ (البقرة٢٢:٢)

﴿وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ (البقرة١٦٤:٢)

وقوله تعالى: ﴿وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه انظروا إلى ثمرة إذا أثمر وينعه إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون﴾ (الأنعام٩٩:٦)

وقوله تعالى: ﴿وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام﴾ (الأنفال١١:٨)

وقوله تعالى: ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال﴾ (الرعد١٧:١٣)

وقوله تعالى: ﴿الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار﴾ (إبراهيم٣٢:١٤)

وقوله تعالى: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾ (الحجر٢٢:١٥)

وقوله تعالى: ﴿هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون﴾ (النحل١٠:١٦)

وقوله تعالى: ﴿والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ (النحل٦٥:١٦)

وقوله تعالى: ﴿الذى جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى﴾ (طه٥٣:٢٠)

وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن

الله لطيف خبير﴾ (الحج٦٣:٢٢)

وقوله تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض وإنا على ذهاب به لقادرون﴾ (المؤمنون١٨:٢٣)

وقوله تعالى: ﴿وهو الذى أرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهوراً﴾ (الفرقان٤٨:٢٥)

وقوله تعالى: ﴿وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون﴾ (النمل٦٠:٢٧)

وقوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لايعقلون﴾ (العنكبوت٦٣:٢٩)

وقوله تعالى: ﴿ومن اياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها إن فى ذلك لأيات لقوم يعقلون﴾ (الروم٢٤:٣٠)

وقوله تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ (لقمان١٠:٣١)

وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود﴾ (فاطر٣٧:٣٥)

وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً الوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً إن فى ذلك لذكرى لاولى الالباب﴾ (الزمر٢١:٣٩)

وقوله تعالى: ﴿والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتاً كذلك تخرجون﴾ (الزخرف١١:٤٣)

وقوله تعالى: ﴿ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد﴾ (ق٩:٥٠)

- ويا أحباب ! هذا عن ماء السماء... ماء ما علا الارض .. أما ماء جوف الارض فيسمونه بالمياه الجوفية !!..

٢٠١٠ المياه الجوفية !

- ويلاحقنى ولدى سائلاً: وماذا عن المياه الجوفية ؟!..

- قلت: ياولدى ! ذكرنا فى جدول سابق أن المياه الجوفية تبلغ ٦٢ر٠ ٪ من اجمالى الماء الكونى تقريباً، وهى نسبة كبيرة جداً أذا قورنت بالمياه العذبة فى

كوكبنا الأرضى (٣٠ ٪ منها)٠٠ والمياه الجوفية قد تستخدم للشرب والرى وفى الأغراض الصناعية٠٠ وللمياه الجوفية ميزة تكيفية مناخية عظيمة الفائدة بالنسبة للمزروعات فهى باردة فى الصيف٠٠ حيث الجو حار، دافئة شتاء حال برودة الجو٠٠ بما يتيح تكيف التربة المروية بالمياه الجوفية فى الموسمين الصيفى والشتوى متباينى الحرارة٠٠ !!

- ويا أحباب ! وقف علماء الطاقة المتجددة موقف تصنيفى ضيق حين بوبوا تحت مسمى الطاقات المتجددة للشمس والقمر فى الطاقة الضوئية٠٠ وطاقات الرياح، والمد والجزر٠٠ وتناسوا وأهملوا أن طاقات وموارد المياه الجوفية متجددة دائما حرارياً ومائياً شريطة حفر عدة آبار فى الموقع الواحد٠٠ والسحب منها فى توالى منتظم بما يضمن إطالة تدفقات المياه الجوفية فى ذات المنطقة٠٠ وإرجع يا ولدى ! إلى ملخص رسالة الدكتوراه التى أعدها عمك الدكتور محمد عبد الجليل تحت إشراف أبرز علماء المياه فى طشقند عام ١٩٩١م٠

- أضف يا ولدى ! أن المياه الجوفية المعدنية فى بعض البقاع عظيمة النفع للأغراض الطبية٠٠ بسبب تأثيرات المعادن المذابة فيها٠٠ !!

- ويبدأ التاريخ الكونى للمياه الجوفية يا ولدى ! منذ سيدنا نوح عليه السلام٠٠ حيث يقول تعالى: ﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر، وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر﴾ (القمر٥٤:١١،١٢)٠٠ وقوله تعالى: ﴿قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء قال لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين، وقيل يا أرض أبلعى ماءك وياسماء اقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾ (هود١١:٤٥)٠٠ وتأملوا يا أحباب ! قدرة الله٠٠ الأرض ذات الضغوط العالية فى جوفها تبلع ماء الطوفان بدل أن تطرده ويغيض الماء٠٠ وترسو السفينة٠٠ وتبدأ رحلة التفاعلات الكونية للمياه العميقة منذ ذلك الأجل وحتى الآن٠٠ وهى مياه غنية بآثارها وتأثيراتها٠٠ ناهينا أن المياه الجوفية موجودة جغرافياً فى كل البقاع وبلا استثناء فى ثروات منجمية يشير اليها القرآن فى قوله تعالى: ﴿وما تحت الثرى﴾٠٠ وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إلتمسوا الرزق فى خبايا الأرض﴾٠٠ فالماء يا ولدى ! شريك أصيل فى الحياة، فعال فى ثروات جوف الأرض٠٠ فسبحان الله العظيم !!٠٠

١٠-٣ ماء خلق الدواب والإنسان !!

- وسأل ولدى: وماذا عن ماء خلق الدواب والإنسان فى القرآن ؟!

- أجبت: يا ولدى ! الله تعالى خلق الدواب كلها من ماء، وخلق الله الانسانَ من ماء مهين، من منى يمنى، ويتحدد نوع المولود تبعاً لماء الذكورة البشرية ﴿خلق من ماء دافق﴾.. يقول تعالى: ﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله مايشاء إن الله على كل شىء قدير﴾ (الزمر٢٤:٤٥)

وقوله تعالى: ﴿ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾ (السجدة٣٢:٨)

وقوله تعالى: ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾ (المرسلات٧٧:٢٠)

وقوله تعالى: ﴿خلق من ماء دافق﴾ (الطارق٨٦:٦)

- وتردد السنة النبوية المشرفة ذات المعنى !!.. فعن أبى سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إصنعوا ما بدا لكم، فما قضى الله تعالى فهو كائن، وليس من كل الماء يكون الولد﴾ !!.. مسند الإمام أحمد.. حديث صحيح.. أنظر الحديث رقم ١٠١٦ فى صحيح الجامع.

- وعن أبى سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مامن كل الماء يكون الولد، وإذا أراد الله خلق شىء، لم يمنعه شىء﴾ !!.. مسند الامام مسلم.. حديث صحيح.. الحديث رقم ٥٧٥١ فى صحيح الجامع.

١٠-٤ ماء الجنة وماء النار !

- وسألت ابنتى: وهل فى الجنة ماء ؟!.. وهل فى النار ماء ؟!..

- أجبت قائلاً: نعم فيهما يابنيتى ! وإنه من الإعجاز القرآنى أن يرد لفظ ﴿ماء﴾ لضمان حياة الخلود فى الجنة.. لمن آمن واتقى وعمل عملا صالحاً.. وماء الجنة.. ماء غير آسن.. مغاير تماماً لماء النار.. فالأخير ماء حميم يقطع أمعاء العصاة الكفرة المشركين والعياذ بالله.. وتأملى يابنيتى قول الله تعالى:

﴿مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد فى النار وسقوا ماءً حميماً فقطع أمعاءهم﴾ (محمد٤٧:١٥)

وقوله تعالى: ﴿وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون﴾ (يس ٣٦: ٣٤)

وقوله تعالى: ﴿عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً... عيناً فيها تسمى سلسبيلا﴾ (الإنسان٧٦:٦،١٨)

وقوله تعالى: ﴿عيناً يشرب بها المقربون﴾ (المطففين٨٣:٢٨)

وقوله تعالى: ﴿تسقى من عين آنية... فيها عين جارية﴾..آنية فى جهنم.. وجارية فى الجنة..(الغاشية٨٨:٥،١٢)

٥٠١٠ الوابِل والطَل فى القرآن !

- وتسأل ابنتى: وهل فى القرآن إشارة عن الرى بالرش ؟! والرى بالترزيز ؟!

- أجبت: نعم يابنيتى ! هناك إشارات وآثار وفعاليات لهذه الطرق ! فقد ورد فى النص القرآنى ذكر ان الماء يسقط على الارض على هيئة ﴿وابل﴾ أو ﴿طل﴾.. والوابل هو المطر الغزير، وهو ما يسمى الرى بالرش، أما الطل فهو المطر المرزز، وبهذا أو بذاك يتضاعف المحصول وحتى أربعة أمثال، وفى هذه الاشارة القرآنية لفت للأنظار الى فضل وسائل الرى الحديثة سواء أكان الرى بالرش والتنقيط، أو بالترزيز.. وجاء ذلك فى قول الله تعالى:

﴿كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير﴾ (البقرة٢:٢٦٤،٢٦٥)

وآية الاعجاز فى هذه الآية الكريمة هو فى الربط الدقيق لجميع عناصر التنمية الرأسية الزراعية.. التربة، والرى، والتهوية، والصرف.. وصولاً الى أربعة أمثال المحصول.. وهو مانعرض اليه فى الباب الثالث !!..

- وفى موضع آخر ولفعالية أخرى.. يقول تعالى: ﴿فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً﴾.. ومن آيات الله الكبرى فى هذه الآية هو ذاك التناسب العكسى بين مربع التصاغر فى حجم الجزيئات والتعاظم فى الصلادة.. فقد اكتشف علماء سبائك الصلب حديثاً أنه فى حالة تمكن صناع الصلب من تصغير حجم الحبيبات من ٢٠ الى ١٠ ميكرون فان صلادة السبيكة ذات ١٠ ميكرون تزيد أربع أضعاف عن مثيلتها ذات ٢٠ ميكرون (الميكرون واحد من ألف من السنتيمتر).. كمثل التراب المتطاير على الحجر الصفوانى ذو حبيبات أصغر بكثير من حبيبات تربة الارض العادية !!..

٦٠١٠ الماء فى معجم القرآن

- قالت زوجتى: أما آن لنا أن نستكمل ورود الماء فى آيات القرآن ؟!..

- قلت: بالطبع آن الأوان يا أحباب ! فقد يرد اللفظ القرآنى المعرف المقيد للماء بالالف واللام ﴿الماء﴾.. إذا كان معرفاً بمصدره.. أو معرفاً بالدور الأدائى الكونى الذى يقوم به الماء فى حركة الكون العامة، أو فى الحياة عامة.. والماء أصل النشأة الاولى لكل الكائنات، حيث خلق الله سبحانه وتعالى كل الكائنات الحية من ماء، وأما التكاثر فإنه يتم بين الأزواج، ومن ماء مهين فى الدواب، ومن أصل الشىء.. الفرع والعين والعقلة فى النباتات، أو من التهجين بين الأصناف، وكل حياة أصلها من الحياة الكونية التى خلقها الله جل فى علاه.. وهو وحده يعلم السر وأخفى.. وكما لو كانت الجينات بروح من أمر الله سبحانه وتعالى.. شأنها فى ذلك شأن كل الأزواج فى كل خلق الله.. حيث يقول جل فى علاه: ﴿يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾.. وورد ذلك كله قرآنياً.. فى قوله تعالى: ﴿وهو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك تخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾ (الأعراف٧:٥٧)

وقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام مانشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكى لايعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾ (الحج٢٢:٥)

وقوله تعالى: ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذى أحياها لمحيى الموتى إنه على كل شىء قدير﴾ (فصلت٤١:٣٩)

وقوله تعالى: ﴿وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً﴾ (الفرقان٢٥:٥٤)

وقوله تعالى: ﴿أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون﴾ (السجدة٣٢:٢٧)

وقوله تعالى: ﴿وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر﴾ (القمر٥٤:١٢)

وقوله تعالى: ﴿إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية﴾ (الحاقة٦٩:١١)

وقوله تعالى: ﴿وقيل يا أرض أبلعى ماءك وياسماء اقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾ (هود١١:٤٤)

وقوله تعالى: ﴿قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء قال لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين﴾ (هود١١:٤٣)

وقوله تعالى: ﴿إنا صببنا الماء صباً﴾ (عبس٨٠:٢٥)

وقوله تعالى: ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين﴾ (الأعراف٧:٥٠)

- ويا أحباب! الماء سواء كان مطراً يستسقى بالدعاء والإجابة.. وكذلك ماء جوف الأرض يوهب ويمنح هبة وعطاءً من الله تعالى كماء زمزم !!

١١. ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾

- سأل ولدى: وماذا عن تنزيل الحديد ؟!

- قلت: يا ولدى! يقول الله تعالى: ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز﴾ (الحديد٥٧:٢٥)

- ويشرح البروفيسور أرمسترونج من أكابر علماء الفلك فى مؤسسة ناسا للفضاء الامريكية، فى مؤتمر الاعجاز العلمى فى القرآن فيقول: (لقد أجرينا أبحاثاً كثيرة على معادن الارض وأبحاثاً معملية.. ولكن المعدن الوحيد الذى يحير العلماء هو الحديد.. قدرات الحديد ذات صفات مميزة.. ولكى تتحد الالكترونات والنيترونات فى ذرة الحديد.. فهى محتاجة إلى طاقة هائلة تبلغ أربع مرات مجموع الطاقة الموجودة فى مجموعتنا الشمسية.. ولذلك فلا يمكن أن يكون الحديد قد تكون على الأرض.. ولابد أنه عنصر غريب وفد إلى الأرض ولم يتكون فيها).. ترجموا له ياولدى! معنى الآية الكريمة: ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾.. فأضاف البروفيسور أرمسترونج قائلاً: (إن هذا الكلام لايمكن أن يكون من كلام بشر.. وحق فإن منافع الحديد فى العصر الحديث لاتحصى ولا تعد) !!

١٢. الماء وقطع الصخور والمعادن؟!

- سأل ولدى: وهل يستطيع الماء قطع الصخور والمعادن؟!

ـ أجبت: نعم ياولدى! فللماء مُكنة غير محدودة.. وتأمل فى البداية قول الله تعالى: ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله، كذلك يضرب الله الحق والباطل، فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض، كذلك يضرب الله الأمثال﴾ (الرعد١٣:١٧)

فللماء ياولدى! القدرة الهائلة على النحت والاذابة فى الظروف العادية.. مرجع ذلك ازدياد الحجم واتساع المسافات البينية بين الجزيئات.. فتتفكك عناصر التربة، التى هى المكون الرئيسى لكل صخور ومعادن الأرض.. وجاء ذلك فى قول الله تعالى: ﴿وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾ (الحج٢٢:٥)

وقوله تعالى: ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذى أحياها لمحيى الموتى إنه على كل شىء قدير﴾ (فصلت٤١:٣٩)

عرف المصريون القدماء خاصية ربو وزيادة الأوتاد الخشبية حال بللها بالماء، فكانو يقطعون الأحجار بدق الأوتاد بالصخور، ثم يروون الأوتاد بالماء فتنفلق الصخور إلى كتل وبلوكات حسب الطلب!!

وبالماء المندفع تفكك وتهشم وانهال وانهار خط بارليف على الضفة الشرقية لقناة السويس فى حرب ١٩٧٣م.

وبتطوير بسيط لماء المطر، والذى لا يعدو كونه ماء مُؤَيّناً من تأثير التفريغ الكهربى لتلاقح السحاب.. مكربناً، أى مضافاً إليه بعضاً من ثانى أكسيد الكربون الجوى، أو كربون الجو القلق (ك١٤).. أو مُنَترجاً، أى مضاف إليه نتروجين الجو (ن١٤) ـ تمكن العلماء من قطع المعادن بالماء المؤين بطرق أطلقوا عليها القطع بالطرق الكهروكيمائية ELECTROCHEMICAL MACHINING (ECM).

ـ كما وقد أنتج العلماء ماكينات حديثة لقطع المعادن بالماء المندفع تحت ضغوط عالية WATERJET CUTTING .. تزداد فعالية الطريقة الأخيرة حال خلط الماء المندفع المضغوط برمال دقيقة !!

ـ ومن عجب أن هذة الطرق المستحدثة تعطى خواص ميكانيكية جيدة من ناحية نعومة السطح المُشغل، وتركيبه البلورى، والاجهادات المتخلفة على سطحه، ومجمل بقية خواصه الطبيعية.. من هنا ياولدى! فالماء من أكثر العناصر فعالية كوسيط قاطع للصخور والمعادن على حد سواء.

يأحباب! نوجز فنذكر مما سبق يستفاد مايلي:

٠١ الماء أصل من أصول الحياة، هو من خلق الله، ينزله سبحانه وتعالى من السماء، أو يفجره من الأرض، أو يتدفق من الأصلاب في الإنسان والحيوان·· وهو مشارك أصيل في الحياة البيولوجية على الأرض، مشارك أصيل أيضاً في الحياة البيولوجية في حياتنا الآخرة، سبق خلقه خلق كل الاحياء، منه كان ويكون كل شيء حي!!

٠٢ الروح سر إلهي، وأصل الحياة في الكائنات الحية، وينزلها سبحانه وتعالى·

٠٣ الكتب السماوية أنزلها الله سبحانه وتعالى من السماء نوراً وهداية للبشر·

٠٤ بدء الخلق يعتقد أن غالبه بدأ في السموات العلا، ومن ماء ثم أهبط به أو أنزل أو بث إلى الأرض·

٠٥ السماء محفوظة كونياً بمصابيح راجمة للشياطين، ولا ينفذ من أقطار السموات والأرض إنس ولا جن إلا بسلطان من الله سبحانه وتعالى·

٠٦ يدبر الله سبحانه وتعالى أمور السموات والأرض، وهو معنا أينما كنا، وهو يُحيي ويُميت، وله جل جلاله الولاية الكونية العامة·

٠٧ إن كل ماعلى الأرض مخلوق لبني البشر، وإن ما في السموات، وما في الأرض مُسخر لبني البشر بقدرة من الله سبحانه وتعالى·· ومن عجب أن الانسان هو الكائن الحر الوحيد في مخلوقات الله ؟!

٠٨ المعادن تلعب دوراً مهما في حياة البشر تنقلها مياه السيول ﴿فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه في النار إبتغاء حلية أو متاع﴾·· والحديد منزل إلى الأرض، والحديد من المعادن ذات الخواص الصلبة الشديدة، وله منافع عديدة في حياتنا العصرية·

٠٩ يقوم الماء بدور نشط وفعال في قطع وتشغيل المعادن والصخور·· وتفتيت الجبال وتكوين الوديان وأحواض الأنهار ودلتات الخلجان عند ملتقيات الأنهار والبحار والمحيطات·

٠١٠ الأرض تحيا بالماء، وينمو نباتها وتخصب، والنماء تَنَمُّلٌ وحركة وتموج، ونامية الله خلقه لأنهم ينمون، وما على الأرض نام وصامت: فالنامي نمو النبات، والصامت كالحجر، ونمى الشيء أي إرتفع·· ولكل شيء زمانه، ومكانه، ونسبيته في الكون·· ننتقل لمُدارسة كل ذلك تباعاً إن شاء الله تعالى!!

الزمان فى آيات القرآن

٠١ الزمان

ـ فى جلستنا العائلية الرابعة الممتدة بدأنا مدارسة الزمان فى آيات القرآن..

ـ سأل ولدى: ما المقصود بجوهر الزمان ؟!

ـ أجبت: يا ولدى! الزمان كَمٌ متصل، يتبدل ويتغير ويتجدد ويمضى بحسب النسبة

إلى الإضافات. وأى جزء يفرض فى الزمان يكون نهاية لطرف وبداية لطرف آخر، أو نهاية لهما، أو بداية لهما، على إختلاف الإعتبارات، كالنقطة المفروضة فى الخط الدائرى المتصل، فيكون «الآن» المفروض فى الإمتداد الزمانى نهاية وبداية لكل من الطرفين.. وقال بعضهم الزمان أمر إعتبارى.. متجدد معلوم، يقدر به.. وقال آخرون.. هو الذى يسمى الآن السيال.. أو بالأدق هو الآناء السيالة ﴿آناء من الليل﴾.

والزمان عند البعض إما ماض أو مستقبل، وليس عندهم زمان حاضر، بل الحاضر هو (الآن المشترك) بين الماضى والمستقبل.. والصحيح للعوام أنه الثلاثة الماضى والحاضر والمستقبل.

يتفق الجميع على أن الله خالق الزمان، ولا يجرى عليه الزمان، أى لايتعين وجوده بزمان ﴿هو الأول﴾، وهذا يعنى أن وجوده ليس زمانياً، ﴿وهو الآخر﴾، وهذا يعنى أنه لاتعلق لذاته العالية بالزمان فهو الباقى، وإن كان الله هو المسخر للزمان ﴿فكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾، ﴿وهو الذى خلق الليل والنهار﴾.

٢. خلق الزمان فى القرآن ؟!

ـ وعاد ولدى يسأل: وهل الزمان مخلوق من مخلوقات الله ؟!

ـ أجبت: نعم يا ولدى! الزمان مخلوق.. ويَردُ خَلق الزمان فى القرآن الكريم، مرادفاً، لتسخيره، ولتتابعه المتصل.. المتدفق فى اتجاه واحد.. ولتغييره المتجدد.. وورد خلق الزمان المتصل السيال المتدفق قرآنياً قرين: ﴿خلق الليل والنهار﴾.. ﴿وجعل الليل والنهار﴾.. ﴿يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل﴾.. ﴿يغشى الليل النهار﴾.. ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾.

والنهار يا ولدى! طال أم قصر.. فى فصل من فصول السنة.. أو فى طرف من أطراف الأرض.. فهو متبوع وبدورية نسبية منتظمة بالليل.. لكل مكان بذاته.. وعلى مدار فترة زمنية طالت أم قصرت.. ﴿لاتبديل لسنة الله﴾.. ﴿فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾ (فاطر٣٥:٤٣). وورد ذلك كله فى قوله تعالى: ﴿وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون﴾ (الأنبياء٢١:٣٣)

وقوله تعالى: ﴿وهو الذى جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً﴾ (الفرقان٢٥:٦٢)

وقوله تعالى: ﴿يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور﴾ (الحديد٥٧:٦)

وقوله تعالى: ﴿تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب﴾ (آل عمران٣:٢٧)

وقوله تعالى: ﴿يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾ (فاطر٣٥:١٣)

وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير﴾ (لقمان ٣١:٢٩)

وقوله تعالى: ﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ (الأعراف٧:٥٤)

وقوله تعالى: ﴿وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (الرعد١٣:٣)

وقوله تعالى: ﴿ذلك بأن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وأن الله سميع بصير﴾ (الحج٢٢:٦١)

وقوله تعالى: ﴿خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار﴾ (الزمر٣٩:٥)

٠٣ وظيفة الزمن فى القرآن ؟!

ـ سألت ابنتى: وما وظيفة الزمان ؟!

ـ أجبت: يابنيتى! كم يقدر القرآن الكريم الزمان، ويجعل لكل متعلقاته قيمة.. قيمة حسابه، وعده، وإحصائه.. تقسيمه وتوزيع أجزائه المتعاقبة بين الابتغاء فى النهار سعياً وكداً وكدحاً.. بعد أداء فرائض الله مع إقبال النهار فى الفجر،

ومع حلول طرفه الأوسط، الظهر والعصر، ونهايته المغرب والعشاء.

والإبتغاء يابنيتي! هو عمومية الاعمال التى تقيم الحياة للأفراد والجماعات. وأحسبنى أفهم أن الإسلام يأمر بالإبتغاء مع كل ضوء شمس.. وربما أفهم.. أن العمل وهذا شأنه تسبيحاً لله سبحانه وتعالى.. أما الليل فجعله ربنا تبارك وتعالى للراحة، ولأداء الصلوات النوافل ﴿وزلفاً من الليل﴾، وللتسبيح الخالص.. ولقراءة القرآن الكريم وجاء ذلك فى قوله تعالى: ﴿وجعلنا الليل لباساً* وجعلنا النهار معاشاً﴾ (النبأ٧٨:١٠،١١)

وقوله تعالى: ﴿وهو الذى جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشوراً﴾ (الفرقان٢٥:٤٧)

وقوله تعالى: ﴿فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم﴾ (الانعام٦:٩٦)

وقوله تعالى: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا﴾ (الإسراء١٧:١٢)

وقوله تعالى: ﴿وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾ (هود١١:١١٤)

وقوله تعالى: ﴿فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى﴾ (طه٢٠:١٣٠)

وقوله تعالى: ﴿إن لك فى النهار سبحاً طويلاً﴾ (المزمل٧٣:٧)

وعلى هذا يا أحباب! فليس الليل قائماً بذاته.. وكذا الامر بالنسبة للنهار.. ويقوم هذا وذلك بما نفعل فيه.. ويأخذان قيمتهما الحقيقية لحظة أن نشغلهما بما أمر الله به.. يوم للكدح فى العموم والشمول.. مع بداية الفجر، وفى منتصفه الظهر، وقرب نهايته العصر، وفى نهايته المغرب والعشاء للصلوات الخمس.. وليل للراحة وللصلاة والتسبيح وقراءة القرآن الكريم وتذكره ومذاكرته..

و هكذا فإن الوقت من ذهب.. والوقت هو رأس مال الانسان فى الحياة..

ولنتأمل فى مقولة سيدنا على كرم الله وجهه:

(رأس رأس المال الوقت)!..

والمؤمن يا أحباب! يشغل وقته بما يرضى الله ورسوله حق الاشغال وحق الاداء وجل العبادات.. بذلك يفوز بالدارين حق الفوز العظيم.. وبهذا وحده نبنى وطننا وأوطاننا.. ونستنهض أمة ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون

بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾..

٤. القَبلِيّة والبَعدِيّة فى القرآن

ـ وسأل ولدى: ماذا عن القَبليّة والبَعديّة فى القرآن ؟!

ـ وقلت: يا أحباب! ترد القبلية فى القرآن الكريم فى ١١٩ موضعاً بلفظ ﴿قبل﴾، أما البعدية فترد فى ٨٩ موضعاً بلفظ ﴿بعد﴾، وما يهمنا هنا هو إثارة أن كلا من القبلية وهى تفيد معنى الماضى والمغايرة، وذات الشىء ينسحب على البعدية الزمانية النسبية فهى تفيد المغايرة، ولكن ليس بالضرورة أن تكون فى المستقبل، بل قد تكون فى الماضى النسبى ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ وجملة المراد هنا هو أن القرآن الكريم أشار فى العديد وفى الكثير من المواضع تتابع ووصل الأزمان.. ونسبتها ببعض.. يضاف إلى ذلك أن القرآن الكريم قد يورد نصا مستقبليا قاطعا فى قوله تعالى ﴿غلبت الروم * فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون﴾.. ويحسم القرآن الكريم القول الحق بأن الزمن سيال ومتصل.. فى قول الله تعالى.. ﴿فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون﴾.

ويحسم القرآن الكريم أبهى الصور الوصفية للزمان.. وهى أن الزمان ذو إتجاه واحد لا إرتداد فيه بقول الله تعالى ﴿فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتى يوم لامرد له من الله يومئذ يصدعون﴾.. وأخيرا فهذه سنة الله ﴿سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾.

وقد تتجلى الآيات الربانية فى ذكر العدم مع القبلية.. فقبل القبل عدم.. ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام إسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً﴾.. ﴿قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً﴾.. ﴿أو لايذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً﴾.. ﴿والجان خلقناه من قبل من نار السموم﴾.

وأما القبلية فى الميقات اليومى فتأتى فى قول الله تعالى: ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى﴾.

وأما القبلية البرهة.. فجاءت فى قول الله تعالى: ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾

وكثيراً مايورد القرآن الكريم البعدية التى معها يتم الانتقال من حالة إلى أخرى.. حياة.. ومماتاً.. ومتقابلات.. مثل علمٍ بعد جهل.. وحياة بعد موت..

ورحمة بعد ضرار.. وغيث بعد قنوط.. ويسر بعد عسر.
﴿سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾.
﴿اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها﴾.
﴿وهو الذى ينزل الغيث من بعد ماقنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد﴾.
﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى﴾.
﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾.
﴿الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق مايشاء وهو العليم القدير﴾.
والقبلية والبعدية الزمانية من أبلغ ما ورد فى آيات القرآن الكريم دلالة وبياناً.

٥. الآن فى القرآن ؟!

ـ وسألت زوجتى: وماذا يرد عن الآن فى القرآن ؟!

ـ أجبت: يا أحباب! إذا أعتبر الزمان مقياساً للحركة.. فالآن فى الزمن مثل النقطة على الدائرة، لا النقطة على الخط المستقيم، حيث تتصل أطراف الأولى، وتتابع الزمن، والفصول، والسنوات، فى أكوان الله، فى حركة دورية، منتظمة، ومسخرة ـ يكشف لنا عن أهمية قصوى لدراسة الزمان وحركة العالم والأكوان وحركة الأشياء. والآن فى الظواهر إنما يفيد الإنقلابية إذ يتغير معه ولبرهات الوضع من حال إلى حال.

وإذا كان إكتشاف الصفر فى الحساب أعطى مكنة كبيرة للمشتغلين بالرياضيات.. فإن ﴿الآن﴾ وهو الاهم يعطينا المعنى الجوهرى "الصفرية الزمان" الذى يتيح ومن أفسح الابواب دراسة ميكانيكا وديناميكا الأجسام والألوان والاطياف.

ولقد ورد لفظ ﴿الآن﴾ قرآنياً فى ثماني آيات:

قوله تعالى: ﴿قالت إمرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾ (يوسف١٢:٥١)

وقوله تعالى: ﴿وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً﴾ (الجن٧٢:٩)

وقوله تعالى: ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين﴾

(الأنفال٨:٦٦)

وقوله تعالى: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾ (النساء ٤:١٨)

وقوله تعالى: ﴿قال إنه يقول إنها بقرة لاذلول تثير الأرض ولاتسقى الحرث مسلمة لاشية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون﴾ (البقرة ٢:٧١)

وقوله تعالى: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم، فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، ثم اتموا الصيام الى الليل، ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد، تلك حدود الله فلا تقربوها، كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون﴾ (البقرة٢:١٨٧)

وقوله تعالى: ﴿أثمّ اذا ما وقع آمنتم به آلآن وقد كنتم به تستعجلون﴾ (يونس١٠:٥١)

وقوله تعالى: ﴿آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾ (يونس١٠:٩١)

٥ب. الآناء فى القرآن ؟!

ـ وأضفت قائلاً يا أحباب! كم كان القرآن معجزاً.. دقيقاً معبراً.. حين عرف الفترة الزمانية بالآناء.. تبعيض التبعيض.. وهو تعريف يأخذ الالباب.. وجاء ذلك فى ثلاث مواضع قرآنية.. حيث يقول تعالى:

﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون﴾

﴿فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى﴾

﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون انما يتذكر أولوا الألباب﴾

ومعجزة الخلق الزمانى إنما تكمن فى دوريته.. ليل ونهار.. ويوم.. وشهر.. وعام.. وقرون. ومع هذا الخلق لايتبدد الجنس البشرى.. ولا حتى الحيوانات والطيور والاسماك وكذا بقية الأحياء.. وإنما يولد كل شىء من جديد، ويتجدد، وتتوالى الاجيال والقرون والأمم.

وإذا كان علماء الاجتماع يشخصون بأن مسار الزمن يقتضى التغيير.. والتغيير يحمل معنى الارتداد.. والارتداد يعنى الفساد والإنحلال.. كذلك الحال ـ فى بعض خلق الله.. فمن يتدخل لتغيير نواميس الله وأومره الكونية فنعتبره مرتداً فى الدين.. والارتداد مفسدة.. والمفسدة إنحلال.. والإنحلال إختلال.. والإختلال نهاية!!..

ويهون الساسة من النظرة التشاؤمية لعلماء الاجتماع بمحاولتهم الارتداد المنظم.. والتغيير المنظم بما يسمونه بندولية الحقب.. وذلك بالارتداد المنظم إلى الماضى القريب، بما يشبه حركة بندول الساعة..!!

ويسمون الظاهرة الارتدادية سياسياً بالعود إلى الماضى القريب.. BAKLASH.

ومَجىء القرآن الكريم بالنص صراحة على أن الله هو الذى خلق الزمن أحدث ثورة بشرية فى فهم الزمان.. فالزمان لم يعد مؤلهاً.. بل أصبح مخلوقاً خلقه الله.. بات الزمان ـ لا بالأزلى.. ولا بالأبدى.. فالصمدية لله وحده، الواحد الأحد.. والفناء للزمان شأنه شأن مخلوقات الله، والبقاء لله وحده ودون سواه ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾.

وللزمان والحال كذلك دوراته متكررة متتابعة.. سيالة.. أحادى البعد.. متتابع.. لا رجعة له!!

والوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك.

وقالوا أيضاً عنه: الزمان خط يحدد مسيرة البشرية منذ الخطيئة الأولى، وحتى البعث الآخر.

والزمان.. والحال كذلك.. حضارة وثقافة.. عمل وخبرة.. مال وقيم ومكتسبات!!

وحتى الآن نستطيع أن نؤكد أن البشرية لم توافق على رأى واحد فى شأن المنهج الذى تحدد به تاريخ الارض والكائنات والنشأة الأولى.. بالحساب التراجعى.. منذ ١٦٦٤م وحتى الآن إستدلالاً بأطياف الشمس، أو اعمال أفلاج المحيطات، أو بإشباع العناصر المشعة، أو من أطياف صخور القمر والنيازك!!

والعلوم البشرية فى مأزق فى مواجهة آيات الفتق والرتق، الذى يرجع فتق السموات والأرض الى الانفجار العظيم، والذى يحدده البعض ١٨:١٥ مليار سنة.. فى حين يقدرون عمر الأرض ٤ر٦ مليون سنة.. أى تناقض هذا ؟!

وكما لقيت فكرة النشوء والارتقاء قبولاً فى القرن الماضى، إلا أنه صدر فى الخمسينيات القرار البابوى الذى يقضى بأن مذهب التطور ينبغى أن يفحصه العلماء من حيث أنه يتناول بحث أصل الجنس البشرى، ومع ذلك فإن الايمان

الكاثوليكى يلزم بالإعتقاد بأن الأرواح خلقها الله مباشرة ·· والإسلاميون موقفهم هو رفض نظرية النشوء والإرتقاء ومنذ مولدها!!

ويشاء الله أن لا ينقضى القرن العشرون إلا وتكفن نظرية النشوء والإرتقاء·· بعد أن عاد للبشرية وعيها الذى غاب عنها إلى حين·

٦· ميقات الكائنات الحية فى القرآن

ـ وسألت ابنتى: وهل للكائنات الحية ساعة ميقاتية ؟!

ـ وأجبت: نعم يابنيتى! للكائنات الحية آلية ميقاتية ذاتية·· لا يعلم سرها إلا الله سبحانه وتعالى، فالنباتات الموسمية لاتصح وقد لاتنبت الا فى موسمها أى بدورية السنة، وربما كل ستة شهور، فالحشائش الموسمية موجودة وعلى الدوام فى تربة الإنبات ولكنها لا تنبت ذاتياً إلا فى موعدها الدورى السنوى· ويضاف أن للنبات آليات ميقاتية داخلية تعمل على مرحلتين يوميتين مدة كل منهما حول ١٢ ساعة، وربما يكون التقسيم اليومى بحسب هذا اليوم يخضع للنور وللظلام· وربما ومن ناحية أخرى أن يعمل النور على تشجيع الإزهار، أما الظلمة فتوقفه·· ﴿ماكان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون﴾·

ـ ويا أحباب! مواعيد هجرة الطيور يرتبط بالمواسم بدئها هجرة، ونهايتها عودة وهى تتم بمواقيت تعمل فى داخل الطير، وبصورة خلقية حية، يضاف إلى ذلك نظام خلقى معقد فى أجهزة بيولوجية حية تنتج للطير الإسترشاد بالشمس، وبالمجال المغناطيسى للأرض، وبدون أى معالم إرشادية أثناء رحلتى الهجرة والعودة، والإعجاز التوجيهى الميقاتى لدى صغار الطير التى يصبح فى إمكانها العودة ذاتياً إلى موطن الآباء·· وبعد عودتهم (الآباء)·· وبشهور··!!

والإعجاز الخلقى فى طير الله التى تستريح بالقبض فى السماء، وهى فى برهات راحة، وتبقى وحيث مكان القبض·· مايمسكهن إلا الله·· وانظر إلى قول الله تعالى·· ﴿ألم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن مايمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شىء بصير﴾ و ﴿ألم يروا إلى الطير مسخرات فى جو السماء مايمسكهن إلا الله إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾·

ويعطى علم الإيقاعات الحيوية التأثير الشمسى على النحل مثلا فحال مايكون النحل فى باريس، وينقل من باريس إلى نيويورك وفارق التوقيت للمدينتين خمس ساعات·· فإن الميقات الداخلى للنحل هو الذى يعمل بمعنى أن النحل يغدو

لغذائه وهو فى نيويورك بالتوقيتات الباريسية.

أما محددات خط سير النحل من الخلية وحتى مرعاها من زهور الله فيخضع للخواص الإشراقية للشمس، والمغناطيسية للأرض، والأثرية لما تتركه خلفها فى أجواء الله من بث تترجمه خلاياها وحواسها فى رحلة العودة.. وأمور أخرى غاية فى التركيب والتعقيد لايعلمها إلا الله.. يضاف الى ذلك أنها تترجم لبقية أعضاء العائلة النحلية الموقع الرعوى.. طريقاً وبعداً ومسافة وإتجاهاً وزمان وصول إليه برقصة إيقاعية ذات شفرة خاصة يفهمها النحل دون سواه.. وتأمل قول الله تعالى.. ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون﴾ و ﴿ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾

والمواقيت اليومية لجسم الإنسان ترتبط بعمل الأجهزة الداخلية للإنسان، فإفرازات البول تكون فى حدها الأدنى أثناء النوم، والعكس فيبلغ ذروته أثناء الصباح.. وأما زمن تجلط الدم فيكون أقصر أثناء الليل، ودرجات الحرارة تنخفض الى أقل معدل لها فى جسم الإنسان مع ساعات النهار الأولى.. من الساعة الثانية وحتى الساعة الرابعة صباحاً.. ومن عجب أن تتزايد مع هذه الساعات الصباحية الولادة، والنوبات القلبية، والإصابات، وربما يكون هناك إرتباط بين هذه العمليات وساعات الوهن ونرجع إلى قول الله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ و ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير﴾.

والإيقاع الدورى الكونى للدورة الشهرية عند النساء يتوافق مع الشهر القمرى.. وينشأ عنها إختلال نفسى وفسيولوجى والدورة النسائية مدتها ٢٩,٥ يوم.. فى ذات الوقت فإن للرجال دورة مزاجية وهرمونية مختلفة، ومدتها ٢٣,٠ يوماً.

والدورات السنوية للطيور وللحيوانات وحتى للنباتات ذات طبيعة متوافقة مع .. نمو الريش، وتغيير الشعر والجلد، ووضع البيض، والهجرة، وزيادة الرغبة فى التكاثر.

أما مع الإنسان فلا توجد دورة سنوية ذات سمات ثابتة، حتى اليوم، اللهم إلا زيادة إفرازات الغدة الدرقية فى الصيف!!

وإذا كان لتوالى الليل والنهار أهمية عظمى فى ثبات نسب الأكسوجين وثانى أكسيد الكربون فى الجو ضماناً لحياة البشر ولدورية حياة النباتات

والحيوانات.. فإن الأمر أمر حياة بشواملها وكواملها وأسرارها التى لا نعلم عنها إلا القدر اليسير جداً.. وللنظر إلى قول الله تعالى..﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون * قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون﴾..!! ﴿يقلب الله الليل والنهار إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار﴾.

وعلى كل ماتقدم يا أحباب! هل يسلم الإنسان بحكمة تتابع الليل والنهار، والنهار والليل، ومنذ خلق الله السموات والأرض وما بينهما، وإلى الأجل الذى حدده الله.. ويعطى للزمان قدره ؟!

٧. الأجل نهاية زمن ..

ـ وسأل ولدى: وماذا عن الأجل ؟!

ـ قلت: يا ولدى! لاشك أن كل مخلوقات الله الكونية والحية تبقى فى الوجود لآجالها، إعمالا لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿لكل أجل كتاب﴾.

ولعمومية القانون السماوى.. قانون الفناء والبقاء ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾.

ونحن المسلمين نسلم أن الزرع والنبت والطير والحيوان يبقى حياً لأجل محدود. وما يهمنا هى الآجال البشرية.. التى حدد الله بها آجالنا.. وبشرنا ربنا تبارك وتعالى.. بخلود فى الجنة، أو خلود فى النار والعياذ بالله.. وحتى آيات الرسل ماكانت لتتم إلا بإذن من الله تبارك وتعالى ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب﴾.

ويا أحباب! يحسم القرآن الكريم أجلية عمر الإنسان.. وأجل وعمر كل شىء.. فى قوله تعالى:

﴿وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون﴾ (الأنعام٦:٦٠)

وقوله تعالى: ﴿ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ (الأعراف ٧:٣٤)

وقوله تعالى: ﴿وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل

مسمى ويؤتى كل ذى فضل فضله وإن تولوا فإنى أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ (هود١١:٣) وقوله تعالى: ﴿وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين﴾ المنافقين٦٣:١٠

وقوله تعالى: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً﴾ (فاطر٣٥:٤٥)

وقوله تعالى: ﴿يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لايؤخر لوكنتم تعلمون﴾ (نوح٧١:٤)

وقوله تعالى: ﴿من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم﴾ (العنكبوت٢٩:٥)

والمسلم به أن النفس الكونية لها أجلها وتقبض فى الحين ومع الأجل الذى حدده لها الله سبحانه وتعالى.

تأمل قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير﴾ (لقمان ٣١:٢٩)

٨. التوقيت الهجرى والتوقيت الميلادى

ـ سأل ولدى: وهل يربط القرآن بين التوقيت الهجرى والتوقيت الميلادى ؟!

ـ أجبت: نعم يا ولدى! فالمسلمون إتخذوا من هجرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة فى عام ٦٢٢ م بداية للتوقيت القمرى الهجرى.. وتربط الآية القرآنية الكريمة: ﴿ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً﴾ بين التوقيتين فى دقة متناهية.. حيث كل ٣٣٣ر٣٣ سنة قمرية تساوى ٣٣٣ر٣٢ سنة ميلادية.. بمعنى أن كل٣٠٠ سنة قمرية تساوى ٢٩١ سنة ميلادية، وبالتالى فإن كل١٠٠ سنة قمرية تساوى ٩٧ سنة ميلادية.

ومعنى هذا يا أحباب! أن التسع سنوات الزيادة محتواة ضمن الثلاث مائة سنة قمرية، والأخيرة تزيد عن ما يساويها بالتوقيت الميلادى (٢٩١ سنة ميلادية) بتسع سنوات!!

وإذا فرضنا أن التوقيت الميلادى "م" والتوقيت الهجرى "هـ" فإن العلاقة التى تربطهما يمكن كتابتها على الصورة التالية:

وعلى هذا يرتبط التقويمان الهجرى «هـ» والميلادى «م» بالمعادلة التالية:

هـ = (م - ٦٢٢) x (١٠٠ : ٩٧)

والمعروف أن السنة الميلادية عبارة عن ٢٥ر٣٦٥ يوماً، أما السنة القمرية فعبارة عن ٣٦٧٠٦٧ر٣٥٤ يوماً. والجدول التالى يوضح العلاقة بين التوقيتين الميلادى والهجرى استناداً للنص القرآنى:

توقيت ميلادى	توقيت هجرى	توقيت ميلادى	توقيت هجرى
٧٠٠ م	٨٠ هـ	٨٠٠ م	١٨٣ هـ
٩٠٠ م	٢٨٦ هـ	١٠٠٠ م	٣٨٩ هـ
١٣٠٠ م	٦٩٩ هـ	١٦٠٠ م	١٠٠٨ هـ
١٩٠٠ م	١٣١٧ هـ	١٩٩٣ م	١٤١٣ هـ
٢٠٠٠ م	١٤٢١ هـ	٢٢٠٠ م	١٦٢٦ هـ
٢٥٠٠ م	١٩٣٦ هـ	٢٧٢٢ م	٢١٦٤ هـ
٢٨٠٠ م	٢٢٤٥ هـ	٣١٠٠ م	٢٥٥٤ هـ
٣٤٠٠ م	٢٨٦٣ هـ	٣٧٠٠ م	٣١٧٣ هـ
٢٠٧٣٤م	٢٠٧٣٤هـ		

والواضح أن الزيادة بواقع ٩ سنوات لكل ٢٩١ سنة أدق من زيادة ٩ سنوات لكل ٣٠٠ سنة، بالمفهوم الرقمى للآية الكريمة، والله أعلم..

فمثلا فى عام ٢٧٢٢م (من الجدول) يكون قد مضى على التوقيت الهجرى٢١٠٠ سنة بواقع ٧x ٣٠٠ ميلادية بما يقابل ٧ x ٣٠٩ = ٢١٦٣ هـ، وهذا يقل عن الحقيقة بعام هجرى كامل!!

ونذهب لأبعد من هذا لاختبار حساسية المعادلة التى أوردناها متمشية مع اللفظ القرآنى ونقول أن التوقيتين الميلادى والهجرى يتساويان فى عام ٢٠٧٣٤م حيث تقابل عام ٢٠٧٣٤هـ (أنظر الجدول)

ويتلاحظ من الجدول أن الزيادة بين ١٠٠٠م :١٣٠٠م هى بواقع ٣١٠ سنة، وكذلك

الحال بين ٣٤٠٠م : ٣٧٠٠ م الزيادة بواقع ٣١٠ سنوات كذلك.. والزيادة ليست ٣٠٩ سنوات.. الأمر الذى يقطع رقمياً بأن:

٣٣ر٣٣سنة قمرية	=٣٣ر٣٢سنة ميلادية	، ١٠٠ سنة قمرية	=٩٧ سنة ميلادية
٣٠٠ سنة قمرية	=٢٩١ سنة ميلادية	، ١٠٠٠ سنة قمرية	=٩٧٠ سنة ميلادية

ويا أحباب! دعونا نعرض للشمس والقمر، ومن ضمن وظائفهما المساعدة فى معرفة المواقيت، ومعرفة مدد وفترات الزمان.. بخلاف وظائفهما الجذبية والحرارية والضوئية فى كون الله.. وبدون الشمس لايمكن أن تقوم على الأرض، ولا فى الكون حياة !! ..

المجموعة الشمسية فى القرآن

عاودنا جلسة المدارسة العائلية الممتدة حول المنظومة السماوية..

ـ سأل ولدى: وهل خلقت الشمس والقمر منذ النشأة الأولى ؟!

ـ قلت: يا ولدى ! الشمس هى النجم المعروف، وتشع الطاقة الضوئية والحرارية فى الكون، وعلى هاتين الطاقتين تتوقف الحياة فى الأرض، وبهما تتغير الظواهر الطبيعية فى الغلاف الجوى الأرضى من حرارة وبرودة ورياح

وسحب ومطر ورطوبة. وترد الشمس قرآنياً فى ٣٥ موضعاً. وقد ترد بوظيفتها الكونية الضوئية والحرارية فمرة قد ترد بصفتها «ضياء» ومرة آخرى ترد بالصفة السراجية الوهاجة، وقد ترد الصفات قرينة الموصوف ونعنى قرين الشمس فى موضعين.. الأول ﴿هو الذى جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ (يونس١٠:٥) .. والموضع الثانى ﴿وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً﴾ (نوح٧١:١٦) وقد ترد صفة بغير الموصوف فى موضعين.. الأول ﴿وجعلنا سراجاً وهاجاً﴾ (النبأ٧٨:١٣)، والموضع الثانى ﴿تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً﴾ (الفرقان٢٥:٦١).. و يا ولدى ! جاء ورود الشمس فى القرآن شاملاً: خلق الشمس.. وتسخير الشمس.. ووظيفة الشمس.. وعبادة الشمس.. ونعرض لما ورد بالقرآن فى شأن الشمس والقمر.. منذ النشأة الأولى !!

١. زمن خلق الشمس والقمر ؟!

ـ يا أحباب ! يقول الله تعالى: ﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ (الأعراف٧:٥٤)

ويقول تعالى: ﴿هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ (يونس١٠:٥)

ونحسب بهذا القطع واليقين أن خلق الشمس والقمر جاء فى نفس زمن خلق السموات والأرض وما بينهما، وذلك بحسب أن الشمس والقمر هما جهاز التقويم الزمانى الشهرى فى الكون فبالأهلة القمرية يستدل على الشهور.. وتطور أشكال وهيئات القمر تتأتى من الشمس والأرض.. بمعنى أن هذه الثلاثية الأرض والشمس والقمر من وظائفهما الكونية تحديد الزمان بالشهور. أما ثنائية الشمس والأرض فوظيفتهما الكونية فيما يخص قياس الزمان ـ تحديد اليوم بجزئية الليل والنهار.

وانظروا قول الله تعالى: ﴿إن عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا

فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة وإعلموا أن الله مع المتقين﴾ (التوبة٩:٣٦)

وقوله تعالى: ﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾ (يس٣٦:٣٩)

وقوله تعالى: ﴿هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك إلاّ بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ (يونس١٠:٥)

وقوله تعالى: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلاً ﴾ (الإسراء١٧:١٢)

وصريح خلق الزمن ﴿الليل والنهار﴾ وخلق الشمس والقمر يأتى فى قول الله تعالى: ﴿وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون﴾ (الأنبياء٢١:٣٣)

ويفهم يقيناً من مجمل الآيات السابقة وبصريح النصوص القرآنية، تواكب خلق السموات، والأرض، والشمس، والقمر، والزمن (الليل والنهار، وعدة الشهور) مع زمان النشأة ﴿يوم خلق السموات والأرض﴾، وذلك بحسب أن خلق الزمان، وهو الأصل السيال، أما الشهور فهى الفترات العارضة التى لابد وأن تقاس بالأرض، وبالشمس، وبالقمر.. ولا مجال للمماحكة فى فرضيات خاطئة لتحديد عمر الأرض، وعمر الشمس والقمر، وأمامنا النصوص القرآنية قطعية، وليست ظنية.. فصريح الآيات يقطع بخلق السموات والأرض وما بينهما مع نشأة الكون.. ولا إجتهاد فى موضع النص.. والله أعلم !!

٠٢ آية تسخير الشمس والقمر

ـ سألت ابنتى: وما آية تسخير الشمس والقمر ؟!

ـ أجبت: يابنيتى! آية خلقهما وتسخيرهما أن تقوم عليهما وبهما الحياة على الأرض وفى أكوان الله.. وآية ذلك أن ننتفع بهما وبآثارهما ونرتفع ونستجلب المنافع هذه لصالحنا ولصالح البشرية جمعاء.. فالتسخير معناه التحريك والتوظيف الدائم المتزن والمستقر فى الكون ﴿كل يجرى لأجل مسمى﴾.. ﴿دائبين﴾.. ﴿قدره منازل﴾.. ﴿حسباناً﴾.. وقد يرد التسخير قرين لفظ ﴿سخر﴾، أو لفظ ﴿جعل﴾.. والتسخير والجعل يا أحباب! قرينان بتكليفنا بالارتفاق والانتفاع

بالبروج والنجوم والشمس والقمر وبآثارهم·· الوضعية والحرارية والضوئية·· وبالظواهر التأثيرية الناتجة عنهم من رياح وامطار ومد وجذر·· نحن مكلفون يا أحباب ! بالاستفادة بالزمن الذى تؤخذ البروج والشمس والقمر عليه دليلاً·· والزمن هو رأس المال للأفراد والجماعات والشعوب والأمم !!

والتسخير الكونى لبروج السماء وللشمس والقمر آية من آيات الله العظمى·· يقول الله تعالى: ﴿تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً﴾ (الفرقان٢٥:٦١)

وقوله تعالى: ﴿الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾ (الرعد١٣:٢)

وقوله تعالى: ﴿وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار﴾ (إبراهيم١٤:٣٣)

وقوله تعالى: ﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ (النحل١٦:١٢)

وقوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾ (العنكبوت٢٩:٦١)

وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير﴾ (لقمان٣١:٢٩)

وقوله تعالى: ﴿يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير﴾ (فاطر٣٥:١٣)

وقوله تعالى: ﴿خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار﴾ (الزمر٣٩:٥)

وقوله تعالى: ﴿فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم﴾ (الأنعام٦:٩٦)

وقوله تعالى: ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً * وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً﴾ (نوح٧١:١٥،١٦)

وقوله تعالى: ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا

الشمس عليه دليلاً﴾ (الفرقان٢٥:٤٥)

وقوله تعالى: ﴿الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان * الشمس والقمر بحسبان * والنجم والشجر يسجدان * والسماء رفعها ووضع الميزان * ألا تطغوا فى الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان * والأرض وضعها للأنام * فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام * والحب ذو العصف والريحان * فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ (الرحمن٥٥:١:١٣)

وقوله تعالى: ﴿لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون﴾ (يس٣٦:٤٠)

٠٣ حركة الشمس

- وواضح يا أحباب ! من الآيات السابقة أن كلا من الشمس والقمر يجرى.. وكذلك كل المجرات والنجوم تجرى.. ﴿كل يجرى﴾ !!

ولكل من المجرات والنجوم والشمس والقمر مداره وفلكه الذى يسبح فيه بذاته.. ﴿وكل فى فلك يسبحون﴾ !!

وهذه اثارة بتكليف لدراسة قوانين الحركة.. والجاذبية.. والنسبية.. والاختلال.. سبحان الله.. ونحن عن هذا منصرفون.. وفى النوم غارقون !!

وهناك إشارة واضحة إلى أن جمعهما الشمس والقمر لايتأتى إلى يوم القيامة !! ويقول تعالى: ﴿يسأل أيان يوم القيامة * فإذا برق البصر * وخسف القمر * وجمع الشمس والقمر * يقول الإنسان يومئذ أين المفر * كلاً لاوزر﴾ (القيامة٧٥: ١١٦)

والشمس تسبح مع النجوم بسرعة ١٢ ميل فى الثانية.. وتجرى ضمن نجوم المجرة نحو النسر الواقع (فيجا) بسرعة ١٧٠ ميل فى الثانية.. وتدور الشمس حول نفسها بسرعة ٦٠٠ قدم فى الثانية لتكمل الدورة فى ٢٤ر٧٥ يوماً، والقمر يكمل دورته حول نفسه فى ٢٧ر٣ يوماً، أما الأرض فتدور حول نفسها فى ٢٤ ساعة.

توازن دقيق بين جاذبية الشمس والقوة الطاردة المركزية للكواكب التى تدور حولها.. الكواكب ثابتة حول مراكزها فى أفلاك ثابتة.. بما لايسمح لها بالضياع فى الكون الخارجى بسبب سرعاتها وقوتها الطاردة المركزية.. فيدمر كل كوكب الكواكب الأخرى بالاختلال أو بالصدام.. وتأمل قوله تعالى:

﴿لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون﴾ (يس٣٦:٤٠)

وقوله تعالى: ﴿والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾ (يس٣٦:٣٨) والسؤال.. أين نحن من هذه الكنوز المعرفية الكونية القرآنية.. وأين نحن من علومها ؟؟.. وأين نحن من التكليف الشرعى بتسخير كل هذا لنفعنا ونفع البشرية جمعاء ؟!

٤ـ وظيفة الشمس الكونية

ـ سأل ولدى: وما وظيفة الشمس تحديداً ؟!

ـ قلت: يا ولدى ! ما نعرفه أن الشمس طاقة.. ونحن مكلفون بالارتفاق والانتفاع بهذه الطاقة الشمسية الحرارية والضوئية.. فهى مصدر الطاقة الحرارية للمجموعة الشمسية على الأقل ﴿وجعلنا الشمس سراجاً﴾.. والشمس طاقة ضوئية فمنها ضوء النهار مباشرة منها إلى الأرض ومنها ضوء وإنارة القمر بالليل ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء﴾.. والشمس مجال مغناطيسى ﴿كل فى فلك يسبحون﴾.. بطاقة هائلة ممسكة بالمجموعة الشمسية بقوى عظيمة ﴿أ أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون﴾.. والشمس حركة فى الكون ـ تجرى ومجموعتها الشمسية إلى حيث أراد الله.. ﴿والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾.. والشمس مصدر الحياة النباتية والحيوانية والإنسانية.. ﴿الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون﴾.. ومنها، ومن الماء فى البحار، والأرض، كان نبات كل شيء، وطعام الحيوان، وطعام الإنسان ـ وكانت بالتبعية حياة النبات والحيوان و الإنسان، ومن الشمس وبالشمس كانت الرياح، وكان المطر، وكان البرق، وكان السحاب، وكان الثلج.. وكان البرد وكان الحر.. وكان البخار، وكان غلاف الأرض المائى ـ الحافظ لجوها، الواقى لسكانها من تأثير الإشعاعات الكونية الضارة.. ومنها ومن اليخضور كان الإتزان بين الاكسوجين وثانى أكسيد الكربون.. فكان صلاح هواء التنفس للإنسان والحيوان والطير والسمك.. وكان نماء الزرع أصل الأصول فى الغذاء والكساء.. والشمس يا ولدى ! مركز وأساس مجموعتنا الشمسية.. هى سر ربطها وإتزانها.. وقمر المجموعة هو أساس المد والجزر عملية الأساس فى طيب ماء البحار والمحيطات.. وهناك ما هو أكثر بكثير يؤثر فى حياة النبت والزرع والحيوان والإنسان وبيئة الحياة الأرضية كلها.. والعلماء يحاولون المعرفة والإستخدام ياولدى !!

٥ـ الشمس والآذان للصلاة

ـ سألت ابنتي: هل لنا أن نعرف كيف لاينقطع الآذان على الأرض على مدار الليل والنهار ؟!

ـ أجبت: يابنيتى !

الشمس والنجوم والقمر ـ ساعات كونية دقيقة ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾.. والشمس والنجم للمسلم ساعة إيذان بالأذان للصلاة، يقول الله تعالى:

﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ (الاسراء١٧:٧٨) . هذه الآية في سورة الإسراء المكية بدأت بصلاة الظهر وحيث نزل فيها جبريل عليه السلام عقب الإسراء يؤم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحدد له معالم الصلوات..

دلوك الشمس : وقت الزوال عند الظهر.

غسق الليل : الفترة التى يضيء فيها الجو بعد غروب الشمس.

قرآن الفجر : صلاة الفجر وهى صلاة الصبح.

فالصلوات الخمس : الفجر ـ الظهر ـ العصر ـ المغرب ـ العشاء.. يحددها ضوء الشمس عند الزوال عندما يكون الظل العمودى لأى شيء أقصر مايمكن يكون الظهر، وعندما يصبح طول ظل الشيء كطوله الحقيقى يكون العصر، وعندما يحل الغروب يكون المغرب، وحين يختفى (الشفق) إضاءة الجو بعد غروب الشمس تكون العشاء.. وأما الفجر فيحل مع اشراقة ضوء النهار.. وبدلالة تألق بعض النجوم فى السماء.

ـ ويابنيتى ! يقسم العلماء الكرة الأرضية الى مناطق للتوقيتات بواقع ١٥ درجة لكل ساعة زمن، أى ٣٦٠ درجة تقسم على ٢٤ ساعة. ومعنى ذلك ان كل خط طول واحد، وهو بواقع ٦٩ ميل يخصه فى التوقيت الشمسى اليومى ٤ دقائق.. خارج قسمة ساعة ٦٠ دقيقة على ١٥ درجة طول.. ويقدر الراصدون للآذان للصلوات أن الآذان الواحد يستغرق هذه الدقائق الأربع.. وهذا معناه أن الآذان للصلاة عند المسلمين فى الكرة الأرضية لاينقطع على مدى الأربع والعشرين ساعة.. سبحان الله العظيم.

٠٦ الخلايا الضوئية والسخانات الشمسية

ـ سال ولدى: وكيف يستخرجون كهرباء ويستغلون حرارة من الشمس ؟!

ـ أجبت: يا ولدى ! العلماء يستخرجون فى العصر الحديث من أشعة الشمس الطاقة الكهربية بالخلايا الضوئية الفولتائية·· والطاقة الحرارية بالسخانات الشمسية - اللا قطات -·· بحسب أنها طاقة: نظيفة، غير ملوثة، ولا ضوضاء لها·· ويستخرجون الطاقة الكهربية من الطاقة الضوئية الفولتائية من ضوء القمر المستمد من الشمس أيضاً·· والسؤال أين نحن المسلمين عالمياً من التكليف بالارتفاق بهذه الطاقات ؟؟ على مستوى الفرد والجماعة والمجتمع كله ؟!

٠٧ طاقات الشمس فى آيات القرآن

ـ ويا أحباب ! أورد القرآن فى إشارات لطيفة مختلف طاقات الشمس·· الحرارية، والضوئية، والمغناطيسية·· فى العديد من المواضع·· تكراراً للأمر والتحفيز للمسلمين ولكل الناس على الإرتفاق والإنتفاع بهذه الطاقات الهائلة··

١ـ طاقة الشمس الحرارية:

ـ فيا أحباب ! جاءت طاقة الشمس الحرارية ضمناً فى قول الله تعالى: ﴿تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً﴾ (الفرقان٢٥:٦١)

وقوله تعالى: ﴿وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً﴾ (نوح٧١:١٦)

وقوله تعالى: ﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً﴾ (الكهف١٨:١٧)

وقوله تعالى: ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً﴾ (الفرقان٢٥:٤٥)

وقوله تعالى: ﴿متكئين فيها على الآرائك لايرون فيها شمساً ولا زمهريراً﴾ (الإنسان ٧٦:١٣)

وقوله تعالى: ﴿والشمس وضحاها﴾ (الشمس٩١:١)

٢ـ طاقة الشمس الضوئية:

ـ وقد نحصل يا أحباب ! طاقة الشمس الضوئية مباشرة من الشمس·· أو غير مباشرة من ضوء القمر الذى هو فى حقيقته إنعكاس من ضوء الشمس·· ويرد ذلك

ضمناً فى قول الله تعالى: ﴿هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك إلاّ بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ (يونس١٠:٥)

وقوله تعالى: ﴿وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً﴾ (الفرقان٢٥:٦١)

وقوله تعالى: ﴿وجعل القمر فيهن نوراً﴾ (نوح٧١:١٦)

- والطاقة الضوئية للشمس تأتى من حافة الشمس - التى يمكن مشاهدتها بوضع ورقة سلوفان معتمة على العين للإقلال من وهج الشمس - ويطلق على هذا المكان الغلاف المضىء للشمس (الفوتوسفير)، وللشمس أيضاً جو خارجى عن هذا الغلاف يتسم بالضوء الخافت له أثر كبير فى إضاءة الشمس٠

ومن المسائل الغريبة فى الطبقات التى تعلو الشمس وغلافها المضىء أن الحرارة تزداد تباعاً مع الإرتفاع عن سطح الشمس٠ فعلى إرتفاع ٣٠٠٠ر٣ كم تبلغ درجة الحرارة نحو ٧٠٠٠°م، وعلى إرتفاع ٤٠٠٠ر٤ كم تصل درجة الحرارة ٢٠٠٠٠ر٢٠°م، وعلى إرتفاع ١٠٠٠٠ر١٠ كم مئوية تزيد درجة الحرارة لتصل ١٠٠٠٠٠ر١٠٠°م، وعند إرتفاع ١٠٠٠٠٠ر١٠٠ كم٠ تقترب درجة الحرارة من مليون درجة مئوية٠٠ - أما لماذا ترتفع درجة الحرارة إلى هذه الدرجة التى لاتصدق ؟! ٠٠ فهذا مرده إلى حركة الجسيمات فى جميع الإتجاهات، ومعنى درجة الحرارة هنا هو متوسط حركة الجسيمات ويطلق على درجة الحرارة هذه "درجة الحرارة الحركية"٠٠ ويعلل الفلكيون ظاهرة الحرارة الحركية بثلاث نظريات: النظرية المغناطيسية الشمسية، ونظرية التموجات الصوتية، ونظرية التساقط٠٠ ولكل نظرية منها مجال ولا إتفاق بينها للتعليل القطعي٠

- وعلى وجه التعميم تأتى صعوبة ذلك بسبب عدم إمكانية رصد درجة حرارة باطن الشمس والتى قد تصل إلى حوالى ٣ مليون درجة مئوية، أما درجة حرارة السطح الشمسى فتصل إلى ٦٠٠٠ درجة مئوية٠

٣ـ قوة المجال المغناطيسى للشمس:

- وتسأل ابنتي: وهل للشمس مجال مغناطيسى كالأرض ؟!

- أجبت: نعم نعم يابنيتى ! ففى التكوين الكوكبى من تربة الكون الأولى تتكاثف عناصر معدنية ثقيلة كالحديد والنحاس والرصاص٠٠ وقد أثبت هـ٠د٠ بابكوك و هـ٠و٠ بابكوك أن للشمس مجالاً مغناطيسياً شأنه شأن المجال المغناطيسى

للأرض أو على الأقل هو أشبه بالمجال المغناطيسى، الذى يرسم توزيع برادة الحديد حول نهاية قطبى مغناطيس.. مشارف علم الفلك ـ كتاب فرد هويل.. ترجمه إسماعيل حقى ـ دار الكرنك للطباعة والنشر ١٩٦٣م.. وهذه القوة تتدخل بدرجة كبيرة فى الربط بين المجموعة الشمسية بمجالها المغناطيسى وبقوى الجذب والطرد وردت قرآنياً بلفظ ﴿شجرة﴾ والشجرة، ترتبط ثمارها.. وفروعها وجذورها ـ أصلها ـ رباطاً مادياً لا إنفصام فيه.. وهذا التعبير بلطف إشارته ألطف وأغزر فى المعنى من أى وصف آخر.. وجاء ذلك:

فى قوله تعالى: ﴿أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون﴾ (الواقعة٥٦:٧٢)

وقوله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم﴾ (النور٢٤:٣٥)

ـ وللإسترسال فى الربط بين المجموعة الشمسية.. فقد جاء فى كتاب الكوكب الزمردى لإيرلس نورتون لانام.. الكوكب الزمردى إيرلس نورتون لانام، ترجمه محمد حسان ـ سجل العرب ١٩٨١.. مانصه (وعلماء الكيمياء محقون على كل حال، والزرقة الشديدة التى تشاهد فى مياه المحيط بعيداً عن الساحل بمياهه العكرة هى لون طبقات المياه الكثيفة السفلى، ولما كانت المحيطات والبحار تغطى ٧٠٪ من سطح الأرض فلا عجب أن يطلق على كوكبنا وصف الكوكب الزمردى، والصور الأولى التى إلتقطها رواد الفضاء للأرض فى رحلة الهبوط على سطح القمر أذهلت العلماء، وصورت الأرض فى صورة كوكب وردى مشرق كالدرة الزرقاء تحيط بها سحب بيضاء لامعة من بخار الماء..) والكتاب مغلف بالصورة الملتقطة برواد الفضاء من رحلة الهبوط الأمريكية الأولى على سطح القمر.

ـ فالكوكب الدرى والزجاجة ـ هو الأرض، والزجاجة غلافها الجوى المائي.

ـ والشجرة المباركة الزيتونة اللاشرقية واللاغربية، والتى يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ـ هى الشمس.

ـ نور على نور ـ القرآن نور، وهو منزل على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نور.

ـ الله نور السموات والأرض ـ الأمر مفهوم.

ـ لنوره ـ أى لنور الله سبحانه وتعالى.

ـ ويا أحباب ! جاء ذكر الأرض كجزء من الشجرة الشمسية فى قول الله تعالى:

﴿فلما آتاها نودى من شاطئ الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إنى أنا الله رب العالمين﴾ (القصص٢٨:٣٠) .. وجاء أيضاً ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾ (الرحمن٥٥:٦) .. ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء﴾ (إبراهيم١٤:٢٤)

والشجرة الطيبة ـ المجموعة الشمسية، أصلها ـ الشمس، وفرعها فى السماء ـ أى كواكبها فى السماء، التى تتلوها وتتبعها.. وكل هذا لايُحمَل إلاّ على أن المجموعة الشمسية مربوطة فيما بينها بقوى الجذب والطرد وقوى مغناطيسية هائلة.. فسبحان الخالق القادر العليم.

﴿لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون﴾ (يس٣٦:٤٠)

وقوله تعالى: ﴿والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾ (يس٣٦:٣٨)

ـ كل هذا يا أحباب ! وغيره يشير بالضمنية إلى قوى التجاذب المغناطيسية الكونية بين مكونات الكون النجمية والكوكبية بما فيها الأرض والشمس والقمر !!

٧ أ. نحن مكلفون بالارتفاق بطاقات الشمس

ـ ويا أحباب ! سبق أن أوردنا أن الشمس هى مصدر الأساس لكل طاقات الحياة على الكوكب الأرضى.. وذكرنا أن هذه الطاقات على أنواع منها المباشر وغير المباشر.. والمعروف والمستغل.. من هذه الطاقات الآن ستة أنواع نحن مكلفون بالارتفاق والإنتفاع بها.. ونوردها فيما يلى:

<u>النوع الأول:</u>

الشمس أصل طاقة الفحم والبترول ـ قد يتصور البعض أن الطاقة مركزة فى العصر الصناعى بين الفحم والبترول، وهذا ربما كان صحيحاً.. لكن لابد من إرجاع الشيء إلى أصله، فأصل الفحم، والكربون النباتى، وأصل البترول ـ هو فى الأساس من طاقة الشمس، والتخضير « الخضرة».. والحياة الحيوية كلها.. ويلعب الماء فى الحياة الحيوية دوراً أساسياً ففى ذات الوقت وبذات الفعالية تلعب الشمس الدور المكمل لدور الماء فى الحياة الحيوية من ناحية الضوء والحرارة فى دفع الحياة النباتية والحيوانية وما يترتب عنها من آثار سواء أكان بترول أو غاز طبيعى أو ما الى ذلك.. سبحان الله!!

<u>والنوع الثاني:</u>

الشمس أصل طاقة الرياح إذ ربما يتصور البعض أن طاقة الرياح هى طاقة غير تقليدية وجديدة ومتجددة.. وهذا صحيح.. ولكن أصل الرياح كما نعلم هو الشمس حيث بأشعة الشمس يسخن الجو وتكون هناك مناطق تتسم بالمرتفعات والمنخفضات الجوية.. وأخرى ذات طبيعة يابسة على سطح الأرض باردة متجمدة وأخرى دافئة وبذا يتم نقل الحرارة بالحمل الغازى.. والذى عنه تتولد الرياح وطاقتها بميلاد الشمس فى الأساس.

والنوع الثالث:

ومن الطاقات المؤثرة الآن فى حياة البشرية ـ هى الدورة المائية والتى هى فى واقع الحال من ناتج البخار والمطر وجريان مياه الأنهار وإختلاف مناسيبها ومرجع ذلك كله للشمس،وتيارات المحيطات مرجعها للشمس كذلك.!!

والنوع الرابع:

وطاقة الشمس الحرارية والضوئية وهى تستغل فى هذا الوقت فى العديد من الإستخدامات منها السخانات الشمسية بإستخدام لاقطات الحرارة الشمسية وإستخدامها فى تسخين المياه للإستخدامات المنزلية والصناعية وأهمها تعذيب مياه البحر وفى ثلاجات التبادل الحرارى، أما المجال الذى أخذ يتسع يوما بعد يوم فجاء إستخدام الخلايا الفولتائية الضوئية ـ فى محولات الميكروويف، وأضواء الملاحة البحرية، وعوامات إرشاد السفن، وسفن الفضاء، والساعات، والآلات الكاتبة، والآلات الحاسبة، والكمبيوتر (الحجر النقلي)، والحاسبات، وطلمبات المياه الشمسية.. ويتم هذا بإستخدام الخلايا التى تحول ضوء الشمس إلى كهرباء بواسطة خلية فولتائية ضوئية. ومن أهم مميزات هذه الطاقة أنها تستخدم مستقلة تماما ودون الحاجة إلى بنية أساسية خاصة فى الاماكن البعيدة والصحراوية والتى تبعد عن مسارات توزيع الطاقة فى خطوط نقل وتوزيع الطاقة الكهربية. ومن حسن الحظ أنه ومع جو الصيف الحار حيث تزداد الحاجة إلى التكييف فى الوقت الذى تكون فيه حرارة وضوء الشمس فى أحسن الأوضاع المنبعية للإستغلال ويستخدم الزراعيون طاقة الشمس فى الزراعات المحمية فى الصوبات الشمسية ـ ولهم تخوفات التأثير على التربة.

ويحدد الراصدون للطاقة أن ٢٠: ٣٠٪ من إحتياجات الطاقة اللازمة للمبانى يمكن الحصول عليها من الشمس وفى الطقس المواتى ناهيك أن الطاقة الشمسية طاقة نظيفة لاتلوث بيئة من جراء إستخدامها سواء أكان تلوثاً غازياً، أو مائياً، أو أرضياً، أو ضوضائياً..!!

والنوع الخامس:

والطاقة الحيوية التى تستخرج من الكائنات الحية الناتجة عن تحويل الكتل الحيوية إلى غازات فعالة ومواد احتراق مخصبة، ومرجع ذلك كله الى الشمس وطاقتها بصفة أصلية.

والنوع السادس:

والطاقة المستخرجة من ضوء القمر بواسطة الخلايا الفولتائية الضوئية.. وما يصدق على خلايا الشمس الفولتائية يصدق على خلايا القمر.. والأصل فى ضوء القمر بداهة هو ضوء الشمس.

ولنتأمل قول الله تعالى مقسماً بالشمس وضوئها، وحرارتها طاقتى الاساس للحياة.. فكأنه القسم بما تقدمه من نفع حرارى وضوئى.. فى قوله تعالى.. ﴿والشمس وضحاها﴾.

٨. الشمس والعلم الحديث

ـ سأل ولدى: وماذا عن الشمس فى العلم الحديث ؟!

ـ أجبت: يا ولدى ! معلومات محدودة جداً لاتعدو تعريفات وظواهر.. فالشمس هو النجم الأم لمجموعة الكواكب الشمسية وهى بحسب بعدها عن الشمس ترتب على النحو التالى: عطارد، والزهرة، والأرض، والمريخ، والمشترى، وزحل، وأورانس، ونبتون، وبلوتو. والشمس قطرها ١٫٣٩٢٫٠٠٠ كيلو متر، بعدها عن الأرض ٩٣ مليون ميل. ويصل ضوؤها إلينا فى ٨ دقائق، درجة حرارة السطح فيها ٦٠٠٠ درجة، درجة حرارة الباطن لها ٣ مليون درجة.

والشمس هى مصدر الطاقة الحرارية والضوئية للمجموعة الشمسية وللمعادن والانعكاس الضوئى لمجموعة الكواكب الشمسية وأقمارها، ولقمر الأرض (القمر) ـ لا يعدو كل ذلك كونه انعكاس لضوء الشمس.

ولكل قمر من أقمار الكواكب مداره يدور فيه حول كوكبه. فالأرض مثلاً حولها يدور قمر واحد، وهو المعروف لنا بالقمر، وحول المريخ قمران، والمشترى ثلاث عشر قمراً، وزحل عشر أقمار، وأورانس خمس أقمار ونبتون قمران، أما عطارد والزهرة وبلوتو فلا يوجد حولهما أقمار.

والمجموعة الشمسية كلها، وبما فيها الشمس، تجرى فى مجرة بسرعة تقدر بمائة وأربعين ميلاً فى الثانية ١٤٠ ميل فى الثانية، أى ٢٤٦٫٤ كيلو متر فى

الثانية، وتستغرق ٢٣٠ مليون سنة لتتم دورة كاملة، ونحن والمجموعة الشد نبتعد عن مركز المجرة بمسافة قدرها ٦٦٠٠٠ ستة وستون ألف سنة ضوئية، وا الضوئية هى مسافة ٤٦١ر٩ مليون مليون كيلو متر ؟!٠٠

ومعنى ماتقدم أن المجموعة الشمسية، والشمس تجرى فى مجرتها بد هائلة، وفى إتجاه مركز المجرة، وهو مستقر الشمس ﴿والشمس تجرى لمستقر ذلك تقدير العزيز العليم﴾، ومعها تجرى المجموعة الشمسية كلها.

ولتيسير الفهم نعتبر ـ جدلاً ـ أن الشمس ثابتة نسبياً وحولها تدور الكو التسعة بسرعات متباينة. وللتيسير (الإعتباري) نفرض أن الكواكب ثابتة، ضمنها الأرض ثابتة، والأقمار تدور من حول الكواكب، والقمر يدور من الأرض. ولنعاود مرة أخرى بإرجاع الإعتباريات السابقة.. من آخر القد القمر يدور حول الأرض.. والأرض تدور حول الشمس.. والشمس تدور المجرة.. والكل يدور ويتحرك ويجرى فى كون الله الفسيح.

والكون به بلايين النجوم ـ والواحدة منها كشمسنا.. فأى كون هذا.. ، حجم هذا الكون.. وبأى إتساع كون الله يكون ـ طولا، وعرضاً، وإرتفاعاً.. ، هيئة؟! أكروى هو الكون؟! أبيضاوى الكون؟! أمفتوح الكون؟! الله أع والمطروح كله فى مجال علوم الإنسان فرضيات قابلة للصواب وقابلة للخطأ.. ؟!

والمتيقن منه أننا لانعرف عن الكون الفسيح فى الإطار العام وليس التفاصيل أكثر من ١٠٪ منه، والباقى من الكون وهو ٩٠٪ مجهول معتم، لاتدر معلوماتنا، ولا أجهزتنا العلمية العملاقة، ولا سفن الفضاء، ولا مراصد العا والدول.

وتاملوا يا أحباب ! قول الله تعالى: ﴿وإنا لموسعون﴾.. سبحان الله ما أة وأبدعه.. ونحن ياسبحان الله ما أعجزنا وأصغرنا !!

٠٩ القمر فى القرآن

ـ وسأل ولدى: وماذا عن ورود القمر فى القرآن ؟!

ـ أجبت قائلاً: يا ولدى: القمر تابع للأرض، والأرض وغيرها من الكواكب تا للشمس.. وبحسب أن الشمس والقمر من الكواكب السماوية بالنسبة للأر فغالباً مايأتى ورود الشمس والقمر وروداً مقترناً.. وورد ذكر القمر فى القرآن ستة وعشرين موضعاً:

منهم خمسة عشرة موضعاً ورد القمر تابعاً للشمس معطوفاً عليها.. فى التعبير القرآنى ﴿الشمس والقمر﴾.

- ووردا فى أربعة مواضع بصيغ: ﴿الشمس ضياء والقمر نوراً﴾ و ﴿وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً﴾ و ﴿لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن﴾ و ﴿وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً﴾.

- وورد لفظ ﴿القمر﴾ فى سبعة مواضع وظيفية للتسخير فى حياة الكون.

ونعرض لهذا على النحو التالى:

أولا: ورود الشمس والقمر: وجاء فى خمسة عشر موضعاً:

فى قوله تعالى: ﴿وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون﴾ (الأنبياء٢١:٣٣)

وقوله تعالى: ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون﴾ (فصلت٤١:٣٧)

وقوله تعالى: ﴿فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم﴾ (الانعام٦:٩٦)

وقوله تعالى: ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ (الرحمن ٥٥:٥)

وقوله تعالى: ﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ (الأعراف٧:٥٤)

وقوله تعالى: ﴿الله الذى رفع السموات والارض بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾ (الرعد١٣:٢)

وقوله تعالى: ﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ (النحل١٦:١٢)

وقوله تعالى: ﴿وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار﴾ (إبراهيم١٤:٣٣)

وقوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾ (العنكبوت٢٩:٦١)

وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير﴾ (لقمان٣١:٢٩)

وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فمل له من مكرم إن الله يفعل مايشاء﴾ (الحج١٨:٢٢)

وقوله تعالى: ﴿خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار﴾ (الزمر٣٩:٥)

وقوله تعالى: ﴿يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير﴾ (فاطر٣٥:١٣)

وقوله تعالى: ﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين﴾ (يوسف١٢:٤)

وقوله تعالى: ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ (القيامة ٧٥:٩)

ثانياً: ورود وظيفة وعمل الشمس والقمر:

وجاء فى خمس مواضع٠٠ ويتلاحظ أن القمر لم يرد فى القرآن سابقاً لورود الشمس إلا فى موضع واحد٠٠ موصوف فيه القمر ﴿القمر فيهن نوراً﴾ !! فهل ياترى هذا تعظيم لقدر النور الذى هو من نور الله سبحانه وتعالى !!

خاصة وأنه متبوع بسراجية الشمس٠٠ أى بحرارتها !!

فى حين أنه فى موضع آخر٠٠ حين وصفت الشمس بالضياء جاء ورودها كالمتبع فى الورود القرآنى سابقة للقمر٠٠ والله أعلم بمراده !!

فى قوله تعالى: ﴿هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ (يونس١٠:٥)

وقوله تعالى: ﴿تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً﴾ (الفرقان٢٥:٦١)

وقوله تعالى: ﴿وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً﴾ (نوح ٧١:١٦)

وقوله تعالى: ﴿لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون﴾ (فصلت٤١:٣٧)

ثالثاً: ورود القمر مفردا فى القرآن: وجاء ذلك فى ستة مواضع لدلالات:

دلالات خلق٠٠ دلالات وظيفة: توقيت٠٠ إنباء بقيام الساعة٠٠ دلالة إتخاذ القمر إله٠٠ وجاء ذلك على النحو التالى:

أ· دلالات الخلق والتسخير وبهما القسم:

فى قوله تعالى: ﴿والشمس وضحاها * والقمر إذا تلاها﴾ (الشمس ٩١:٢)

وقوله تعالى: ﴿فلا أقسم بالشفق * والليل وما وسق * والقمر إذا اتسق * لتركبن طبقا عن طبق * فما لهم لايؤمنون *وإذا قرىء عليهم القرآن لايسجدون﴾ الإنشقاق٨٤:١٦ـ٢٠

وقوله تعالى: ﴿كلا والقمر * والليل إذ أدبر * والصبح إذا أسفر * إنها لإحدى الكبر * نذيراً للبشر﴾ (المدثر٧٤:٣٢ـ٣٦)

ب· دلالات وظيفية للتوقيت:

يقول تعالى: ﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾ (يس٣٦:٣٩)

ج· دلالة على قيام الساعة:

فى قوله تعالى: ﴿يسأل أيان يوم القيامة * فإذا برق البصر * وخسف القمر * وجمع الشمس والقمر﴾ (القيامة٧٥:٦ـ٩)

د· دلالة الإنبهار بخلق القمر وإتخاذه إلآها:

فى قوله تعالى: ﴿فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين﴾ (الأنعام٦:٧٧)

·١٠ وظيفة القمر الكونية

ـ عاد ولدى يسأل: وما وظيفة القمر الكونية ؟!

ـ قلت: يا ولدى! القمر هو ذلك الجرم السماوى الذى يدور وحيداً حول الأرض ·· وهو عاكس ضوئى لضوء الشمس·· ليس له غلاف قمرى غازى·· كثافته ٣ر٣٥ جم لكل سم٣ فى حين أنها للأرض ٥ر٥ جم لكل سم٣·· جاذبية القمر ضعيفة وهذا هو السبب فى عدم تمكن القمر الاحتفاظ بغلاف غازى يحمى به نفسه بعض الشىء من الإرتطامات التى تحدث له من الشهب والنيازك الدقيقة ومن اللسعات التى تحدث أشعة إكس المميتة وأشعة جاما والأشعة الكونية التى تصدر عن الشمس وعن بقية الكون والقمر يتم دورته حول الأرض فى ٣ر٢٧ يوما (الشهر النجمى للراصد الموجود على سطح القمر)، إلا أن الأرض كذلك تتحرك فى مدارها حول الشمس فى نفس الوقت الذى يدور فيه القمر حول الأرض، ونتيجة لذلك تتغير زاوية إضاءة القمر تغيراً طفيفاً، وينقضى وقت أطول قبل أن يعود القمر إلى نفس الشكل الذى يرى من الأرض · وهذه المدة هى التى تنقضى بين اكتمال القمر

على شكل بدر ثم حلول البدر التالى هى ٥ر٢٩ يوماً (الشهر السنودسى- للراصد الموجود على سطح الارض)، والذى كان الاساس للتقويم القمرى لمدة طويلة٠

وقد نتج عن هذه الحركات أن الشهر المكون من ٥ر٢٩ يوماً يقسم إلى (يوم قمرى) و (ليلة قمرية) كل منها (٧٥ر١٤يوماً أرضياً)٠٠ أى حوالى أسبوعين٠

ودرجة حرارة النهار المواجهة لاشعة الشمس المباشرة ١٣٤°م ودرجة حرارة القمر خلال الليلة القمرية حوالى ـ ١٧٠°م (تحت الصفر) أى أبرد بكثير عن درجة تجمد ثانى أكسيد الكربون المثلج الجاف٠

وجغرافية وجيولوجية القمر أصبح معلوماً عنها الكثير، والكثير جداً ـ فى الآونة الأخيرة بفضل الرصد الارضى٠٠ والتحليل الطيفى وعينات الصخور من سطح القمر التى أتت بها سفن الفضاء٠٠ ومعلومات المحطات القمرية الثابتة التى ترسل إلينا المعلومات بصورة متدفقة خاصة فيما يخص جو القمر والتأثيرات الخارجية عليه٠

كما وأنه وضعت أجهزة سيزمومتر ومنذ ١٩٦٩ م على سطح القمر لقياس زلازل القمر٠٠ وإرسال خواصها القياسية إلى معامل الارض٠

ومن تأثيرات القمر على الأرض الكسوف والخسوف٠٠ والمد والجزر فى البحار والمحيطات، ومن التأثيرات الخلقية البيولوجية للقمر على الأرض وكائناتها الحية٠٠ منها تزاوج بعض الحيوانات البحرية، فقنافد البحر الابيض المتوسط والبحر الأحمر تضع بيضها بنشاط أكثر عندما يكون القمر بدراً٠ كما أن ديدان البالولو التى تعيش فى جنوب المحيط الهادى تطفو على سطح المياه للتزاوج خلال الليال المكتملة القمر فى شهرى أكتوبر ونوفمبر٠٠ ويراقبهم الصيادون فى هذه الأيام بالذات لتكثيف الصيد، ويرصد الأمريكيون سمكة بحرية صغيرة إسمها جرانيون تحتشد فى أسراب كبيرة فى ليلة واحدة من كل عام متجهة إلى شواطىء كاليفورنيا الجنوبية فى أعداد ضخمة للتزاوج، وهى فى ذلك تعطى سكان كاليفورنيا الفرصة لإقامة إحتفال سنوى يحدد مسبقاً حسب دورة القمر٠

وهناك تطابق بين الدورة الشهرية للمرأة، والشهر القمرى ٥ر٢٩ يوم، وهذه حقيقة بيولوجية راسخة، إلا أنه لايوجد لها تفسير شاف٠

ولقد ظهر فى الآونة الأخيرة علم جديد يسمى (علم البيولوجى الزمنى) الذى يدرس دورية الوظائف البيولوجية للرجل وللمرأة فى مختلف الانشطة مثل النوم والإستيقاظ والإنتباه العقلى، والإستجابة للعقاقير٠٠ ووظائف بدنية أخرى كثيرة٠٠ ولم يؤكد هذا العلم أو ينفى التأثيرات الزمانية القمرية على هذه الوظائف

بشكل مدقق !!

والقمر يعكس ٧٪ فقط من أشعة الشمس التى تسقط عليه، والقمر أسود فى مواد سطحه.. رغم أنه يبدو لنا فى هذا الشكل الجسمى الساطع.

والمواد البازلتية القمرية تشابه المواد البازلتية الارضية فى مكوناتها الأصلية السيلكون والامونيوم ويختلفا فى وجود الماء فى بازلت الارض، وفى حين أن بازلت القمر لايوجد به ماء.

والقمر هو الجرم الكونى السماوى الذى إستخدمه الإنسان منذ القدم فى معرفة الوقت.

والقمر يبدو فى صور وهيئات مختلفة من مكان لآخر.. فوجهه البدرى الجميل الذى نراه به فى بلاد العرب.. يظهر مقلوب الوجه لسكان استراليا !! ويبدو فى بعض بلاد الهند والصين كشجرة ضخمة.. أو كأرنب وحشى !!

وللقمر بعض التأثيرات على جو ومناخ الارض فى بعض الاماكن الجغرافية فى الكرة الأرضية.

ويحدث كسوف الشمس وخسوف القمر نتيجة دخول الارض أو القمر فى نطاق الظل الذى يلقيه الآخر.

وعندما يختفى ضوء الشمس تأوى الطيور إلى أعشاشها، وتنام الحيوانات، وتقل درجة الحرارة.. فى ظواهر يصعب ربطها بقانون بشرى.. لكنه التسخير الإلهي !!.. بقيام الحياة على وجه الأرض وفى الكون بدقة وعن علم وخبرة وحكمة لايعلمها بإطلاقاتها إلا العليم الخبير الحكيم.

ويستغل الإنسان فى الوقت الحالى ضوء القمر.. ويحول جزءاً منه إلى طاقة كهربائية بواسطة الخلايا الفولتائية الضوئية والتى يأتى ذكرها مع الشمس حيث الضوء قاسم مشترك لكل من الشمس والقمر.

- ومن آيات التسخير الكبرى ظاهرتى المد والجزر.. والقمر والشمس مشاركان أصيلان فيهما !!

٠١١ المد والجزر

- سأل ولدى وما المد والجزر ؟!

- قلت: يا ولدى ! المد هو تقدم أو ارتفاع مياه البحر لعدة أمتار، ثم تنخفض هذه المياه مرة أخرى مرتين كل يوم.. والمد التام يحدث عندما يكون القمر

والأرض والشمس على خط واحد فتكون قوة الجذب للشمس وللقمر فى إتجاه واحد.. وهذه ظاهرة تتكرر مرتين فى الشهر ـ عند هلال وعند اتساق القمر.

وعندما يكون القمر بدراً يزداد التأثير على الأرض، فالتأثير على اليابس قد لايظهر جلياً، أما على البحار فيصير الماء أعلى مايمكن ويصبح الجزر أقل من المعتاد.

وارتفاع المد يكون فى حدود نصف متر فى وسط البحار، ويزيد ليصل ٢ متر على شواطئ الجزر.. أما فى الخلجان فقد يبلغ ١٥ متراً، بسبب تجميع مياه البحار بتأثيرات جذب القمر فى هذه المناطق.

والمد والجزر يحسنان من خواص مياه البحار والمحيطات والخلجان.. فالماء يا أحبابا إن سال طاب وإن لم يجر لم يطب !!

وتذهب التفاسير العلمية لارجاع المد والجزر الى القوة الطاردة المركزية، والتى ينتج عنها انتفاخ مائى مواجه للقمر، وانتفاخ آخر معاكس له وعلى زاوية ١٨٠ درجة من سطح الأرض.. وبتأثيرات القوة الطاردة المركزية للأرض ذاتها يزداد المد ويقوى، ويقل الجزر ويضعف.. ويتدافع الماء من منطقة الشواطئ داخلا الخلجان الضيقة بقدرات تصل الى ملايين الملايين من الكيلووات.

وبسبب بعد الشمس النسبى عن الأرض ٠٠٠ ٠٠٠ ٩٣ ميل ـ فتقل مشاركتها لتصل إلى ٥٠٪ عن قوة تأثير القمر فى المد والجزر ـ حيث يبعد القمر عن الأرض بحوالى ٠٠٠ ٢٤٠ ميل (٨٠٠ ٣٨٢ كم).

وعندما يكون القمر بدراً ﴿والقمر اذا اتسق﴾، وعندما تكون الشمس والقمر والأرض على مستوى أفقى واحد تتآخى قوى المد الشمسى والقمرى معاً لنحصل على مد الأوج، وبالتالى يبلغ الجزر أدنى انخفاض له. أما اذا تعامدت الشمس والأرض والقمر ـ فينتج حينئذ مد الحضيض النسبى.

والدول العربية والاسلامية دول بحرية.. وعلماؤها وحكامها مدعوون لاستغلال الطاقات الهائلة للمد والجزر فى خلجان هذه الدول !!

(راجع عرضنا للاستغلال الدولى لطاقات المد والجزر ـ مع عرضنا للمنظومة الأرضية ـ البحار).

١٢. الخواص المقارنة للمجموعة الشمسية

ـ سألت ابنتى: هل لنا أن نتعرف على بعض الخواص المقارنة للمجموعة

الشمسية ؟!

ـ أجبت: بالطبع يابنيتي! فمجموعتنا الشمسية مكونة من: الشمس وعطارد والزهرة والأرض والقمر والمريخ والمشترى وزحل وأورانس ونبتون وبلوتو·· ومن حول الأرض قمر ولكل من المريخ ونبتون قمرين وللمشترى ١٣ قمر ولزحل عشرة أقمار ولأورانس خمسة أقمار·

وأورد الألمانى رين هارت برودور فى كتابه الإتصال مع النجوم ـ ١٩٨٨م ـ دراسة معلوماتية مقارنة للمجموعة الشمسية جعل الأساس فيها لبعد كل كوكب عن الشمس مقرونا بمقدار بعد الأرض عن الشمس وجعله وحدة القياس، بمعنى أن مقدار بعد الشمس فى جدول رين هارت برودور يساوى واحد· ومن هذا فبعد عطارد عن الشمس يساوى ٣٩ر٠ من بعد الأرض عن الشمس أما الزهرة فتبتعد ٧٢ر٠ من هذه الوحدة·· وهكذا· وبلوتوا يبعد ٧ر٣٩ مرة قدر بعد الأرض عن الشمس· ونبتون ٠٧ر٣٠ مرة·وبحسب أن الكواكب كلها تدور حول الشمس (فى المجموعة الشمسية) فدرس، وأورد مدة الدورة حول الشمس (بالسنوات) وكانت كما يلي:

لعطارد ٢٤ر٠ سنة، للزهرة ٦٢رسنة، وللأرض ١ سنة، وللقمر سنة واحدة (طبعاً بحسب التبعية للأرض)، المريخ ٨٨ر١ سنة، المشترى ٨٦ر١١ سنة، زحل ٤٦ر٢٩ سنة، أورانس ٠١ر٨٤ سنة، نبتون ٨ر١٦٤ سنة وأخيرا بلوتوا ٢ر٢٤٩ سنة· واستطرد فى دراسته ليورد نصف قطر الكواكب منسوبا إلى نصف قطر الأرض بحسب أنه الوحدة فنصف قطر الشمس يساوى ١ر١٠٩ مرة قدر نصف قطر الأرض، أما نصف قطر عطارد فيساوى ٣٨٢ر٠ مرة قدر نصف قطر الأرض، والزهرة نصف قطرها ٩٤٩ر٠ مرة قدر نصف قطر الأرض، والقمر نصف قطره يساوى ٢٧٣ر٠ مرة قدر نصف قطر الأرض والمريخ نصف قطر ٥٣٢ر مرة قدر نصف قطر الأرض، أما نصف قطر المشترى ٩٧ر١٠ مرة قدر نصف قطر الأرض، ونصف قطر زحل ٠٣ر٩ مرة قدر نصف قطر الأرض، وأورانس ٧٢ر٣ مرة قدر نصف قطر الأرض، ونبتون ٥ر٣ مرة، أما بلوتو فيساوى نصف قطره ٤ر٠ مرة قدر نصف قطر الأرض·· وأورد بجدوله ٢٧ يوم، ١٩ دقيقة، وللشمس ١٣٨ر٣٥ يوم·· وأورد الكتل منسوبة إلى كتلة الأرض·· ودرجة الحرارة لكل من الشمس والأرض والقمر عند السطح، وفى الغيوم·· وأورد تركيب الغلاف الجوى للشمس والأرض والقمر ولبقية الكواكب·· وكذلك المواد الغالبة فى تركيب كل منها·· أنظر جدول رقم (١)·

ويورد دونالد ب دى نيفى فى كتابه (أطراف الكون) ـ مكتبة الوعى العربى

١٩٧٨م. (DONALD. P. DE NEVI)- دراسة مقارنة مكملة لصفات الكواكب ـ متخذاً أيضاً الأرض مرجعاً معلوماتياً من جهة : القطر، والحجم، والكتلة، الكثافة، والسرعة، والجاذبية، والسرعة المدارية، ودرجة الحرارة.. أنظر جدول رقم (٢).

جدول رقم (١): الخواص المقارنة للمجموعة الشمسية:

الإسم	البعد المتوسط الشمس بعد الأرض=١	مدة دورة واحدة حول الشمس	نصف القطر (الأرض=١)	مدة دورة واحدة حول المحور
الشمس	-	-	١٠٩ر١	٢٥ر٣٨ يوم
عطارد	٣٩ر٠	٢٤ر٠	٣٨٢ر٠	٥٩ يوم
الزهرة	٧٢ر٠	٦٢ر٠	٩٤٩ر٠	٢٤٣يوم بالعكس
الأرض	١	١	١	٢٤ ساعة
القمر	١	١	٢٧٣ر٠	٢٧ر٣٢١ يوم
المريخ	١ر٥٢	١ر٨٨	٥٣٢ر٠	٢٤ ساعة
المشترى	٥ر٢٠	١١ر٨٦	١٠ر٩٧	١٠ ساعات
زحل	٩ر٥٤	٢٩ر٤٦	٩ر٠٣	١٠ ساعة ١٥' دقيقة
أورانس	١٩ر١٨	٨٤ر٠١	٣ر٧٢	١١ ساعة بالعكس
نبتون	٣٠ر٠٧	١٦٤ر٨	٣ر٥	١٦ ساعة
بلوتو	٣٩ر٧٠	٢٤٩ر٢	٤ر٠	٦ أيام

تابع جدول رقم (١): الخواص المقارنة للمجموعة الشمسية:

الإسم	تركيب الكوكب أوالشمس	تركيب الغلاف الجوى	متوسط درجة الحرارة س: السطح غ: فى الغيوم	الكتلة (الأرض١)
الشمس	هيدروجين هيليوم	هيدروجين هيليوم	٦٠٠٠م°	٣٣٢٠٠٠
عطارد	أ. سيلكون وحديد	لايوجد	٣٥٠ نهارا ١٧٠ ليلا	٥ر٠٥٥
الزهرة	أ. سيلكون وحديد	غاز الكربون	٣٣ س× ٤٨٠ غ	٠ر٨١٥
الأرض	أ. سيلكون وحديد	أزوت أوكسجين	٢٢ س	١
القمر	أ. سيلكون وحديد	لايوجد	٢٢س	٠ر٠١٢٣
المريخ	أ. سيلكون وحديد	غاز كربون وأزوت	٢٣ س×	٠ر١٠٨
المشترى	هيدروجين هيليوم	هيدروجين هيليوم	١٥٠ س×	٣١٨
زحل	جليد ماء نشادرميثا	هيدروجين هيليوم وميثان	—١٨٠ س	٩٥ر٢
أورانس	جليد الماء	هيدروجين هيليوم وميثان	٢٢٠ س×	١٤ر٦
نبتون	جليد ماء نشادر،ميثان	هيدروجين هيليوم وميثان	٢٢٠ س×	١٧ر٢
بلوتو	جليد ماء نشادرميثان	لم يلاحظ وجوده	٢٣٠ س×	٠ر١

جدول رقم (٢): الخواص المقارنة التكميلية للمجموعة الشمسية:

البيان	عطارد	زهرة	الأرض	مريخ	مشترى	زحل	أورانس	نبتون	بلوتو
قطر كم	٤٨٤٢	١٢ر٣٢٢	١٢ر٧٤٢	٦٦٦٤	١٣٩ر٧٨٥	١١٥ر٠٦	٤٧ر٤٠٢	٤٣ر٠٧	٥٧٣٤
الأرض=١	٠ر٣٨	٠ر٩٦٧	١ر٠٠٠	٠ر٥٣٢	١٠ر٩٧	٩ر٠٣	٣ر٧٢	٣ر٣٨	٠ر٤٥
ح لأرض١	٠ر٠٦	٠ر٨٦	١ر٠٠٠	٠ر١٥	١٣١٨ر٠٠	٧٦٩ر٠٠	٥٠ر٠٠	٥٩ر٠٠	—
ك الأرض١	٠ر٠٦٤٣	٠ر٨١٣٦	١ر٠٠٠	٠ر١٠٦٩	٣١٨ر٣٥	٩٥ر٣٠٠	١٤ر٥٨	١٧ر٢٦	٠ر١
ث ماء١	٥ر٤٦	٥ر١٠	٥ر٥١٧	٣ر٩٧	١ر٣٣٤	٠ر٨٤٤	١ر٦٠	٢ر٢٥	٥ر٥
ع هروب ميل: ثانية	٩٠٠٠	٢٣ر٤٠٠	٢٥ر٢٠٠	١٠ر٨٠٠	١٣٣ر٢٠٠	٨٢ر٨٠٠	٤٦ر٨٠٠	٥٠ر٠٠٠	١١ر٨
ج أرض١	٠ر٨٣	٠ر٨٧	١ر٠٠	٠ر٣٩	٢ر٦٥	١٣٣ر٢٠	٨٢ر٨٠٠	٤٦ر٨٠	٥٠ر٠
ع مدارية كم/ س	١٠٧ر٠	٧٨ر٤٠٠	٦٦ر٦٠٠	٥٣ر٩٠٠	٢٩ر٢٠٠	٢١ر٥٨٠	١٥ر٢٠٠	١٢ر١٤	١٠ر٦
حرارة ْم	٧٥٠	٢١٠	١٤٠	٩٠	٢٠٠	٢٤٠	٢٧٠	٣٣٠	٢٧٠
عددالأقمار	ـ	—	١	٢	١٣	١٠	٥	٢	—

- ويا أحباب ! من المعارف العامة الحديثة للمجموعة الشمسية ـ أصبح وبصورة تقريبية مقدراً أننا لو تصورنا الكون مفروداً فى الشرق غرب فى الفضاء لكان هذا البعد مقدراً بمسافة قدرها ٢٠٠,٠٠٠ سنة ضوئية (والسنة الضوئية ٩,٤٥ مليون مليون كيلو متر)، أما البعد شمال ـ جنوب ٦٦,٠٠٠ سنة ضوئية ·· ونصف قطر بعد المجموعة الشمسية عن مركز المجرة فيقدر بحوالى ٣٠,٠٠٠ سنة ضوئية أما البعد فيصل إلى ٦٦,٠٠٠ سنة ضوئية ·· وكل هذه المجموعة شىء صغير وصغير جداً من الكون الفسيح !!

وكان الإعتقاد السائد لدى الناس عن ثبات الأرض ـ وحولها الشمس والقمر يدوران (وهذا خطأ) ·· ثم تلى هذه المرحلة الإعتقاد بأن الشمس ثابتة ومن حولها تدور الأرض ·· ويدور القمر من حول الأرض ·· وإن أول من توصل إلى هذه الحقيقة هو العالم العربى الخليلى الدمشقى- كما جاء فى كتاب الإسلام وقوانين الوجود·· أ·د·محمد جمال الدين الغندى ـ الهيئة المصرية للكتاب ـ ١٩٨٢م· ووضع الخليلى الدشقى جداول فلكية من أربعة أجزاء بحسب أن الشمس هى المحور ومن حولها تدور الأرض، والقمر يدور من حول الأرض·

ويأتى نيقولا كوبرنيق (١٤٧٣:١٥٤٣م) البولندى الأصل وبعد العالم العربى الخليلى الدمشقى وبمئات السنين ليعيد نشر أعماله ·· وحتى الآن يعتقد الغرب أن كوبرنيق هو مكتشف هذه الحقيقة العلمية الهامة· وهذا الإعتقاد بالطبع مجاف للحقيقة وللواقع العلمى والتاريخى!!

ومن بعده بقرابة القرنين من الزمان يأتى إسحاق نيوتن (١٦٤٢:١٧٢٧م) ليطلع على العالم بنظرية الجاذبية الأرضية والتى فى جوهرها تحمل معنى·· (أن الأجسام التى على سطح الأرض تسقط نحو الأرض لأنها تجذبها إليها، وأن الأجسام السماوية هى الأخرى تجذب بعضها بعضاً، وأن تلك الأجرام تحافظ على مواقعها فى مداراتها بسبب السرعة الفائقة التى تتحرك بها)، وهذا معناه أن أى جسم مادى يجذب أى جسم آخر يجاوره أويقع فى مجاله ليضمه إليه بقوة تتناسب مع حاصل ضرب كتلتهيما ـ فعلى هذا فإن القوة تساوى ثابت مضروبا فى كتلتى الجسمين·

القـــوة = ثابت · (الكتلة ١) · (الكتلة ٢)

ق = ثابت · (ك ١) (ك ٢)

والسؤال المطروح الآن هو: ألم يرد ذلك فى القرآن الكريم فى أوائل القرن السابع الميلادى (٦١١م : ٦٣٤م) فترة الوحى فى قوله تعالى: ﴿وكل فى فلك

يسبحون﴾.. وقوله تعالى: ﴿لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون﴾.. وقوله تعالى: ﴿أأنتم أنشاتم شجرتها أم نحن المنشئون﴾.. والشجرة هنا هى المجموعة الشمسية والمعنى واضح بترابط الشجرة بالجذر والفروع .. وكذا الحال فالمجموعة الشمسية مترابطة بالجاذبية.

والأرض تتحرك حول الشمس بسرعة محدودة وفى ذات الوقت يتحرك القمر حول الأرض بسرعة أخرى والأرض والقمر يتحركان حول الشمس وبما يفيد بان سرعة القمر الكونية اعلى من سرعة الأرض.

والأعلى سرعة ينكمش زمانه، فالشهر القمرى للراصد الأرضى عبارة عن ٢٩ر٥٢٤٣ يوم. اما الأرض وهى الأبطا فشهرها ٣٠ر٤٣٧٥ يوماً. وللدلالة على وحدة الزمكان ..(الزمان ـ المكان) .. للراصد على سطح الأرض فإن:

٢٩١ سنة شمسية x ١٢ شهر x ٣٠ر٤٣٧٥ يوم تساوى

٣٠٠ سنة قمرية x ١٢ شهر x ٢٩ر٥٢٤٣ يوم

أى أن كـل ٢٩١ سنة شمسية تساوى ٣٠٠ سنة قمرية .. بزيادة تسع سنوات !!

وإذا كنا نقسم ونحصى الفترات الزمنية .. الأيام، والشهور، والسنوات .. بضوء الشمس لليوم وأجزائه وبهيئة ومنازل القمر للشهور والسنوات !!

فمنظومة حركة وسرعة الضوء الكونية .. وحركة وسرعة الأرض حول الشمس .. و حركة وسرعة القمر حول الأرض ـ مرتبطة جميعها فى منظومة كونية نسبية واحدة !! وتأمل قول الله تعالى:

﴿إن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ !!

فهذا هو جوهر النظرية النسبية لأينشتين !!

النظرية النسبية فى القرآن والسنة

١.١أ. نسبية أينشتين

ـ فى جلستنا العائلية الرابعة الممتدة لمدارسة المنظومة السماوية ..

ـ سألت زوجتى: هل تعطينا فكرة مبسطة عن النظرية النسبية لألبرت أينشتين ؟!

ـ أجبت بإيجاز شديد: ألبرت أينشتين (١٨٧٩: ١٩٥٥م) عالم ألمانى خرج على العالم بنظريته حول النسبية العامة والنسبية الخاصة فى سنة ١٩٠٥ م .. «وللمزيد يراجع كتابى النسبية د. مصطفى محمود، والفيزياء والفلسفة للسير جيمس جينز ـ دار المعارف ١٩٨١» .. وفحوى نظريته ينحصر فى الآتى: إذا فرض أن للجسم وجوداً فراغياً فى ثلاثة محاور متعامدة شرق ـ غرب، شمال ـ جنوب، وفوق وتحت وإن شئت قل صفر ـ س، صفر ـ ص، صفر ـ ع (أو للإختصار س، ص، ع) .. ويبسطها العالم الإنجليزى سير جيمس جينز ويقول: (..تصور أن هناك قطعة لحم بقرى،

وجاء طباخ ماهر، وبسكين حاد جداً جداً وقطعها شرائح فإن كل قطعة بذاتها تمثل مستوى أفقياً قائماً بذاته، وبإعادة هذه الشرائح إلى موضعها الأول يرجع البعد الثالث فوق - تحت (صفر - ع) ..)

وهذا الجسم بأبعاده الفراغية لو أن فرداً (أ) رأى هذا الجسم فإنه يراه من وحده مكان - زمان خاصة بهذا الفرد فيدركها حسياً وزمانياً بوضعه هو (أ).

ولو ابتكرنا وحدة مكان - زمان أخرى خاصة بفرد آخر (ب) والتى هى فى واقعها وحدة ذاتية وخاصة بالشخص (ب) .. ولو تكرر هذا العمل بالنسبة لمجموعة من البشر (ج) و (د) و (هـ) .. فإن وحدات الزمان تبقى وحدات خاصة ... وبإدراكات خاصة .. وعند اندماج وحدات المكان - الزمان .. فالناتج يكون عاماً وموضوعياً . ومنطوق النظرية:

«ليس لنا أن نتحدث عن الزمان دون المكان، ولا عن المكان دون الزمان - وما دام كل شىء يتحرك فلا بد أن يحمل زمنه معه، وكلما تحرك الشىء أسرع فإن زمنه سينكمش بالنسبة لما حوله من أزمنة مرتبطة بحركات أخرى أبطأ منه».

وذكر ألبرت أينشتين فى سوقه للنظرية أن الساعة المعلقة على الحائط (أ) يختلف توقيتها عن الساعة (ب) المنطلق بسرعة ٣٫٠٠٠ كيلو متر فى الثانية، فهى والحال كذلك تؤخر ثلث ثانية فى الساعة . فى حين تؤخر الساعة المنطلقة بسرعة ٣٠٫٠٠٠ كيلو متر فى الثانية فتؤخر ١٨ ثانية فى الساعة، ويزداد التأخير لينعدم حين تنطلق الساعة (ب) بسرعة مقدارها ٣٠٠٫٠٠٠ كيلو متر فى الثانية (وهى سرعة الضوء) وجاءت النظرية فى الصيغة الرياضية التالية:

$$\frac{\text{الفترة الزمانية للراصد الساكن(أ)}}{\text{الفترة الزمانية للراصد المتحرك(ب)}} = \frac{1}{\sqrt{1 - \left(\frac{\text{سرعة المتحرك}}{\text{سرعة الضوء}}\right)^2}} \quad \text{معادلة(١)}$$

ومعنى ذلك أن المسافر فى صاروخ سرعته ٨٦٫٦٪ من سرعة الضوء فى زمن قدره عشر ١٠ سنوات عند أهل الأرض .. يعود المسافر ليجد أن ساعات أهل

الأرض قد رصدت عشر ١٠ سنوات .. فى حين أن ساعته قد رصدت خمس ٥ سنوات فقط .. فى حين أن الزمن يصل إلى حوالى ثلاث سنوات إذا كان التحرك بسرعة ٩٥٪ من سرعة الضوء.

ويدمج ألبرت أينشتين كتلة الجسم المتحرك ووحدة المكان - الزمان، ويذكر ويثبت أن الكتلة نسبية مثلها مثل الزمان والمكان .. وأن مقدار الكتلة متغير .. وهى تتغير بسرعة حركة الجسم .. وكلما زادت سرعة الجسم المتحرك، كلما زادت كتلته .. وسرعة ارسال الطير الابابيل فى قصة أصحاب الفيل فى القرآن هى سرعة كونية (قد تساوى سرعة الضوء .. أو تزيد .. الله أعلم). وكتل الحجارة من سجيل زادت بتأثير سرعة الإرسال الهائلة !!

وقدم أينشتين معادلته الشهيرة الثانية على الصورة التالية:

$$\frac{\text{كتلة الجسم المتحرك (أ)}}{\text{كتلة الجسم الساكن (ب)}} = \frac{1}{\sqrt{1 - \left(\frac{\text{سرعة المتحرك}}{\text{سرعة الضوء}}\right)^2}}$$

معادلة ٢

وبزيادة سرعة الجسم المتحرك لتقارب سرعة الضوء فإن كتلته تزداد زيادة كبيرة جداً تقترب من اللانهاية ..!! ويتقدم أينشتين خطوة أخرى .. ليذكر ويقرر:

«.. أنه مادام الجسم المتحرك يكتسب مزيداً من الكتلة حينما يكتسب مزيداً من الحركة ... فالمنطق المستفاد من هذه المقولة هو أنه من حيث أن الحركة طاقة فإن الكتلة يمكن أن تتحول إلى طاقة، والطاقة يمكن أن تتحول إلى طاقة»».

وهذا القول متطابق مع ماجاء فى قصة أصحاب الفيل حيث تحولت كتلة الحجارة السجيلية المرسلة بالسرعة الكونية الى طاقة تدميرية هائلة !!

وقدم أينشتين معادلته الثالثة:

الطاقة = الكتلة x مربع سرعة الضوء

معادلة (٣)

والكتلة وحداتها الجرام، وسرعة الضوء وحداتها سنتيمتر فى الثانية.

النظرية النسبية فى السُنة النبوية المُشرفة

- سأل ولدى: وهل مثل هذا القول ورد بالقرآن والسنة ؟!

- أجبت: نعم وبالقطع ورد وأكثر منه ورد.. لكنه الترك والإهمال من جانب المسلمين يا ولدى! فقد ورد بالسنة النبوية المشرفة ثلاث أحاديث نبوية تتضمن فى مدلولاتها جوهر النظرية النسبية لأينشتين.. ونعتقد أن أينشتين اطلع عليها وهضّمها وفهمها وأوّلها تأويلاً مقبولاً.. ونورد الأحاديث الثلاثة فيما يلى:

- الحديث الأول: عن أنس أن الرسول ﷺ قال:
﴿لاتقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، فتكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كالضرمة بالنار﴾.
حديث صحيح انظر الحديث رقم:٧٤٢٢ فى صحيح الجامع.
مسند الإمام أحمد، الترمذى

- الحديث الثانى: عن أبى هريرة أن الرسول ﷺ قال:
﴿لاتقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهَرَج: وهو القتل﴾
حديث صحيح انظر الحديث رقم: ٧٤٢٨ فى صحيح الجامع.
مسند الإمام أحمد، البخارى، وسنن ابن ماجه.

- الحديث الثالث: عن أبى هريرة أن الرسول ﷺ قال:
﴿يتقارب الزمان، ويقبض العلم، ويلقى الشح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، قيل: وما الهرج؟ قال: القتل﴾.
حديث صحيح انظر الحديث رقم:٨٠٢٠ فى صحيح الجامع.
مسند الإمام أحمد، الترمذى والبخارى ومسلم، وسنن أبى داوود.

وموضوع الأحاديث زمان يتقارب.. أو يتكامش.. ويستتبعه سرعات تتزايد.. وفترات الزمان النسبية الكونية تتناقص.. السنة، والشهر، والأسبوع، واليوم، والساعة.. وتقاس جميعها بدلالة الضوء.. وسرعات الكواكب تسند فى الأساس

إلى سرعة الضوء!!

الشمس فى ثبات نسبى بالنسبة لكوكب الأرض التى تدور حول الشمس وتدور حول نفسها كذلك.. والأرض فى ثبات نسبى بالنسبة للقمر الذى يدور حول الأرض!!

وراصد الزمان ثابت دائماً فى مكانه.. أما مكانه فدائماً فى حركة كونية ثابتة، أو متزايدة بالنسبة لسرعة الضوء.. بحسب قانون التسخير الربانى!!

- ولاحظوا يا أحباب! أن تعبير ﴿يتقارب الزمان﴾ أدق وأشمل من تعبير ألبرت أينشتين (ينكمش الزمان).. وكلاهما يحمل معنى تزايد السرعات النسبية للمتحرك فى الكون.. فتزداد سرعة الأرض حول نفسها وحول الشمس.. وتزداد سرعة القمر حول الأرض.. بالمقارنة لسرعة الضوء!!

والزيادة بالأرقام تحمل مضمون بناء قانون ربانى كونى فلكى ثابت مع نسبية إحصائنا لسنواتنا على الأرض!!

فالسنوات.. والشهور.. والأسابيع.. والأيام.. والساعات - تحسب جميعها بدلالة سرعة المواقع النسبية الكونية.. للشمس، والأرض، والقمر.. أو سرعة موضع راصد الزمان.. منسوبة إلى سرعة الضوء!!

- فسرعة موضع الرصد الزمانى أينما كانت تحمل معنى الحركة.. فمع الحركة الثابتة المضطردة تثبت الفترات المتكررة.. ويقابل ذلك أن سرعة الضوء مرجعية للإنتظام أو التسريع أو الثبات!!

ومعنى هذا أن الأحاديث النبوية الشريفة أسبق فى الحديث عن وحدة الزمان والمكان.. وأسبق فى تحديد علاقاتها الرقمية الكونية.. وأسبق لما أوردته معادلات أينشتين!!

وتأمل معانى قول رسول الله ﷺ فى شأن تقارب الزمان النسبى!!:

١ - تقارب اليوم كالساعة.. هو بنسبة ٢٤:١ / يوم <u>التقارب النسبى الأول</u>

- يستتبع التقارب الأول تسارع حركة الأرض (المتحرك الأول) حول نفسها فى مواجهة الشمس (الثابت) ٢٤ ضعفاً / ساعة!!

٢ - تقارب السنة كالشهر.. هى بنسبة ١٢:١ / سنة <u>التقارب النسبى الثانى</u>

- يستتبع التقارب الثانى تسارع حركة القمر (المتحرك الثانى) حول الأرض ١٢ ضعفاً / شهر!!

- وهنا مفتاح إشارة ألبرت أينشتين إلى النسبية.. لأنه لو أخذت الأمور والحسابات فى المطلق!! لكان تقارب اليوم كالساعة - يقابله - تقارب السنة

كالنصف شهر ؟!

- ما دام لكل من المتحركين - الأرض والقمر - مكانه وزمانه·· الذى هو جوهر سرعتهما الكونية المطلقة أو النسبية على حد سواء!! وبتعميم المبدأ فإنه يجب النظر الى وحدة زمان ومكان (زمكان) كل شىء فى الكون!!

٣ - وتقارب الشهر الهجرى القمرى (للمتحرك الثانى) كالجمعة الشمسية (للمتحرك الأول)·· هو بنسبية أعم وأشمل حوالى ٤:١ / شهر·· التقارب النسبى العام·· بين المتحرك الثانى، والمتحرك الأول بتسارع بواقع ٤ أضعاف / أسبوع!!

التقارب النسبى العام الثالث

- يستتبع التقارب التكرارى النسبى العام الثالث: تقارب كل حزمة زمانية شهرية واحدة·· (٥٤ر٢٩ يوم للراصد على سطح الأرض·· وهى تكافئ ٣٢ر٢٧ يوم للراصد على سطح القمر)·· الى سبعة أيام، بنسبة متوسطة ٤:١ / أسبوع·· وهو مفهوم محصلة تكرارية، أو مفهوم قيمة أسية رياضية!!

فالتقارب النسبى الأول ضعف التقارب النسبى الثانى·· أما التقارب النسبى العام الثالث فهو مربع نسبة الإنكماشين النسبيين الاول إلى الثانى·· أى أربعة أمثاله!!

٤ - التقارب المطلق للجمعة الشمسية كاليوم الشمسى·· هو تقارب تكرارى خاص (أزمنة الراصد) - أى أنها التقارب المتكرر لفترات الزمن لمن هو على سطح الأرض·· العلاقة بين الثابت (الشمس)، والمتحرك (الأرض)، والراصد الثابت على الأرض·· وهو بنسبة ٧:١ / يوم!!

التقارب المطلق الرابع

- يستتبع التقارب المطلق التكرارى الاسبوعى الرابع: تقارب كل حزمة زمانية أسبوعية ٧:١ /أسبوع·· وبالتالى زيادة سرعة منظومة الكون إلى ٧ أمثال / أسبوع·· وهو مفهوم محصلة تكرارية، أو مفهوم قيمة أسية رياضية!!

٥ - تقارب الساعة كالضرمة بالنار··!! أى تقارب وحدة الزمان اليومى الساعة

الى وحدة زمان قياس سرعة الضوء (الضرمة ـ هى أثر النار‥ أى الضوء)

التقارب الكونى الخامس

ـ يستتبع التقارب الخامس: تقارب الساعة إلى زمان سريان الضوء فى الكون‥ أى إلى مقلوب سرعة الضوء = أساس قياس سرعة الضوء الكونية!!

والسبعة الواردة فى التقارب المطلق الرابع هى (كمثل ماتحت الجذر فى معادلة أينشتين ؟!)‥ أى كالجذر التربيعى للفرق (التخيلى؟!) بين الواحد الصحيح والخمسين الكونية النسبية التخيلية؟!‥

ـ وتؤخذ الخمسين الكونية النسبية التخيلية من دلالة اليوم والخمسين ألف سنة الواردة فى سورة المعارج حول سرعة عروج الملائكة‥ ﴿تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾‥ منسوبة الى الالف سنة النسبية التى يتحدد بها سرعة الضوء‥ ﴿إن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾‥!!

وهو تقارب كونى تكرارى نسبى بواقع١:٥٠ / يوم شمسى!!

بمعنى آخر‥ فإن هذا التقارب (السبعة ١:٧) هى كما الجذر التربيعى التخيلى فى البناء الرياضى لمعادلة ألبرت أينشتين النسبية؟!

ومن ذلك يتضح أن البناء الرياضى لنظرية ألبرت أينشتين مُستوحٍ تماماً من فقه الأحاديث النبوية الثلاثة سابقة الذكر!!

سبحان الله العظيم!!

ـ ويسوق ألبرت أينشتين حالة تطبيقية حركية خاصة‥ إذا سافر أحد فى مركبة فضاء سرعتها ٦ر٩٩ ٪ من سرعة الضوء‥ فإن زمانه فى مركبته ينكمش إلى سنة واحدة‥ فى مقابل ١٢ سنة لأهل الأرض‥!!

ـ والملاحظ هنا يا أحباب! أن التكرارية الزمانية‥ فى معادلات أينشتين‥ مأخوذة لفترة زمانية محدودة جداً‥ وتقع بين الساعة والسنة ؟! مروراً باليوم، والأسبوع، والشهر‥ ؟!

ـ جدير بالملاحظة أن أينشتين لم يأخذ فى الإعتبار تكرارية السنوات والعقود والقرون‥ من هنا فنظريته تواجه أزمة حقيقية فى تفسير ظواهر كونية مرتبطة بتكرار المدة مع طول مدد الزمان فى خصوصية ظاهرتى الإختلال والفساد CHAOS & CORRUPTION ؟!

- وتكرار السنن الكونية الإجتماعية والسياسية.. على غرار ما أورده القرآن وأوردته السنة يتم على مدد وفترات متكررة أكبر من السنة والعقود والقرون.. فعلامة العرب عبد الرحمن ابن خلدون يحدد عمر الجيل الإجتماعى بثلاثين سنة.. وأهل الكهف مكثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين.. أى عمر عشرة أجيال.. وسيدنا نوح مكث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً.. وأمات الله عبده وبعثه بعد مائة عام، وجعل له من طعامه وحماره آيتين..!! ولمثل هذه الظواهر دلالات كونية تخص تكرار المدد؟!

- وبدون شك هناك دلالات نجهلها!!.. الله يُجَلِيها لمن يشاء من عباده، إن الله بكل شىء عليم.

- فيا أحباب! يتلاحظ أن الألف سنة قمرية تعادل ٩٥٠ سنة ميلادية فى زمن سيدنا نوح.. أما الألف سنة قمرية تعادل ٩٧٠ سنة ميلادية فى زمن أهل الكهف.. بمعنى أن الزمان تقارب بواقع ٢٠ سنة ميلادية/ ألف سنة فيما بين عهد سيدنا نوح، وعهد أهل الكهف.. والله أعلم!!

- وتورد السنة النبوية المشرفة حديث رابع عن نسبية خاصة فيها إشارات جازمة لسرعات أعلى من سرعة الضوء!!

- فعن النواس ابن سمعان، رضى الله عنهما، ان رسول الله ﷺ قال:

﴿غير الدجال أخوفنى عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فأمرؤ حجيج نفسه، والله خليفتى على كل مسلم، إنه شاب قطط، إحدى عينيه كأنها عنبة طافية، كأنى أشبهه بعبد العزى ابن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يميناً وعاث شمالاً يا عباد الله فاثبتوا، قالوا يا رسول الله! ما لبثه فى الأرض ؟ قال: أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم، قالوا: يا رسول الله! فذلك اليوم كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، أقدروا له، قالوا وما إسراعه فى الأرض ؟ قال: كالغيث إستدبرته الريح،...﴾ إلخ الحديث.

الامام أحمد، والترمذى، ومسلم.. الحديث رقم ٤١٦٦ فى صحيح الجامع.

- ومعنى هذا إن هناك إنباءة بكشف نسبية خاصة.. غير نسبية أينشتين تماماً..

فى زمان قادم بسرعات كونية لاندركها ولا نتصور كنهها حالياً٠٠؟!

- الأخطر من ذلك يا أحباب! أن ألبرت أينشتين قد بنى نظريته على أساس أن سرعة الضوء هى أقصى سرعة يمكن أن يبلغها جسيم متحرك٠٠ وهذه إحدى أزمات نظرية أينشتين ؟!٠٠

- فثبت علمياً أن شعاع تشيرنكوف لا ينبثق إلا إذا تحركت الالكترونات داخل مواد بسيطة بسرعة أكبر من سرعة الضوء!!٠٠ وكذا فإن المواد السينية تسرى داخل المواد المتبلورة بسرعة أكبر من سرعة الضوء!!٠٠ وقانون هَبل HUBBLE المطبق فى الدراسات الفلكية يدعى أن سرعات النجوم البعيدة تتجاوز سرعة الضوء٠٠ ومن هنا فمعادلات النسبية لألبرت أينشتين تواجه العديد من المآزق٠٠ أمام تكرارية الزمان٠٠ وأمام زمان الحضارات٠٠ وزمان تداول السنن الكونية٠٠ كالنماء، والقوة، والفساد، والإفساد، والإختلال، والدمار، والعود إلى حيث البدء٠٠ نراجع نظريات فيغنبوم فى الاختلال CHAOS & CORRUPTION فى فصل الفساد فى الأرض، الباب الثالث٠

- ونظرية ألبرت أينشتين تواجه مأزقاً حرجاً أمام السرعات التى تفوق قيمتها قيمة سرعة الضوء٠٠ والعلم الحديث كشف النقاب عن سرعات أكبر من سرعة الضوء٣٠٠٠٠٠ كم/ ثانية٠

- ويرى أ٠ د٠ محمود عبد المطلب خشان فى مبحثه المنشور بمجلة الأزهر عدد أبريل ١٩٩٣م إدخال تعديل فى منطوق النظرية النسبية مفاده أن:

(مهما تجاوزت سرعة الجسيم سرعة الضوء فأن سرعته المقاسة تظل أقل من سرعة الضوء)!!

- ويا أحباب! بدأ يظهر مشكل (طول اليوم) حيث رصد ومنذ الستينيات أن اليوم الأرضى يتغير بواقع ٠٠٥ر٠ من الثانية لكل عشر سنوات متأرجحاً بين الزيادة والنقصان٠٠ وسجلت الأجهزة الدقيقة التى رصدت مواقع الشمس والقمر وعطارد بالنسبة لنجم ثابت وتأكد العلماء من أن الزيادة فى اليوم بواقع ١:٠٠٠ر٠٠٠ر٩١٢ر٧٨٦ر٣ من الثانية فى اليوم٠٠ لذا أحجم العلماء عن إستخدام الأرض كساعة ميقاتية دقيقة١٠٠٪ بل إنهم يدخلون هذا المعامل التصحيحى فى الاعتبار!!

- وسرعة الضوء ذاتها أسست على أساس أن المواقيت الكونية الحالية٠٠

أما وقد ثبت عدم ثباتها.. فمعنى هذا أننا أمام نسبية كونية جديدة.. فحال ما تكون نسبة التغير الزمانى فى فترات قياس اليوم الشمسى فى حدود ٩٩,٥ ٪ فإن المواقيت ستتغير تغيراً جوهرياً؟! وستفشل النظرية النسبية كلية فى تفسير الكثير من الظواهر الكونية.. ومنها مثلاً اليوم السرمدى؟!

- ويستفاد من كل ما سبق أن الاحاديث النبوية والنصوص القرانية.. هى مرجعية مطلقة.. أما صياغة ألبرت أينشتين لنظريته.. ماهى إلا مرجعية علمية.. لحالات كونية خاصة.. وهى نظرية مقبولة نسبياً الآن.. وما النظرية النسبية إلا إسهاماً مرحلياً فى دفع التقدم العلمى إلى الأمام.. وهى لاتعدو كونها تفسيراً مرحلياً مقبولاً مرهوناً بنسبية تقارب الزمان.. وبالنسبية الرقمية بين السنوات الشمسية والقمرية!!

- ومن حيث أن قيمة سرعة الضوء.. هى أساس الإسناد فى نظرية ألبرت أينشتين النسبية.. فهى، أى سرعة الضوء، محققة القيمة فى ايات القرآن، بتساوى ٢٩١ سنة ضوئية مع ٣٠٠ سنة قمرية، وذلك إلى حين يكشف لنا الله عن جديد؟!

- والعلم الحديث يقرر أن نسبية أينشتين يقف دورها عند تحديد سرعة الضوء، لكنها أصبحت نظرية قاصرة أمام تفسير ظواهر الفساد والإختلال؟! .. والعديد من أيات القرآن تنبهنا إلى أن سرعة الضوء ليست بحال من الاحوال أعلى سرعة فى الكون؟! .. وإلا فأين إذن سرعة الضوء المزمع أنها أقصى سرعة كونية من سرعة الاسراء؟! أو من سرعة المعراج؟! وأين؟! أين سرعة الضوء من سرعة الملائكة والروح القدس؟!

- يا أحباب! دعونا ننتقل إلى تحديد سرعة الضوء.. وإلى محاولة تصور قدر سرعة الملائكة؟! - من وحى أيات القرآن الكريم ..!!

٢٠ نظرية أينشتين النسبية فى القرآن

ـ تسأل ابنتى: وهل وردت إشارات عن نظرية أينشتين النسبية فى القرآن؟!
ـ أجبت: نعم يابنيتى! ورد الكثير٠٠ ومنذ ٦١١:٦٢٣م أى قبل نظرية أينشتين بحوالى ١٢٧٠ عاماً حيث جاء فى قول الله تعالى: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الارض ثم يُعرّجُ إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ (السجدة٣٢:ه)٠٠

والعروج هنا المقصود به عروج الضوء بحسب أننا نحصى الأيام والشهور والسنوات بضوء الشمس وبضوء وشكل وهيئة القمر٠٠ وهذا معناه أن هناك يوم، وهناك يوم نسبياً٠٠ فالإشارة إلى النسبية واردة بصريح النص٠٠ وفوق ذلك ورد معها طريقة قياس وحساب النسبية بين السنوات القمرية والسنوات الشمسية٠٠ معمل قياس كونى كامل٠٠ وهذا هو الإعجاز الحق!! وتأملوا يا أحباب! قول الله تعالى:

﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ (الحج٢٢:٤٧)

وقوله تعالى: ﴿ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً﴾ (الكهف٢٩: ٢٥)

وقوله تعالى: ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض﴾ (التوبة٩:٣٦)

وقوله تعالى: ﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾ (يس٣٦: ٣٩)

وقوله تعالى: ﴿هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ (يونس١٠:٥)

والمستفاد من النصوص القرآنية السابقة أن الفترات الزمانية الشهور والسنوات تعد وتحصى بمنازل القمر ﴿وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾٠٠ ووسيطنا فى التحديد الميقاتى الشهرى شكل وهيئة القمر٠٠ أما الشمس فهى وسيطنا الكونى فى تحديد اليوم وأجزائه بالمزولة الشمسية٠٠ والقاسم المشترك الأعظم فى الحالتين هو الضوء٠٠ ووجود الضوء أصيل من الشمس٠٠ وانعكاسى من القمر٠

وبالرجوع للآية ٥ من سورة السجدة، وللآية ٤٧ من سورة الحج فإن:

المسافة التى يقطعها الضوء فى يوم أرضى واحد هى هى (أى تساوى) المسافة التى يقطعها القمر فى مداره حول الأرض فى ألف سنة قمرية..!!

ونأخذ فى الاعتبار القيمة النسبية القرآنية بين السنة الشمسية والسنة القمرية.. بنص الآية:

﴿ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً﴾ (الكهف ٢٩: ٢٥)

ومن كل ماتقدم يا أحباب! ومن وحدة تساوى المسافة التى يقطعها الضوء فى يوم شمسى واحد مع المسافة التى يقطعها القمر فى ألف سنة قمرية.. يصبح من السهل علينا حساب سرعة الضوء!!

وهذا يتطلب منا أولا حساب سرعة القمر المطلقة وسرعته النسبية حول الأرض.

٠٣ سرعة دوران القمر حول الأرض

- وسأل ولدى: وكيف بالله نحسب سرعة دوران القمر حول الارض ونحن عنه بعيدون ؟!

- أجبت: يا ولدى! الأمر بسيط جداً فإننا ونحن ثبوت على كوكبنا الارضى ومن حولنا يدور القمر منيراً هيئته من هلال إلى بدر إلى محاق، والقمر يدور حول الأرض، والأرض والقمر يدوران حول الشمس، والثلاثى الشمس والأرض والقمر يراقبهن الإنسان مستخلصاً توقيتين.. شمساً أرضاً ومنهما التوقيت الشمسى.. قمر أرض ومنهما التوقيت القمرى.. وإذا اتحدت الفترة.. فبحسب أن القمر أسرع حركة.. فى الكون من حركة الأرض.. فإن التوقيت القمرى الاسرع نسبياً يتقارب زمانه ويكون أكبر من التوقيت الشمسى.. وتدلنا الآية الكريمة: ﴿ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً﴾ - على معنى وحدة الزمان والمكان (الزمكان).. لذات تواحد الفترة الزمانية.. لراصد الزمان الذى يسكن كوكبنا الارضى.. فإذا مضى يا أحباب! زمان قدره ٢٩١ سنة شمسية، فيسجل ذات الراصد لذات الفترة ٣٠٠ سنة قمرية.. بمعنى أن الارض تدور حول الشمس بسرعة كونية معينة، والقمر يدور حول الارض بسرعة كونية نسبية أكبر

من تلك التى تدور بها الأرض حول الشمس·· القمر يتقارب زمانه وتزداد سنواته·· وبذلك يعبر القرآن الكريم بالسهل الممتنع الدقيق المتناهى فى الدقة عن النظرية النسبية كونياً·· ويربط فى آياته السابقة بين العلاقات الحركية للأرض والشمس والقمر·

ومن هذه العلاقة استنتج العالم الألمانى أينشتين نظريته فى النسبية العامة:

(**ليس لنا أن نتحدث عن الزمان دون المكان، ولا عن المكان دون الزمان وما دام كل شىء يتحرك فلابد أن يحمل زمنه معه، وكلما تحرك الشىء أسرع فإن زمنه سيتقارب بالنسبة لما حوله من أزمنة مرتبطة بحركات أخرى أبطأ منه**)

- ويا أحباب! الكلام هو إذا أنزلناه على حركة الأرض الشمس·· الأرض القمر·· وهى بحق وحتى الآن! من أخطر نظريات التاريخ البشرى·· وعبر عنه القرآن الكريم بأيسر طريقة لشرح أعقد النظريات العلمية·· وهذه هى البساطة القرآنية حتى يفهما عامة الناس·

- وبديهى يا أحباب! أن سرعة القمر بالنسبة للشمس كونياً أسرع من سرعة الأرض بالنسبة للشمس·· ولهذا كان عدد السنوات النسبية للرصد القمرى أكثر من مثيلتها المتحدة معها بوحدة المكان والزمان للراصد الأرضى·· وبواقع ثلاث سنوات فى المائة سنة، أو تسع فى الثلاثمائة سنة·· بمعنى أن زمان القمر يتقارب·· (أو يتقارب زمانه كما ورد فى الأحاديث النبوية الشريفة)·· بسبب ارتفاع سرعته النسبية الكونية!!

- والشهر الشمسى للراصد الأرضى يساوى : ٣٦٥,٢٥ يوماً مقسومة على ١٢ شهر فيكون الشهر الشمسى للراصد الأرضى ٠٤٣٧٥ر٣٠ يوماً·

- والشهر القمرى للراصد الأرضى يساوى : ٣٥٤,٣٦٠٧ يوماً مقسومة على ١٢ شهر فيكون الشهر القمرى للراصد الأرضى ٥٣٠٥٩ر٢٩ يوماً·

- والقمر يتم دورته الشهرية حول الأرض للراصد على القمر فى: ٣٢١٦٦١ر٢٧ يوم·

- ويا أحباب! لتحديد سرعة القمر المطلقة فى كون الله فإن ما يهمنا هو:

١· نصف القطر المتوسط لدوران القمر حول الأرض·· وهذا يحسب منذ الفراعنة بدلالة ثبات نجم بعيد·· وحددوا متوسطها بحوالى ٨٠٠ ٣٨٢ كيلو متراً·

٠٢ الفترة الكونية التى يتم فيها القمر دورته حول الأرض٠٠ بالنسبة لراصد يتصور أنه يعيش على سطح القمر٠٠ وحددها الفلكيون ببساطة شديدة بواقع ٣٢١٦٦١ ر٢٧ يوم٠

- ويورد بيفان م٠ فرنيش البيانات الدقيقة عن القمر٠٠ فى كتابه٠٠ أسرار القمر - فيقول ﴿٠٠ وقد قدرت بالضبط الإحصائيات الأساسية للقمر عن فترة الخمس والسبعين سنة الأخيرة أن القمر يدور حول الأرض فى مدار دائرى تقريبا يبعد عن الأرض بحوالى ٨٠٠ ٣٨٢ كيلو متراً٠

ويورد بيفان م٠ فرنيش فى موضع آخر يقول: (يتم القمر دورته حول الأرض فى ٣٢١٧ر٢٧ يوماً (الشهر النجمي)٠٠ إلا أن الأرض كذلك تتحرك فى مدارها حول الشمس فى نفس الوقت الذى يدور فيه القمر حول الأرض٠٠ ونتيجة لذلك تتغير زاوية إضاءة القمر تغيراً طفيفاً بواسطة الشمس٠٠ وينقضى وقت أطول قبل أن يعود القمر إلى نفس الشكل الذى يرى به القمر من الأرض٠٠ وهذه المدة أى التى تنقضى بين اكتمال القمر على شكل بدر ثم حلول البدر التالى هى ٥٣٠٦ر٢٩ يوما٠وهذا هو الشهر السنودسى الذى كان الاساس للتقويم القمرى لمدة طويلة)٠

وعلى ماتقدم فإن متوسط سرعة القمر المطلقة (ع ق) تساوى:

ع(قمر) =٠٢ ط٠ نق / ن

=(٢x ١٤١٦ر٣x ٣٨٢٨٠٠) / (٣٢١٦٦ر٢٧x ٢٤)

= ٣٤٩٠ر ٣٦٦٨ كيلو متر/ساعة

حيث ان:

ط = ١٤١٦ر٣ النسبة التقريبية

نق =نصف القطر المتوسط بين القمر والأرض٠

ن = الزمن بالساعة٠

ع ق= سرعة القمر كم/ساعة٠

أى أن سرعة القمر المطلقة: ٠٣٤٩ر ٣٦٦٨ كيلو متر/ ساعة٠

والقيمة الدولية لسرعة القمر: ٠٠ر ٣٦٨٢ كيلو متر/ ساعة٠

٠٤ سرعة الضوء فى القرآن

- عاد ولدى يسأل: وهل يمكن حساب سرعة الضوء بدلالة إشارات آيات القرآن بهذه البساطة ؟!

- أجبت: بالطبع يا ولدى! فالشمس مصدر الضوء·· والقمر عاكس للضوء·· والضوء له سرعة ثابتة فى اكوان الله·· وهو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً·· وبمنازل القمر تحسب المواقيت والأزمنة·· أليس كذلك يا أحباب ؟!

ويقول الله تعالى فى كتابه العزيز: ﴿يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج﴾ (البقرة٢:١٨٩)·· ويقول تعالى: ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ (التوبة٩:٣٦) ويقول تعالى: ﴿إن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ (الحج٢٢:٤٧)·· ويقول تعالى: ﴿ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً﴾ (الكهف٢٩:٢٥)

ولما كان التعبير عن خلق الله سبحانه وتعالى للزمان جاء بدلالة خلق الليل والنهار، إعمالا للنص القراني: ﴿وهو الذى خلق الليل والنهار وسخر الشمس والقمر﴾·· ويستفاد من ذلك أن الزمان السيال المتصل المتدفق عبارة عن ليل ونهار، ونهار وليل، والدلالة على فتراته يوماً بدلالة الشمس، وشهراً أو سنة تؤخذ بدلالة القمر رجوعاً الى الآية الكريمة: ﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾·· وكذا الآية ﴿وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾

- فبالضوء يا أحباب! والذى هو أثر من آثار الشمس يتحدد الزمان·· وبالنصوص القرانية فإن:

المسافة التى يقطعها الضوء فى يوم شمسى واحد هى هى المسافة التى يقطعها القمر حول الأرض-فى ألف سنة قمرية·· وبهذه البساطة القرآنية يمكننا حساب سرعة الضوء!!

فالقمر يدور حول الأرض فى مسار بيضاوى بنصف قطر مقداره ٨٠٠ ٣٨٢ كيلو متر· ويعود القمر الى نفس نقطة البداية بعد شهر قمري· وهذه المدة بواقع ٢٧ر٣٢ يوم إلا أن هذا الشهر القمرى بالنسبة للإنسان على الأرض بواقع ٥٣ ر٢٩ يوم·

وعلى هذا فان سرعة القمر بالنسبة للراصد الأرضى هى بواقع ٠٠ر٢٠٠ر٢٢٥ر ٢ بليون كيلو متر فى الشهر القمرى·

والنص القرآنى: ﴿إن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ يسمح ويتيح لنا بحساب عدد الشهور الشمسية الأرضية، وذلك بإعمال النص القرآني: ﴿ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً﴾.. فننقص الألف سنة بواقع تسع سنوات لكل ٣٠٠ سنة قمرية، فتصير الألف سنة قمرية ٩٧٠ سنة شمسية.. والأخيرة تحوى ٦٤٠ر ١١ شهراً شمسياً (فى مقابل ٠٠٠ر ١٢ شهراً قمرياً).

ومن حيث ان المسافة التى يقطعها القمر فى ألف سنة هى هى المسافة التى يقطعها الضوء فى يوم. وهذه المسافة بواقع ٠٠٠ر٠٠٠ر٩٠٢ر ٢٥ بليون كيلو متر.

ومن حيث ان الشمس هى مصدر الضوء، وبها، وبمزاولها يحسب اليوم واجزاؤه.

فاليوم الشمسى ٢٤ ساعة، والساعة ٦٠ دقيقة، والدقيقة ٦٠ ثانية.. عليه فاليوم الشمسى = ٢٤x ٦٠x ٦٠= ٨٦٤٠٠ ثانية.

- وعلى كل ماتقدم فإن سرعة الضوء تكون عبارة عن خارج قسمة مسافة مسير القمر فى ألف سنة (٠٠٠ر٠٠٠ر٩٠٢ر٢٥ بليون كيلو متر لكل ألف سنة قمرية).. تقسم هذه المسافة على يوم شمسى.. بواقع ٤٠٠ر٨٦ ثانية.

عليه فإن السرعة الكونية للضوء هى تقريبا ٧٩٦ر ٢٩٩ كم/ ثانية.

وسرعة الضوء المسجلة بباريس هى تقريباً ٧٩٢ر ٢٩٩ كم/ ثانية.

ونورد بعضاً مما أسلفنا فى صورة معادلات رياضية مبسطة، مستوحاة من النصوص القرآنية.. لتحديد سرعة القمر النسبية، ومنها نحدد سرعة الضوء:

سرعة القمر المطلقة(ع ق) = (٢ط نق / الزمن كم /شهر

(ع ق) المطلقة = ٢٨٣ر٦x نق / ن كم/ شهر

وسرعة القمر النسبية للراصد الأرضى (ع ق) أرضى

(ع ق) النسبية = (ع ق) (٣٢ر٢٧/٥٢ر٢٩)

أى أن (ع ق أرضي) = ٩٢٥ر٠ (ع ق (المطلقة)

= ٨١ر٥ نق/ الزمن

= ٨١ر٥نق/ شهر كم/شهر

حيث ان: نق = ٣٨٢٨٠٠ كيلو متر

وحيث إن معامل المضاعفة الشهرى القمرى النسبى القرانى لسرعة الضوء وبحسابات التوقيت القمرى(م·م·ش·ق) وبنص الآية القرانية·· ﴿إن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ يساوي:

(م·م·ش·ق·) = ١٠٠٠× ١٢ = ١٢٠٠٠ ضعفاً شمسياً ضعفاً ق

ـ أما معامل المضاعفة الشهرى الشمسى النسبى القرانى لسرعة الضوء وبحسابات التوقيت الشمسى (م·م·ش·ش·) بإعمال النص القرآنى النسبى·· ﴿ولبسوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً﴾ عند الحساب بالتوقيتات الشمسية·· حيث اليوم النسبى المقرون بالالف سنة يحسب شمسياً ٤٠٠ ٨٦ ثانية ـ فيساوى:

(م·م·ش·ش·) = ١٢٠٠٠ (٣٠٠/٢٩١)

= ١١٦٤٠ ضعفاً شمسياً ضعفاً ش

ـ ومن حيث إن المسافة التى يقطعها القمر فى الف سنة قمرية هى هى المسافة التى يقطعها الضوء فى يوم شمسى واحد وهذه المسافة بواقع ٠٠٠ر٠٠٠ر٩٠٢ر٢٥ بليون كيلو متر فى اليوم الشمسى الواحد·

فسرعة الضوء ع ض = ١١٦٤٠× ٨١٣٢٠ر٥ نق/ يوم(٨٦٤٠٠ثانية) كم/ث

=١١٦٤٠× ٨٣٢ر٥× ٣٨٢٨٠٠ /٨٦٤٠٠

أى أن سرعة الضوء ع ض = ٠٠٠ر٠٠٠ر٩٠٢ر٢٥ /٤٠٠ر٨٦ كم/ ث

حيث إن اليوم الشمسي = ٤٠٠ر٨٦ ثانية

فسرعة الضوء = ٧٩٦ ٢٩٩ كم/ ث

فالسرعة الكونية للضوء· ٧٩٦ ٢٩٩ . كم/ ثانية

وسرعة الضوء عالمياً · ٧٩٢ ٢٩٩ . كم/ ثانية

وسرعة الضوء العملية· ٠٠٠ ٣٠٠ . كم/ ثانية

ـ ويا أحبابنا هل يتصور أى مسلم أن ايات القران الكريم تحوى هذه الحقيقة العلمية التى كانت السبب فى تطور علم الطبيعة والطبيعة النووية·· واكتشاف التفاعلات النووية·· والتى كان من نتاجها النظرية النسبية لاينشتين، والنظرية النسبية الخاصة !؟

- حقاً إنه الإعجاز القرآنى لحقائق مذهلة، فالعلم يجرى وراء حقيقة قرآنية، يلحق بها أينشتين بعد ١٣٠٠ سنة ياسبحان الله!!

٥٠ أصحاب الفيل ونسبية أينشتين

- سألت ابنتى: عرفنا تعظيم الكتلة والطاقة من معادلتى ألبرت أينشتين الثانية والثالثة.. فهل فى آيات القرآن الكريم إشارات لهذا التعاظم فى الكتلة وفى الطاقة ؟!

- أجبت: بالطبع يابنيتى! هناك العديد من الإشارات حول هذا الموضوع أقربها فى قصة أصحاب الفيل.. يقول الله تعالى: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم فى تضليل * وأرسل عليهم طيرا أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول﴾ (الفيل)

وبداية نقول إن هذه المعجزة معجزة عظمى.. حدثت فى سنة ميلاد سيدنا رسول الله فى عام ٥٧٠-٥٧١م، والطير هنا طير مرسل وبسرعة كونية.. أى أنه ليس بالطير الأرضى العادى، ويطير بسرعات غير عادية.. وكذلك الحجارة ليست من عوام الحجارة الأرضية.. بل هى حجارة تغيرت كتلتها النسبية لعلو سرعة الإرسال الإلهى الكونى إلى قيمة متعاظمة.. وهذا هو هو ما ورد فى المعادلة الثانية لأينشتين.. وهى أيضاً يا أحباب! حجارة تعاظمت طاقاتها.. وهذا هو هو كذلك ما ورد فى المعادلة الثالثة لأينشتين.. وبقوة تدميرية هائلة..!!

- وتأملوا يا أحباب! فى ناتج كل هذا الإرسال والطير السريع، وبالسرعة التى أرادها الله، حاملا حجارة من سجيل، حجارة متناهية فى الصغر- تقدر على حملها الطير- وكتل الحجارة متناهية فى الصغر إذا قورنت بالأفيال، أو حتى بأصحابها.. ومع ذلك كله تغيرت كتل الحجارة بتأثير سرعة الإرسال وتعاظمت.. وتعاظمت طاقات قذفها، وجعلت الأفيال، واصحاب الافيال كعصف مأكول..!!

- ويضاف إلى كل ماتقدم أن الطير لم تضل التصويب إلى أصحاب الفيل وفيلتهم، ولم تؤذ دونهم من مكة.. أى إعجاز هذا.. بأوزان وكتل وطاقات متعاظمة.. لحجارة متناهية فى الصغر.. وأى إعجاز هذا.. فى مجال الطاقة للطير الابابيل والحجارة من سجيل.. وإن شئت قل: اى إعجاز هذا.. فى مجال التحكم.. ودقة إصابة الأهداف.. الأفيال واصحابها.. ودون سواهم.. سبحان الله العظيم!!.. وهذه واحدة فقط يا أحباب!

٦٠ الصيحة والرجفة فى القرآن والنسبية

- تابعنى ولدى: وما الصيحة والرجفة إذن ؟!

- أجبت: يا ولدى! الصيحة لغوياً من صاح - وهو رفع الصوت٠٠ والصوت ينتج عن هواء منضغط عن قرع جسمين٠٠ أو صوت مجرد عن تنفس٠٠ وصوت المتنفس من الحيوانات إما اختيارى، أو قهرى٠٠ والصوت الناتج عن الانسان بالنطق، أو النغم، أو الطبل بالادوات والمعدات٠٠ والصوت يواكبه الانصات٠ والصوت والصياح أثرهما على الجهاز السمعى بصفة الأساس٠٠ وكشف العلم الحديث يا أحباب! عن الموجة العاتية من التضاغط والتخلخل الناتج عن التفجيرات النووية٠٠ والتفجير والانفجار ماهو الا صيحة بصوت عالٍ ولبرهة زمانية قصيرة جداً٠٠ ولقد وردت الصيحات قرآنياً فى ثلاث عشر موضعاً قرينة الاهلاك والتأثير البرهى السريع٠٠ بما يشير الى آثار التعجيل الزمانى الوارد فى معادلتى النسبية لأينشتين الثانية والثالثة٠٠ نذكر منها٠٠ قول الله تعالى:

﴿إن كانت إلا صيحة واحدة فاذا هم خامدون﴾ (يس٣٦:٢٩)

﴿ماينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون﴾ (يس٣٦:٤٩)

﴿وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق﴾ (ص٣٨:١٥)

﴿إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر﴾ (القمر٥٤:٣١)

﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين﴾ (هود١١:٦٧)

﴿ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين﴾ (هود١١:٩٤)

﴿فأخذتهم الصيحة مشرقين﴾ (الحجر١٥:٧٣)

﴿فأخذتهم الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾ (هود:٩٤)

﴿فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعداً للقوم الظالمين﴾ (المؤمنون٢٣: ٤١)

﴿فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ (العنكبوت٢٩:٤٠)

وقد يصحب الانفجار هزة ورجفة٠٠ وأثر الهزة والرجفة على الجسم كله إعياءاً وهلاكاً ودماراً شأنهما شأن الصيحة٠٠ بسبب تأثيراتهما اللحظية السريعة

المدمرة.. ولقد ورد الرجوف قرآنياً فى سبعة مواضع قرآنية.. نذكر منها.. قول الله تعالى:

﴿فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين﴾ الأعراف٧:٧٨،٩١

﴿فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين﴾ (العنكبوت٢٩:٣٧)

﴿واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين﴾ (الأعراف٧:١٥٥)

- وثبت علمياً أن موتى هيروشيما ونجازاكى من أثر التفجيرات الذرية فى الحرب العالمية الثانية والتضاغط والتخلخل الذى هو فى جوهره صيحات ورجفات وهزات.. وبنفس الوصف والهيئة التى أوردها القرآن الكريم المعجز.. فهل آن لنا أن نتدبر آياته وجواهر معانيه وعظيم علومه ومعارفه.!!

وأخيراً أحسبنى أقدر أن القارئ الكريم لايغيب عن فطنته الربط بين الطاقات والكتل المتعاظمة الواردة فى معادلات النسبية لاينشتين وبين الصيحات والرجفات القرآنية وآثارها التاريخية قديماً وحديثاً!!

٧. سرعة عروج الملائكة فى القرآن !!

- عاد ولدى يسأل: وهل سرعة عروج الملائكة والروح فى القرآن تنسب إلى سرعة الضوء ؟!

- أجبت: هنا الحذر واجب يا ولدى فالملائكة والروح خُلِقوا من نور أما الضوء فجماد يقاس.. ومع كلٍ فسرعة عروج الملائكة والروح فى القرآن يشار إليها على أنها من مضاعفات سرعة الضوء.. والإختلاف هنا إختلاف فهم وتصور لا أكثر!!.. والروح القدس يا أحبابى هو سيدنا جبريل عليه السلام.

- ولقد أورد الأستاذ الدكتور منصور حسب النبى فى كتابه القيم الكون والإعجاز العلمى للقرآن دار الفكر العربى ١٩٩٠م. ص٣٧٤ مايلى:

﴿الحد الاقصى لسرعة الملائكة والروح يزيد على سرعة الضوء بمقدار خمسين مرة والله أعلم﴾.

- ونذهب يا أحبابى أن هذه المضاعفة ليست خمسين مرة ولكنها أكثر من ثمانية عشر مليون ضعف سرعة الضوء، وليغفر الله لنا مواضع الزلل فى هذا المبحث

الشائك!!

- فمن المسلم به أن سرعة الضوء ضمن أقصى السرعات الكونية وتساوى تقريبا ٠٠٠ ٣٠٠ كيلو متر فى الثانية.

أما الآية الكريمة الواردة فى سورة المعارج والتى يقول الله تعالى فيها:

﴿تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ (المعارج٧٠:٤)

ولا يمكن أن تحمل أو تفسر الآية ٤ من سورة المعارج على نسبية من أى نوع، بل هى وجوهرها لا تعدو كونها معامل مضاعفة للسرعة، أو هى فى جوهرها معامل تخفيض للزمن.. بمعنى أن الوضع ينقلنا إلى ناتج لمضاعفة سرعة الضوء وتضاعف هذه السرعة بواقع يساوى (٥٠٠٠٠ سنة مضروبة فى ٣٦٥ر٢٥ يوم) والحاصل يقسم على (يوم) أى أن هذا المعامل بواقع ١٨ر٢٥٧٥٠٠ مليون مرة وهو معامل مضاعفة للسرعة الضوئية الكونية، وهو أكثر من ١٨ر٢٥ مليون ضعف، وعلى هذا فإن:

سرعة الملائكة	= ١٨ر٢٥٧٥ مليون ضعف سرعة الضوء	
سرعة الملائكة	= ٣٠٠٠٠٠ فى ١٨ر٢٥٧٥ فى ١٠٠٠٠٠٠	كم/ ثانية
أى أن سرعة الملائكة	= ٥ر٤٧٧٢٥ مليون مليون	كم/ ثانية
وحيث السنة الضوئية	= ٥ر٩ مليون مليون	كيلو متر
فإن سرعة الملك العادى	= ٥٧٦٦ ر٠	سنة ضوئية/ثانية!!

وتتضاعف هذه السرعة إلى الضعف، أو الضعفين، أو الثلاثة أضعاف.. إلى ثلاثمائة ضعف تبعاً لعدد أجنحة الملائكة إعمالا للآية الكريمة: ﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق مايشاء إن الله على كل شىء قدير﴾ (فاطر٣٥:١).. وتأتى مضاعفة السرعة مع مضاعفة خلق الله لأزواج الاجنحة.. فقال ابن مسعود إن رسول الله ﷺ رأى سيدنا جبريل بهيئة النورانية مرتين، وأن له ستمائة جناح. وسيدنا جبريل عليه السلام هو الروح القدس والاية ٤ من سورة المعارج تخاطبه فى قول الله تعالى: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾.

وعليه فسرعة الملائكة تقع فى حدود:

من ٥٧٦٦ر٠ وحتى ٩٨ر١٧٢ سنة ضوئية/ثانية

والله أعلم..!!

وإن من يتدبر ماجاء بسورة النجم فى قوله تعالى:

﴿والنجم إذا هوى* ماضل صاحبكم وماغوى* وما ينطق عن الهوى* إن هو إلا وحى يوحى* علمه شديد القوى* ذو مرة فاستوى* وهو بالأفق الأعلى* ثم دنا فتدلى* فكان قاب قوسين أو أدنى* فأوحى إلى عبده ما أوحى* ما كذب الفؤاد ما رأى* أفتمارونه على مايرى* ولقد رآه نزلة أخرى* عند سدرة المنتهى* عندها جنة المأوى* إذ يغشى السدرة مايغشى* مازاغ البصر وما طغى* لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ (النجم٥٣:١ـ١٨)

ويا أحباب! مع إيماننا بالإسراء وبالمعراج.. وبالسرعة الهائلة التى تمتا بها.. لسيدنا جبريل وسيدنا محمد صلوات الله عليهما.. فإن ذلك يسهل علينا تصور الوصول لسرعة الضوء بالنص القرآنى وكما سبق بيانه.. ويسهل علينا مرة أخرى مضاعفة سرعة الضوء.. وبالملايين.. وصولا إلى سرعة الملائكة.. ويسهل علينا مرة ثالثة تصور السرعة المتباينة للملائكة.. من دلائل الإشارة إلى أجنحتهم فى الإشارات القرانية.. ورحم الله عباس محمود العقاد يوم قدم لنا كتابه الشهير.. التفكير فريضة اسلامية.. ونحسب وبحق أن سرعة الملائكة والروح القدس هى أقص السرعات الكونية.. والله أعلم!!

وعلى كل ماتقدم فإن سرعة الملائكة تقع فى حدود:

من ٤٨ره مليون مليون	كم/ثانية
وحتى ٠ر١٦٤٣ مليون مليون	كم/ثانية

والله أعلم ..!!

- ويا أحباب رحم الله الإمام على كرم الله وجهه حيث قال: (الملائكة كائنات نورانية أقدامها فى الأرض ورأسها فى السموات العلا)!!.. وهذا التبسيط الموجز البليغ يتصاغر ويتلاشى معه الزمان تقريباً.. وتتعاظم معه بداهة.. وبدرجة غير متصورة.. السرعات الملائكية الهائلة!!..

- ويا أحباب! هذه سرعات فوق مستوى إدراك وتصور العقل البشرى، ومقصدنا فى التعرض لها هو تقريبٌ لا أكثر! للمعنى الرقمى الهائل لسرعة الملائكة؟!!.. وإظهارٌ لدلائل القدرة الإلهية!!.. فسبحان الله العظيم.. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم!!..

النجوم والبروج فى القرآن

ـ سألت ابنتى: هل لنا أن نعلم شيئاً عن النجوم والبروج فى القرآن الكريم ؟!

ـ أجبت: حقاً يابنيتى ما بقى لنا فى المنظومة السماوية هو النجوم والبروج.. فالنجوم وردت فى القرآن الكريم فى ١٣ موضعا فورد منها لفظ النجم فى أربعة مواضع أما لفظ النجوم فورد فى تسعة مواضع.. ويفهم من إجمال الورود أنه ورود لمعانى مطلقة فى قرابة أحد عشر موضعاً.. وموضعى التخصيص أولهما يخص معراج سيدنا رسول الله ﷺ وجاء فى: ﴿والنجم إذا هوى﴾.. والثانى يخص أثر السقوط على الأرض: ﴿النجم الثاقب﴾.. وجاء الورود:

ورود وظيفة.. ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾ و ﴿وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها﴾.

ورود تسخير.. ﴿والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره﴾، ﴿جعل لكم النجوم لتهتدوا بها﴾

وورود عبادة وسجود.. ﴿ألم تر أن الله يسجد له ما فى السموات وما فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس﴾.. كما جاء ورود النجوم لدلالات ميقاتية: ﴿ومن الليل فسبحه وأدبار

النجوم﴾، ﴿فإذا النجوم طمست﴾، ﴿وإذا النجوم انكدرت﴾

وجاءت آيات النجوم دلالة على عظمة وجلال الخالق والخلق، وبها أقسم الله.. ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم، إنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾..

ويقول تعالى: ﴿والنجم إذا هوى، ماضل صاحبكم وماغوى، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى، علمه شديد القوى، ذو مرة فاستوى، وهو بالأفق الأعلى، ثم دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ماأوحى، ما كذب الفؤاد مارأى، أفتمارونه على مايرى، ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، إذ يغشى السدرة مايغشى، مازاغ البصر وماطغى، لقد رأى من آيات ربه الكبرى، أفرأيتم اللات والعزى﴾

(النجم٥٣:١-١٩)

والنص هنا نص قسم.. وسواء أكان القسم بتهاوى النجم من علٍ، أم كان القسم مخصصا بالعود الحميد لسيدنا محمد ﷺ من رحلة المعراج الأعلى وهى آية فى الصعود، وآياتها أكبر فى الهبوط، وهذا تفسير لجعفر الصادق رضى الله عنه : أقسم الله بمحمد ﷺ إذ رجع إلى الارض ليلة المعراج.

ويستريح السلف الصالح لهذا من وجوه، أنه ﷺ نور، ونجم هداية.. فهو قسم جد عظيم.. لأنه والحال كذلك يدل على آية من آيات الله العظمى.

ويذهب الداعية الشيخ محمد متولى الشعراوى مدللا بالآيات: ﴿أفتمارونه على مايرى﴾، ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾، ﴿وما زاغ البصر وما طغي﴾ بكل هذه المسميات على أن المعراج النبوى كان معراجاً بالجسد وبالروح.

وهذا يتفق مع ماأورده فضيلة المرحوم الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر وهو يقول: (إن كل من يترك الآفاق العليا- من عظمة وجلال المعراج - يتجاوزها ليتحدث عن أن الرسول ﷺ آسرىٌ به بجسمه وروحه، أوبروحه فقط، أو أسرى به يقظة ومناما، إنما هو بذلك ينحدر بنفسه مختارا، من التجلى الإلهى ليهوى بها منكمشا إلى جو اللات والعزى، وينحدر من جو سدرة المنتهى إلى الجو المادى، ومن مجالات النور السماوى المتلألىء إلى ظلمة الجدل، وزيغ الممارة فى الدين فلننصرف عنه، ولنتركه وما اختار، مبتعدين عن الجدل مع الممارين، ولندع الله قائلين: (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب)

ويتفق السلف الصالح جميعهم مع هذا الرأى.. فيما أورد أبو إسحاق محمد بن إبراهيم النعمانى الشافعى المتوفى فى ٨١٩ هـ.. راجع كتاب السراج

الوهاج فى الإسراء والمعراج٠٠ لأبى اسحاق محمد بن إبراهيم النعمانى الشافعى المتوفى فى ٨١٩ هـ، تحقيق وتعليق عبد القادر أحمد عطا مكتبة القرآن، القاهرة ١٩٨٥ ـ حيث يورد أبو إسحاق حشد لآراء وفتاوى الأئمة والعلماء فى المسألة: القرطبى، وابن حجر، وابن القيم، وابن كثير، وابن حزم، والحافظ بن عساكر، والذهبى٠٠ وغيرهم٠

٠٢ النجوم التسخير والوظيفة:

ـ ويا أحباب ! إن المتتبع للآيات القرآنية يَقَرُ فى وجدانه أن الخلق الكونى والتسخير الكونى لايفصلهما فاصل زمنى٠٠ بل هما آيتان متتابعتان متوافقتان متداخلتان فعلى هذا ترد النجوم قرينة التسخير والجعل٠٠ آية ذلك أن النجوم تحيا٠٠ وبتتابع الزمن تتكاثر وتكون فى كون الله الواسع بمسارات ودورانات ومجارات، ثم تخفت وتموت بمرور الحقب الزمنية المديدة والطويلة٠٠ وهذا فى حد ذاته دلالة عظيمة على دقة التعبير القرآنى٠٠ حتى لا يمارى حاقد بالقول والمماحكة فى الخلق فى البدء٠٠ والخلق مع تتابع الزمان ـ وعلى هذا إقتصر الورود والآى القرآنى بلفظى، سخر، مسخرات، وجعل !!٠٠ وحقا إن القرآن الكريم معجز باعجاز خاص لأن منزله هو الله سبحانه وتعالى٠٠ وجاء فى قوله تعالى: ﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ (النحل ١٢:١٦)

وقوله تعالى: ﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ (الأعراف٥٤:٧)

وقوله تعالى: ﴿وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون﴾ (الأنعام٩٧:٦)

وقوله تعالى: ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾ (النحل١٦:١٦)

ويتلاحظ أن النص جاء قرين التعقل والعلم والهداية والتسخير والأمر الإلهى. والله سبحانه وتعالى يضع ﴿الخلق والأمر﴾ فى مرتبة ربانية واحدة إذ يقول تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾٠٠ سبحان الله العظيم !!

أما مرجعية النجوم فى القياس فهى مرجعية وضع الثبات النسبى لهداية بنى البشر مكاناً وزماناً٠٠ فالمتأمل فى النجوم ربما يشعر وتباعاً ودواماً بمعنى

وحدات الزمان والمكان النسبى، والتى قد تفيد الدارس مرجعياً وإحساساً عند دراسته للنظرية النسبية، ونسبية الحركات فى أكوان الله تعالى!!

والنجوم مرجعية عالية الدقة فى قياس المسافات.. وبها تمكن قدماء المصريين من قياس قطر الكرة الأرضية.. ولا زالت هى المرجعية الدولية لقياس المسافات فى ابحاث الفضاء الحديثة.. وبها تتحدد المواضع والمواقع للغواصات.. وللطائرات.. وللأسفار فى الصحارى والقفار.. ويهتدى بالنجوم حال التنقل فى البحار والمحيطات.. يقول تعالى: ﴿وهو الذى سخر لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعقلون﴾، وقوله تعالى: ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾

وقد تؤخذ النجوم مرجعية للصلاة كما جاء فى قول الله تعالى:

﴿ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم﴾ (الطور٥٢:٤٩)

وختاماً تؤخذ النجوم من علامات قيام الساعة فى قول الله تعالى:

﴿فإذا النجوم طمست﴾ (المرسلات٧٧:٨)، وقوله تعالى: ﴿وإذا النجوم انكدرت﴾ (التكوير٨١:٢)

وعن تبعية الكواكب للنجوم يقول الله تعالى فى هذا الشأن:

﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾ (الإنفطار٨٢:٢)

٠٣ النجوم والسجود والعبادة

ـ ويا أحباب! من المُسَلّم به أن النفس الكونية لمخلوقات الله الكونية ـ نفس طائعة تسخيراً وتسييراً وعبادة وسجوداً.. وبهذا يباهى الله تعالى عباده بهذه الظاهرة الاختيارية لأعظم وأضخم مخلوقات الله حجما وسرعة وقدرة وحركة..فى قول الله تعالى:

﴿ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل مايشاء﴾ (الحج ٢٢:١٨)

وقوله تعالى: ﴿الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان، الشمس والقمر بحسبان، والنجم والشجر يسجدان، والسماء رفعها ووضع الميزان، ألا تطغوا فى الميزان، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان، والأرض وضعها للأنام فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام، والحب ذو العصف والريحان، فبأى آلاء

ربكما تكذبان﴾ (الرحمن٥٥:١-١٣)

٤- النجوم والقسم القرآنى

- ويا أحباب! تعبير ﴿خلق﴾ الله وإبداعه فى خلق الشمس كنجم، والمجموعات النجمية، والنجوم، وتوزيعها، وتسخيرها، ودوام حركتها.. ولدقة انتظام مداراتها، وآجالها، ووظائفها.. ولأنها - والحق يقال - فوق مستوى الإدراك مكاناً، وزماناً، ووظيفة، وغاية.. فيباهى الله سبحانه وتعالى بها، وبمواقعها، فوردت فى القرآن الكريم فى مواضع قرينة القسم بها.. ومن رب العزة !! سبحانه وتعالى.. وجاء ذلك فى قول الله تعالى:

﴿أفرأيتم النار التى تورون، أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون، نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين، فسبح باسم ربك العظيم، فلا أقسم بمواقع النجوم، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ (الواقعة٥٦:٧١-٧٦)

وقوله تعالى: ﴿والسماء والطارق، وما أدراك ما الطارق، النجم الثاقب، إن كل نفس لما عليها حافظ﴾ (الطارق٨٦:١-٤)

وقوله تعالى: ﴿والنجم إذا هوى، ماضل صاحبكم وماغوى، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى، علمه شديد القوى، ذو مرة فاستوى، وهو بالأفق الأعلى، ثم دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، ما كذب الفؤاد مارأى، أفتمارونه على مايرى، ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، إذ يغشى السدرة مايغشى، مازاغ البصر وما طغى، لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ (النجم٥٣: ١-١٨)

٥- أفلاك النجوم فى القرآن

صحيح أن لكل نجم فلكه ويتحرك بالنسبة لنا على الأرض ببطء شديد. والبطء الشديد هذا بسبب النسبية الكونية زماناً ومكاناً بالنسبة للنجم وللراصد الأرضى هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد ورد ذكر الفلك لواحد من النجوم ﴿الشمس﴾، وما يصح للشمس يمكن إعماله وإنزاله لبقية النجوم - وهذا ماتقرره كل المراصد الحديثة:

﴿وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون﴾

(الأنبياء ٣٣:٢١)
وقوله تعالى: ﴿لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون﴾ (يس٣٦:٤٠)

- ومن عجب يا أحباب! أن من مشاكل سفن الفضاء المتقادمة بقاء هذه السفن متحركة فى مداراتها بما يهدد السفن الفضائية الفعالة، والمركبات، والمدن الفضائية الحديثة بكوارث محققة·· ومن باب الترف الفضائى بدءوا يفكرون فى تصميم مكانس فضائية لتنقية الفضاء من آلاف السفن والمركبات الفضائية المتقادمة الهائمة، والمحتمل تصادمها مع السفن الحديثة الجديدة !!··

- ولو فسرت هذه الظاهرة فقط ! بمنطق إيمانى قرآنى لكانت كافية لترقيق قلب ملايين العقلاء من غير المسلمين !!··

حيث يعمم القرآن للظاهرة ويورد قول الله تعالى: ﴿وكل فى فلك يسبحون﴾··

- أى أن كل مافى الفضاء الخارجى يسبح فى فلكٍ خاصٍ به !!·

- ومن نافلة القول أنه قد يستفاد من النصوص السابقة أن خلق الشمس والقمر ربما يكون سابقاً على خلق النجوم·· والله أعلم·

٦· عبادة الكواكب والنجوم

- سأل ولدى: وما قصة من يعبدون النجوم، أو الذين بها ينجمون ؟!

- أجبت: يا ولدى! هناك من المذاهب القديمة مايعبد أهلها النجوم والكواكب·· وفى عهد سيدنا إبراهيم كان هذا الأمر متفشياً مع عبادة التماثيل فى قومه، وقد بعث سيدنا إبراهيم عليه السلام مبطلا لعقيدتهم ولردهم عن مذهبهم·· فمنهم من عبد الشمس (نجم) ومنهم من عبد القمر، واتخذوا لهم آلهة وأصناما يعبدونها وكانت لهذه الديانات طقوسها من ألبسة وأبخرة وأوقات بذاتها وجاء سيدنا إبراهيم ليقضى على هذا كله بين قومه - فى قول الله تعالى:

﴿وإن من شيعته لإبراهيم، إذ جاء ربه بقلب سليم، إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون، أئفكا آلهة دون الله تريدون، فما ظنكم برب العالمين، فنظر نظرة فى النجوم، فقال إنى سقيم، فتولوا عنه مدبرين، فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون، مالكم لا تنطقون، فراغ عليهم ضربا باليمين، فأقبلوا إليه يزفون، قال أتعبدون ماتنحتون، والله خلقكم وما تعملون﴾ (الصافات٣٧:٨٣-٩٦)

- وأضفت قائلاً·· وفوق ذلك يا أحباب! ينهى الإسلام عن التنجيم بحسب أنه

اشتغال بأمر من أمور الغيب التى اختص الله سبحانه وتعالى بها ذاته العلية، ففى صحيح حديث السلف الصالح قال البخارى فى صحيحه، قال قتادة أن النبى ﷺ قال:

﴿خلق الله هذه النجوم لثلاث : زينة للسماء ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وكلف مالا علم له به﴾.

وقد جاءت الأحاديث عن سيدنا رسول الله ﷺ بإبطال علم التنجيم حيث قال ﷺ :

﴿من إقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر : زاد مازاد﴾

رواه أحمد وأبو داوود والبيهقى فى سننه عن ابن عباس.

وعن رجاء بن حيوة عن النبى ﷺ قال:

﴿إن مما أخاف على أمتى : التصديق بالنجوم، والتكذيب بالقدر، وحيف الأئمة﴾ ١ رواه عبد بن حميد.

وعن أنس رضى الله عنه مرفوعاً عن النبى ﷺ أنه قال:

﴿أخاف على أمتى بعدى خصلتين: تكذيباً بالقدر، وإيماناً بالنجوم﴾.

٠٧ الشهب والنيازك والكسف

- وعاد يسأل: وماذا عن الشهب والنيازك والكسف ؟!

- أجبت: يا ولدى! صحيح أنه لم يأت النص مباشر بأن النجوم بذواتها زينة للسماء ورجما للشياطين وحفظا لكنها وردت بالكناية أو بالمعنى فى لفظ ﴿مصابيح﴾ وورد لفظ ﴿الكواكب﴾ بما يكنى عنه الأصول التى تدور حولها وهى النجوم.. ومع كل فلا كواكب بدون نجوم.. والنجوم بإشراقاتها ولمعانها وبريقها وضوئها هى فى واقع الحال مصابيح السماء. وقد جاءت هذه المعانى قرآنيا فى ثلاثة مواضع، فى قول الله تعالى:

﴿إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب﴾ (الصافات٣٧: ٦)

وقوله تعالى: ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير﴾ (الملك٦٧:٥)

وقوله تعالى: ﴿فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم﴾ (فصلت٤١: ١٢)

وقوله تعالى: ﴿وإنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً﴾

١ـ الحيف : الظلم والجور.

(الجن٧٢:٨)

وقوله تعالى: ﴿إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين﴾ (الحجر١٥:١٨)

وقوله تعالى: ﴿إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب﴾ (الصافات٣٧:١٠)

والشهب من مكونات المنظومة السماوية، وينحصر وجودها بين منطقة نزول المطر ومنطقة ظهور القمر·· أى من ٤٠: ٢٠٠ كم وحتى ٣٨٥٠٠٠ كم· ويرجع أصل الشهب إلى الأحجار الموجودة فى السماء·· والناتجة عن تفتت بعض الكواكب والاقمار فى المجموعة الشمسية·· وقد يرجع أصلها إلى مجموعة الكويكبات التى تتحرك فى مدار يقع بين المريخ والمشترى··

ويعتقد العلماء أن هذه الأحجار أصلها من كوكب تعرض لكارثة كونية·· فانتشر إلى آلاف الأحجار وملايين الشظايا التى تشكل معظم الشهب والنيازك··

والمذنبات التى تدور حول الشمس·· قد تفقد بعض مكوناتها أثناء حركتها·· وتجذبها الأرض اليها بفعل الجاذبية ـ فتسقط وتحترق·

وتتحرك الشهب فى الفضاء الكونى بسرعات هائلة ٦٠ : ٣٥٠ كم/ثانية، لكنها تدخل الغلاف الجوى بسرعات من ٢٠: ٣٠ كم/ثانية فسقوطها على الأرض بهذه السرعة القذفية الثاقبة العالية كان وراء وصفها بالشهاب الثاقب·· كما النجم الثاقب··

﴿والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب﴾ و ﴿فأتبعه شهاب ثاقب﴾·· فالطرق والثقب·· يتم عند السطح الخارجى للغلاف الجوى·· وينتج عن ذلك الحرق·· فالنار الشهبية المتوهجة !!

وقد نرى البعض من الشهب فى النصف الثانى من الليل بوميضها الابيض·· وهى تساعد على تكوين نوى تكاثف السحاب·· و سرعة الشهب تزيد على سرعة حركة الأرض حول الشمس بكثير !!

وللشهب منطقة كونية خاصة فى الفضاء تسمى منطقة التألق·

ويسمى الشهاب الذى ينفذ الى جو الأرض ساقطاً من السماء نيزكاً·· والنيازك صخور سماوية، وقد تصل الأرض ترابية مفتتة، وجاء ذكرها فى القرآن الكريم قرين لفظ ﴿مطر﴾·· المطر النيزكى·· وهنا الحال يُخلف عنه الصيحة .. حيث كتلة الوسط المتأثر تزداد من هواء إلى هواء وتراب، وفى الحالة الاخيرة يكون الدمار أعم وأشمل·· وقد يسمى النيزك الساقط على الأرض ﴿بالكسف﴾··!! مصداقاً لقول الله تعالى:

﴿إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء﴾ (سبأ ٩)·

- والمطر شأنه شأن الصيحة فى الأثر والنتيجة.. وتأمل قول الله تعالى:

﴿وأمطرنا عليهم مطراً فانظر كيف كان عاقبة المجرمين﴾ (الاعراف٧: ٨٤)

﴿وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين﴾ (النمل٢٧:٥٨ ولشعراء٢٦:١٧٣)

﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ (الأنفال٨:٣٢)

﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود﴾ (هود١١:٨٢).

﴿فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾ (الحجر١٥:٧٤)

﴿فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم﴾ (الأحقاف٤٦:٢٤)

- (ويسجل التاريخ سقوط النيازك الكبرى فى سيبيريا وفى الأريزونا وفى أماكن أخرى عديدة من واقع الرصد الفضائى.. ويذكر أنه منذ٤٠ سنة تفتت نيزك جبار فحول جو القاهرة إلى ظلام فى وضح النهار يراجع (مع القرآن فى الكون) أ. د. محمد جمال الدين الفندى.

ويعتقد البعض أن مصدر الشهب والنيازك هو من الكويكبات أو النجيمات.

- ونضيف الى إشارات النسبية فى القرآن: أثر الكسف.. وأثر النيازك.. وأثر الشهب.. الساقطة على الأرض.. والطاقات الهائلة الناجمة عنها.. شأنها فى ذلك شأن أثر الصيحة وأثر الرجفة !! وسبحان اللطيف الخبير..!!

٨. البروج فى القرآن

- أضفت قائلاً: وعن البروج يا أحباب ! فتسمى مجموعات النجوم (المدن النجمية) أو (الكوكبات)، ولكن بعضا من هذه الكوكبات تظهر خلف مدار الشمس الظاهرى ونراها فى السماء ليلا، وتختلف شهراً بعد آخر، ويطلقون عليها اسماً خاصاً هو البروج. وحقيقة أن مدار الشمس الظاهرى يميل على خط الاستواء بمقدار ٢٣,٥ درجة. والنجوم التى تظهر خلف هذا المدار يسمى كل منها برجا لتمييزها عن مجموعات النجوم والكوكبات الأخرى.. وتقع هذه البروج ونجومها داخل شريط كونى وهمى فى القبة السماوية بعرض ٩ درجات، ويحف بمدار الشمس.. وبتقسيم هذا الشريط الحزامى إلى اثنى عشر قسما بواقع شهور

السنة - فإن كل قسم يمثل شهرا ويحوى مجموعة متميزة من النجوم ويطلق على هذا البروج أسماء معروفة وهى: الحمل، الثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والعذراء، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدى، والدلو، والحوت.. لتحديد الشهور، والمواقيت. أما قراءة الطالع أو التنجيم فهذه أمور لا يقرها الإسلام.

وحكمة وجود هذه البروج فى سماء الله مرده إلى الآيات القرآنية: أن البروج للزينة، وأن البروج مكملة لوظائف الشمس والقمر فى الإضاءة، وفى الزينة، وفى تحديد المواقيت الشهرية والليلية المجزأة أى تقسيم الزمن ليلا، وحفظا للسماء كما سبق وأن أوردنا.. ولقد جاء ذكر البروج فى القرآن فى ثلاثة مواضع.. هى قول الله تعالى:

﴿تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً﴾ (الفرقان ٢٥: ٦١)

﴿ولقد جعلنا فى السماء بروجاً وزيناها للناظرين﴾ (الحجر١٥:١٦)

﴿والسماء ذات البروج﴾ (البروج٨٥:١)

وجاء ذكر ﴿والسماء ذات البروج﴾ على سبيل القسم لأن ذلك فيه ابداع الخلق وقدرة وخبرة وعلم وحكمة الخالق المدبر فى التسخير - فسبحان الله العظيم.

والخلق والجعل والتسخير للنجوم والبروج انما حدث بعزة وقدرة الله سبحانه وتعالى ونحن مكلفون بالارتفاق والانتفاع بكل ما خلق الله وجعل وسخر وهذا لايتأتى إلا بالسعى لكشف أسرار النجوم والبروج بالاساليب العلمية والتكنولوجيات الحديثة.. وقد آن الأوان أن نأخذ بالمنهج العلمى الشمولى سبيلا للتقدم والاستنهاض الحضارى. وعلى هذا نعرض للجذور التاريخية لعلم الفلك الاسلامى.

الفلك فى التاريخ الإسلامى

ـ سأل ولدى: وهل للحضارة الإسلامية سبق فى علم الفلك ؟!

ـ أجبت: علم الفلك الإسلامى يا ولدى ! هو أساس علم الفلك الحديث.. بل إن علماء المسلمين الأوائل هم مؤسسوه وواضعوه.. فالإسلام أباح الاشتغال بعلم الفلك لتحديد بدايات الشهور، ومواقيت الصلاة، ولتحديد القبلة، وهو علم يدرك عن طريق المشاهدة والرصد والخبرة.. !!

ـ ويرجع الأستاذ الدكتور محمد جمال الدين الفندى فى كتابه الإسلام وقوانين الوجود.. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢.. أن علم الفلك ازدهر على أيدي المسلمين لأسباب دينية فالعبادات تعتمد اعتماداً أصلياً على الظواهر الفلكية : تحديد مواقيت الصلاة، وتحديد القبلة ـ مكة المكرمة ـ أينما كان المسلم، وتحديد أوائل الشهور القمرية، خاصة شهرى رمضان (الصيام)، وذى الحجة (الحج). ومن ناحية أخرى فقد طالب القرآن المسلمين وحثهم على ضرورة دراسة أجرام السماء دراسة واعية ليعلموا قدرة الله سبحانه وتعالى فى خلق الكون وروائع آياته فى إبداع الخلق الكونى.. سماء، وشمس، وقمر، ونجوم، وكواكب، ومصابيح.. وأورد أن العديد من نوابغ علم الفلك هم من العلماء العرب المسلمين أمثال :

١ـ البيرونى، ٢ـ وثابت بن قرة، ٣ـ وابن يونس المصرى، ٤ـ والخليلى الدمشقى، وغيرهم الكثير ..

فى حين أن مونتجومرى وات يسوق فى كتابه القيم فضل الإسلام على الحضارة الغربية -يراجع - فضل الإسلام على الحضارة الغربية - كتاب - مونتجومرى وات، ترجمه حسين أحمد أمين - ١٩٨٦م٠٠ (إن العرب اهتموا اهتماماً خاصاً بالرياضيات، والفلك، والطب٠ ومرجع الاهتمام بالفلك مرده إلى استطلاع قبلة الصلاة ومواعيدها٠٠ وأولى الشخصيات التي اهتمت بمجمل العلوم الخوارزمى (فى الرياضة والجبر والفلك)٠٠ فى عهد الخليفة المأمون٠٠ وهو الذى أعد للمأمون مختصراً لبعض الجداول الفلكية الهندية المعروفة باسم (السند هند) وكتابه الأصيل لعلم الجبر٠٠ أما ابن الهيثم المتوفى سنة ١٠٣٩ وله أكثر من خمسين مؤلفاً وكتاباً ورسالة أشهرها (كتاب المناظر) وترجم إلى اللاتينية بعنوان OPTICAE - THESAURUS وكان قاب قوسين أو أدنى من اكتشاف العدسة المكبرة٠٠ وأدخل ابن الشاطر الدمشقى (الخليلى الدمشقى) فى حوالى منتصف القرن الرابع عشر تبسيطات عظيمة القيمة على الرياضيات المتعلقة لعلم الفلك ووضع أول مجموعة للجداول الفلكية٠٠ ووضع البتانى حوالى عام ٩٠٠م جداول دقيقة للغاية، فى حين ظلت ملاحظاته الصائبة عن كسوف الشمس أساساً للمقارنات المعقولة حتى عام ١٧٤٩م)٠

وقد لعبت أسبانيا الإسلامية دوراً عظيماً فى الأبحاث الرياضية والفلكية

ومن خلالها تمكن الأوربيون من الاطلاع على هذه العلوم الحية٠٠ ومن أبرز العلماء المسلمين العاملين فى هذا المجال مسلمة المجريطى (نسبة إلى مدريد) الذى عاش معظم حياته فى قرطبة وتوفى حوالى عام ١٠٠٧م٠٠ وقد شهد النصف الأول من القرن الحادى عشر عالمين رياضيين فلكيين هما ابن السمح، ابن الصفار وعالماً فلكياً هو ابن أبى رجال٠ وفى نهاية القرن الثانى عشر ظهر عالمان فلكيان آخران هما جابر بن الأفلح (غير جابر بن حيان) والبطروجى٠ وتميز جابر بن الأفلح فى الكتابة فى علم المثلثات الكروى وهو علم للمسلمين فيه باع طويل ٠٠!!

ويقول مونتجومرى وات إنه مع بداية القرن الثانى عشر الميلادى ظهر فى برشلونة عالم رياضيات يهودى اسمه إبراهام برجيه هانسى (المعروف عادة باسم سافا سوردا) قام بترجمة المؤلفات العلمية العربية إلى العبرية٠ وبكتابة أبحاث مبتكرة بتلك اللغة الأخيرة، وقد لعبت هذه الكتب العبرية دوراً هاماً في نقل التراث العلمي العربي إلى أوربا٠

أما الدكتور أحمد فؤاد باشا فيورد في كتابه (التراث العلمى للحضارة

الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة، التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة د. أحمد فؤاد باشا، دار المعارف، ١٩٨٤م، فى الباب الخامس عن الفلك والأرصاد وملخص ماجاء به، نوجزه فى التالى: أن كتاب الزيج الصابىء للبتانى يعتبر من المراجع الفلكية الدقيقة، والذى يعده (لالاند) من العشرين فلكياً فى العالم كله..!!

وأثبت ابن الهيثم أن النجوم لها أشعة خاصة ترسلها.. وحدد سمك الغلاف الجوى، واخترع المنظار واستعمله قبل جاليليو. وبنى الأمويون مرصداً بدمشق عام ٨٢٩م، وبنى أولاد موسى مرصداً فى بغداد وأنشأ الفاطميون المرصد الحاكمى على جبل المقطم.. وكانت هناك مراصد كثيرة وعديدة فى الشام وأصبهان وسمرقند ومصر والأندلس.

وتمكن للعلماء العرب من اختراع العديد من الأجهزة التى تستخدم فى الرصد مثل المزولة الشمسية والساعة المائية لتحديد الزمن والاسطرلاب العربى لتحديد الارتفاع ومعرفة الزمن والأوقات - وهو الأساس لعمل التيودوليت الحديث المستخدم بكثرة فى أغراض المساحة الجيولوجية لقياس الزوايا الأفقية والرأسية وكذا فى أغراض القياسات (تيخو براهى) وقد أصبح مؤكداً أن الفزارى هو أول من صنع اسطرلاباً وأول من ألف كتاباً أسماه الاسطرلاب المسطح.

ومن الكتب الفلكية الهامة التى يزخر بها تراث الحضارة الإسلامية كتاب (النجوم الثابتة) لعبد الرحمن الصدفى.. وقد لاحظ فيه وجود السماوية الكونية التي تسمى الآن (بسديم مسيبه) وله كتاب آخر باسم (صور الكواكب الثانية والأربعين).

أما الفلكى ابن يونس فقد ألف (الزيج الحاكمى الكبير) ويحدد فيه طريقة حساب الكسوف والخسوف، وطريقة موقعه لتحديد القبلة، ويعطى فى كتابة طريقة حساب جيب وجيب تمام الزاوية فى حساب المثلثات الكروية.

أما أبو الوفا البوزماتى فقد قام بتصحيح الجداول الفلكية التى وضعت أيام المأمون وجمع نتائج بحوثه فى كتاب (الزيج الشامل).

أما المجريطى فقد عنى بزيج الخوارزمى وحول سنواته من الفارسية إلى السنين العربية القمرية، وفى ذات الوقت فالاشبيلى أصلح كتاب المجسطى - لبطلميوس.

والهمدانى ألف كتابه فى الفلك وفى اليمن أسماه سرائر الحكمة.

ودرس العرب كلف الشمس، والذى عرف فيما بعد البقع الشمسية.

وإن ظاهرة البقع الشمسية التي رصدها العلامة ابن رشد أثرها فى الحياة الفلكية فى تصحيحات علمية وعالمية اعتمد عليها العلماء المحدثون سنة ١٩٤٧ فى تحديد تزايد عجلة خلال قرن من الزمان، وكان لهذا الكشف أثره فيما يعرف فيما بعد وحتى الآن بالقصور الطيفى الشمسى. والبقع الشمسية هذه تؤثر على قيمة الثابت الشمسى وهو أهم الثوابت المعروفة حالياً فى موضوع الطاقة الشمسية، ويعرف بكمية الطاقة الحرارية التى تسقط من الشمس عمودياً على وحدة المساحات من سطح الأرض فى وحدة الزمن، وتبلغ قيمته المتوسطة ٨،١٢: ١٠٠٠٠ جول لكل متر مربع لكل دقيقة، وتغير هذا الاشعاع يحدث عنه ذبذبة جو الأرض، ومن ثم يحدث تغير واضح فى المناخ.

والبقع الشمسية التى إكتشفها فيلسوف العرب ابن رشد لازالت موضوعاً حياً ومثيراً ويشغل بال العلماء وحتى وقتنا هذا وإلى ما شاء الله ..

أما إخوان الصفا فقد أوضحوا فى رسائلهم المنهج العلمى لتأثير شعاع الشمس فى الأرض، وتكون المرتفعات والمنخفضات الجوية، واتجاهات تأثير الرياح، وسقوط الأمطار، وسلوك مختلف الظواهر الجوية.

وأما ابن سينا الذى أعطى الكثير عن السحب والضباب والنيازك والبرق والرعد وتفسير هالات القمر والشمس، وفى كتابه (الشفاء) أعطى منهجية علمية للسحب، ونقل عنه الفرنسي لامارك هذا العلم وطوره ؟!.

وأما أحمد بن ماجد فوضع كتاب (الفوائد فى أصول علم البحر والقواعد) والاعتماد على القمر والنجوم فى الملاحة البحرية وتدوين الخرائط البحرية وله الفضل على الجميع فى هذا.

والمقدسى فى كتاب (أحسن التقاسيم) يذكر أن العرب برعوا فى وضع الخرائط البحرية وخطوط العرض والطول ويدون معلومات عن الرياح والشواطئ والشعاب المرجانية. وظلت ملاحة البحر الاحمر والأبيض المتوسط والمحيط الهادى عربية حتى مطلع العصور الحديثة.

وفى أعمال مؤرخ تاريخ العالم سارتون يذكر أن فضل العرب فتح الطريق أمام تطوير علم الميكانيكا الكلاسيكية والميكانيكا النسبية والميكانيكا السماوية وتقدم أبحاث الفضاء.. بفضل الثراء العربى العلمى الذى جمله تيخوبراهى واستخدمها بعده كبلر فى صياغة قوانينه المشهورة عن حركة الكواكب.. فقانون نيوتن للجاذبية.. وإن هذا الكلام يتفق على الواقع والمنطق بأن العلم ملكية

تراثية مشتركة للإنسانية جمعاء، والعلم كمظهر من مظاهر الحضارات له الأثر الأكبر فى تطوير الفكر البشرى.

والإسلام يحض على الإشتغال بالعلم فى قوله تعالى: ﴿قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون﴾ (الزمر ٩)

وقوله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾

وقوله تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ (المجادلة٥٨:١١)

وعن سيدنا محمد ﷺ قال: ﴿من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين﴾ (رواه البخارى ومسلم)

- ترى يا ولدى! كم أثر القرآن والسنة فى علماء العرب الأوائل.. وكم اهتموا بالعلوم، التجريبية، والاستقرائية، ليبرزوا وليحتلوا الصدارة فى العالم كله، وهل من سبيل للمدارس العلمية إلى منهجية مؤثرة ومنتجة فى مجالات العلوم الحديثة .. ولم لا ؟!

- سألت ابنتى: وما الترابط بين الحياة، وعلوم المنظومة السماوية والأرضية، والقرآن ؟!

- أجبت: المنظومتين يابنيتى! كما ذكرنا من خلق الله وتسخيره، وتدبيره، وإرادته، وأمره سبحانه وتعالى وعلى الهيئة الجمادية التى يدركها المسلم وغير المسلم بالفطرة والعقل.. وللكون سنن وحال، على الهيئة التى نراها، وبتكامل حياتى فى الأولين بالوصف الذى أورده القرآن: فى قصص الأنبياء، والأمم والقرون الاولى، وفى حياة ممالك النبات والحيوان والحشرات والطير والنحل .. تربة السموات والأرض واحدة فى النشأة فى زمن الرتق وقبل الفتق، وأساسيات الحياة واحدة فى السموات والأرض: الماء ﴿وكان عرشه على الماء﴾، والكربون (الذى هو أصل دخان السماء).. ﴿ثم استوى إلى السماء وهى دخان﴾

- يابنيتى! لمس العلم بعضاً من هذه السنن والأحوال .. وما خفى كان أعظم !!

- يابنيتى! خلق الماء، والسماء، والدخان، والأرض، والمجرات، والنجوم، والشمس والقمر - ثابت واضح للعيان.. أى بالرؤية بالعين المجردة! .. أما خلق الروح، والملائكة، والجان، والزمان والنسبية، وآدم وحواء - ثابت بالبرهان القرآنى؟! .. ودليل الشىء يا أحباب! فى أمور الباطن يقوم مقامه .. والسؤال

عن أي أو كل منها معاد فى الجواب الإلهى فى الكثير من آيات القرآن ·· والبشرية متفقة على أن إعمال الكلام أولى من إهماله ··

والقرآن يا أحباب! يؤخذ بكليته عياناً وبرهاناً·· بكلية نصوصه وألفاظه وحروفه، وإذا غمض علينا شيئاً فالملاذ إلى السنة المشرفة، التطبيق الحى للقرآن· ولا مساغ للإجتهاد فى مورد نص ·· فالمنهل سماوى صريح، وحق واضح، ولاعبرة للتدليل فى مقابل تصريح الإله جل علاه ؟! ··

والأصل الحق فى منظومة الخلق والبعث·· والتسخير، والجعل، والإنزال، والموت، والبعث، والحساب، والعقاب·· كله الحق والحقيقة، واقعاً وحياة، ونصاً وروحاً·· فالجواهر هذه كلها·· مجتمعة ومتفردة·· لاتزول بشك وتردد !!

- يا أحباب! الحياة، والعلم، والكون، والقرآن·· فعل، وحال، ووصف، وبيان·· تحتاج إلى القلب العقول، واللسان القئول·· تعلموا وعلموا العربية واتقنوها وجاهدوا فى كل علوم الجماد والحياة·· وبادروا قدر الطاقة·· فكل الجوهر فى كل هذه الأشياء متعلق بالآخرة قبل الدنيا·· منهجنا وشرعتنا القرآنية للدنيا والآخرة: عبادات، وتزاوج، ومعاملات، وعقوبات·· وفى إطار من المساواة والحرية والعدل والتكافل الإجتماعى فى شتى المستويات من الأسرة وحتى الأمة وصولاً إلى الناس كافة!!·· ويا أحباب ! حياتنا الدنيا الخاصة والعامة من مأكل وملبس ومسكن عيان بيان فى القرآن والسنة·· وحياتنا الآخرة برهان وبيان فى القرآن والسنة كذلك !!

- يا أحباب! وحدة الموضوع محققة بين الحياة والعلم والايمان فى الكون والقرآن والسنة·· زماناً، ومكاناً، وإنساناً، وإيماناً·· فى الحياتين الدنيا والآخرة !!·· فى حين أن الحضارة المادية الحديثة إهتمت بثلاث: الزمان، والمكان، والمادة·· وقذفت بالإنسان إلى غياهب الصراع المادى والطبقى والعرقى، لتحقق أقصى الربحيات فى أقصر الأزمان، وغيبوا الروحانيات من الإعتبار، فكان التحلل والفوضى والكساد والهرج والمرج وسفك الدماء !!

- وسألت سؤالاً بسؤال: هل لنا أن ننتقل لمدارسة المنظومة الأرضية وعلوم غزو الفضاء فى هذا الإطار ؟!·· وعلى هذا اتفقنا ونوينا بمشيئة الله وتوفيقه !!

الباب الثالث

المنظومة الأرضية فى القرآن

الفصل الأول:	الأرض والحياة فى القرآن.
الفصل الثانى:	البحار والحياة فى القرآن.
الفصل الثالث:	الكربون فى الكون والقرآن.
الفصل الرابع :	الجبال فى القرآن.
الفصل الخامس:	الغلاف الجوى.
الفصل السادس:	الرياح فى القرآن.
الفصل السابع:	السحاب فى القرآن.
الفصل الثامن:	الزلازل والبراكين فى القرآن.
الفصل التاسع:	علوم المنظومة الأرضية فى التراث الاسلامى.
الفصل العاشر:	الفساد فى الأرض.

الأرض فى القرآن

٠١ الحياة فى الأرض

ـ فى جلستنا العائلية الرابعة متواصلة الحلقات كان موضوع المدارسة حول: (منظومة الارض والحياة فى القرآن)٠٠ وبادرت قائلاً: قد يسألنا سائل لماذا كان تأخير المنظومة الأرضية المادية المحسوسة إلى ما بعد (المنظومة السماوية)؟؟ ٠٠ مهدت معللاً التقديم والتأخير لخوفى على الأحباب من فتنة التجزىء٠٠ فحال سبق العقل على الإيمان يسود الحياة جدل عقيم مدمر، خاصة لو ركزوا على أمر الدنيا، وجعلوها منتهى بصرهم، دون الحياة الآخرة الباقية الخالدة٠٠ وذكّرت

الإحباب! أننا أدركنا ذلك فى مدارساتنا مبكراً·· وأردت الإعادة للزيادة والإفادة·· مدللاً أننا قدمنا التوحيد والإيمان لتُنفذ دواماً ببصرنا وبصيرتنا إلى الحياة الآخرة منتهى الغايات للحياة الدنيا فقلت: يا أحباب! إرجعوا الأمر فى وصف الدنيا لأمير المؤمنين على بن أبى طالب·· حيث قال كرَّم الله وجهه: (إنما الدنيا منتهى بصر الأعمى لايبصر مما وراءها شيئاً، والبصير ينفذها بصره، ويعلم أن الدار وراءها، فالبصير منها شاخص، والأعمى إليها شاخص، والبصير منها متزود، والأعمى لها متزود)!!

فالمطلوب منا جميعاً أن نتجاوزها وننظرها والآخرة فى آن واحد·· فنحن من الدنيا شاخصون راحلون·· وإليها نشخص ونقبل بتوازن المؤمن!! ·· (فمن أبصر بها بصّرته، ومن أبصَرَ إليها أعمته)!!

- سألنى ولدى: وما مقياس الحد الفاصل بين النظرين ؟!

- أجبت: يا ولدى! من يبصر بالدنيا فيجعلها مرآة عبرة، تجلو لقلبه وعقله آثار الجد فى الأعمال والأفعال، ويتمثل له هياكل المجد الباقية كما رفعته أيدى الكاملين، وتتكشف له عواقب المترفين، فتصير له الدنيا عبراً·· يا ولدى! أما من أبصر إليها وإشتغل بها فإنه يعمى عن كل خير فيها، ويلهو عن الباقيات بالزائلات، وبئس ما اختار لنفسه!·

- والمقياس فى الحالتين الأخلاق·· فمن أخذ الأخلاق بكليتها الإيمانية والعقلية عاش بفطرة الخَلق والخليقة صدقاً وعملاً وعبادة ومعاملة وطاعة وإعماراً وتنمية فى كون الله لمصلحته ومصلحة كل الناس من البشر وكل حي وكل جماد·· وهذا جوهر الرسالة المحمدية ﴿إنما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق﴾·· وكان ﷺ كذلك·· ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ (القلم:٢٤) ·· ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ (يونس١٠:٥٨) ·· ﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون﴾ (التوبة٩:٥٩) ·· ﴿والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فُضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون﴾ (النحل١٦:٧١) ·· ﴿ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ (الإسراء١٧:٧٠)·

- والفضل الكبير يا أحباب! فضل العلم بكل شيء، وطلب العلم فى كل شيء ·· ويقول الله تعالى: ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالا الحمد لله الذى فضلنا على

كثير من عباده المؤمنين، وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين﴾ (النمل٢٧:١٥،١٦)

﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾ (فاطر٣٥:٣٢)

﴿لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ (الحديد٥٧:٢٩)

﴿وقل رب زدنى علماً﴾ (طه:١١٤)

﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ (الجمعة٦٢:٤)

ويقول رسولنا الكريم ﷺ: ﴿خيركم من علم العلم وعلمه﴾

- يا أحباب! ناظر القلب اللبيب العقول يدرك غايته ومنتهاه، ويدرك باطن أمره وظاهره، داعٍ دعا، وراعٍ رعى، فاستجيبوا للداعى، واتبعوا الراعى.. فالناظر بالقلب، العامل بالبصر، يكون مبتدأ عمله أن يعلم أعَمَلُهُ عليه أم له؟ فإذا كان له مضى فيه، وإن كان عليه وقف عنه، فإن العامل بغير علمٍ كالسائر على غير طريق، فلا يزيده بعده عن الطريق إلا بعداً من حاجته، والعامل بالعلم كالسائر على الطريق الواضح، فلينظر ناظر أسائر هو أم راجع!.. آن الأوان يا أحباب أن نأخذ الشرع الحياتى بكليته من المنهج الإلهى إيماناً وعلماً وعملاً وخلقاً!.

- سألت ابنتى: ماذا عن الأرض ؟ وماذا عن الحياة عليها ؟!

- أجبت يابنيتى! بعد قصة الخلق والرتق والفتق والإرادة السماوية بإستخلاف الإنسان فى الأرض.. وهذا ما سبق أن عرضنا له.. يقول العلىّ الكريم:

﴿والأرض فرشناها فنعم الماهدون﴾ (الذاريات٥١:٤٨)

﴿قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ (الأعراف٧:٢٥)

فالأرض كوكبنا المقابل للسماء، وجمعه أرضون ولا تجيء مجموعة فى القرآن، وإن كانت قد وردت متعددة في قوله تعالى في سورة الطلاق:

﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن﴾..

وفي قوله تعالى: ﴿فسواهن سبع سموات ومن الأرض مثلهن﴾

- ويعبر بالأرض عن أسفل الشيء، وكما يعبر بالسماء عن أعلاه، ويقال أرض أريضة، أى حسنة النبت، وتأرض النبت أى تمكن على الأرض فكَثُرْ، وتأرض الجدى أى تناول نبت الأرض.

- وفرشناها: أى جعلناها ممهدة مذللة حتى يستطيع الانسان العيش فيها..

منتفعاً بكل خيراتها ﴿هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً﴾.. وفى الأرض المعاش.. وفيها الممات.. ومنها البعث إن شاء الله ..

﴿فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ (الأعراف ٧:٢٥)

والأرض بيضاوية، زيتونة الشكل، معلقة فى الفضاء الكونى ١ ويغطى سطح الأرض ٧١٪ بحار ومحيطات، بسمك متوسط ٤ كيلو متر تقريباً، يحيط بها غلاف جوى يصل سمكه لقرابة الألف كيلو متر. وإن كان لايكاد يُحَس به فوق ارتفاع ٤٠ كيلو متر من سطح الأرض.

والحياة على الأرض يقصد بها الحياة على اليابس ٢٩٪ وفى البحار والمحيطات ٧١٪ وتحت سطحهما، وبتأثيرات هوائهما وشمسهما. وتنظم وتنتظم هذه الحياة الأرضية فى صور نباتية، وحيوانية، وبشرية. والحياة النباتية يندرج فيها حوالى ٤١ مليون نوع من أنواع الحياة النباتية، وأما الحياة الحيوانية فيندرج فيها نحو مليون فرع.

- ووهب الله الأرض فى ذاتها حياة كونية خاصة. فالأرض فى حركة دائمة دائبة، والمجرات، والنجوم، والكواكب؛ والشمس، والقمر، والضوء، والرياح، والمواد فى مختلف أشكالها الصلبة والسائلة والغازية فى حركة نسبية دائمة دائبة لاتتوقف فى كون الله الفسيح.

- وقد تتماثل يابسة الأرض وبحارها فى أن لكليهما مساحة صحراوية، أو شبه صحراوية، من حيث مقدار الحياة البيولوجية. فإذا كان تساقط الماء على اليابسة ٤٠ سم أو أقل من التساقط السنوى فإن النباتات تكون مبعثرة وخشنة. أما إذا كانت الأمطار غزيرة فتغزر النباتات. وقد يتحدد غياب الحياة البيولوجية ليس فقط بندرة الماء، ولكن أيضاً بندرة عنصر الفوسفور. والتصحر فى البحار والمحيطات مرده إلى ندرة الكربون، والنتروجين، والنترات - وهذا يعوق التكاثر. وهناك العديد من الميكروبات المائية، وأهمها الطحالب الخضراء المزرقة، والتى بها مجموعة من الانزيمات، قادرة على الاتحاد بالنتروجين المذاب فى الماء، والمأخوذ من الهواء، مع عناصر أخرى - لتكوين مركبات بيولوجية صالحة للاستخدام في حياتها. وإذا كان الفوسفور متوافرا فى الطبقات العليا من البحار، فإنه يبدو بعيد الاحتمال، وإن الأزوت المثبت، والطحالب الخضراء

١- متوسط قطرها ١٢,٧ مليون كيلو متر، ومتوسط محيطها ٤٠,٠٤٢ مليون كيلو متر، ومساحة سطحها ٥١٠ مليون كيلو متر مربع، وحجمها أكثر من مليون مليون كيلو متر مكعب، وكتلتها بما يعادل ٦٦٠٠ مليون مليون طن.

المزرقة، وغيرها من الكائنات - تعجز عن غزو هذه البيئة.

وفى الإجمال فإن مادة الحياة على يابس الأرض أكثر وزناً نوعيا؛ وتكثيفاً نسبياً عنها فى البحار؛ والمحيطات - فى الوقت الراهن - لأن البشر لم يتدخلوا لزراعة المياه المالحة، وإنما هى على وضعها الطبيعى الرباني.

ونعرض فيما يلي لأمر التهيئة الكونية للحياة فى الأرض براً، وبحراً. ونبدأ بحياة الأرض تسخيراً، وتدبيراً من المولى سبحانه لإحيائها بالنبات، والدواب، والطيور، وبشتى مظاهر الحياة - لخدمة بنى البشر. فمن الأرض كانت النشأة.. وهى المستقر.. والأرض تحيا وتموت.. وأرض الله واسعة.. وفى الأرض آيات للموقنين. وقد حظيت نشاطات الانسان فى الأرض بنصيب وافر من آيات القرآن الكريم بين زرع وحرث ورى وحصاد وتخزين واستقرار وهجرة ونقل وانتقال وإعمار وحضارات حول الأنهار وعند مصباتها فى البحار. ونعرض لكل هذا إن شاء الله من منظور قرآنى.

٢. النشأة من الأرض !

- سأل ولدى: وكيف كانت النشأة من الأرض ؟!

- أجبت: من تربة الأرض كانت النشأة يا ولدى!.. وكان الرتق فالفتق.. ثم إليها كان الهبوط.. هى المستقر.. خلق الله كل ماعليها لإسعاد البشر.. تعج بالآيات الكونية، وهى بحق واحة إيمانية، لمن أراد أن يتدبر أو أراد شكوراً.. والله سبحانه وتعالى أنشأنا من الأرض، واستعمرنا فيها، مصداقاً لقوله تعالى:

﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه إن ربى قريب مجيب﴾ (هود ١١:٦١).

وقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب﴾ (الحج٢٢:٥).

وقوله تعالى: ﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة إن الله على كل شىء قدير﴾ (العنكبوت٢٩:٢٠)

وقوله تعالى: ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض﴾ (النجم٥٣:٣٢)

وقوله تعالى: ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾ (نوح٧١:١٧)

- ويا أحباب! ليس هناك أبلغ من وصف أمير المؤمنين على ابن أبى طالب

لنشأة الأرض والسماء وآدم وتكاثر البشر وتنزيل الكتب والرسل ودورات الحياة.. حيث قال: (أنشأ الخلق إنشاءً، وابتدأه إبتداءً بلا روية أجالها١. ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا هَمَّامة نفس اضطرب فيها٢، احال الاشياء لأوقاتها٣. ولاءم بين مختلفاتها٤. وغرز غرائزها٥.، وألزمها أشباحها٦، عالماً بها قبل ابتدائها محيطاً بحدودها وانتهائها، عارفاً بقرائنها وأحنائها ٧. ثم أنشأ سبحانه فتق الاجواء ٨. وشق الأرجاء وسكائك الهواء ٩. فأجرى فيها ماء متلاطماً تياره١٠، متراكماً زخاره، حمله على متن الريح العاصفة، والزعزع القاصفة، فأمرها برده ١١، وسلطها على شده، وقرنها إلى حده، الهواء من تحتها فتيق ١٢، والماء من فوقها دفيق، ثم أنشأ سبحانه ريحاً اعتقم مهبّها ١٣. وأدام مربها، وأعصف مجراها، وأبعد منشاها، فأمرها بتصفيق الماء الزخار١٤.، وإثارة موج البحار، فمخضته مخض السقاء، وعصفت به عصفها بالفضاء، ترد أوله إلى اخره، وساجيه إلى مائره ١٥، حتى عب عبابه، ورمى بالزبد ركامه فرفعه فى هواء منفتق، وجو منفهق ١٦، فسوى منه سبع سموات جعل سفلاهن موجاً مكفوفاً١٧، وعلياهن سقفاً محفوظاً، وسمكاً مرفوعاً بدون عمد يدعمها، ولا دسار ينظمها، ثم زينها بزينة الكواكب، وضياء الثواقب١٨، وأجرى فيها سراجاً مستطيراً١٩.

١- الروية - الفكر، أجالها - أدارها ورددها.
٢- همامة النفس - اهتمامها بالأمر
٣- حوّلها من العدم إلى الوجود.
٤- كما قرن النفس الروحانية بالجسم المادى.
٥- الغرائز جمع غريزة وهى الطبيعة، وغرز الغرائز أى جعلها غرائز، والمعنى أودع فيها طبائعها
٦- أى ألزم غرائزها أشباحها.
٧- جمع حنو أى الجانب، عالم بكل الأمور ومتعلقاتها
٨- الأجواء جمع جو وهو الفضاء العالى
٩- جمع سكاكة وهو الهواء الملاقى العنان
١٠-التيار - الموج، والمتراكم ما يكون بعضه فوق بعض، والزخار - الشديد الزخر أى الإمتداد والإرتفاع والريح الشديدة العاصفة.. كأنها تزعزع كل ثابت وتقصف كل قائم
١١- أى منعه من الهبوط لأن الماء ثقيل وشأن الثقيل الهبوط، كأنه سبحانه أوثقه ومنعه من الحركة إلى أسفل، وجعل حده الأسفل مماسا لسطح الريح التى تحمله
١٢- الفتيق - المفتوق، والدفيق - المدفوق
١٣- أى جعل هبوبها عقيما لاتلقح سحاباً ولا شجر.. ومربها - ملازمتها
١٤- تصفيق الماء - تحريكه وتقليبه فى غير وعاء
١٥- الساجى - الساكن، والمائر - الذى يذهب ويجىء متحركاً حركة مطلقة
١٦- المنفهق أى المفتوح الواسع
١٧-المكفوف - الممنوع من السيلان، ويدعمها أى يسندها ويحفظها من السقوط
١٨- الثواقب - المنيرة المشرقة

وقمراً منيراً فى فلك دائر، وسقف سائر، ورقيم مائر ١، ثم فتق مابين السموات العلا، فملأهن أطواراً من ملائكته ٢: منهم سجود لايركعون، وركوع لاينتصبون، وصافون لايتزايلون ومسبحون لايسأمون، لايغشاهم نوم العين، ولا سهو العقول، ولا فترة الأبدان، ولا غفلة النسيان، ومنهم أمناء على وحيه، وألسنة إلى رسله، ومختلفون بقضائه وأمره، ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لأبواب جناته، ومنهم الثابتة فى الأرضين السفلى أقدامهم، والمارقة من السماء العليا أعناقهم، والخارجة من الأقطار أركانهم، والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم، ناكسة دونه أبصارهم ٣، ملتفعون تحته بأجنحتهم، مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة وأستار القدرة، لايتوهمون ربهم بالتصوير، ولا يجرون عليه صفات المصنوعين، ولا يحدونه بالأماكن، ولا يشيرون إليه بالنظائر،

ثم جمع سبحانه من حزن الأرض وسهلها، وعذبها وسَبْخِهَا ٤، تربة سنها بالماء حتى خلصت، ولاطَهَا بالبلة حتى لَزبت ٥، فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول ٦، وأعضاء وفصول، أجمدها حتى استمسكت، وأصلدها حتى صلصلت لوقت معدود، وأمد معلوم، ثم نفخ فيها من روحه فمثلت إنساناً ذا أذهان يجليها ٧، وفكر يتصرف بها، وجوارح يختدمها ٨، وأدوات يقلبها، ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل والأذواق والمشام والألوان والأجناس، معجوناً بطينة الألوان المختلفة ٩، والأشباه المؤتلفة، والأضداد المتعادية، والأخلاط المتباينة، من الحر والبرد، والبلة والجمود، واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم ١٠، وعهد وصيته

١٩ـ مستطيراً ـ منتشر الضياء وهو الشمس

١ـ الرقيم ـ إسم من أسماء الفلك، ومائر أى متحرك.. ويفسر الرقيم باللوح.. وشبه الفلك باللوح لأنه مسطح فيما يبدو للنظر

٢ـ جعل الملائكة أربعة أقسام: أرباب العبادة، الأمناء على وحى الله لأنبيائه، وحفظة العباد وسدنة الجنان، حملة العرش..(المارقة من السماء) المروق أى الخروج

٣ـ الضمير فى دونه للعرش

٤ـ الحزن أى الغليظ الخشن.. والسَبْخ أى ما ملح من الأرض

٥ـ سن الماء أى صبه أو ملسه.. وحتى خلصت أى صارت طينا خالصا.. ولاطها أى خلطها وعجنها.. والبلة من البلل.. ولزب بمعنى إلتصق وثبت واشتد

٦ـ الأحناء أى الاعوجاج.. وجبل أى خلق

٧ـ الأذهان هى قوى التعقل.. ويجليها أى يحركها فى المعقولات

٨ـ يختدمها أى يجعلها كالخدم.. والأدوات جمع أداة وهى الآلة.. وتقليبها أى تحريكها فى العمل بها فيما خلقت له

٩ـ معجونا ـ صفة إنسانا.. والألوان المختلفة هى مختلف ضروب فنون الحياة.. ومن تلك الألوان هى التى ذكره من البرد والبلة والجمود

١٠ـ استأدى الملائكة العهد بالسجود لآدم «إنى خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين»

إليهم، فى الإذعان بالسجود له والخشوع لتكرمته، فقال سبحانه اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس اعترته الحمية وغلبت عليه الشقوة١، وتعزز بخلقة النار واستهون خلق الصلصال، فأعطاه الله النظرة استحقاقاً للسخطة واستتماماً للبلية، وإنجازاً للعدة، فقال إنك لمن المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم..

ثم أسكن سبحانه آدم داراً أرغد فيها عيشته، وآمن فيها محلته، وحذره إبليس وعداوته، فاغتره عدوه نفاسة عليه بدار المقام ومرافقة الأبرار ٢، فباع اليقين بشكه والعزيمة بوهنه، واستبدل بالجذل وجلاً٣، وبالإغترار ندماً، ثم بسط الله سبحانه له فى توبته، ولقاء كلمة رحمته، ووعده المرد إلى جنته، وأهبطه إلى دار البلية ٤، وتناسل الذرية٥ واصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحى ميثاقهم ٦، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم لما بدّل أكثر خلقه عهد الله إليهم٧، فجهلوا حقه، واتخذوا الأنداد معه٨، واجتالتهم الشياطين عن معرفته ٩ واقتطعتهم عن عبادته.. فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه ١٠ ليستأدوهم ميثاق فطرته١١، ويذكروهم منسى نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ.. ويثيروا لهم دفائن العقول١٢.. ويروهم الآيات المقدّرة من سقف فوقهم مرفوع، ومهاد تحتهم موضوع، ومعاش تحييهم، وآجال تفنيهم، وأوصاب تهرمهم١٣، وأحداث تتابع عليهم.. ولم يخل سبحانه خلقه من نبي مُرسل، أو كتاب منزل، أو حجة لازمة، أو محجة قائمة١٤.

١ـ الشقوة ماحتم عليه من الشقاء من النصب الدائم والألم الملازم.. والنظرة بمعنى الإنتظار به حياً ما دام الإنسان عامراً للأرض متمتعاً بالوجود ـإنك من المنظرين.
٢ـ اغتر آدم عدوه الشيطان أى انتهز منه غرة فأغواه لحسده له على الخلود فى دار المقام ومرافقته الأبرار من الملائكة الأطهار.
٣ـ الجذل ـ التحريك
٤ـ أهبط به إلى دار خلط فيها الخير بالشر.. ووكل إلى نظره العقلى بالإختيار بين الطريقين.
٥ـ من خصائص دار البلية إمتحان الإنسان لقوته على التربية وإلزام من يعول بأوامر الله
٦ـ أخذ عليهم ميثاق التبليغ وأن لايشرعوا للناس
٧ـ عهد الله للناس هو ميثاق الفطرة.
٨ـ الأنداد أى الأمثال.
٩ـ إجتالتهم ـ صرفتهم عن قصدهم الفطرى.
١٠ـ أى أرسلهم تباعاً.
١١ـ أى أن رسالات الرسل هى والفطرة سواء بسواء.. ولا يعكر صفو البشر إلا وساوس الشيطان.
١٢ـ إعمال العقل لإكتشاف أسرار الكائنات وصولاً الى اليقين بخالقها والفنم بنعيم الدارين.
١٣ـ السقف المرفوع ـ السماء.. المهاد الموضوع ـ الأرض.. الأوصاب ـ المتاعب.
١٤ـ المحجة ـ الطريق القويمة الواضحة.

رسل لا تقصر بهم قلة عددهم، ولا كثرة المكذبين لهم، من سابق سُمىَ له من بعده، أو غابر عرّفه من قبله١، على ذلك نسلت القرون٢، ومضت الدهور، وسلفت الآباء، وخلقت الأبناء إلى أن بعث الله سبحانه محمداً رسول الله ﷺ وآله لإنجاز عدته ٣ وتمام نبوته، مأخوذاً على النبيين ميثاقه، مشهورة سماته٤، كريماً ميلاده، وأهل الارض يومئذ ملل متفرقة، وأهواء منتشرة، وطوائف متشتتة.. بين مشبه لله وبخلقه أو ملحد فى إسمه أو مشيراً إلى غيره٥. فهداهم من الضلالة، وأنقذهم بمكانه من الجهالة، ثم اختار سبحانه لمحمد ﷺ وعلى آله لقاءه.. ورضى له ما عنده وأكرمه عن دار الدنيا ورغب به عن مقارنة البلوى.. فقبضه إليه كريماً ﷺ وعلى آله.. وخلف فيكم ما خلفت الأنبياء فى أممها إذ لم يتركوهم هملاً، بغير طريق واضح، ولا علم قائم٦: كتاب ربكم فيكم مبيناً حلاله، وحرامه٧، وفرائضه، وفضائله، وناسخه، ومنسوخه، ورخصه، وعزائمه، وخاصه، وعامه، وعبره، وأمثاله، ومرسله، ومحدوده، ومحكمه، ومتشابهه.. مفسراً مجمله ومبيناً غوامضه، بين مأخوذ ميثاق فى علمه وموسع على العباد فى جهله، وبين مثبت فى الكتاب فرضه، ومعلوم فى السنة نسخه، وواجب فى السنة أخذه، ومرخص فى الكتاب تركه، وبين واجب بوقته، وزائل فى مستقبله، ومباين بين محارمه٨.. من كبير أوعد عليه نيرانه.. أو صغير أرصد له غفرانه.. وبين مقبول فى أدناه، موسع فى أقصاه٩!!)

- وزوَّدتُ الأحباب بفهرس لشرح الكلمات البلاغية فى خطاب على ابن أبى طالب كرم الله وجهه!

١- كثير من الأنبياء السابقين سميت لهم الأنبياء الذين يأتون من بعدهم فبشروا بهم كما التوراة.. والغابر - الذى يأتى بعد أن يشير به السابق جاء معروفاً بتعريف من قبله.

٢- نسلت أى ولدت ومضت متتابعة.

٣- عدته هنا لله تعالى حيث وعد بإرسال محمداً ﷺ

٤- سماته - علاماته.

٥- الملحد فى اسم الله - الذى يعتقد فى الله صفات يجب تنزيهه عنها.. والمشير إلى غيره - فهو الذى يشرك معه إلهاً آخراً فيعبده ويستعينه.

٦- أى أن الأنبياء لم يهملوا أممهم عما يرشدهم بعد موت أنبيائهم، فرسولنا الكريم ﷺ خلف لنا كتاب الله فيه كل ما نحتاجه فى الدارين.

٧- الحلال - كأكل الطيب، والحرام كأكل أموال الناس بالباطل.. والفرائض معروفة من صلاة وزكاة..

٨- كبير المحارم - القتل والزنا.. وصغير المحارم - كالنظر بشهوة ونحو ذلك!

٩- - كما فى حكم كفارة اليمين.. وحكم الطهارة

ـ مرة ثانية ذكرت٠٠ هذا إرشاد تجميعى كلى للقرآن والسنة ولحكمة الحياة بين النشأة والمنتهى٠٠ يقدمه أمير المؤمنين على بن أبى طالب٠٠ وما قدمه تعجز كل مؤسسات العصر من الوقوف على جوهر ماقدم من علم منظومى مترابط يا أحباب!

٠٣٠الإنتفاع بكل مافى الأرض !!

ـ سألت ابنتى: وكيف يستدل على التكليف بالإنتفاع بكل مافى الأرض ؟!

ـ أجبت: يابنيتى! خلق الله لنا مافى الأرض جميعاً٠٠ والخلق والتسخير والتدبير ما كان لهواً وعبثاً٠٠ وبالتالى فالانسان مكلف بارتفاق كل ما خلق الله على وجه الارض والانتفاع به٠٠ لذاته، وللبشر جميعهم، ولكل ماخلق الله من شىء٠٠ والرسول الكريم محمد ﷺ يوجهنا إلى فضل الزراعة!!

ـ عن أنس، رضى الله عنهما، أن النبى ﷺ قال:

﴿مامن مسلم يزرع زرعاً، أو يغرس غرساً، فيأكل منه طير، أو إنسان، أو بهيمة، إلا كانت له به صدقة﴾

مسند الإمام أحمد والترمذى٠٠ الحديث ٥٧٥٧ فى صحيح الجامع٠

وعن خالد بن السائب، رضى الله عنهما، أن النبى ﷺ قال:

﴿من زرع زرعاً، فأكل منه طير، أو عافية، كان له صدقة﴾

مسند الإمام أحمد٠٠ الحديث ٦٢٧٣ فى صحيح الجامع٠

وأكثر من هذا!! يثيرنا الرسول الكريم ﷺ عند قيام الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليزرعها٠٠ فالاسلام دين عمل وابتغاء٠٠ دين عقل لايقبل الخرافة٠٠ ودين قلب لايقبل الرذيلة!٠

ويقول الله تعالى: ﴿هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعاً﴾ (البقرة٢٩:٢)

ـ والله تعالى جعل الأرض مستقراً، فيها حياتنا ومماتنا٠٠ فهى والحال كذلك محل التكليف والنشاط البشرى فى الحياة الدنيا٠٠ وزادنا وزوادنا للحياة الآخرة٠٠ يقول تعالى: ﴿ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾ (البقرة٣٦:٢) و(الأعراف٢٤:٧)٠٠

وقوله تعالى: ﴿وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين﴾ (هود٦:١١)

وقوله تعالى: ﴿أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لايعلمون﴾ (النمل٦١:٢٧)

وقوله تعالى: ﴿الله الذى جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين﴾ (غافر٦٤:٤٠)

وقوله تعالى: ﴿الذى جعل لكم الأرض مهداً وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون﴾ (الزخرف١٠:٤٣)

وقوله تعالى: ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً﴾ (النبأ٦:٧٨).. وقوله تعالى: ﴿والله جعل لكم الأرض بساطاً﴾ (نوح١٩:٧١)

٤- مكلفون بإعمار الأرض.. ودراسة كل شئ ؟!

- ويا أحباب! لايفوتنا أن الخلق والجعل والتسخير والارسال والتنزيل - قرائن التكليف بالاستفادة بالسنن والتاريخ، والارتفاق من كل مافى الأرض وما عليها.. فى إطار المنهج الايمانى للقرآن.. ويقول الحق تبارك وتعالى:

﴿أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور﴾ (الحج٤٦:٢٢)

﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة إن الله على كل شىء قدير﴾ (العنكبوت٢٠:٢٩)

﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون﴾ (يوسف١٠٩:١٢)

﴿أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ (الروم٩:٣٠)

﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين﴾ (الروم٤٢:٣٠)

﴿أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شىء فى السموات ولا فى الأرض إنه كان عليماً قديراً﴾ (فاطر٤٤:٣٥)

﴿أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً فى الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق﴾ (غافر٢١:٤٠)

﴿أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً فى الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ (غافر٤٠:٨٢)
﴿أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها﴾ (محمد٤٧:١٠)
﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ (آل عمران٣:١٣٧)
﴿قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ (الأنعام٦:١١)
﴿قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾ (النمل١٦:٦٩)

كل ماسبق يا أحباب! يستنهضنا تكليفاً أن نُعمل القلب والدماغ والعين والأذن.. ندرس الأديان، والتوحيد، والفلك، والجغرافيا، والتاريخ، ..، وكل العلوم وكل الحرف والفنون بقلب ومخ منفتحين، وبجسد مبصر مرتحل سامع مستوعب لسابق التجارب البشرية.. ولعواقب الأمم السابقة ؟!.. واضعين الدارين منتهى أملنا، فى توازن بين الدار الدنيا العابرة والدار الآخرة الباقية الخالدة؟!..

- ويا أحباب! أرض الله واسعة متنوعة التربة متباينة الجو تعج بالنباتات، يقطنها شعوب مختلفة الألوان والأجناس والملل والنحل، وتتبدل الأرزاق فيها، حتى لايضيق صدر، ولا توسوس نفس.. ونحن مكلفون بأن نهاجر فيها، هجرة إلى الله ورسوله إيماناً وإحتساباً، إذا ضاقت بنا المعايش، أو حل بنا الخوف، أو أحاطنا الظلم والجور والقهر.. الأرض هى المسجد الطهور والمعاش والمغنم الربانى.. حيث قال جل شأنه:
﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ (النساء٤:٩٧)
وقوله تعالى: ﴿قل ياعبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ (الزمر ٣٩:١٠)
وقوله تعالى: ﴿ياعبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة فإياى فاعبدون﴾ (العنكبوت٢٩:٥٦)
- وعن ابن عباس، رضى الله عنهما، أن الرسول ﷺ قال:
﴿لاهجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية﴾

راجع الحديث رقم ٧٥٦٦ فى صحيح الجامع.

- وعن عمر ابن الخطاب، وعن أنس، وعن أبى سعيد، رضى الله عنهم، أن النبى ﷺ قال: ﴿إنما الاعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إمرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه﴾

الحديث رقم ٢٣١٩ فى صحيح الجامع.

٥. إحياء الأرض

- ويا أحباب! يبدأ الإنتفاع بالارض بإحيائها.. وعن إحياء الأرض بالماء يورد القرآن الكريم العديد من الآيات القرآنية.. فالارض فى غلافها العلوى تعج بالحياة فوق وتحت التربة.. والأرض مليئة بالنباتات، والحشرات، والدواب، والطير، ومأكولاتها.. غنية (الأرض) بالمعايش، والأرزاق لكل شىء حى. كل هذا قبل خلق الإنسان، وهبوط سيدنا آدم إلى الأرض.. والله يدعونا إلى التعقل والتبصر فى آياته المحسوسة أمامنا على كوكب الأرض.. في قوله تعالى:

﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض وإنّا على ذهاب به لقادرون﴾ (المؤمنون٢٣:١٨).

وقوله تعالى: ﴿فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شىء قدير﴾ (الروم٣٠:٥٠)

وقوله تعالى: ﴿ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ (الروم٣٠:٢٤)

وقوله تعالى: ﴿يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون﴾ (الروم٣٠:١٩)

وقوله تعالى: ﴿أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الارض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون﴾ (السجدة٣٢:٢٧)

وقوله تعالى: ﴿والله الذى أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور﴾ (فاطر٣٥:٩)

وقوله تعالى: ﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون﴾ (يس٣٦:٣٣)

وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض ثم

يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه﴾ (الزمر٣٩:٢١)

وقوله تعالى: ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذى أحياها لمحيى الموتى إنه على كل شىء قدير﴾ (فصلت٤١:٣٩)

- وعن عائشة، رضى الله عنهما، أن الرسول ﷺ قال: ﴿العباد عباد الله، والبلاد بلاد الله، فمن أحيا من موات الأرض شيئاً فهو له، وليس لعرق ظالم حق﴾

الحديث رقم ٤١١٨ فى صحيح الجامع.

- وإذا كان هذا شأن الماء.. أصل احياء الأرض.. وأصل قيام الحياة عليها.. فنحن مكلفون بارتفاقه برفق.. والانتفاع به بحساب.. ومعاملته معاملة البترول والذهب والدُرر الثمينة.. ؟!

- نحن يا أحباب! مكلفون بالإبتغاء العام فى الأرض يابسها وبحارها.. وتأملوا قول الله تعالى:

﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤوا ماتيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله فاقرؤوا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضاً حسناً وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾ (المزمل٧٣:٢٠)

- وفضل الله ضرباً فى الأرض متعلق بكل نشاطات الحياة.. وفى ذات المعنى يقول الله تعالى آمراً:

﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾ (الجمعة٦٢:١٠)

والابتغاء هنا كما لوكان صلاة ثانية فى مختلف نشاطات البر والبحر!!..

ويقول تعالى: ﴿الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (الجاثية٤٥:١٢)

ويقول تعالى: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (القصص٢٨:٢٣)

وقوله تعالى: ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وإبتغاؤكم من فضله إن فى ذلك لايات لقوم يسمعون﴾ (الروم٣٠:٢٣)

ويقول تعالى: ﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (الروم٣٠:٤٦)

٠٦ فى الأرض آيات ؟!

- وسأل ولدى: وكيف نستدل على أن إعمال الفكر والتجريب فريضة إسلامية فى نشاطات الحياة فى الأرض؟!

- أجبت: يا ولدى! يذكرنا الله تبارك وتعالى بآياته فى الأرض لعلنا نعمل العقل والفكر ونؤمن ونتق ونوقن بالحق وبالحقيقة٠٠ يقول تعالى:

﴿واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون﴾ (الجاثية٤٥:٥)

﴿وفى الأرض آيات للموقنين﴾ (الذاريات٥١:٢٠)

﴿اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾ (الحديد٥٧:١٧)

٠٧ خلق الزرع آية ؟!

- ويا ولدى! تتكون البيئة الصالحة لحياة النبات من٠٠ الأرض، والماء، والشمس، والقمر، والحرارة؛ والضوء، وغازات غلاف الجو٠٠ والنبات أساس الغذاء للدواب والإنسان والطير والحشرات فى هذا الكون٠٠ والمادة الخضراء، هى سر حياة النبات وسر حياة الطحالب فى البحار، وبالتالى فهى سر حياة مأكولات الدواب والإنسان٠٠ وكم يثيرنا القرآن الكريم الى اعمال العقل والفكر والبصر والبصيرة فى الممالك الحية على سطح الارض من نباتات وحيوانات وبشر، ونلخص ذلك٠٠ فيما يلى٠٠

عن نبات الأرض٠٠ يقول الله تعالى:

﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير﴾ (الحج٢٢:٦٣)

﴿الذى جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى﴾ (طه٢٠:٥٣)

﴿أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ (الشعراء٢٦:٧)

﴿وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ (لقمان٣١:١٠)

﴿أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون﴾ (السجدة٣٢:٢٧)

وقوله تعالى: ﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون، سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لايعلمون﴾ (يس ٣٦:٣٣،٣٦)

والآية ٣٦ من سورة يس تفيد أن الخلق مستمر، وفيه الجديد لما نعلم، وما لانعلم، حيث قال تعالى: ﴿ويخلق مالا تعلمون﴾ (النحل١٦:٨).

وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً إن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب﴾ (الزمر٣٩:٢١)

٠٨ خلق الحدائق آية !

- ويا أحباب! يثيرنا القرآن الكريم إلى آية خلق الحدائق للتعقل والتفكر والتدبر فى ملك الله، وكدلالة حسية على قدرته وعظمته.. وعن خلق الحدائق.. يقول الله تعالى:

﴿وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ (الرعد١٣:٤)

وقوله تعالى: ﴿ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (النحل١٦:١١)

وقوله تعالى: ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إن فى ذلك لآية لقوم يعقلون﴾ (النحل١٦:٦٧)

وقوله تعالى: ﴿أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً﴾ (الإسراء ١٧:٩١)

وقوله تعالى: ﴿فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون﴾ (المؤمنون٢٣:١٩)

وقوله تعالى: ﴿وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون﴾ (يس٣٦:٣٤)

- ويكفى القرآن فخراً هذا التشابك المنظوم بين نشاطات الحياة.. والايمان.. والعمل.. والعلم.. وإعمال العقل والفكر.. وبناء ثقافة وحضارة الانسان.

٠٩ إستخلاف الإنسان ؟!

- يكفى الإنسان يا أحباب! تفرده الخِلقى بالدماغ والقلب والعقل والفهم والتمييز، ومن هنا كان خلق آدم المتميز وتعليمه العلم اللدُنى وإستخلافه فى الأرض.. ورد استخلاف الله للانسان على ثلاث: خليفة مع خلق آدم، وخلائف، وخلفاء من بعد قوم نوح وعاد.

﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾ (البقرة٢:٣٠)

﴿فكذبوه فنجيناه ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ (يونس١٠:٧٣)

وقوله تعالى: ﴿هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض من بعدهم﴾ (فاطر٣٥:٣٩)

وقوله تعالى: ﴿ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون﴾ (يونس١٠:١٤)

وقوله تعالى: ﴿وهو الذى جعلكم خلائف فى الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فى ما أتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾ (الأنعام٦:١٦٥)

وقوله تعالى: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون﴾ (الأعراف٧:٦٩)

وقوله تعالى: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين﴾ (الأعراف٧:٧٤)

وقوله تعالى: ﴿أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ماتذكرون﴾ (النمل٢٧:٦٢)

- الإنسان فى حياته الأرضية يا أحباب! مكلف بإعمال العقل والفكر والعلم والتجريب والمشاهدة والرصد والتحليل فى شتى نشاطات الحياة.. فى إطار إيمانى وأخلاقى.. وهذا هو جوهر التقوى فى الإسلام.. ومن رزق تقى فقد رزق خير الدنيا والآخرة !!

- ويا أحباب! التقوى هى الإمتثال لأوامر الله، واجتناب نواهيه، وترك الشبهات، وهى بمعنى الإتقاء، أى إتخاذ الوقاية؛ أو جعل النفس فى وقاية مما تخاف·· ويقول تعالى:

﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾ (البقرة٢:١٧٧)

ويقول تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ (الأعراف٧:٩٦)

١٠· الإنسان والزراعة فى القرآن

- سأل ولدى: وما علاقة النشاطات الزراعية بآيات القرآن ؟!

- أجبت: يا ولدى! تدخل النشاطات الزراعية كأصل عام فى حياة الإنسان والنبات والحيوان وكل الكائنات الحية، رزق وأكل ومعاش·· وسبحان الزارع المطعم الرزاق ﴿أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾ (الواقعة٦٤)··

فهل من مفكر مبصر مدكر ؟!

- فنحن نحرث فعلاً؛ ونزرع مجازاً·· وكأن آيات الزراعة فى القرآن توجهنا الى التفكير فى كل مجالات الإستصلاح، والإستزراع، وزراعة المحاصيل والخضر والفاكهة؛ ونعتنى بالثروة الحيوانية والثروة السمكية، وكذلك جميع النشاطات المتعلقة بكل هذه المجالات·· أى ان هذه الآيات تعطى الاطار الشمولى للنشاطات والسياسات الزراعية ومدخلاتها وتمويلها ومخرجاتها وتسويقها وحسن استغلالها·· باعمال العقل·· ولنتأمل قوله تعالى:

﴿أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون﴾ (السجدة٣٢:٢٧)

﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض ثم يُخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً إن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب﴾ (الزمر٣٩:٢١)

﴿ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد﴾ (ق٥٠:٩)

وقوله تعالى: ﴿والذى أخرج المرعى﴾ (الأعلى٨٧:٤)

﴿وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لايحب المسرفين﴾ (الأنعام٦:١٤١)

﴿ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ (النحل١٦:١١)

وقوله تعالى: ﴿ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً﴾ (نوح٧١:١٢)

- يا أحباب ! التكليف بإعمال العقل هنا متمثل فى: ألم تر؟! .. أولم يروا؟! .. إن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب!! .. إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون!! .. أفلا يبصرون ..!؟

- ويا أحباب! الإنبات وإخراج الزرع والمرعى والبساتين.. وإنزال الماء وتدفق الأنهار.. وإحياء الموات.. وتتابع دورات النبات.. هى أمور فى جوهرها من أمر الله سبحانه وتعالى.. من أعمال وأفعال البشر مجازاً.. وفوق هذا فالله سبحانه وتعالى يمدد البشر بالمدخلات جوهراً: التقاوى والبذور من أصول برية، الماء من أصل سماوى كونى، ويمد بالأموال والبنين.. ويجعل سبحانه المزروعات والأنهار.. ويكلفنا شرعاً بأن نسعى مجازاً لتغطية كل هذه النشاطات ورصدها وتقنينها واحترافها وتطوير سبلها والارتقاء بها.. فى ذات الوقت يكلفنا بأداء حق الله تعالى من زكاة الزرع يوم حصاده.. ليؤدى النشاط وظيفة إجتماعية سامية.

- هنا يا أحباب! وفى هذه الجزئية البسيطة.. يتضح الربط المنظومى المحكم بين نشاطات الزراعة والتنمية الإقتصادية والإجتماعية والعمران الحياتى العام.. وهذا هو وجه الإعجاز القرآنى.

١١. الثروة الحيوانية

- وسأل ولدى الأكبر: وهل ورد بآيات القرآن الكريم تكليفاً بالعناية بالثروة الحيوانية؟!

- أجبت: نعم يا ولدى! فعن خلق الأنعام ولحومها وجلودها وأوبارها ولبنها·· وركوبها وتحميلها وزينتها·· ومقدرتها وقوتها سلماً وحرباً فى آيات القرآن الكريم·· يقول الله تعالى:

﴿الله الذى جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون﴾ (غافر٧٩:٤٠)

﴿والذى خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون﴾ (الزخرف١٢:٤٣)

﴿فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ (الشورى١١:٤٢)

﴿وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون﴾ (المؤمنون٢١:٢٣)

﴿وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين﴾ (النحل٦٦:١٦)

﴿ومن الأنعام حمولة وفرشاً كلوا مما رزقكم الله﴾ (الأنعام١٤٢:٦)

﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين﴾ (النحل٨٠:١٦)

﴿ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير﴾

﴿ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم بهيمة الأنعام إلا مايتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور﴾

﴿ولكل أمة جعلنا منسكاً ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الأنعام فإلاهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾ (الحج٢٢:٢٨،٣٠،٣٤)

﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون﴾ (النحل٨:٦١)

﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾ (آل عمران١٤:٣)

﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله يوف

إليكم و أنتم لاتظلمون﴾ (الأنفال٨:٦٠)

- يا أحباب! المسألة هى فى إعمال العقل و الفكر·· ويرد ذلك فى قوله تعالى:

﴿وإن لكم فى الأنعام لعبرة﴾·

﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾·

﴿وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين﴾·

- وهذا فى حد ذاته يحمل ضمنية التكليف بالعناية والإنتفاع والإرتفاق فى شتى مجالات الحياة: الإقتصادية من مأكل وملبس ومسكن، والإجتماعية من إطعام البائس والفقير والمسكين، والحربية من أخذها كأحد عناصر القوة، والدينية من ناحية الذبح وإلتزام الحلال والبعد عن الحرام·· وهذا المنظور المتكامل والتكليف النافع الشامل من لدن حكيم خبير··

١٢· الإنسان يُعِد الأرض للزراعة

- قال ولدى: هل لنا أن نركز على النشاطات المجازية للإنسان فى الأرض؟!

- قلت: الآن ياولدى! نعرض لأمر التهيئة البشرية للحياة فى الأرض من الورود القرآنى، والتجارب، والبحوث البشرية المعاصرة·· فالبشرية يشغلها الزرع، والحصاد، والحفظ، وصناعة الغذاء، وحفظه، وتداوله، والكساء، والسكن، والنقل والانتقال، والرعاية الصحية، وصناعة الدواء، والاجتماعيات، وحصر الموارد وتصنيعها، وتصنيع الخامات، وتعظيم قيمتها، وتبادلها بالتجارة، وإرضاء البشر بحدود الاشباع المعقولة، والعمل على إسعاد الأجيال القادمة بالتعليم، والتعلم، والتربية، وتهذيب الروح·· فنبدأ يا أحباب! بالاستصلاح، فالاستزراع، واقامة المجتمعات العمرانية··

١٣· استصلاح الأراضى فى القرآن

- يا أحباب! يتحدد منهج الاستصلاح بنوع الأرض، والماء، ورأس المال، والإنسان، والآلة وطرق الرى التى تستخدم عند الاستزراع· وفى غالب الاحوال والظروف إما أن يكون الرى غمراً، أو يكون بالرش، أو يكون بالتنقيط· والتربة

إما أن تكون رملية، أو ملحية، أو طميية، أو طميية جيرية، وفى العموم فإن الاستصلاح يبدأ أول مايبدأ بتوفير الماء من مصدره نهراً كان، أو مياهاً جوفية، أو مياهاً عذبة، من أصل مياه مالحة فى البحار والمحيطات.

وعلاقة الأرض بالمياه هى علاقة حياة أوموت، فبالماء تحيا الأرض الميتة أى الأرض التى لا حياة عليها.. من زرع، وحيوانات، وآدميين.. انظروا إلى قوله تعالى: ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذى أحياها لمحيى الموتى إنه على كل شىء قدير﴾ (فصلت٤١:٣٩) .. وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً إن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب﴾ (الزمر٣٩:٢١)

فإذا لم تكن هناك أنهار طبيعية، أومورد للمياه الجوفية. علينا بتوصيل المياه إما بشق الترع، أو باستخدام المواسير الناقلة، والموصلة للمياه، بحسب أن الحلين، أحدهما أوكلاهما، يعتبر من ينابيع الأرض. وقد تأخذ الترع، والقنوات، وكذا المواسير، والتفريعات - تدرجات فى التصاغر بحسب مساحة الأرض، وإن شئت سمها بقدر مساحة القطَع.

ويورد القرآن الكريم مبدأ تخطيطياً عظيماً فى التماثلية الهندسية لمصدر الري، سواء أكان من رَيّاح، أو ترعة، أو مسْقَة، أو قناة رى، وعلى أن يكون على جسر أى منهم طريقا.. ولنرجع إلى قوله تعالى: ﴿أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً﴾ (الإسراء١٧:٩١) ..﴿كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهراً﴾ (الكهف١٨:٣٣)

وجوهر المعنى هنا أن ينتصف مسار الرى أرض الزرع، أما عن تلك الحالة التى يصعب فيها مد الأنهار والقنوات من مياه النهر، أو من خلف السد فإن الامر يحتاج إلى حفر بئر.. وانظروا قول الله تعالى:

﴿وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون﴾ (يس٣٦:٣٤)

والامر هنا لايعدو كونه حفر بئر، أو دق مواسير مياه جوفية. وإذا كان البئر أو الماسورة بحجم المزرعة الصغيرة، واستخدم فيها الرى الصناعى، فيكون المسلك التخطيطى فى هذه الحالة هو اللجوء إلى رى الدائرة المتناقصة فى المساحة المنزرعة، وتكون العين مركزها، وتؤخذ مياه العين وتوزع بالتدرج، والتصاغر فى المزرعة من أكبر وأوسع إلى أصغر وأضيق، وصولا إلى أصغر قطعة منزرعة بالأصول الزراعية المعمول بها فى الرى الدورى للزراعات.

والأمر قد يأخذ صورة أسهل وأيسر فى الوديان، والتى من سماتها الانخفاض وقرب المياه الجوفية من السطح الحيوى للتربة الزراعية، ولا يعدو أمر الحصول على الماء إلا بخرق الطبقة الصخرية لقشرية الأرض فتتفجر المياه الجوفية فى شكل نافورة مندفعة من تحت الأرض وتوزع على الأرض المستصلحة.. ولنتأمل قوله تعالى:

﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ (الإسراء١٧:٩٠)

وبتدبير الماء يكون الزرع، ويكون الطعام والشراب، وتكون الحياة .. ولننظر إلى قوله تعالى:

﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً إن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب﴾ (الزمر٣٩:٢١)

١٤. الاستصلاح والاستزراع

- ويا أحباب! قد يأخذ استصلاح الأراضى مجرد تهجير، وتسكين الإنسان فى المناطق المطيرة.. ولننظر قول الله تعالى:

﴿كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير﴾ (البقرة٢:٢٦٥)

والربوة هى المكان العالى الذى يحصل على القدر الكافى من الشمس والهواء، والربوة ذاتية الصرف، والوابل المطر الغزير، والذى يفى بإحتياجات الزرع. والضعفين أى أربعة أمثال المحصول للمساحة المقارنة، أى أن المضاعفة المحصولية ٤٠٠٪ والطل هو النّدَي، الذى يكفى لحياة الزرع، ويعطى.. بفضل الله وبقدرته.. ذات نتيجة الرى بالوابل، وهى ضعفا المحصول أى أربعة أمثاله ٤٠٠٪؟! وبالطبع فليست كل الأرض روابى عالية ؟!..

وهنا يلزم التدخل الهندسى عند الاستصلاح والزراعة بعمل مصارف حقلية.. ويجب ضمان عدم كتْم المزرعة بالأسوار.. التى تحجب عنها الشمس والرياح ؟!

ويتلاحظ ضرورة مواءمة ذلك كله.. الصرف، والرياح، والشمس !!

- وعند القصور فى الأمطار يراعى تدبير قدر معقول من المياه، والتى قد ترزز لرى المزروعات بالرش فى مقابلة الوَابِل.. أو ترزز بدرجة عالية فى مقابلة الطَلّ.. ويسمى العلماء هذه المقابلة - بتماثلية مايفعله البشر مع ما وصف

القرآن الكريم منذ ١٤ قرن؛ وهذه التماثلية معمول بها ونماذجها فى كل العلوم التجريبية SIMULATION··

١٥· بدأ عصر الماء ؟!

- ويا أحباب! طريقة الرى بالترزيز لم تأخذ نصيبها من الانتشار حتى الآن؟! وحَرِىٌ بالمهتمين بالزراعة وبتحديثها الاهتمام بالرى بالترزيز، وبالتنقيط، وبالرش· بل ويجب معاملة الماء على أنه الذهب الأبيض الذى لابد وأن تدخل قيمته فى مدخلات الزراعة·· أياً ما كانت طريقة الرى المستخدمة فيها·· خاصة وأن عصر الامن المائى قد بدأ·· ويشغل بال الساسة أمن الأوطان·· الأمن الغذائى·· والامن الكسائى·· والأمن المائى·

- وليس بمستغرب الآن إهتمام القادة والساسة والأفراد والشعوب بإعداد آليات وتكنولوجيات خاصة لإعادة إستخدام الماء RECYCLING بمعنى إعادة إستخدام مياه المجارى فى الرى أو فى الشرب·· ويشغل بال الجميع تعذيب المياه DESALATION المالحة للشرب والرى·· وتأخذ الزراعات على مياه البحار إهتماماً فائقاً فى هذه الأيام ·· يضاف إلى ذلك أن البشرية تضع البرامج المثلى لإستخدام المياه الجوفية والتى تمثل نسبة عالية من المياه العذبة فى كوكب الأرض ٣٠٪ منها·

- ومن عقائدنا الإسلامية أننا إذا أبتلينا بأعمالنا السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات، وإغلاق خزائن الخيرات ليتوب تائب ويقلع مقلع، ويتذكر متذكر، ويزدجر مزدجر· فقد جعل الله سبحانه الاستغفار سبباً لإدرار الرزق ورحمة الخلق فقال:

﴿استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً﴾ (نوح١٠:١٢)

- فيكون ملاذنا فى صلاة الاستسقاء: وهى طلب سُقي الماء من السماء، ومعناه هنا طلبه من الله تعالى عند حصول الجدب وانقطاع المطر ؟!·· وتمامها بركعتين وخطبة·· الركعة الأولى بالفاتحة وسبح إسم ربك الأعلى، والركعة الثانية بالغاشية بعد الفاتحة·· والخطبة بعد أو قبل الصلاة·· وأساسها التوجه إلى القبلة؛ وقلب الرداء فنجعل الأيمن على الأيسر؛ والأيسر على الأيمن؛ ونكثر الدعاء والرجاء بنزول الغيث بفضل الله تعالى ·· فينزل الغيث !!

- وتوجهنا السنة النبوية المشرفة إلى ترشيد استهلاك الماء٠٠ حتى ولو فى الوضوء٠٠ فعن ابن عمر، رضى الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال:

﴿هكذا الوضوء، فمن زاد على هذا، فقد أساء، أو تعدى وظلم﴾

مسند الإمام أحمد، وابن ماجة٠٠ الحديث ٦٩٨٩ فى صحيح الجامع٠

- وعن السيدة عائشة رضى الله عنها أن الرسول ﷺ قال:

﴿عشرة من الفطرة: قص الشارب، اعفاء اللحية، السواك، استنشاق الماء، قص الأظافر، غسل البراجم، نتف الإبط، حلق العانة، وانتقاص الماء﴾

مسند الإمام أحمد، وصحيح الإمام مسلم٠٠ الحديث ٤٠٠٩ فى صحيح الجامع٠

- وعلى وجه التعميم فالأرض، والزرع يكونان طبقة حية من سطح الأرض٠ ويلزم هذه الطبقة على الدوام التهوية، والجفاف٠ والأمر يقضى الاهتمام بالرى والصرف الحقلي٠٠ ولا يستثنى من هذه القاعدة إلا الأرض الرملية٠٠ فهى فى غالبية الأحوال ذاتية الصرف٠

١٦٠ تمهيد الأرض ومد الطرق

- ومن المسلم به أنه أياً كانت نوعية الأرض، ونوعية الرى فيتحتم تسوية سطح الأرض لترشيد استخدام مياه الرى من ناحية، ووصولا الى تماثلية نصيب كل نبات فى كل رية حال الرى بالغمر، ولتحسين الخواص الطبيعية للتربة من جهة ثالثة٠٠ وتقسم الأرض المستوية إلى مصاطب، أو قطع وتقسيمات صغيرة مسطحة، مستوية، تسهيلا لإزالة الملوحة٠٠ ولضمان الرى المنتظم للحقل، وللزراعة المتجانسة فى المعاملات الفنية الزراعية من زرع ووقاية وحصاد وخاصة فى الأراضى المستصلحة٠٠ وتعطى الاشارات القرآنية مكاناً بارزاً للبنية الأساسية فى الأراضى الزراعية٠٠ ولنتأمل قول الله تعالى:

﴿الذى جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى﴾ (طه٢٠:٥٣)

وقوله تعالى: ﴿الذى جعل لكم الأرض مهداً وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون﴾ (الزخرف٤٣:١٠)

وقوله تعالى: ﴿وجعلنا فيها فجاجاً سبلاً﴾ (الأنبياء٢١:٣١)

وقوله تعالى: ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً﴾ (النبأ٧٨:٦)

وقوله تعالى: ﴿والله جعل لكم الأرض بساطاً﴾ (نوح٧١:١٧)

١٧ـ التهجير والهجرة فى القرآن

ـ ويا أحباب! قد تلجأ الدول والشعوب إلى استصلاح الاراضى والتوسع فى الزراعة بقصد مواجهة الحاجيات الضرورية للشعوب من مأكل وغير ذلك. ففى الحالات التى ترتبط حياة الشعوب فيها بمجارى الأنهار وعلى ضفافها، ويتزايد التعداد بفعل الزمن ليصل إلى كثافة قد تفسد شتى مناحى الحياة، حيث يصبح من اللا معقول أن يعيش شعب بكامله على رقعة بسيطة لمجرد العادات، والتَّعَوُد، وعدم الرغبة فى إرتياد الجديد أو المجهول ؟!

من هنا فالمسألة تصبح مسألة حياة أو موت لشعب، ولابديل أمامه إلا الخروج إلى الأرض الجديدة، إعماراً، وزرعاً، ومعيشة.. فيكون التهجير هنا موجهاً من الدولة. وقد يأتى التهجير فى هذه الحالة من المستويات الإجتماعية الدنيا. فى حين أن مثل هذه الحياة، ذات الأنماط الجديدة تحتاج إلى دراسة، وثقافات، وعلوم حديثة..

ولما كان الأمر يقضي بنقل وتهجير خيرة شباب الامة إلى هذه المناطق وكان من المسلم به في هذه البيئة قلة الخدمات وعسر الإنتقالات وقدرة البشر، فالأمر يحتاج إلى الايمان والصبر والعزيمة وكل هذا من خصائص الشباب المكافح.. فما رزق العبد خيرًا، ولا أوسع من الصبر ؟!..

١٨ـ الهجرة أجدى وأنفع ؟!

ـ ومما لاشك فيه يا أحباب! أن الانفع والأجدى هو التشجيع على الهجرة الذاتية الى الأرض الجديدة بدافع السعى وراء العيش والرزق.. لأن ذلك باعثه الثقة بالله خالق الأكوان.. منبت النباتات.. واهب الحياة.. مجيب المضطر.. الهادى الرزاق.. ومن رزق تقى فقد رزق خير الدنيا والآخرة.. ويأتى هذا الربط البديع فى قول الله تعالى:

﴿قل ياعباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ (الزمر٣٩:١٠)

وقوله تعالى: ﴿ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغماً كثيراً وسعة﴾ (النساء٤:١٠٠)

وقوله تعالى: ﴿أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ماكان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون، أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لايعلمون * أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون * أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون * أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ (النمل٢٧:٦٠-٦٤)

٠١٩ الرزق التّدنى

- ويا أحباب! قد تواجه الحداثة فى المجتمعات الزراعية الجديدة نقد الحاجرين على الفكر، بأقوال فتانة للآذان الصاغية، ويرددون حينئذ أن هذه الأرض تحتاج إلى صبر أيوب، وعمر نوح، ومّال قارون؟! ونواجه هذا الموقف بالتوعية الإيمانية لشباب الأمة.

والرزق فى أى بقعة من أرض الله مضمون ضماناً لدنياً من عند الله تعالى.. والله تعالى ضمن الأقوات، والأرزاق.. وأنظر إلى قول الله تعالى فى شأن أهل مكة فى العصر الإسلامى الأول:

﴿أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شىء رزقاً من لدنّا ولكن أكثرهم لايعلمون﴾ (القصص٢٨:٥٧)

﴿هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ (الملك٦٧:١٥)

وقوله تعالى: ﴿الله الذى جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين﴾ (غافر٤٠:٦٤)

وقوله تعالى: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾ (يونس١٠:٣١)

- وعن عائشة رضى الله عنها أن الرسول ﷺ قال:

﴿إلتمسوا الرزق فى خبايا الأرض﴾

- وعن أبى الدرداء أن النبى ﷺ قال:

﴿إن الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله﴾
الحديث ١٦٣٠ فى صحيح الجامع.
- وعن عمر، رضى الله عنهما، أن النبى ﷺ قال:
﴿لو أنكم توكلون على الله تعالى حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً، وتروح بطاناً﴾
الحديث رقم ٥٢٥٤ فى صحيح الجامع.

٢٠. بدء الإستزراع

- وسأل ولدى: وكيف يبدأ استزراع الأرض ؟!
- قلت: يا ولدى! إن أول مايلزم لاستزراع الأرض هو تهيئة الطبقة الحيوية التى توضع فيها شتلات، أو تقاوى النباتات، وذلك بأن تكون ملائمة، من حيث الخصوبة، والتهوية، ودرجة الرطوبة. يضاف إلى ذلك ضرورة المواءمة بين التربة، ومياه الري، ونوع المحصول، أو النبات الذى يزرع فى الأرض.

وبداية إذا كانت الأرض ملحية فيلزم غسلها، وبنفاذ كمية من المياه من خلال تربتها رأسيا، ويقدرها العالمون العاملون بالإستزراع، بقيمة عامود مياه قدره ٤٠ متراً، تنفذ خلال الطبقة الحيوية، التى سيتم استزراعها. وهذه الطبقة تقدر بحوالى ٣٠:٨٠ سم. وذلك من خلال مصارف للحوّش، والقِطَع الصغيرة تجمع فى مصارف زراعات، فمصارف عموم.. ؟!

ولقد نجحت تجارب فى أوزبكستان فى الغسل التتابعى للأرض المستصلحة، وبمياه ملحية، وللإرتفاع المذكور٤٠ متراً وذلك برى الأرض، وصرفها ذاتياً، من خلال مصارف، تشق على أبعاد تصل إلى ٢٠ قصبة.. القصبة ٣,٥٥ متراً.. بين كل مصرف، ولعمق ١٥٠ سم، بواقع ١٦٠ رية، وتغمر الأرض المراد استزراعها بواقع ٢٥ سم للرية الواحدة. وقد تأخذ هذه الطريقة حوالى ٣:٤ سنوات.

يراجع كتاب إستصلاح الأراضى - دكتور عبد المنعم بلبع.

وفى غالب الأحيان تستغل مثل هذه الأراضى كمزارع سمكية لإستغلالها الإستغلال الإقتصادي، فى المراحل الإبتدائية من غسل الأرض، وتهيئة سطحها الحيوى لإستقبال الزروع..

وهناك العديد من التجارب لا ستصلاح الأرض بالطرق البيونباتية (الحيوية النباتية)، وذلك بزراعتها فى فترة الغسيل، بنباتات لها القدرة على تحمل الملوحة

العالية، منها النسيلة، والأمشوط، والغاب المائى، ونبات لسان العصفور··
- تراجع بحوث وأعمال الدكتور محمد عبد الرحمن غالى··

وتستغل هذه النباتات كمراعٍ للماشية، وفى ذات الوقت فإن روث الماشية يوجه كسماد عضوي، لتربية الطبقة الحيوية من الأرض المستصلحة، فى وضع مغلق بين الأرض والنبات والماشية والسماد العضوي·· ويبحث ذلك بتوسع مفيد فى بحوث إستصلاح الأراضى بالطرق النباتية - د· محمد غالى وآخرين·

·· الأرض ← المرعى ← الماشية ← السماد العضوى ← الأرض ← ··

وفى المرحلة الثانية للإستصلاح·· وبعد أن تبدأ الأرض فى التحسن بتقليل نسبة الملوحة، وبتتابع زراعتها مراعي، وأعلافاً، برسيماً، وشعيراً، وذرة سكرية، ودنيبه (حشيشة الأرز)، ولمدة عامين، أو ثلاث، بحسب الأحوال، تصبح الأرض صالحة تماماً لتقبل كافة المزروعات··

ولنتأمل هذا السبق الإعجازى القرآنى العظيم فى قوله تعالى:

﴿أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون﴾ (السجدة٣٢:٢٧) ؟!

وتقديم الأنعام فى هذا النص القرآنى ؟! - يفيد واقعاً علمياً حياتياً ؟! - فالأرض الجرز تبدأ بدايتها الصحيحة بالمرعى، ثم بالحاصلات، بعد تمام استزراعها ؟! سبحان الله العظيم !!

أما استزراع الأرض الرملية فهو يبدأ أيضاً بضرورة تهيئة السطح العلوى للطبقة الحيوية بإمداد الأرض بالسماد البلدي، حيث البكتريا، التى من شأنها المساعدة على خلق جو إنبات طبيعى للتربة·

ويقوم السماد البلدى أيضاً بالتحكم فى نفاذية التربة، والاحتفاظ النسبى بمياه الري· وعن فضل السماد البلدى فى الزراعة، يقول أهل مصر: (الغبيط فلاحة النشيط!)· ولما كانت نباتات بدء الزراعة فى هذه التربة ذات طبيعة متقزمة، نظراً للفقر العضوى فى هذه التربة، وفى أرضها بداية الاستزراع، فإن أحسن ظروف تنموية لهذه الأرض الرملية، بداية الزراعة والاستزراع، هو استغلالها كمراع للحيونات الصغيرة، من ماعز، وأغنام، وأرانب·· إعمالا للآية الكريمة:

﴿فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون﴾ (السجدة٣٢:٢٧)

٢١. الاستزراع فى القرآن

- ويا أحبابا من الحكم الكونية كما سبق أن أشرنا ملاءمة الأرض الجديدة لإقامة المراعي، حيث الماشية والطيور. ومن مختلف الأصناف أبقار، وجاموس، وماعز، أغنام، أرانب، وبط، وأوز.. وكذلك المراعى السمكية. فالأسماك تربى فى المياه المالحة، أو العذبة. وبهذه البداية تتكامل معيشة الإنسان، بتواجد الأنعام، ولحومها، وجلودها، وأصوافها، وأوبارها، وألبانها، ودهونها، مع الحبوب، ودقيقها، تقوم الحياة.. وكذلك تكون البدايات الأولى للحياة فى الأرض الجديدة.. بالأبيضين الدقيق واللبن ؟! سبحان الله العظيم!!

- ويقول جل شأنه: ﴿أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون﴾ (السجدة٣٢:٢٧)

وقوله تعالى: ﴿وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون﴾ (المؤمنون٢٣:٢١)

- ومن الحكم الكونية البالغة أن الأراضى الجديدة ذات الملحية المرتفعة نسبيا، قليلة الموارد المائية، يجود فيها زراعة النباتات القرآنية من نخيل، وتين، وزيتون، ورمان، وشعير، وقمح، وبصل، وثوم، وقرعيات (خيار، قرع، قثاء، شمام، بطيخ).. وتزداد سكرية هذه المحصولات (النخل، التين، الرمان، القرع، القثاء، الشمام، البطيخ) كلما قلّ رَيها، أو رُشدَت مياه الري المستخدمة فيها؟!

وقوله تعالى: ﴿وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون﴾ (المؤمنون٢٣:٢١)

- وبتكرار زراعة الأرض تخصب تربتها، وتتماسك قشرتها العلوية، وتحافظ على رطوبتها.. سبحان الله العظيم.

﴿فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون﴾ (المؤمنون٢٣:١٩)

وإن الإنشاء يدل دلالة قاطعة على بدايات.. من عدم.. وفى ذات المعنى يأتى التأكيد فى قوله تعالى: ﴿وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه كلوا من ثمرة إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لايحب المسرفين﴾ (الأنعام٦:١٤١)

٢٢. الزراعة فى القرآن

- ويا أحباب! زراعة، أو فلاحة، أو فَلاح الأرض هو أحد النشاطات الهامة التى نشأت مع النشأة الأولى لأجيال بنى البشر على الأرض. ويزداد هذا النشاط أهمية يوماً بعد يوم مع الزيادة المضطردة فى التعداد البشرى. ومع زيادة السكان فالأمر يقتضى التوسع فى الأراضى الصالحة للزراعة من جهة، وتحسين أنواع التربة الزراعية المنتجة حالياً؛ وتحسين أنواع التقاوى والشتلات - من جهة أخرى.

- ومع التسليم بأن الحبوب، والخضروات، والفواكه التى نأكلها ونعرفها ماهى إلا نباتات من أصول نباتية كونية برية تم تحسينها.. فالقمح والشعير والذّرة والأرز.. وغيرها.. كانت مجرد بذور حشائش برية. ولقد تعلم البشر كيف يحسنون، ويهجنون النباتات البرية.

- ومؤدى ماتقدم أن الحياة النباتية كلها هى من خلق الله، وما توقف الخلق لحظة .. وانظر إلى قوله تعالى:

﴿وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو ويعلم مافى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين﴾ (الأنعام٦-٥٩)

- فالبذور النباتية.. كونية ربانية فى الاجمال من حيث الخَلق، أما من حيث الوضعية المكانية فإما أنها:

١. فى يابس الأرض.

٢. فى رطب الأرض أو البحر.

٣. فى ظلمات الأرض.. أى فى الكون المظلم الذى يحيط بالغلاف الجوى.. والأخيرة بذور هابطة من الفضاء الكونى المحيط بالأرض.. ويسميها العلماء البذور الكونية!.

وتأمل قول الله تعالى: ﴿والذى أخرج المرعى﴾ (الأعلى ٨٧:٤)

وقوله تعالى: ﴿أخرج منها ماءها ومرعاها﴾ (النازعات ٧٩:٣١)

وقوله تعالى: ﴿ليخرج به حباً ونباتا﴾ (النبأ ٧٨:١٥)

وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً إن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب﴾ (الزمر٣٩:٢١)

وقوله تعالى: ﴿إليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائى قالوا آذناك ما منا من شهيد﴾ (فصلت ٤١:٤٧)

وقوله تعالى: ﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حَباً فمنه يأكلون﴾ (يس٣٦:٣٣)

وقوله تعالى: ﴿يعلم ما يَلِجُ فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور﴾ (سبأ٣٤:٢)

وقوله تعالى: ﴿أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجُرزِ فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون﴾ (السجدة٣٢:٢٧)

وقوله تعالى: ﴿فأخرجناهم من جنات وعيون﴾ (الشعراء٢٦:٥٧)

وقوله تعالى: ﴿وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصِبغٍ للآكلين﴾ (المؤمنون٢٣:٢٠)

- وتشير جملة الآيات السابقة يا أحباب! إلى كونية التقاوى والبذور، وقدرة الله سبحانه وتعالى على إخراج الزرع والنبت، من مراع ونباتات وحبوب وأشجار وجنات.

- وقد ثبت علمياً أن هناك العديد والكثير من البذور الكونية، المُغَلّفَة بطبقة كربونية من الفضاء الكونى، تسقط على الأرض سنوياً..

يراجع فى ذلك كتاب البذور الكونية، ترجمة ا.د. أحمد مستجير الهيئة المصرية العامة للكتاب.

وللبذور الكونية القدرة على الإنبات والنماء.

- وللقرآن سبق الإعجاز بالإشارة إلى ذلك فى الآية ٥٩ من سورة الأنعام، وكما سبق أن أوردنا.. حيث يقول الله تعالى:

﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين﴾ ..

سبحان الله العظيم.

- يضاف إلى كل ماتقدم أن التلقيح والتهجين يتأتيان بأمر من الله سبحانه وتعالى، بفعل الرياح اللواقح التى يُرسِلُها ويُسَخِّرُها جل شأنه، لهذه المُهمة.

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ (الحجر ١٥:٢٢)

- ولنسأل أنفسنا سؤالا بسيطاً: الأرض أرض .. والسماء سماء .. ويتنزل منها الماء فكيف تأتى الخضرة ؟؟.. لولا أن هناك من التقاوى، والبذور التى

حملتها الرياح، من أصول نباتية أرضية، أوالتى نزل بعضها من أكوان الله، وبأمر الله جلت عزته، والله يدعونا إلى التعقل والتفكر والتأمل فى الأمر •• حيث يقول تعالى:

﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير﴾ (الحج٦٣:٣٢)

وقوله تعالى: ﴿أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ (الشعراء ٧:٢٦)

﴿فتصبح الأرض مخضرة﴾ •• هذا الأمر يمكن حمله على الماء والبذور الكونية فى آن واحد؟!

- ويا أحباب ! الأمر لايقتصر على الزرع، بل يشمل أيضاً الأنعام•• وأنظر قول الله تعالى: ﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون﴾ (يس٧١:٣٦)

وقوله تعالى: ﴿فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه ليس كمثله شىء وهو السميع البصير﴾ (الشورى١١:٤٢)

- ويُورِد الإمام الزمخشرى فى كتابه "أساس البلاغة" أبلغ الوصف للزراعة فيقول: "العبد يحرث والله يزرع: يُنبتُ ويُنَمّى" •• مستنداً فى ذلك إلى قول الله تعالى: ﴿أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾

وهى دعوة أخرى إلى التّعقل والتّفكر والتّدبر؟! ••

٢٣• حـرث الأرض فى القرآن

- وسأل ولدى! وماذا عن حرث وعزق الأرض فى القرآن ؟!

- أجبت: يا ولدى! فلاحة الأرض تبدأ بإعداده‍ا للزراعة بالحرث، والتقليب، ثم بالزراعة، إما بالحَب (التقاوي)، أو بالعُقَل؛ أو بالشتلات، وتتابع عمليات العزيق، والرى، ومقاومة الآفات، وتنقية الحشائش والنباتات الغريبة، ثم يجىء الحصاد، يتلوه التخزين، والنقل، والتداول، وهذه الأمور فى جملتها يتعرض لها القرآن الكريم•• وبعمومية مختصرة شاملة جامعة مُعبرة!!

فعن الحرث يا ولدى! فقد ورد النص القرآنى، بما يعنى إثارة الأرض، وتقليبها، وهذا أبلغ بكثير، مما درجنا عليه بمفهوم ضيق لاعداد الارض للزراعة•• يقول

تعالى:

﴿قال إنه يقول إنها بقرة لاذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث﴾ (البقرة٢:٧١)

ويقول تعالى: ﴿أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ (الروم٣٠:٩)

ويفسر العلم الحديث عملية الحرث على أنها تكسير للشعيرات الأرضية الناتجة عن الماء وحبيبات الأرض. وهذه الشعيرات تكون دقيقة كلما كانت حبيباتها صغيرة، وحين يكون قطر الشعيرة صغيراً، أو متناهياً فى الصغر، ذلك يؤدى إلى دوام بلل التربة بإرتفاع فى منسوب الماء الأرضى، بما يؤدى إلى عفن الجذور، وتقزم النباتات وشللها، وموتها. وتقليب سطح التربة يؤدى إلى جفافها، وتهويتها، وإلى النزول بمنسوب المياه الأرضية إلى الحدود المسموح بها فنياً. بذلك نضمن عدم تعفن الجذور، وبالتالى نضمن التغذية والإنبات والنمو الطبيعى والصحيح للنبات.

ـ وإثارة الأرض يا أحباب! تحمل المعنيين فى آن واحد ـالحرث والعزق. والحكمة من ذلك بجانب خفض مياه التربة، وتهويتها -تعرض الأرض للشمس، فتتطهر بذلك التربة من ناحية، ومن ناحية أخرى، تتركز فى عناصرها بعض الغازات الموجودة فى الغلاف الجوى. كما تعمل الشمس على بسترة التربة عند تعرضها لضوء ولحرارة الشمس. والأرض التى لاتوالى بالحرث والعزيق، أى بالإثارة، تنبت نباتات متقزمة فى خواصها، كالنباتات البرية.. سبحان الله العظيم ..

ـ وتَجَلت قدرة رَبُنَا، ووسع علمه بالإشارة القرآنية حيث أورد إثارة الأرض مقرونة بقوة الأمم وعمار الأرض.. دلالة على أهمية عمليتين من العمليات الزراعية.. الحرث والعزق؟!

٢٤. الرى فى القرآن

ـ وسألت ابنتى: وماذا عن الرى فى القرآن ؟!

ـ أجبت: يابنيتى! جاءت الإشارة إلى وسائل الرى فى القرآن.. فى الآية ٧١ من سورة البقرة.. عن سُقى الحرث. فسقاية الزرع بالأبقار تعنى رفع مياه الأنهار والآبار بالوسائل والوسائط غير الآدمية، أى أنه يحتاج إلى طاقة أكبر من عمل الانسان يدوياً. ويأتى الزمان وتطور السواقى ليحل محلها طلمبات ديزل، وطلمبات

كهربائية للرى··

ويرجع فى ذلك إلى كهربة وميكنة الرى -بحوث منشورة مجلة البحوث الهندسية كلية الهندسة جامعة المنوفية- وتنتشر وسائل الرى بالرش (وهو الشبيه بالوابل) والتنقيط (وهو الشبيه بالوابل المتقطع)، ويأتى يوم قريب وغير بعيد لينتشر الرى بالترزيز·· بإذن الله تعالى·· وصولا إلى ما أورده القرآن فى الاشارة إلى الطـَلِ·· والطـَلُ هو الماء المرزز· وتأملوا فى قوله تعالى:

﴿كمثل جنة بربوة أصابها وابـل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطـل والله بما تعملون بصير﴾ (البقرة٢:٢٦٥)

- وورد لفظ (الطـل) بالحديث النبوى الذي رواه الحاكم، فعن أبى حازم أن رسول الله ﷺ قال:

﴿تحول إلى الطـَلِ فإنه مبارك﴾ ··

انظر الحديث رقم ٢٩٢٥ فى صحيح الجامع·

- بمعنى أن القرآن والسنة يوجهان صراحة إلى ترشيد الماء فى الزراعة·· ويشيران إلى التكثيف الإنتاجى الرأسى من الزراعة حال الاخذ بالأنماط الجديدة للرى ·· سواء بالرش ﴿وابل﴾·· أو التنقيط (الوابل المتقطع الجذرى)·· أو الترزيز ﴿طـلٌ﴾!! ·· وصولا الى أربعة أمثال المحصول ﴿ضعفين﴾ أى ٤٠٠٪ ؟! ·· ونحن نهدر الماء·· وننصرف عن الأرض والصحراء بصفة خاصة·· ونتحدث عن أزمة غذاء·· وتُربكنا أزمة بطالة ؟! ·· إنها أزمة تجزىء أوطان ومشاكل·· أزمة غُربة وتغريب ليس إلاّ ؟!·· نعم ليس إلاّ تغريب وغربة ؟!

٢٥· الحصاد فى القرآن

- وسأل ولدى: وماذا عن الحصاد وزكاة الزرع وموعدها ؟!

- أجبت: يا ولدى! عن الحصاد وزكاة الزرع ومناط تكليف ادائها فى وقتها وحين الحصاد·· يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لايحب المسرفين﴾ (الأنعام٦:١٤١)

- وهنا يا أحباب ! يتلاحظ وحدة الزمان والمكان والعمل الصالح ·· بأداء حق

الله يوم الحصاد، منعاً لوسوسة الشيطان، وأداءً لوظيفة اجتماعية تؤاخى بين المسلمين خاصة والبشر عامة.

٢٦. التخزين فى القرآن

- وتسأل ابنتي: وهل وردت في القرآن إشارة إلى التخزين ؟!

- أجبت: بالطبع يابنيتى ! وتأملى قول الله تعالى: ﴿تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه فى سنبله إلا قليلا مما تأكلون﴾ (يوسف١٢: ٤٧)

- والقرآن هنا يشير الى حفظ الحبوب فى غلافها.. وقد ثبت ومنذ عهد سيدنا يوسف عليه السلام، وحتى الآن جدوى طريقة سيدنا يوسف فى التخزين ؟! .. وتأتى أبحاث الفضاء وتعمل بذات الطريقة القرآنية لحفظ الحبوب، وطريقة الحفظ الفضائى محورةٌ تحويراً بسيطاً عن سنابل يوسف عليه السلام، وذلك بالتغليف بالجرافيت للحبوب التى أرسلت فى مركبات الفضاء.. لدراسة تأثير الفضاء عليها إنباتاً وتغييراً فى الخواص الطبيعية، والجرافيت ماهو الا صورة من صور الكربون ؟! .. شأنه فى ذلك شأن غُلف السنابل.. أو غِلاف كيزان الذرة ..!؟

- وقد يلجأ الزراع فى هذه الأيام يا أحباب! لدفن محصول الحبوب فى تبن القمح، وهو لايعدو كونُهُ سيقان وغُلاف سنابل مُجَمَّعَةٌ، أما الذرَةُ فيُخَزن بعيدانه، وغُلافه فى الهواء الطلق.. فسبحان الله العظيم لاتغيير لسُننه.. حقاً إن القرآن هو الإعجاز الحق الخالد على مدى الزمان..

- وهذا الامر يدعونا بحق الى ضرورة قيام جمعيات ومنظمات شغلها الشاغل ينحصر فى مراجعة التراث الحضارى والاجتماعى لمختلف نشاطات فقه الحياة.. بأنماطها الانتاجية والاستهلاكية.. العلمية والثقافية.. تبسيطا للمسالك والسبل.. مستهدفة الاستفادة القصوى من ذخائر التراث.. متدنين بحدود الاشباع الدنيوى.. متكافلين متحابين.. فى إطار الإرث الحضارى العظيم.. فى مختلف الحرف والفنون الحياتية البيئية الذاتية.. ننقل عن الحضارة الغربية المعاصرة ونطور ونجود ولا نذوب فيها.. نأخذ منهم فقه العمل والمتابعة والمراقبة والجودة والاجادة والفعالية.. ولا ننبهر ببهيمية السلوك الغربى وخدعه وفوضويته الاخلاقية.. وهذا هو الطريق القصير.. والبديل عن عيشة الخدم والعبيد على أطراف وهوامش وفى قيعان الصخب الحضارى الغربى.

٠٢٧ الأنعَام والطاقات

- وسأل ولدى: وماذا عن الأنعَام والطاقات الحيوانيّة فى آيات القرآن؟!
- أجبت: يا ولدى! عن تكاملية خلق الأنعام وتسخيرها للأكل والشرب والركوب والنقل والزينة والحرث والعزق، وإنزال الماء من السماء، وعن الشجر كمصدر للنار والطاقة الحرارية - تعطى سورة النحل منظومة متكاملة للصورة٠٠ فيقول الله تعالى:

﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون * ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون * وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم * والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون * وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين * هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون * ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (النحل ١٦:٥-١٣)

وقوله تعالى: ﴿الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون﴾ (يس٣٦:٨٠)

وهكذا تتضح الصورة بكاملها للطاقات الطبيعية للحرارة الناتجة عن حرق نواتج المزروعات من سيقان وأشجار الزرع، وكذلك الطاقة الحيوانية المستخدمة فى الركوب والحمل والنقل، والله يخلق ما نعلم٠٠ وما لا نعلم٠٠ ويخلق مانعمله على وجه العموم لا التخصيص٠٠

وتأمل قوله تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾٠٠

وقوله تعالى: ﴿ويخلق مالا تعلمون﴾٠٠

٠٢٨ التخطيط العمرانى

- وسألت ابنتى: وهل هناك إشارات عن التخطيط العمرانى للمجتمعات الزراعية؟!
- أجبت: بالطبع يابنيتى! أنظرى إلى قول الله تعالى فى سورة النحل:

﴿وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس﴾٠٠ ويقدر علماء

الاجتماع، والجغرافيا، أن هذه المسافة تقدر بمَنَخ جَمَل.. والمَنَخ للجَمَل - هو المسافة بين قيام الجمل بحمله وحتى خُلُودَ الجَمَلُ للراحة فى مشوارٍ واحدٍ حاملاً أثقالاً، من بعد صلاة الفَجرِ حتى الضُحى، أو من بعد صلاةِ العصرِ وحتى العشاء.. وقُدرَت هذه المسافة فى حدود من ٢٠:١٥ كيلو متراً.

- وعلى هذا فإن المُجتمعات العُمرانية المُنشأة على مجرى النيل - وفروعه من أسوان، وحتى الإسكندرية - تتباعد عن بعضها البعض بواقع هذه القيمة من ٢٠:١٥ كم: الاسكندرية - كفر الدوار - أبو حمص - دمنهور - إيتاى البارود - كفر الزيات - طنطا - المحلة الكبرى - سمنود - المنصورة.. والمسافة من القاهرة وحتى أسيوط تحكمها ذات القاعدة تقريباً.. وهذه المسافة هى ذاتها تقريباً التى بين المراكز الادارية فى الريفِ المصرى كله!! فسبحان الله العظيم إنه الإعجاز الحق.. ؟!

- أما عن تقسيم فترات اليوم الى ثلاث ورديات: منهم ورديتان للعملِ والانتقالِ والابتغاء، والثالة للراحة.. فارجعى الى الآية الكريمة:

﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم﴾ (النور٢٤:٥٨)

والآية تحدد بصريح النص العملَ والترحالَ من بعد صلاة الفجرِ وحتى الضحى، ومن بعد صلاة العصرِ، أى بعد مقيل الظهيرة وحتى العشاء.. والنوم والراحة من بعد صلاةَ العشاءَ وحتى الفجر. وتأمل هذا التقسيم أكثر تجده: ورديتان للعمل والسفر والترحال والابتغاء، ووردية للراحة؟! ..

الوردية الاولى من ٥ صباحاً وحتى ١٣ بعد الظهر..

الوردية الثانية من الساعة ١٣ بعد الظهر وحتى ٩ مساءً..

الوردية الثالثة من ٩ مساءً وحتى ٥ صباحاً..

أى بواقع ٨ ثماني ساعات لكل وردية؟!

وهذا التقسيم الزمانى هو هو المعمول به فى المصانع دائمة العمل اليومى!!

٢٩. حضارات الأنهار فى القرآن

- ويسأل ولدى! وهل هناك من إشارة قرآنية إلى حضارات الأنهار فى القرآن؟!

ـ أجبت: نعم يا ولدى! فالحياة البشرية بمجتمعاتها وكياناتها نشأت أول ما نشأت حول الأنهار وقريباً من البحار لجملة إعتبارات من أهمها: وجود الماء، وتراكم الأودية، والخصب، والخيرات عند ملتقى النهر، والبحر، وليسر استغلال القوى المائية، والتيارات الهوائية للرياح، بالإضافة إلى ذلك كله يؤدى الى إنتعاش الحركة التجارية.

ـ فالأنهار ولملايين السنين يا أحباب! شكلت وتشكل حياة الإنسان. والأرض التى يرويها النهر نسميها حوض النهر، أما المجارى المائية الصغيرة، والروافد فنسميها شبكة النهر وفروعه. وغالبية الأنهار فى العالم تشبه فى تكويناتها تفريعات الأشجار، أو تشعبات ورق الشجر، وكذلك هى جغرافية المجتمعات والتجمعات البشرية، خاصة فى المجتمعات الزراعية..

ـ وبنزول الماء من إلسماء تسيل الوديان، وتحمل الروافد طيناً غرينياً وحصى الجبال، ويندفع بها إلى البحيرات، وتتكون الدلتات، أو الروافد الكبيرة وفى هذه الاماكن تنشأ الحياة..

وانظروا إلى قوله تعالى: ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه فى النار إبتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال﴾ (الرعد١٣:١٧)

ـ ويسوق العلم الحديث سبب تكوين الأودية والدلتات للنهر عند مصبه فى البحر

ـ إذ يرجع ذلك إلى تباطؤ سرعة مياه النهر من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن المادة الطمية (الزَبَد) العالق بماء النهر تتركب من جسيمات دقيقة من الطمى يحمل كل منها شحنة كهربية سالبة، فيستحيل على جسيمات الغِرين النهرى الطمى هذه أن تستقر فى قاع النهر.. فكل الجسيمات سالبة الشحنة الكهربية فتتنافر جزيئاتها : قاع النهر سالب الشحنة، والطمى والعوالق الطمية الغرينية العَكرة سالبة الشحنة كذلك.. ويحمل النهر زَبَدَهُ إلى حيث يشاء الله.. حيث الشحنات المتماثلة تتنافر، فطمى قاع النهر يجبر الطمى العالق أن يبقى عالقاً فى الماء. وبتنافر الجسيمات العالقة مع الجسيمات الراسبة فى قاع النهر ينتج عنه مزيج رَغْوىٌ أو تَغَرُقٌ رَغَوِىٌ، الزَبَدُ الرّابى، ولا تترسب الجُسَيمَات الرَغْوِيَة إلا حين تتلامس مع الماء المالح، والذى يحتوى على الشحنات الكهربية الموجبة، والناتجة من كلوريد الصوديوم، ملح المادة الموجب الشحنة، كنتيجة لتأين الصوديوم الموجب الشحنة، والكلور سالب الشحنة، وهذا التّأين الموجب الشحنة يتحد معه الزبد

الرابى (الطمى الرغوى) السالب الشحنة، وفى منطقة تلاقى الماء الملح وماء النهر، تتعادل شحنة الطمى الرّغوىّ، ومن ثم تسقط إلى قاع النهر، ويترسب الطمى على مدى آلاف السنين مجمعاً مكوناً دلتا النهر، وقد نشأت التسمية (دلتا) لتشابه التراكمات الطمية مع حرف الهجاء اليونانى (دلتا ـ٨)،

ـ هذا وقد كان للقرآن الكريم يا أحباب! السبق المعجز فى شرح تكوين الأودية النهرية ودلتات الأنهار قبل أن يصل العلم الحديث إلى هذا التفسير بأربعة عشر قرناً،، فبالماء العذب والماء المالح والغرين، تتكون دلتات الأنهار، وتخصب أرض حوض النهر، وأراضيه كلها، وتكون من تأثير هذه الترسبات معادن الخلجان ـ من ذهب، وفضة، وخلافه، وتكون فى مواضع أخرى حقول للبترول، والغازات الطبيعية، وقد تنجم المعادن، عند مصب النهر، فيستفاد بما فيها من حلية، أو متاع، أما زبدها فيذهب جفاءً ـ ومن هنا ومع حضارات الأنهار العظيمة فى العالم ـ كان الذهب، وكانت الفضة، وكانت المعادن، وكان البترول والغاز الطبيعى، وكان الماس واللؤلؤ،،

ـ وفى ذات المعنى يا أحباب! تورد السنة النبوية المشرفة ما يلى:

عن أبى هريرة، رضى الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال:

﴿نهران من الجنة: النيل والفرات﴾

حديث صحيح،، الحديث رقم ٦٧٨٣ صحيح الجامع

وعن أنس، رضى الله عنهما، فى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال:

﴿رفعت إلى سدرة المنتهى منتهاها فى السماء السابعة بثقها من قلال هجر وورقها مثل اذان الفيلة، فإذا أربعة أنهار نهران ظاهران، ونهران باطنان، فأما الظاهران: فالنيل والفرات، وأما الباطنان فنهران فى الجنة﴾

حديث صحيح ،، الحديث ٣٥١٦ فى صحيح الجامع

وعن أبى هريرة، رضى الله عنهما، فى صحيح مسلم، أن رسول الله ﷺ قال:

﴿سيحان، وجيحان، والفرات، والنيل، كل من أنهار الجنة﴾

حديث صحيح،، الحديث رقم ٣٦٥٢ فى صحيح الجامع

وهذه إضافات عظيمة تنبهنا إلى ثروات أحواض الأنهار،، وإلى ثروات مصابها وخلجانها،،

ـ وارجعوا إلى الحضارة المصرية القديمة التى قامت على ضفاف النيل بحليها ومتاعها،، وكذا الحضارة البابلية والأشورية،، وحضارات حول الفولجا فى روسيا، والمسيسيبى والأمازون فى أمريكا، والدانوب فى أوربا، ونهر الصين

العظيم، فمع فياضانات الأنهار وإنحسارها تترك وراءها كل موسم، وفى كل عام طبقة الثراء والإخصاب، وينتج الفلاح منها وعليها الحب والزرع، والطيور والحيوانات والخير كله..

- وقد قامت على ضفاف النيل أول حضارة فى العالم بفضل النهر، وولدت أول حكومة فى تاريخ البشرية تجمع عوائد الزراعة، وتعنى بالرّى، وتنظيمه وبحراسة النهر، وعنيت بالعلوم والرياضيات والفلك، وإنتاج المعدات من محاريث وفؤوس وخلافه، ومستلزمات معيشة البيت، ومستلزمات الحروب، والخامات الكميائية، وصناعات ورق البردى ومبانى وقصور ومدافن وأهرامات، وأدى كل ذلك إلى قيام حضارة أصيلة أقيمت على العمل، والتوحيد، والعلم، واليقين، والمعرفة ؟!..

وانظروا إلى قوله تعالى فى شأن اندثار الحضارات الأولى:

﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التى لم يخلق مثلها فى البلاد * وثمود الذين جابوا الصخر بالواد * وفرعون ذى الأوتاد * الذين طغوا فى البلاد * فأكثروا فيها الفساد * فصب عليهم ربك سوط عذاب﴾ (الفجر٨٩:٦-١٣)

- وفى مثل هذا يقول تعالى: ﴿ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض مالم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين﴾ (الأنعام٦:٦)

ويقول تعالى: ﴿وقال موسى ربنا انك آتيت فرعونَ وملأهُ زينةً وأموالاً فى الحياةِ الدنيا، ربنا ليضلوا عن سبيلك، ربنا اطمس على أموالهم، وأشدُدْ على قلوبهم، فلاَ يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم﴾ (يونس١٠:٨٨)

- ويا أحباب! هذا التّغَيُّرُ الاجتماعى الحياتى.. كالقانون الكونى.. يتفق والخلق، والجعل، والتسخير، والانزال، والرزق، والوهب، والمنح، والمنع للناس.. لكل الناس.. فى الأرض.. وفى دورات متكررة دورية.. بدايتها ونهايتها وأوسطها متشابه.. متماثل.. لكل الشعوب.. ولكل الحضارات.. ولكل القبائل.. ولكل الأسر.. ولكل المجتمعات.. وفى كل الأزمنة..

وجادة السبيل الاجتماعى والحضارى القويم.. صراط الله المستقيم.. ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ .. ﴿صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم﴾ .. وهذا هو الضمان الحضارى، والضمان الاجتماعى فى آن واحد..

يقول الله تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم مالا تعلمون﴾ (البقرة٢:٣٠)

وقوله تعالى: ﴿أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطه فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون﴾ (الأعراف٧:٦٩)

وقوله تعالى: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين﴾ (الأعراف٧:٧٤)

وقوله تعالى: ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أإله مع الله قليلا ماتذكرون﴾ (النمل٢٧:٦٢)

وقوله تعالى: ﴿ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون﴾ (يونس ١٠:١٤)

وقوله تعالى: ﴿وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فى ماآتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾ (الأنعام٦:١٦٥)

- ومن الإعجاز القرآنى أن ورد لفظ ﴿أنهار﴾ قرين لفظ ﴿رواسي﴾ أى الجبال عند مهطل أمطار الانهار، وهى ملقاه من السماء (أو من علياء) إلى الأرض، أومتكونة بفعل البراكين، ورواسىّ أخرى، وهى الدلتات، وتتكون فى نهاية مجرى الانهار، وتتكون عند ملتقى النهر والبحر.. فالمسألة ماء فنحت جبل فنهر فراسية لدلتا النهر.. وجاء ذكر ذلك كله فى ثلاث مواضع قرآنية.

يقول الله تعالى: ﴿وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسىّ وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (الرعد١٣:٣)

وقوله تعالى: ﴿وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهارًا وسبلاً لعلكم تهتدون﴾ (النحل ١٦:١٥)

وقوله تعالى: ﴿أم من جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسىّ وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لايعلمون﴾ (النمل٢٧:٦١)

- وهذا الإعجاز القرآنى فى الإشارة إلى مصدر ثراء مياه النهر من الرواسىّ (الجبال)، وهو أمر لم يكشف عنه العلم إلا حديثاً يا أحباب!

- وحيثما لاتوجد رواسىّ مرتبطة بالنهر، خاصة عند المهطل، ينعدم الغرين

والطمى، والمياه الجوفية تكون معدومة الخصوبة الغرينية الطميية، والأمر يحتاج عندئذ إلى مخصبات وأسمدة للزرع والنبات..

وعلى إطلاقات الخلق والجعل الإلهى فقد يتكون النهر من ماء السحاب، أو من المياه الأرضية الجوفية.. يقول الله تعالى:

﴿ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً﴾ (نوح١٢:١٧)

وقوله تعالى: ﴿وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء﴾ (البقرة٧٤:٢)

وقوله تعالى: ﴿الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار﴾ (إبراهيم٣٢:١٤)

وقوله تعالى: ﴿كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهراً﴾ (الكهف٣٣:١٨)

- وتسخير الأنهار هنا ليس فقط للزراعة، ولكنه أيضاً للملاحة والنقل النهرى، وللتجارة والسياحة وصيد الأسماك وخلافه.. ومناط الإعجاز هنا أن تكون خصوبة النهر فى غرين قاع المجرى، أو تكون على أرض حوضه المستوية أو على أرض دلتاه المسطحة..

ويقرن القرآن بين الجبل والنهر والوادى والدلتات، والزرع من نبات وأسماك، وجنات - حقاً إنه الإعجاز الإلهى لكتاب منزل من لدن عزيز عليم حكيم..

- وقد تكون المعيشة بوادٍ خالٍ من نهرٍ أو ماءٍ أو زرعٍ، والأمر هنا يخرج عن المألوف ويحتاج إلى تدبيرٍ إلهيٍ خاصٍ.

- وجاء هذا التدبير الخاص فى دعوة نبى الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهى دائمة المفعول والتأثير، أنظر إلى قول الله تعالى:

﴿ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ (إبراهيم٤٧:١٤)

وهى دعوة مستجابة إلى يوم الدين إن شاء الله تعالى.

الباب الثالث ـ الفصل الثانى

البحــــار فى القــرآن

١- البحار والحياة

- وفى جلستنا الممتدة خصصنا إحدى الجلسات لمدارسة موضوع البحار والحياة فى أيات القرآن وفى معارف الانسان الحديثة.

- سأل ولدى: وما دور البحار فى حياتنا على كوكب الأرض ؟!

- أجبت: يا ولدى! البحر منبع الأساس لماء السحاب، ومصدر كل من الأحياء، ويمثل البحر ٧١٪ من مساحة الكرة الأرضية، فى حين تمثل اليابسة ٢٩٪ فقط من مساحتها، وحياة البحر أعم وأشمل بحسب أنه مع النشأة الاولى وجدت مياه البحر، أما كيف بدأت، أو كيف تطورت حياة البحر ؟!.. فهذا أمرٌ لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، ولكن نستطيع إستنتاج أن كل مسببات الحياة توفرت للبحار من شمس وحرارة وماء وهواء وعناصر غذاء. فالبحار تعج بالهائمات وهى الكائنات الحية الصغيرة وقد تسمى دياتوم، والدياتومات لها أشكال عديدة منها الشعاعى، ومنها الدائرى، وتوجد فى أعداد ضخمة جداً، وهى نباتات حقيقية منها تتغذى الأسماك والحيوانات البحرية، وتوجد أيضاً كائنات آخرى دقيقة فى البحار تسمى متشععات، وهى لؤلؤية الانعكاسات، وتعيش فى البحار فى مجموعات كبيرة، ومن مقذافية الأرجل التى تنتمى إليها الجمبريات، وقد تأخذ حياة البحر حياة الآكل والمأكول، بمعنى أن يأكل السمك الصغير ثم يؤكل الأخير، ويقول أمير الشعراء أحمد شوقى:

والسمك صغاره طرائد وكباره موائد ... ويأكل بعضه بعضاً إن أبطأ الصائد

- والبحر شأنه شأن اليابسة قد توجد فيه بعض المساحات القَفرَةُ الجَدباء وهى مايطلق عليها صحراء البحر، وعلى الشواطئ تنمو نباتات تأخذ مختلف الالوان منها الاخضر كخَس البحر وطحالب بعضها أخضر مشوب بزرقة، والكثير منها أحمر، والنباتات الكَبيرة لونها أخضر زيتونى أو أسمر، وقليل من هذه النباتات يحمل الأزهار ونباتات البحر كنباتات اليابس موسمية النمو.

والصدف واللؤلؤ تعتبر من أحياء البحر كما أن الإنطباع العام عندنا أن البحر ثروته الحقيقية الأسماك وهذا صحيح، ولكن البحر يعتبر مزرعة لكثير من الطيور تعيش على كائناته ولا غيرها كالقطوس والقطقاط والطيطوى وخطاف وغراب البحر والند والنورس وطائر البطريق.

وقاع البحر العميق معمل حى حيوى تتحول فيه المواد ذاتياً بفعل الضغط

المائى وبفعل البيئة المائية المالحة.

وهناك شعوب تعتمد إعتماداً أساسياً على البحر كاليابان مثلا ليس فقط على أسماكه وصيده ولكن تعتمد وبصفة رئيسية على نباتات البحر إعمالا لقوله تعالى:

﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة﴾ (المائدة٥:٩٦)

٢. البحار آية

- ويا أحباب! ورد الإعجاز الكونى العام فى القرآن الكريم فى قول الله تعالى:

﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون﴾ (البقرة٢:١٦٤)

وأورد النص فى الإجمال خمس آيات كونية هى:

الاولى: إعجاز خلق السماوات مرفوعة بغير عَمَد مرئية، وإعجاز خلق الأرض بأنهارها وبحارها ومحيطاتها وجبالها ونباتها وثمرها ودوابها، ولتكون مهداً ومستقراً لبنى آدم وليستخلفهم فيها.. وتتضمن هذه الإشارة أموراً نحن نجهل غالبيتها.

الثانية: إختلاف الليل والنهار، ذهاباً ومجيئاً، زيادة ونقصاناً، راحة وكدحاً، برداً وحراً، مطراً، وجفافاً، ظلمة وإشراقاً، تنوعاً فى غلات النبات والحيوان باختلاف الشهور والفصول والموقع الجغرافي فى تكاملية تضمن لكل البشر حياة كريمة ومتلائمة مع تكويناتهم وطبائعهم وبيئاتهم، ومع ذلك مع مرور العقود والأزمان تتبدل بعض هذه الأمور بما يتيح إنتقال وتداول الحضارات والثروات.. سبحان الله العظيم..

والليل والنهار يشيران ضمناً إلى الشمس والقمر والنجوم والكواكب.

الثالثة: الفلك والسفن التى صنعها الإنسان، وعلى اليابسة، وبوحى من الله سبحانه وتعالى، ومنذ زمن سيدنا نوح، لتجرى فى البحر متلائمة من تلاطم أمواجه وهياجه، حاملة الناس وتجاراتهم ومنافعهم، وبأرخص تكاليف النقل الذى تعرفه البشرية حتى وقتنا هذا.

الرابعة: الماءُ العذب المنزل من السماء لإحياء الأرض الموات ولزراعة الأرض الصالحة المستصلحة ولإحياءِ كل من علَى ظهرَ الأرض من بشر وحيوانات

ونباتات مشرباً ومطهراً ـ فسبحان الله الذى جعل من الماء كل شيء حي.

الخامسة: تصريف ربنا سبحانه وتعالى للرياح وتقلبها شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، باردة وحارة، مؤثرة ومتأثرة بالسحاب، مثيرة ومنزلة المطر والثلج والوابل والطل والرطوبة.

وفى الجملة هن خمس صور من صور الماء المنزل من السماء أو من بين السماء والأرض المسبب الأساسى للحياة فسبحانه وتعالى محيى الوجود.

وورد النص بنفع وارتفاق دائمين أكدهما ويؤكدهما العلم الحديث فى قوله الله تعالى:

﴿والفلك تجرى فى البحر بما ينفع الناس﴾

وهو مانعرض له بإيجاز شديد بإذن الله تعالى..

ـ وتسأل ابنتى: وهل تنبه العلماء إلى أهمية البحار ودورها المستقبلى؟!

ـ أجبت: بالقطع يابنيتى! فعلماء الإحتمالات يرددون.. فى مؤشرات العلم الحديث الخاص بالتعداد البشرى.. أن تعدادنا يصل حتى عام ٢٠٣٥ إلى ١٢ بليون نسمة، وإذا كان ٩٥٪ من الغذاء البشرى حتى وقتنا هذا يأتى من الأرض، فإن ٧٠٪ من طعام البشر سيأتى من البحر، بالإضافة إلى المعادن والطاقة، وغالبيتها تأتى من مصبات الأنهار والخلجان، ومن المناطق الأكثر تأثراً بطاقة المد والجزر، ومن الشواطئ الغربية للبحار المغلقة.. سبحان الله العظيم..

ـ وفى دراسة البحار ضد الجوع، تأليف كلارنس ب إيديل ١٩٨٢م. أورد أنه أياً كانت المعجزات التى تحققها العلوم الزراعية، فمن المحتمل أن لايكون لدى الإنسان الطعام الكاف فى المستقبل، إذا اعتمد على منتجات الحقل وحدها، مهما استنهض الثورة الخضراءَ، وضاعف الإنتاج الزراعى والحيوانى، بإمدادات كافية من المياه والمخصبات والمبيدات الحشرية والآلات الحديثة. فى حين أنه أورد إمكانية إنتاج كميات فائقة من الطعام بتنمية البروتين من خلية واحدة.. الخمائر، والبكتريا، والفطر، ومن المخلفات العضوية. وأضاف فى دراسته أنه يمكن تنمية الطحالب فى المياه العذبة، وفى برك ضَحْلة. ويعتقد، بعد دراسة وافية ومطولة، أن البحار والمحيطات وحدها بإمكانها التغلب على سوء التغذية والمجاعات التى تبدو فى الأفق، وفى المستقبل القريب.

ـ ولقد أكد أرنولد توينبى مؤلف (دراسة التاريخ) على وجهة نظر، تقضى بأن البحر سوف يساهم بطعام يفوق ماتنتجه الأرض فى النهاية، وناشد العالم توجيه الميزانيات التى تنفق على أبحاث الفضاء لحل مشاكل استخراج الطعام من

البحر قائلاً: (إن البحر ضمان مؤكد لبقاء الجنس البشرى حتى لو زاد المنحدرون منا عشرة أضعاف مانحن عليه الآن من الكثرة)٠

- وفى دراسة تجميعية لعقول العديد من المؤسسات الأمريكية من جامعات ومعاهد عليا ومراكز بحوث، وأشرف على تحريرها ريتشارد س٠ فيترغام وشارك فى الدراسة ثلاثون من العلماء الأمريكيين المتخصصين، عقول المؤسسات الأمريكية العاملة فى هذا المجال، ونشرت الدراسة عام ١٩٨٢، أوردوا أن مستقبليات العالم كله فى الطعام والبروتين الحيوانى بالذات تكمن فى البحار والبحار المغلقة والخلجان والمحيطات، بالإضافة إلى كميات هائلة من البترول والغازات الطبيعية قريبة من الشواطئ، والمذهل أن كميات هائلة من المعادن الثمينة: الماس، والذهب، والفضة، والقصدير، والبلاتين، والحديد، والكبريت، وغيرها موجودة وباقتصاديات تجارية للاستخراج فى مواطن كثيرة فى العالم، خاصة فى الخلجان وعند مصبات الأنهار ؟!٠٠ والشاطىء الغربى من الخليج العربى، مصب دجلة والفرات على رأس هذه المواطن٠٠

- ويا أحباب! جاء القرآن زاخراً بالآيات التى تحمل هذه المعانى٠٠

- يقول تعالى: ﴿وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾٠ (النحل١٦:١٤)

- ويقول تعالى: ﴿ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيماً﴾ (الإسراء١٧:٦٦)

- ويقول تعالى: ﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرماً واتقوا الله الذى إليه تحشرون﴾ (المائدة٥:٩٦)

- وأعاد سبحانه وتعالى هذه الصورة متكاملة من السماء، والأرض، والماء، والأنهار، والبحار، والسفن، والثمرات فى قوله تعالى:

﴿الله الذى خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار﴾ (ابراهيم١٤:٣٢)

- ولقد أورد سبحانه وتعالى أنه سخر للبَشر الأرض والبحر، وأنعم عليهم بتسيير الفلك حرثاً وجمعاً للرزق من البحر٠٠ الإحتياطى الإستراتيجى الأساسى للبشرية جمعاء٠٠ حيث قال تعالى:

﴿ألم تر أن الله سخر لكم مافى الأرض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك

السماءَ أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرءوف رحيم﴾ (الحج٢٢:٦٥)

- وفى مستقبليات لاندركها أثرها وتأثيراتها وحساباتها الرقمية والزمانية والكمية ·· وردت بعض الآيات لتظهر ملامح تعاظم دور البحار فى الغذاء البشرى والحيوانى مع زيادة سكان العالم وتباطؤ تنامى انتاج الارض التى تبلغ مساحتها ٢٩٪ من الكرة الأرضية، فى حين أن البحار والأنهار تشغل ٧١٪ من سطح المعمورة فى الآيات الكريمة التالية:

١· ﴿ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله ليريكم من آياته إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ (لقمان٣١:٣١)

وعلماءُ اللغة هنا يقررون تكرار لفظ آية فى هذه الآية القرآنية القصيرة مرتين، يعنى تأكيد التأكيد، ويعنى التعميم لما ندرك، والتخصيص لما لا ندرك، حتى الآن·· من فوائد البحر مائياً، وريحاً، ومدّاً، وجذراً، ولحماً، وحلياً، ومعادن، وقدرة على الاستخراج والإستفادة منه كل ذلك·

٢· ﴿الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (الجاثية٤٥:١٢)

فالعلى الكريم لايورد الإبتغاءَ منا، والفضل منه، إلا إذا كانت هناك غزارة متناهية فى خير مستقبلى من البحار، ويتبع الله سبحانه وتعالى وبعد فيض الفضل بإحتمال الشكر من بنى البشر سبحانك ما أكرمك، وما أجحدنا!

٣· ﴿ومن آياته الجوار فى البحر كالأعلام﴾ (الشورى٤٢:٣٢)

٤· ﴿وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام﴾ (الرحمن٥٥:٢٤)

ولايستطيع أكثر وأوسع الناس خيالا بأى حجم: مساحة، وعمقاً، وإرتفاعاً، ووظيفة ستكون هيئة المنشآت، والجوار، والسفن البحرية، وربما الحقول، والمستعمرات الزراعية البحرية الصناعية·· فى مستقبل البشرية ؟!·· فهل ياترى تنصب وتركب فى هذه المنشآت أبراج عالية لمراوح هوائية، أو تركب محطات كهربائية تعمل بطاقة المد والجزر، وهل يأتى اليوم الذى تستخدم فيه البشرية الطاقة الشمسية الهائلة الساقطة على أسطح البحار، والتى تصل ٧٠٪ من الطاقة الكلية للشمس وفقاً لما أوحى به القرآن فى ألفاظه ﴿الجوار﴾، ﴿المنشآت﴾، و﴿كالأعلام﴾ ؟! وربى إنه لحق·· فسبحان من أوحى وأنزل وأعلم وأخبر··

وعلى وجه التعميم لعوام البشر جاءت الآية الكريمة:

٥· قوله تعالى: ﴿ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله إنه كان

بكم رحيما﴾ (الإسراء ١٧:٦٦)
وماً أعظم الرحمة وقت تفاقم الأزمة على بنى البشر فى المستقبل القريب.

٠٣ تعدين البحار

- وتسأل ابنتى: وهل هناك إشارة فى آيات القرآن إلى منشآت البحر؟!
- أجبت: بالطبع يابنيتى! تأملى قول الله تعالى:
﴿وله الجوار المنشئات فى البحر كالاعلام﴾ (الرحمن٥٥:٢٤)

وفى إجمال المستقبليات البحرية فإن لفظ ﴿المنشئات﴾ القرآنى الذى أوردته الآية ٢٤ الرحمن مايفيد ضخامة العمل الهندسى المستقبلى إستغلالا للأعماق الهائلة فى المحيطات وعلى أعماق آلاف الأمتار حيث يزداد الضغط سعياً لإستخراج المعادن والثروات من قاع المحيطات والبحار العميقة الهائلة تنجيماً واستخراجاً للمعادن الثمينة الكثيرة من قاع المحيطات، ومعنى المنشآت هى تلك الاعمال الهندسية المتعاظمة التحمل سواءً أكانت هذه المنشآت خرسانية، أو حديدية أو معدنية لتتحمل ضغوطاً وأحمالاً وتأثيرات قوى هائلة لا يتصورها مهندسو هذا العصر من حجرات ملائمة للقائمين على التنجيم والإستخراج بالحفر وبالجمع وبالرفع وبالتجميع لهذه الثروات المحيطية الهائلة.. إضافة إلى ماسبق أن أوردناه فى الثروات العضوية نباتياً وحيوانياً من بروتين الأسماك والحيتان والأصداف، ومعادن ثمينة من ذهب، وفضة، وقصدير، وحديد، ويورانيوم، وبلاتينيوم، وفسفور، وكبريت وخلافه.

فسبحان ملهم البشرية لمواجهة المستقبل إبتغاءً سد حاجاتها بعد إعمار الارض كل الارض اليابسة، وبعد كامل استغلالها.. يوم يصل تعداد البشرية إلى عشرات المليارات من البشر وهل لنا أن نتبصر فى المنشآت فى حقول وجسور الأراضى المنخفضة (الواطئة) فى هولندا وبلجيكا! فسبحان الله رب الكون فيما خلق وأبدع وهدى!!

يضاف إلى ماتقدم ما أورده سبحانه وتعالى بشأن الغواصات وإستخدامها فى كشف ثروات البحار والمحيطات وهى تُوَاجه مُشكلة الارشاد، ومشكلة تزايد الضغط بسبب تأثيرات أعماق الغوص، وارتفاعات عمود المياه فوق الغواصة، بعكس الطيران تماماً الذى ينخفض معه الضغط كلما صعدنا الى أعلى.. ويقول تعالى:

﴿أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ (النور٢٤:٤٠)

﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾ (النحل١٦:١٦)

- والبحر يا أحباب! هو الطريق المستقبلى الوحيد لمواجهة حدود الأشباع الغذائية الدنيا لبنى البشر، فكيف لا نبدأ ونسيطر بتكنولوجيا العصر على كل هذه المشاكل الإنشائية ومن الآن ؟!.. ألم نواجه بالأمس القريب مشاكل كهذه فى عالم الطيران فى إنخفاض الضغط الجوى فى طبقات الجو العليا، ونحن فى حالة الغوص نواجه ارهاقاً اصعب بسبب انعدام الرؤية ﴿ظلمات بعضها فوق بعض﴾ (النور٢٤:٤٠).. وزيادة الضغوط بتأثيراتها العضلية والبصرية ﴿لم يكد يراها﴾.. وتأمل فى المقابل قوله تعالى: ﴿سأرهقه صعوداً﴾ (المدثر٧٤:١٧)

- وختاماً نورد الآيات الكريمة التى تدعو إلى ذلك كله تأملاً وتدبراً إجمالاً وتفصيلاً، ومنها على سبيل التنوع، لا الشمول مايلى:

﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساءَ مايعملون﴾ (المائدة٥:٦٦)

وقوله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيءٍ شهيد﴾ (فصلت٤١:٥٣)

٤. كيف تكونت البحار ؟!

- قال ولدى نرجع خطوات إلى سابق الزمان.. ونسأل كيف تكونت البحار؟!

- قلت: يا ولدى! عجز السلف عن تصور شكل الأرض اليابس، ونعجز معه فى رسم صورة ولو مبسطة لما كانت عليه الأرض، لكن الأرض شهدت نشاطاً مروعاً بين الغلاف اليابس، والغلاف المائى، والبعض أعطى تصوراً أقرب إلى التصديق هو تكاملية يابسة القارات وإنفجار البحار بتتابع غير معروف على وجه اليقين، فمثلا لو أن تجميعاً بالقص واللزق لليابس الأفريقى والأمريكى (أفريقيا من جهة الغرب، ضم إلى أمريكا من جهة الشرق) لتداخل اليابسان، ولو يبس البحر الأحمر لتيبست أفريقيا وآسيا، وكذلك لو تيبس البحر الأبيض والأسود لاتصلت أوربا وآسيا وأفريقيا، ومعنى هذا أن البحار نشأت وملئت ماءً بفعل الزلازل والبراكين، وتفجرت فيها مياه الأرض وملئت تباعاً وربما فى وقت الطوفان، وينشأ

بالطبع عن هذا الانفجار والاتساع طاقة حرارية هائلة من الجوف الملتهب للأرض مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وإذا البحار سجرت﴾ (التكوير٦)

وبفعل ضغط الماء وحرارة السجر تنتج تفاعلات كيميائية هائلة تؤدى فى النهاية إلى تغيرات معدنية قد يكشف عنها المستقبل القريب بتكاملية فيها العجب كل العجب!! .. سبحان الله العظيم.

وبالطبع فإن دورة الماء تضمن.. وبإتزان ربانى دقيق.. تكون السحاب وامتلاء الأنهار والبحار والمحيطات ودوام الحياة.

٥. ملاحة البحار

- وسأل ولدى: وماذا عن ملاحة البحر ؟!

- أجبت: تأمل ياولدى! قول الله تعالى:

﴿أو كظلمات فى بحر لجى يغشاة موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له نور﴾ (النور٢٤:٤٠)

وقوله تعالى: ﴿أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بُشراً بين يدى رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون﴾ (النمل٢٧:٦٣)

وقوله تعالى: ﴿وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون﴾ (الأنعام٦:٩٧)

وقوله تعالى: ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾ (النحل١٦:١٦)

وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله ليريكم من آياته إن فى ذلك لآيات لكل صبّار شكور﴾ (لقمان٣١:٣١)

أوردت الآية الأولى إشارة أساسية لصناعة الغواصات ومن المؤكد أنه لا تتأتى هذه الصناعة إلا قرينة تقدم عظيم فى التكنولوجيا والتصنيع وطرق القياس والتوجيه، إعتماداً على مواقع النجوم وعلاماتها.

والدّارس لأثر الحضارة الإسلامية على أوربا لابد أن يقف عند ما أورده المؤرخ دولور الذى يقول: (إن مهندسى العرب قد عملوا فى بناء كنيسة نوتردام بباريس)، أما فى ميدان العلوم فقد جاء فى كتاب (حضارة العرب) للدكتور جوستاف لوبون، وذكر همبولفر أن العرب قد أقاموا علومهم على التجربة والملاحظة وفى ذلك تصديق للحديث الشريف: ﴿أنتم أعلم بشئون دنياكم﴾.

ومن المؤكد أن العلوم الرياضية من الدراسات الذائعة وأن العرب هم مؤسسو علم الجبر وعلم الفلك، وأعطوا إهتماماً عظيماً لعلم الضوء وعلوم الطبيعة والكيمياء وعلوم المعادن والصيدلة والطب، ومن المؤكد أنهم أول من استعمل البوصلة فى الملاحة، والتاريخ يذكر لهم أنهم أدخلوا هذا الاختراع الأساسى إلى أوربا.

ومن النوافل أن من يصل إلى سر وتكنولوجيا السير فى ظلمة البحر فوق وتحت مائه يسهل عليه الاهتداء والسير فى طرقات الأرض وسبلها مهتدياً بعلاماتها فى النهار وبنجم الله فى الليل، وختاماً فإن المحلقين فى الأجواء العليا بالطائرات يهتدون بالجبال والأنهار والطرقات (الخرائط) وبالنجم أيضاً هم يهتدون.. سبحان الله العظيم.

٦. ثروات الخلجان

- وسأل ولدى: وماذا عن ثروات الخلجان ؟!
- أجبت: يا ولدى! تأمل قول الله تعالى:

﴿أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لايعلمون﴾ (النمل٢٧:٦١)

وقوله تعالى: ﴿وهو الذى مرج البحرين هذا عذاب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً﴾ (الفرقان٢٥:٥٣)

وقوله تعالى: ﴿ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ (الإسراء١٧:٧٠)

سبق أن ذكرنا أن المقصود بالورود القرآنى قرين: سخر، وجعل، وأرسل، وحمل.. أننا مكلفون بالارتفاق والاستفادة وافادة البشرية جميعاً بكل ماخلق وسخر وجعل وأرسل وحمل.. ففى مجال الاستخدام الامثل نحن مكلفون بالصناعات البحرية المدنية والعسكرية.. للنقل والصيد والتنجيم واستخراج معادن وثروات البحار والمحيطات.. وأننا مكلفون كذلك باستغلال طاقات المد والجذر وطاقات الرياح على شواطئ البحار والمحيطات.. ونحن مكلفون باستغلال ملتقيات: الأنهار والخلجان، والأنهار والبحار، والأنهار والمحيطات.. وكذلك ملتقيات البحار متباينة الملوحة والعذوبة خاصة عند برزخية الملتقى..

وإن اعمال العقل فى كل الامور فريضة من فرائض الإسلام ..؟!

وتأمل قول الله تعالى: ﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ (البقرة٢:١٦٤)

وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ﴿نهران من الجنة: النيل والفرات﴾

الحديث رقم ٦٧٨٣ فى صحيح الجامع.

وعن أنس فى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال:

﴿رفعت إلى سدرة المنتهى منتهاها فى السماء السابعة بنقها من قلال هجر وورقها مثل اذان الفيلة، فإذا أربعة أنهار نهران ظاهران، ونهران باطنان، فأما الظاهران: فالنيل والفرات، وأما الباطنان فنهران فى الجنة﴾

الحديث ٣٥١٦ فى صحيح الجامع.

وعن أبى هريرة فى صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال:

﴿سيحان، وجيحان، والفرات، والنيل، كل من أنهار الجنة﴾

الحديث رقم: ٣٦٥٢ فى صحيح الجامع.

وهذه إضافات عظيمة تنبهنا إلى ثروات حوضى النهرين، وأحواض كل الأنهار.. وإلى ثروات مصباتهما وخلجانهما!

- فإلى ثروات الأرض نرجع ونسرد.. قدر مايسع ادراكنا.. بإذن الله تعالى..

وقد أثبت العلم التجريبى أن البحار مصدر عظيم للثروات المعدنية والغذائية، ومصدر مستقبلى عظيم وهائل للغاز الطبيعى والبترول، فحتى وقتنا هذا فإن ١٧٪ من الطاقة البترولية العالمية تستخرج من البحار محدودة الأعماق (لا من المحيطات) ويقدر العلماءُ إحتياطى العالم الذى يبلغ ٦٠ مليار من الأطنان يقع ٢١٪ من هذا الإحتياطى تحت مياه البحار.

- وإن التكنولوجيا المتوفرة حالياً تسمح بالإكتشاف والتنبؤ بالطاقات التعدينية والبترولية فى أعماق المحيطات، وميسور جداً حفر واستخراج معادن وبترول البحار المغلقة وشبه المغلقة، فالصناعة حالياً تتوقع توفير التسهيلات لإنتاج الزيت والغاز من أعماق تصل إلى ٤٥٠ متر، وفى الحقيقة فقد أمكن تنمية حقل زيت اكتشف حديثاً على عمق ٤٠٠ متر من الماء فى قناة (سانتابربار) القريبة من ساحل كاليفورنيا.

- وفى العالم يستخرج حالياً ٢٪ من إحتياطيات العالم من العناصر التعدينية من البحار.

وفى الوقت الحالى، فإن القصدير، والمجنتايت، والزركون، والمونازيث، والالومنيرث، والوثيل هى العناصر الرئيسية التى تستخرج إقتصادياً من الرواسب البحرية ومعدن القصدير فى تايلاند، وأندونيسيا، وماليزيا من مصادر المياه الغارقة التى هى استمرار لتلك الموجودة على اليابسة.

- ويستخرج القصدير أيضاً من انجلترا، ويستخرج المجنيتايث من رواسب الشواطئ الغارقة فى اليابان، ومستودعات كل هذه العناصر توجد على عمق ٣٥ متراً من الماء وفى نطاق عشرة كيلومترات من الشاطئ.

- ويستخرج الماس من رواسب الشواطئ الغارقة فى جنوب غرب أفريقيا على أعماق مائية متفاوتة.

- ويستخرج الزركون، والألمنيت، والروتيل من شواطئ إستراليا، وفلوريدا، أما المونازيت فيستخرج أساساً من شواطئ استراليا والبرازيل.

وتشير الدلائل إلى إمكانية استخراج المعادن الثقيلة مثل الذهب والبلاتين والكروم.

- أما الفوسفوريت، وحبات المنجنيز فتعدن فى كاليفورنيا وغربى المكسيك وبيرو وشيلى وجنوب أفريقيا وغربى استراليا.

- وفى البحر الأحمر وفى المنخفضات العميقة الساخنة الممتلئة بالبراين، فالرواسب تحتوى على نحو ٥٪ زنك، ونحاس، ورصاص، وذهب، بمجموع تقديرى لقيمتها التى تبلغ ٢ مليار دولار (أسعار السبعينيات) ولم يتقرر بعد إمكانية إستخراجها إقتصادياً من عدمه وهى على العموم من أصل مياه حرارية أنتجها براين ساخن غنى بالمعادن من الصدوع الموجودة بالبحر الأحمر.

والذى يستخرج حالياً تجارياً فى العالم ثلاثة عناصر من الجوامد المذابة فى ماء البحر وهى الملح ومعدن المغنسيوم مع مركبات المغنسيوم والبرومين.

ولاشك أن مياه البحار هى المصدر الثابت للمياه العذبة خاصة فى المناطق الصحراوية الآهلة بالسكان والتى تفتقر إلى الماء العذب والإنتاج العالمى الآن حوالى كيلو متر مكعب مياه فى اليوم وتكاليف الإنتاج السنوى فى هذه الحالة ٦٠ مليون دولار لكل كيلو متر مكعب مياه.. أى أن تكاليف تعذيب المتر المكعب مياه يساوى ٠ر٠٦ دولار!.

وللكويت خبرة طويلة فى هذا النشاط فقد أقامت ست محطات لتحلية مياه البحر وتعذيبها.. وتعتبر الكويت من دول الصدارة فى انتاج الماء العذب من البحر.

- وقد إقتنع العلماءُ بأن الحواف القارية والبحار العميقة شبه المغلقة بها وفرة وتنوع تعدينى وبترولى يمكن استغلاله فى القريب العاجل.

ويقرر دونالد د. بريتشارد فى دراسته عن المناطق الساحلية ومصبات الأنهار في الخلجان أنه فى الوقت الحالى فإن المصادر الوحيدة غير الحية مثل المعادن والزيت والغاز التى يستخرجها الإنسان من البحر وقاع البحار تؤخذ من الأقاليم الساحلية ومن مصبات الخلجان أو نهاية الأنهار ويدعو فى دراسته إلى المحافظة على هذه البيئة من التلوث.

- والمستنتج من الآية الكريمة فى قول الله تعالى:

﴿وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً﴾ (الفرقان٢٥:٥٣)

أنه حال إتحاد البحرين فإنهما والحال كذلك سيكونان كمصب مثالى هائل لمصبات الأنهار دفعة واحدة، وفى الإجمال فإن جملة ثرواته السمكية والتعدينية والبترولية ستكون عالية جداً.

- ومن الخيرات الكونية المضاعفة فى خلق الله أن البحر الواحد يحتوى على ماء مالح متباين ومتنوع الملوحة.. ومتباين ومتنوع الثروات السمكية الحية، ومتباين ومتنوع الثروات التعدينية والمنجمية، التى يستخرجها الإنسان من البحر وقاع البحار تؤخذ من الأقاليم الساحلية ومن مصبات الأنهار في الخلجان ويدعو فى دراسته إلى المحافظة على هذه البيئة من التلوث.

والمستنتج من الآية الكريمة فى قول الله تعالى: ﴿وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً﴾ (الفرقان٢٥: ٥٣)

أنه حال إتحاد البحرين فإنهما والحال كذلك سيكونان كمصب مثالى هائل لمصبات الأنهار دفعة واحدة، وفى الإجمال فإن جملة ثرواته السمكية والتعدينية والبترولية ستكون عالية جداً.

ومن الخيرات الكونية المضاعفة فى خلق الله أن البحر الواحد يحتوى على ماء مالح متباين ومتنوع الملوحة.. ومتباين ومتنوع الثروات السمكية الحية.. ومتباين ومتنوع الثروات التعدينية والمنجمية.

وأماكن الملتقى المائى بين المتباين فى العذوبة والملوحة فى جميع الاحوال برزخى الخيرات والثروات التعدينية والحيوية.. وتقوم أماكن الالتقاء هذه بوظيفة منطقة الحجر الصحى للكائنات الحية وللعناصر والخامات ﴿حجراً محجوراً﴾.

ـ ويا أحباب! الأمثلة الإعجازية التى تم دراستها عالمياً منها:

أ. ملتقى نهر النيل قديمه وحديثه مع البحر الأبيض المتوسط عند حقول أبوماضى ودسوق والعلمين للغاز والبترول.

ب. ملتقى الفرات مع الخليج العربى.

ج. ملتقى البحر الأبيض المتوسط مع المحيط الأطلنطى، عند مضيق جبل طارق، ملتقى البوسفور والدردنيل.. والبحرين الأسود والأبيض.

د. وجد أن المحيط الأطلسى مقسم إلى عدة أبحر متفاوتة الخواص.. وتم تصوير ذلك من سفن الفضاءَ.. وأصبحت من الحقائق العلمية المعروفة فى علوم الارض، وطبيعة قشرتها العلوية فى البحار..!

هـ. صوروا ورصدوا بأحدث الأجهزة العلمية من سفن الفضاء مناطق الحجر المحجور عند ملتقى الأنهار والخلجان والبحار والمحيطات، وجدوها عظيمة الثروة الحيوية والتعدينية، ونشر ذلك فى العديد من مؤتمرات الاعجاز العلمى فى القرآن والسنة.. أعمال مؤتمر الكويت ١٩٨١، ومؤتمر القاهرة ١٩٨٥، والمؤتمر السعودى السابع والثامن.. سبحان الله العظيم.. !!

و. تورد بعض تفسيرات السلف الصالح أن البحرين هما غربى البحر الأبيض المتوسط المالح ملحاً أجاجاً وشرقى البحر الأبيض المتوسط العذب عذباً فراتاً وأن الإمتداد اليابس لإيطاليا كان جزءً من الحاجز السائر لعدم إختلاط مياههما ﴿برزخاً وحجراً محجوراً﴾ وهذا مؤداه أن البحر الأبيض المتوسط ملىءٌ بالثروات التعدينية والبترولية فى الجزء الغربى منه أمام شواطئ ليبيا وتونس والجزائر والمغرب فى حين لاتوجد أى ثروات أمام سوريا ولبنان وفلسطين وسيناء هذه حقيقة علمية معاصرة.. سبحان الله العظيم.. !!

يضاف أن ملتقى فرعى النيل عند دمياط ورشيد أعطى كل فرع منهما حقلا إنتاجياً وافر الإنتاجية للغاز الطبيعى أبو ماضى القريب من مصب دمياط، وحقل دسوق القريب من مصب رشيد، وكذلك حقل العلمين البترولى والناشئ عن تلاقى فرع النيل الغربى القديم مع البحر الأبيض المتوسط.. !!

ز. ذهبت علوم الفضاء الحديثة وبالتصوير الفضائى الذى لايقبل الجدل بالحصول على نتيجة عظيمة وهى تقسيم الأطلسى لعدة أبحر متفاوتة الملوحة متفاوتة الخواص التكوينية البرزخية تفصل بين هذه البحار تحت سطح الماء. ناهيك عن هذه البرزخية التى تفصل البحر الأبيض المتوسط عن المحيط الأطلسى عند مضيق جبل طارق. والبرزخ الذى يفصل البحر الأسود عن البحر

الأبيض المتوسط عند مضيقى البوسفور والدردنيل.. وسبحان الله العظيم..
﴿ألا له الخلق والأمر﴾..

ح. ويقرر نلسون مارشال أن مناطق الصيد للأسماك فى العالم تتركز على طول السواحل وعند مصبات الأنهار.

وإن مصبات الخلجان تعطى بيئة مواتية حيث يهاجر إليها كثير من الأسماك لوضع البيض والنمو المبكر، وهذا مايؤكده نشاطات ممارسة الصيد ومنذ الأزل عند مصبات الأنهار وفى الخلجان (علم المحيطات).

والقرآن الكريم أسبق من كل ذلك فى الإنباء بثروات مصبات الأنهار والخلجان حيث جاء:

﴿أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاءَ حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ماينفع الناس فيمكث فى الارض كذلك يضرب الله الأمثال﴾ (الرعد٢٣-١٧)

ويا أحباب! سبق تعرضنا لبعض معانى هذه الآية الكريمة مع تعرضنا للأنهار وتكون الدلتات.. والمثير حقاً يا أحباب! هو الوصف الدقيق للإمام على ابن أبى طالب.. والذى يفوق كل الأوصاف العلمية حتى عصرنا هذا.. حيث وقف يخطب الناس ويقول:

(وعن صفة الأرض ودحوها على الماء ١ كبَسَ الأرض ٢ على مور أمواج مستفحلة، وَلُجَجِ بحار زاخرة ٣ تلتطم أوَاذى أمواجها ٤ وتصطفق مُتقاذفات أثبَاجها ٥ وترغو زبداً كفحول عند هياجها، فخضع جماع الماء المتلاطم لثقل حملها، وسكن هيْج ارتمائه إذ وطئته بكلكلها ٦ وذل مستخذياً إذ تمعكت عليه بكواهلها ٧ فأصبح بعد اصطخاب أمواجه ٨ ساجياً مقهوراً٩ وفى حكمة الذل

١ـ دحوها: بسطها.
٢ـ كبس النهر والبئر أى طمهما بالتراب، والمور: التحرك الشديد، والمستفحلة: الهائجة التى يصعب التغلب عليها.
٣ـ بحار ممتلئة.
٤ـ أواذى جمع آذى: أعلى الموج.
٥ـ اصطفقت اهتزت، أثباج: جمع ثبج، استعارة لأعالى المَوج، والمتقاذفات: التى يقذف بعضها بعض.
٦ـ هو فى الأصل الصدر لما لاقى الماء الأرض.
٧ـ من تمعكت الدابة أى تمرغت فى التراب.
٨ـ أصطخاب: ارتفاع الصوت.
٩ـ ساجياً: ساكناً.

منقاداً أسيراً١ وسكنت الأرض مدحوة فى لجة تياره، وردت من نخوة بأوه واعتلائه ٢ وشموخ أنفه وسمو غلوائه ٣ وكعمته ٤ على كظة جريته٥ فهمد بعد نزقانه ٦ ولبد بعد زيفان وثباته ٧ فلما سكن هياج الماء من تحت أكنافها ٨ وحمل شواهق الجبال الشمخ البذخ على أكتافها ٩فجر ينابيع العيون من عرانين أنوفها ١٠ وفرقها فى سُهوب بيدها وأخاديدها ١١ وعَدّل حركاتها بالراسيات من جلاميدها ١٢ وذوات الشناخيب الشم ١٣ من صياخيدها١٤ فسكنت من الميدان ١٥ لرسوب الجبال فى قطع أديمَها١٦، وتغلغلها مُتسربة فى جوبات خياشيمها١٧، وركوبها أعناق سهول الأرضين وجراثيمها١٨ وفسح بين الجو وبينها، وأعد الهواء متنسماً لساكنها، وأخرج إليها أهلها على تمام مرافقها..)

يا أحباب! لايوجد فى كل موسوعات العلم الحديث الوصف الدقيق الكامل الشامل المانع الذى تحدث به أمير المؤمنين منذ زمانه وحتى الآن.. ؟!

أليس فى ذلك النص تصريح بتراكم الثروات التعدينية من أحجار كريمة ومعادن ثمينة من ذهب وفضة ولؤلؤ وياقوت ومرجان من الجبال عند المصبات وفى أودية الأنهار..

١- الحكمة(محركة): ما أحاط بحنك الفرس من لجامه.
٢- البأو: الكبر والزهو.
٣- الغلواء: النشاط وتجاوز الحد.
٤- كعم البعير: منع شدقاه فلا يعض ويأكل.
٥- شدة الإندفاع.
٦- النزف والنزقان: الطيش.
٧- زيفان: التبختر فى المشية.. ولبد: كفرح ونصر: أى قام وثبت.
٨- أكنافها: نواحيها.
٩- البذخ بمعنى الشمخ جمع شامخ.. وباذخ: عال ورفيع، وهنا بمعنى ضخم مع الإرتفاع.. وحمل عطف على أكتاف
١٠- عرانين جمع عرنين: وهو ماصلب من عظم الأنف.. والمراد أعالى الجبال.
١١- سهوب جمعُ سهب: الفلاة.. والبيد جمع بيداء.. والأخاديد جمع أخدود: البروز والحفر فى الأرض، والمراد مجارى الأنهار.
١٢- الضمير للأرض.. والجلاميد جمع جلمود: بمعنى الحجر القاسى.
١٣- الشناخيب جمع شنخوب وهو رأس الجبل.. الشم: الرفيعة.
١٤- صياخيد جمع صيخود: الصخرة الشديدة.
١٥- الميدان: التحريك والإضطراب.
١٦- أديمها: سطحها.
١٧- التغلغل: المبالغة فى الدخول.. ومتسربة: داخلة.. والجوبات جمع جوبة بمعنى حفرة.. والخياشيم جمع خيشوم: وهو منفذ الأنف إلى الرأس.. والتغلغل للجبال، والخياشيم للأرض.
١٨- ركوب الجبال أعناق السهول: استعلاؤها عليها.. أعناقها: سطوحها.. وجراثيمها: ماسفل عن السطوح من الطبقات الترابية.. وإستعلاء الجبال عليها ظاهر !!

حقاً وهو القائل: ﴿إنّا كل شيءٍ خلقناه بقدر﴾ (القمر٤٩)

٠٧ الحركة من الشرق الى الغرب ؟!

والمثير للدهشة وبحق هو ما أورده البحار سير ريتشارد هوكنز٠٠(إن اتجاه التيار من الشرق إلى الغرب فى البحر الرئيسى من العسير معرفته، وحتى هذه اللحظة لم أسمع من إنسان أو قرأت لأى مؤلف استطاع أن يصف طريقة معينة لإكتشافه حتى عام ١٩٨٢٠٠ واتجاه التيار من الشرق إلى الغرب يفسر زيادة الثروات في الجزء الغربي.. الخ.

وهذا الأمر يوجهه التيار من الشرق إلى الغرب، ويفسر الثروات التى قد تزيد فى الجزء الغربى، فغرب خليج السويس، وغرب البحر الاحمر، وغرب البحر الأبيض المتوسط أعلى ثروة عن شرقها، يضاف أنه عند التقاء التيار المتجه من الشرق إلى الغرب في البحر الأبيض المتوسط مع مصبات نهر النيل توجد حقول أبي ماضي، وحقول دسوق للغاز، وحقل العلمين البترولي، وهذا صورة مركبة.. إلخ.

وأورد القرآن الكريم أن بورك فى المغارب٠٠ ؟!

كما أن المشرق يأتى قبل المغرب فى كل الآيات القرآنية ومنها قوله تعالى:

﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ودمرنا ماكان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾ (الأعراف١٣٧:٧)

ولقد أورد القرآن المشرق قبل المغرب بما قد يشير إلى إتجاه الحركة من الشرق إلى الغرب٠

في قوله تعالى: ﴿رب السماوت والأرض ومابينهما ورب المشارق﴾ (الصافات ٥:٣٧)

وقوله تعالى: ﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنّا لقادرون﴾ (المعارج٤٠:٧٠)

وقوله تعالى: ﴿ولله المشرق والمغرب﴾ (البقرة١١٥:٢)

وقوله تعالى: ﴿قل لله المشرق والمغرب﴾ (البقرة٢: ١٤٢)

وقوله تعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب﴾ (البقرة٢٢٨:٢)

وقوله تعالى: ﴿رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا﴾ (المزمل٩:٧٣)

أليس فى كل هذه الآيات مايفسر أسباب تراكم الثروات فى غربى البحار المغلقة والخلجان·· وأن الله سبحانه وتعالى قد بارك فى المغارب·· !!

وسبحان الله العظيم·· ﴿الذى وسع كل شىءٍ علماً﴾

٠٨ طعامٌ من خليةٍ واحدةٍ ؟!

وسالت ابنتى·· وهل يمكن انتاج طعام من خلية واحدة ؟؟

أجبت·· نعم يابنيتى! فهذا الامر أوردته ضمنا الآية الكريمة:

﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم مافى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين﴾ (الانعام٦:٥٩)

ومن المسلم به أن مفتاح الإسعاد البشرى يتمثل فى سد حدود الإشباع للبشر·· غذاءً، وكساءً، وراحةَ بالٍ، إيماناً وعقيدة فى الحياة الدنيا·· وللحياة الآخرة الأخلد والأبقى··

فبقدر رضا الله سبحانه وتعالى على بنى البشر يكشف عنهم غُشاءَ بصيرتهم، ويكشف لهم عن ثروات البر والبحر لسد إحتياجاتهم العضوية، ويتم عليهم نعمته بإصلاح بالهم:

﴿وكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ (ق:٢٢)

والآن يسدون بعض الاحتياجات الغذائية بتنمية البقايا العضوية من المخلفات·· أوراقاً، وسيقاناً، ومصاصات، ولب أخشاب، وحشائش مجففة·· حيث تمكن الإنسان من إنتاج بروتين من خلية واحدة، وجاءَ ذلك فى دراسة أجراها معهد ماتشوستس للتكنولوجيا لمؤسسة العلوم القومية الأمريكية نشرت فى عام ١٩٧٥م.

وهذه هى القيمة الهائلة المكنونة فى النفايات والبقايا النباتية كما رمزت لها الآية الكريمة مقرونة بترطيب هذه البقايا··

﴿وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو ويعلم مافى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين﴾ (الانعام٦:٥٩)

والإقتران هنا بين النفايات النباتية على البر وترطيبها بما البحر عذبا أو ملحا هو مكنون علم من عند الله سبحانه وتعالى يعطيه لمن يشاء ويكشف عنه حين

يشاء.

يضاف أنه من المسلم به إمكانية تنمية طحالب المياه العذبة الوحيدة الخلية كلوريللا، وسنديسماس، وسبريولينا على الأخص، وبكميات خرافية وعظيمة فى برك ضحلة حسنة الإضاءة فتعطى من ٤: ٨ طن بروتين جاف للفدان ٢٠:١٠ طن/ هكتار/ سنة، وهذا مايعادل محصول فول الصويا من ٢٠:١٠ مرة، وتجمع الطحالب الداكنة الخضرة وتحول إلى دقيق له قيمة غذائية عالية. وهذا الغذاءُ يستخدم فى الوقت الحالى كعلف للماشية.

- ولا شك أيضاً أن العلم والتكنولوجيا المستقبلية سيكون بمقدورها.. إن شاء الله تعالى.. تهذيب هذه الطحالب وتقديمها كغذاءٍ بشريٍ مباشر.

٩. البحر مُستودع غذاءِ الغد..

وعلى أية حال.. يابنيتى!.. فإن غذاءَ الثروة الحيوانية هو بطريق غير مباشر تنمية للثروة الغذائية العامة لبنى البشر لإنغلاق دورة الحياة بين النبات والحيوان والإنسان.. سبحان الله العظيم..

كما أن هناك بعض الأطعمة يمكن إستخراجها من تراكيب كيماوية تتكون من حيوانات مائية أشبه بالبروتين المستنبط من الأمونيا، والماءِ، وثانى أكسيد الكربون وهى لاتزال قيد البحث.

وفى الولايات المتحدة الأمريكية ركبت وكالة ناسا (NASA) للفضاءِ الجليسرول من البروبين للاستخدام البشرى وبلغت تكاليف إنتاج الكيلو جرام منه ٩٠ سنتاً، ويمكن تخفيضها بإستخدام سكر خاص بدلا من الجليسرول كمادة خام - يراجع كتاب البحار ضد الجوع، كلارنس ب. أيديل.

ومن المؤكد بيقين أن البشرية جمعاءً ستتجه بالفطرة.. إن شاء الله تعالى.. إلى الاجتهاد والتكثيف على إستخراج غذائها التقليدى بالطرق التقليدية من البحار حيث أنها وبلا شك فى كثير من الحالات وخاصة فى المناطق القريبة من الشواطئ وعند مصبات الأنهار وفى الخلجان فيما يخص البروتينات الحيوانية أرخص من الإنتاج الأرضى، ولنا أن نتصور أنه حتى فى المزارع السمكية الصناعية فإن معامل التحويل (١:١). أما معامل التحويل فى الطيور: دجاج وبط وأوز ورومى وخلافه فيصل (٤:١)!، فى حين أن معامل التحويل الغذائى فى مواشى اللحوم الحمراء فيصل إلى (٨:١) فقط؟! ..

ومعامل التحويل معناه مانحصل عليه من المنتج السمكى أو الطيور أو اللحوم الحيوانية الحمراء بالوحدة الوزنية كيلو جرام لحوم، منسوباً إلى عدد الكيلو جرامات من الغذاء المركز من كسب أو عليقة.

فهل ياترى آن الأوان لندرك عمق معنى قوله تعالى ﴿ومن كلٍ تأكلون لحماً طرياً﴾ وانباء القرآن الكريم بهيكل التنمية الزراعية الشاملة والنشاطات المتعلقة بها من إستخدامات الإنتاج السمكى والنباتى النهرى والبحرى (وعوادمهما) فى تكثيف الإنتاج البروتينى وتوظيفه منظومياً فى نشاطات عموم الثروة الحيوانية؟! .. وهل ياترى جاءَ وقت الإستغلال الامثل لثروات البحر على وجه الخصوص إعمالا لقوله تعالى ﴿وهو الذى سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً﴾؟!.. خاصة وأن الدول العربية والاسلامية فى مجموعها تعتبر دولة بحرية كبرى.. ؟!

١٠- البحار فى القرآن

وتسال الزوجة.. وماذا عن ورود البحار فى القران حتى نتجه إليها؟!

أجبت .. يا أحباب! نتتبع الورود فنجد أن ..

أولا: ورد البحر مفرداً، فالمتأمل فى خلق الكون من الآيات القرآنية والباحث عن سببية الخلق، والمطالع لآيات خلق البحر فى القرآن الكريم لابد أن تستوقفه أحادية خلق البحر بحراً متصلا واليابس كذلك، بمعنى أن البحر خلق بحراً واحداً بوظيفته المحددة والمسخرة لحياة البشر فى الحياة الدنيا لإحداث دورة إمتصاص طاقة الشمس، فالبخر، فالسحاب، فالرياح، فالمطر، فالماء العذب، فإحياء الارض ومن وما عليها، وهى مجموعة الوظائف والغايات لإسعاد الإنسان منذ خلقه (ميلاده) وحتى مماته ومنذ خلق البشرية، وحتى فناء الكون كما فى الآيات القرآنية التالية:

﴿والبحر المسجور﴾ .. أى البحر المملوء (الطور٥٢:٦)

﴿والله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (الجاثية٤٥: ١٢)

﴿ومن آياته الجوار فى البحر كالأعلام﴾ (الشورى٤٢:٣٢)

﴿وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (فاطر٣٥:١٢)

﴿أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ (النور٢٤:٤٠)

﴿ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمت الله ليريكم من آياته إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ (لقمان٣١:٣١)

﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر مادمتم حُرُماً واتقوا الله الذى إليه تحشرون﴾ (المائدة٥:٩٦)

﴿وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو ويعلم مافى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين﴾ (الأنعام٦:٥٩)

﴿وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون﴾ (الأنعام٦:٩٧)

﴿الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماءِ ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحرِ بأمره وسخر لكم الأنهار﴾ (إبراهيم١٤:٣٢)

﴿وهو الذى سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (النحل١٦:١٤)

﴿ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر البحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ (الإسراء١٧:٧٠)

﴿أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون﴾ (النمل٢٧:٦٣)

ومفاد كل ما تقدم اننا مطالبون مكلفون باستغلال البحر وارتفاقه.. نقلاً وترحالاً.. تجارةً وصيداً.. ابتغاءً وتعديناً.

ولايتأتى ذلك الا بالتصنيع البحرى ومتعلقاته من آلات وأدوات وأجهزة لشتى مجالات الحياة الحديثة والمستقبلية.

وترد فى القران الكريم برزخية ملتقى النهر اوالبحر مع بحر مغاير فى الملوحة.

١١٠ برزخية ملتقى البحرين ٠٠

يقول الله تعالى عن برزخية ملتقى البحرين٠٠

﴿وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً﴾ (الفرقان٢٥:٥٣) .

﴿أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لايعلمون﴾ (النمل٢٧:٦١)

وبقدرته تعالى يتزاوج ويلتقى البحران ـ كما ورد فى الآية الكريمة:

﴿مرج البحرين يلتقيان﴾ (الرحمن٥٥:١٩)

وفى هذا كله توجيه عظيم الى أماكن وجغرافية الثروات البحرية فى الملتقيات بين الانهار والبحار، وبين البحار والبحار متباينة الملوحة٠٠ ونحن عن كل هذا غافلون وعن التكليف الشرعى بالارتفاق منصرفون٠٠ ما أجحدنا٠٠ ياسبحان الله !!

والقران يحكى لنا قصة تكون البحار٠٠ ففى النشاة كانت البحار رتقاً٠٠

١٢٠ البحر المرتوق

فهل ياترى كانت بحار اليوم بإنتشارها مابين خلجان وبحار مغلقة وبحار مفتوحة ومحيطات بحراً واحداً مرتوقاً؟؟٠٠ بمعنى أن خلجان وبحار ومحيطات اليوم كانت رتقاً، والرتق معناه الملتصق المتحد بعضه ببعض فسبحان الله العظيم ولم لا!! وهكذا كانت السموات والأرض كما أوردته الآية الكريمة:

﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون﴾ (الأنبياء ٢١:٣٠)

وهذا الرأى أيدته نظرية العالم الألمانى الفريد واجنز عام ١٩١٥ حيث جاءَ بها أن القارات لو تقاربت من بعضها البعض لتماسكت واتصلت وفحوى النظرية أن جميع القارات كانت فى زمن من الأزمان السابقة متصلة ثم انفصلت وانتشرت فظهرت فى المظهر التى هى عليه الآن على هيئة قارات وجزر تفصلها بحار ومحيطات، وإذا كان ذلك كذلك .فإن البحار والمحيطات كانت بحراً واحداً فبإنفصال الأرض تولد إنفصال البحر فصار أبحراً ومحيطات، ولم لا ؟!

وقد دفع البروفسور رونالد جود عالم النباتات بنظرية متوافقة حيث أبرز أن

وجود نباتات متماثلة فى مختلف قارات العالم ترجع إلى عصر جيولوجى واحد ولا يمكن تفسير ذلك إلا بأن الأرض كانت متصلة إتصالاً كاملاً٠

وأورد كذلك البروفسور بلاكيت أستاذ الطبيعة الإنجليزى وأثبت أن أحجار الهند تبين أنها كانت جنوب خط الإستواء قبل ٧٠ مليون سنة، وأورد أن جبال جنوب أفريقيا والقارة الأفريقية ككل قد أنشقت عن القطب الجنوبى قبل ٣٠٠ مليون سنة٠

١٣٠ البحر مشارك أصيل فى الحياة ودراسته من فرائض الاسلام؟!

سأل ولدى٠٠ هل بكل هذا نشعر بحقيقة آيات النشأة الأولى ؟!

أجبت٠٠ بالطبع يا ولدى! فالماءُ أساس النشأة الاولى والبحر للماء خازن٠٠ ولاشعة الشمس لاقط٠٠ وللسحاب أمٌ وأصلٌ٠٠ والبحر للكربون قانص٠٠ وللأسماك مستقر وحظيرة٠٠ والبحر لجوف الأرض مبرد٠٠ ولقشرتها وقاءٌ٠٠ والبحر للسفن طريق٠٠ وللتجارة والصيد شريان٠٠ والبحريشغل ٧١٪ من سطح الأرض، فبخلاف آيات البحار فى القرآن٠٠ يقول تعالى:

﴿إن فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين﴾ (الجاثية ٤٥:٤)٠٠ ﴿قل انظروا ماذا فى السموات والأرض﴾ (يونس١٠:١٠١)٠٠ ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حى﴾ (الانبياء٢١:٣٠)٠٠ ﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ (العنكبوت٢٩:٢٠)٠٠ ﴿وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ (البقرة٢:١٦٤)

من كل ما تقدم٠٠ فالبحر مصدر مشارك فى تصريف الرياح والسحاب وعذب الماء٬ والغذاء والكساء الكربون٬ والمعادن٬ والطاقات٬ مشارك فعّال فى كل نشاطات الحياة٠٠ من هنا فدراسة البحار والأنهار والخلجان وارتفاقها فريضة من فرائض الاسلام!!

١٤٠ طاقات البحار والخلجان ٠٠

وسأل ولدى: وما هى أنواع الطاقات التى تشارك فيها البحار والخلجان؟

وأجبت غالبية الطاقات ياولدى! الحرارية، والمد والجزر، والرياح، والبترول والغاز الطبيعى، والمواد المشعة، وطاقة الضوء٠٠ نعرض لذلك يا أحباب!

أولا: الطاقة الحرارية: استعملت البحار منذ الأزل فى غذاء الإنسان، وفى نقله، وتنقلاته، وتجارته، والآن تشغل بال الساسة والقادة والأفراد على حد سواء هموم نضوب مصادر الطاقة التقليدية واستنزافها، ويؤرق الإنسان اليوم وغداً بدائل الطاقة التى تسد حاجاته، ولو بالحدود الدنيا التى تلزمه لإشباع رغباته الدنيا وحاجاته وحياته اليومية، فالبحار تمثل فى الفكر البشرى مصدراً محتملا كبيراً للطاقة البديلة فى المستقبل.

فالإنسان بدأ منذ القدم فى استغلال طاقة المد والجزر فى طحن الحبوب وفى توليد الطاقة الكهربية فى كندا وفرنسا وفى الإتحاد السوفيتى (سابقا) وهناك دراسات مكثفة تجرى فى إنجلترا وفى اليابان لتوليد الطاقة.

كما أن الإنسان بدأ فى إستخدام الطاقة الحرارية فى البحار مستغلا فروق درجات الحرارة بين درجات حرارة المياه عند السطح وقد تصل إلى درجة ٣٠°م فى حين أن درجة حرارة مياه البحار في أعماق البحار والمحيطات قد تصل إلى ٥°م. فهذا الفرق فى درجات الحرارة لهذا الكم الهائل من المياه بين السطح والقاع يشكل مصدراً حرارياً هائلا للإنسان يستطيع إستغلاله فى توليد الطاقة فى أشكال متباينة منها توليد الطاقة الكهربية أو إنتاج الهيدروجين لإستخدامه كعنصر طاقة غير تقليدي.

وحياة البحار والمحيطات وهى تمثل مساحة ٧١٪ من سطح الكرة الأرضية تمتص الطاقة الشمسية الحرارية وبشكل مباشر، صحيح أن جزءٌ كبيراً من هذه الطاقة يعمل على تبخير المياه التى تتحول إلى غيوم وسحاب وأمطار، والجزءُ الثانى ينعكس فى الجو مدفئاً إياه فى طبقات الجو التى تعلو البحار والمحيطات والجزءُ الثالث والأكبر من هذه الطاقة تمتصه المياه ويتحول إلى طاقة حرارية فى تدرج حرارى متناقص فى إتجاه الأعماق (بعكس حرارة يابس الأرض بدءً من عشرة أمتار ثم تبدأ فى التزايد إذا قيست لأعمق من عشرة أمتار ولذلك كانت السراديب المكيفة تحت المنازل فى المخازن الطبيعية لحفظ معايش الإنسان على عمق من ٥ إلى ١٠ أمتار من قشرة سطح الأرض - المَكامير).

وفى المناطق القطبية المتجمدة نجد أنه فى فصل الشتاء يتجمد سطح البحار والمحيطات فى حين أن مياه القاع تبقى على ذات درجة حرارتها وذلك يخضع لظروف المناخية الجغرافية العامة وخواص انتقال الحرارة للماء.

وعلى ماتقدم فإن طاقة البحار تستغل فى المستقبل وبصورة مرضية فى المناطق البحرية التى يتوفر فيها فارق حرارى بين السطح والعمق فى حدود(٥أ: ٢٥°م)

وإن فكرة إنتاج الطاقة من فوارق الحرارة فى البحار والمحيطات يرجع عمرها إلى أكثر من قرن من الزمان، ففى ١٨٨١م بدأ العالم الفرنسى جاك دارسونفال نشر العديد من البحوث حول الفكرة وبدأ المهندس الفرنسى جورج كلود بتطبيقها فى عامى ١٩٢٩م: ١٩٣٠م حيث تمكن من تشغيل محطة بقدرة ٢٢ ميجاوات حيث ركب محطة على اليابس شغلها بماسورة بقطر ١٦٠ سم وبطول ٢ كيلومتر فى العمق الرأسى، وكانت مشكلة المهندس كلود الرئيسية هى صدأ مواسير تغذية المحطة.

وفى جامعة ماساشوستس قام البروفسور وليام هورينموس فى تشغيل محطة حرارة مستغلا التدريج الحرارى وأعمل غاز البروبين وسيطاً لنقل الحرارة بتبخير الغاز فى مبخر يستمد حرارته من المياه عالية الحرارة الموجودة على سطح البحر وبهذا الغاز المبخر تم تشغيل توربين موصل بمولد كهربى أما الغاز الخارج من التوربين فيتم تكثيفه بماء الأعماق البارد ليستخدم مرة ثانية بمضخة إلى المبخر وهكذا (فى دورة مغلقة حيث الغاز من المبخر إلى المكثف إلى المبخر مرة ثانية وهكذا.

وهناك دورة أخرى مفتوحة-يتم قبلها تبخير الماء تحت ضغوط منخفضة ويستخدم البخار فى تشغيل توربينة ثم يكثف البخار ويقذف به إلى خارج المكثف.

ولقد عمل فريق متكامل فى جامعة ميلون - كارينجى برئاسة البروفسور زينير بتطبيق ماسبق ذكره على الدورة المغلقة باستعمال الأمونيا بدل البروبين فى تشغيل التوربينات ولإعتبارات إقتصادية ترى الجامعات الأمريكية إنشاء المحطات البحرية فى عرض البحر بدلا من إنشائها على اليابس، وعلى عكس الفرنسيين على أن تستخدم الطاقة الناتجة من المحطات البحرية والمتولدة من التوربينات فى القيام بالتحليل الكهربى للماء وإنتاج الهيدروجين الذى ينقل إلى الشاطئ بواسطة أنابيب أو سفن خاصة.

ومع أن هذه المحطات وإقتصادياتها وجدوى إنشائها بالمقارنة مع الطرق المعروفة لاتزال قيد البحث، إلا أنه مما لاشك فيه أن القرن القادم سيكون بصدق قرن الطاقة الحرارية من البحار والمحيطات.

ولا يفوتنا ضرورة التركيز بناء على المعلومات التى نشرت تأسيساً على قياسات عديدة فى خليج العرب لعمق متوسط ٥٠ متراً فوجدوا أن فروق درجات الحرارة لاتزيد على ١٠°م بناء على تسجيلات قام بها اليابانى إينوموتو.. على ما يقطع بعدم صلاحية الطرق الحرارية إقتصادياً فى الخلجان عامة لإضمحلال عمق المياه

المالحة.

ثانياً: طاقة المد والجزر

وظاهرة المد والجزر فى بحار العالم ومحيطاته وخلجانه يومية، وقد استخدمها الفرنسيون لتوليد الطاقة اللازمة لطحن الحبوب، وفى إنشاء المحطات الكهربائية حال مايكون المد والجزر متراوحاً لإرتفاعات تتراوح بين ٢:١٠م، ويستخدم حالياً توربين كابلان مما حدا باستخدام بعض المحطات حتى ٩ ميجاوات فى فرنسا، أما فى روسيا ففى سرمنسك وصلت إنتاجية الطاقة إلى ٢٠٠٠ كيلو وات فى عام ١٩٦٩ على فارق إرتفاعى ١١ متر للمد والجزر، وقد تكون هذه الطريقة أجدى فى الاستخدامات الاقتصادية لطاقة البحار والمحيطات والخلجان الطبيعية والصناعية، وقد يكشف المستقبل القريب عن جدوى إنشاء محطات بقدرات أكبر كهربائياً واقتصادياً بما يؤكد عملية هذا النوع من الطاقات المتجددة والدائمة، ولقد ذهب العلماء الروس إلى إمكانية استغلال طاقة المد والجزر فى الخليج العربى الذى يتراوح فيه فارق الإرتفاع بين المد والجزر بين ٤: ١٣ قدماً فى قطر والكويت بعد أن تم تسجيل الإرتفاعات فى ميناء الكويت عام ١٩٧٢م.

وبالطبع فإن طاقة المد والجزر للبحار والمحيطات أجدى وأنفع وأكبر قدرة فسبحان الله العظيم.

ثالثاً: طاقة الرياح والبحار

وإن قدماء المصريين قد استخدموا الثلاثية العملية للرياح والنهر والسفن، وثلاثية الرياح والسفن والبحر على حد سواء، وتلا ذلك إستخدام البشرية للرياح والسفن عبر الخلجان والبحار والمحيطات نقلا عنهم حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي.. ولقد تلازم مع ذلك استخدام الطواحين الهوائية مع تطويرها وفى بلاد فارس ثبت تاريخياً أن هناك مضخات كانت تعمل بالطاقة الهوائية لاغراض الرى منذ القرن الخامس الميلادى، وفى هولندا إستخدمت منذ القدم طواحين الهواء لمختلف الإستخدامات الإنسانية واستخدم الإنسان المراوح الهوائية وخاصة على شواطئ الخلجان والبحار والمحيطات وعند مصبات الانهار فى أغراض الزراعة واستصلاح الأراضى وفى المناطق الريفية التى يصعب توصيل الكهرباء إليها.

وجدير بتعميق المفهوم أن الرياح والعواصف ماهى إلا ناتج لحركة الشمس والأرض وتصعد بخار الماء من الخلجان والبحار والمحيطات ويسجل التاريخ للعالم الدانماركى لاكور فى هذا الفرع من الطاقة أنه تمكن من تطوير

التصميمات حتى عام ١٩١٠ أى منذ ٨٠ عاماً حتى وصل بقدرتها إلى الحصول على ٢٥ كيلو وات من مولدات كهربائية تعمل بطاقة الرياح ناهيك أن التكنولوجيا الدانماركية تمكنت حتى ١٩٤٢م من إنتاج ماجملته ٤٨١٧٨٥ كيلو وات من ٨٨ طاحونة هواء.

وللولايات المتحدة الامريكية وإنجلترا وفرنسا وروسيا سبق وتحسين وتطوير يذكر فى إنتاج الطاقة الكهربية من طواحين الهواء.

والآن يباع فى الأسواق التجارية الأوربية مولدات كهربية هوائية تصل قدرتها ٢ر١: ٠ر٢ كيلو وات.. وهناك فى ولاية كاليفورنيا بأمريكا حقول بكاملها تتكامل طواحين هوائية فيما يشبه المستعمرات لإنتاج الكهرباء وبطاقات هائلة قريباً من ساحل سان فرنسسكو.

١٥. الكربون وبيئة البحر

وسألت ابنتى: وهل هناك طاقة حيوية كربونية فى بيئة البحر ؟؟

أجبت: بالطبع هناك يابنيتى! ففى دراسة حديثة نشرها البروفسور دالاس س. بروكر أستاذ الجيولوجيا بمرصد لامونت والمستشار بلجنة دراسة جيو كيمياء المحيطات (جيوسكس) أشار إلى أهمية عنصر الكربون ومدى تأثيره على الحياة فى المحيطات والبحار وأورد مدى تأثير الكربون الناتج عن الكيمياء الأرضية، وأنذر أنه لن يكون هناك كربون فى البحر بعد مليون سنة من الآن كما تعرضت الدراسة لدورة ذرة الكربون فى البحار والمحيطات شارحاً أن الكائنات الحية تتسبب فى نقل بعض العناصر أيضاً من المنطقة الدافئة الى المياه الباردة للمحيط، وهذا النقل يؤدى الى ثراء المنطقة الباردة فى المحيط بالكربون. كما أوردت الدراسة رحلة ذرات الكربون بين المياه الدافئة والمياه الباردة، ومدة مكوثها فى كل منهما، وكذلك ذكرت الدراسة نسبة ذوبان الكربون فى المياه الدافئة.

وتعرضت الدراسة لدورة الكربون فى الجو والتبادل التأثيرى بين كربون الجو والأجزاء العلوية للبحار والمحيطات.

وأما ذرات الكربون المشع (ك ١٤) التى قد تختلط مع الكربون العادى أو تتحول إلى نتروجين.. ولا شك أن أهمية الكربون فى تغذية أسماك البحر.. ونحن الآن نتجه كلية إلى زراعة البحر، وتكثيف الإعتماد عليه فى سد الفجوة الغذائية

العالمية٠٠ وكما أن ذرات الكربون تؤثر على البيئة البحرية - التى يجب الإهتمام بها، ومن الآن بحيث تبقى تحت السيطرة٠٠ وبحيث تبقى وتزدهر المخلوقات المرغوب فيها، وعلى حساب المخلوقات البحرية المرغوب فيها بدرجة أقل٠

ويشارك الكربون فى الأهمية عنصرا الفسفور والنتروجين وهناك عقبات فنية كثيرة وعديدة فى الحصول على تكنولوجيات ومحددات دقيقة للاستخدام فى هذا المجال٠

ويا أحباب ! لابد لكم أن تعرفوا أن الولايات المتحدة الأمريكية اهتمت فى السنوات الأخيرة بدراسة الكيمياء الأرضية للمحيط وخصصت لذلك برنامج (جيوسكس) وهدف البرنامج الرئيسى الكشف عن الطريقة التى تختلط بها مياه البحر الباردة والدافئة ٠٠ والكربون بالذات ٠٠ على رأس العناصر التى تدرس دراسة تامة!!

إن وجود ثانى أكسيد الكربون وبخار الماء فى الجو٠٠ يؤدى إلى إمتصاص الضوء مادون الأحمر٠٠ وفى حالة غياب ثانى أكسيد الكربون تزداد حرارة الجو وعلى وجه التعميم يتغير مناخ العالم٠

ومن بديهيات المعرفة أن ٦٠٪ من ثانى أكسيد الكربون الموجود فى الهواء يبقى فى الجو و ٤٠٪ منه تمتص فى البحار والمحيطات٠ وتوصلت دراسات (جيوسكس) الى ان هناك نقصاً ملحوظاً لثانى اكسيد الكربون فى جو الكرة الارضية٠ وجاء بالدراسة: (ومعنى هذا أن الجو المحيط بالكرة الأرضية يجب أن يزداد بنسبة ١٠٪ عما هو عليه الآن نظراً لتغير أنماط وقود الانسان، ولاجتثاث الغابات والمناطق الخضراء فى العالم٠٠ هذا مايجب التنويه به٠٠ لضمان عدم حدوث تغييرات جذرية فى جو الكرة الأرضية)٠

ولقد وردت الآية الكريمة:

﴿ الذى جعل لكم من الشجز الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون﴾ (يس٣٦:٨٠)

والخضرة وثانى أكسيد الكربون٠٠ يلعبان دوراً هاماً فى الحياة البحرية٠٠ لكن تغيير انماط الحياة بسبب الثورة الصناعية من جهة، ومن جهة اخرى اجتثاث الغابات فى العالم اديا الى اضطراب فى ميزان الكربون، وبالتالى فى ميزان الجو والحياة البيولوجية فى اليابس والمحيطات ككل!!

و أورد ايرلس نورتون لانهام فى كتابه القيم عن الكوكب الزمردى٠٠ أنه ثبت معملياً أن بكتريا النبات الأخضر فيها جهاز للتمثيل الضوئى بمعنى أنه يستطيع

أن يستخدم ضوء الشمس كمصدر للطاقة اللازمة للتمثيل الضوئى، ولكنه لايستخدم هذه الطاقة للحصول على الهيدروجين من جزء الماء، وإنما يحصل على الهيدروجين الذى يستخدمه كوقود من المركبات العضوية، أو من مركبات الكبريت، ولذلك فإن النبات الأخضر لاينتج الاكسجين الحر، وعلى العكس فإن بكتيريا الخضرة المزرقة تستخدم ضوء الشمس فى تحليل الماء إلى أكسيجين وهيدروجين، ولها القدرة على إستخدام النتروجين الموجود فى الجو فى إنتاج الأحماض الأمينية، ومن هنا فهى مستقلة إلى حد كبير، وتستطيع أن تعيش على الهواء، والماء، وضوء الشمس، وقليل من المعادن.

وسبحان الله العظيم بالماء والضوء وقليل من المعادن تنمو الأشجار الخضراءً، وتتعاظم حجماً ومع مرور الزمن يتعاظم الكربون، والذى هو أساس الطاقة التى تنتج من الشجر (جذوراً، سيقاناً، وفروعاً، وأوراقاً، وثمراً، وحباً).. والعلاقة المركبة المعقدة التى تهدد مناخ الكرة الأرضية بين الماء والكربون، والذى هو عنصر الحفاظ على إتزان البيئة الحية على اليابس، وفى مياه البحار والمحيطات، وعنصر الأساس لإتزان الحياة البشرية غذاءً ودفئاً، وإتزان الحياة فى البحار والمحيطات.

ولفهم إتزان جو الكرة الأرضية، وبلا تغييرات جذرية.. يحتاج الأمر فهم الإنسان العميق لكيميائية كربون المحيط، وكربون النبات الأخضر، ومعرفة مصير ثانى أكسيد الكربون الناتج عن المجتمعات البشرية، وتأثير ذلك كله على بيئة الإنسان وتأثره بها!!

١٥. البحر والجو آلة حرارية

- وسأل ولدى: وما صلة حالة الجو والمناخ بعلوم البحار؟!

- أجبت: يا ولدى! عمد علماء المحيطات وعلماء الأحوال الجوية أن يجعلاهما منفصلين، فى حين أن العلمين متشابهان لأن كلا منهما يتعامل مع سائل، والسائل يدور على الأرض، وهو كذلك طباقى أى مكون من طبقات.

أورد السيد جورج س. بنتون رئيس قسم علوم الأرض والكواكب بجامعة جوبنز هوكنز، ورئيس هيئة الملحقين للتفاعلات البحر والجو(١٩٦٠م: ١٩٦٦م) أن الجو والمحيطات متصلان إتصالا جيداً، وفى تبادل تأثيرى مشترك، حيث عند فحص الجو فوق المحيطات، وجد أن تدفقاً عظيماً للكتلة والطاقة والحركة عبر السطح

الذى يمثل حدوداً مشتركة بين البحر والهواء هو نظام تأثير سائل واحد بالنسبة للآخر، وتوجد منطقة تفاعل بين البحر والهواء مباشرة فوق سطح المحيط، وهى منطقة بالغة التعقيد فى الفهم والتحليل، والهدف من هذه الدراسة والتحليلات هو القدرة العلمية على معاملة الجو والمحيطات كوحدة، أو كميات، أو كينونة مفردة، وأهم المتدفقات فى هذه الحالة هو بخار الماء فإن كمية البخر فى المنطقة شبه الإستوائية كثيف، ويقل جداً فى المنطقة الباردة بالقرب من القطبين، كما أن هناك إختلافات قوية فى البخر من الشرق إلى الغرب عبر المحيط، فالبخر فى الغرب ضعف مثيله فى الشرق على نفس خط العرض على سطح المحيط.

- فالبخر بجانب أنه يتسبب فى سقوط المياه العذبة مسببة الحياة، فعملية البخر تستخدم كميات هائلة من الطاقة فى تسخين مياه المحيطات، والبخر يلعب دوراً هاماً وحاسماً فى الاتزان الحرارى للمحيطات، مع الحفاظ على ملوحتها فى ذات الوقت. وإن تكثيف البخر يعمل على تخفيف الماء، وملوحته بالقرب من سطح المحيطات. مما ينتج عنه استبدال الكتلة التى يمثلها تدفق بخار الماء، ويستتبع ذلك حركة وتولد غازى الأكسجين وثانى أكسيد الكربون مسببي الحياة البيولوجية للمحيط، وميزان غازات المحيطات. وإن تكثيف الغبار من الجو على سطح المحيط حيث يستقر الكربون ويغوص إلى قاع البحر، والأيونات، والذرات الصغيرة المشحونة كهربائياً تتحرك من سطح المحيط إلى الجو، وتؤثر على الإختلاف فى الجهد الكهربى بين الجو والمحيط من تحته.

- بالإضافة إلى تبادل الكتلة، فهناك تبادل مهم للطاقة، فالجو والمحيطات عبارة عن آلة حرارية مزدوجة، بمعنى أن كلا من الجو والمحيطات فى دورة نتيجة للحرارة المختلفة للأرض بين القطبين وخط الإستواء، ينتج عنه تدفق للطاقة من المناطق الإستوائية إلى القطبين الشمالى والجنوبى وهذا يحدث فى الأجزاء السائلة من الأرض (مياه المحيطات، وهواء الجو، والعامل الناقل الوسيط فى هذه الحالة هو الجو)، فالمحيطات منغمسة بصورة رئيسية، وثقل ملحوظ حيث تمتص مياهها ٧٠٪ من الطاقة الحرارية للشمس، وسطح المحيط، هو الذى يدفئ الجو بتفاعل البحر والهواء، فالطاقة الآتية من الفضاء، ومن الشمس على وجه الخصوص، يمتصها المحيط، ويعمل الجو علي نقل هذه الطاقة، إلى المناطق القطبية وتقدر هذه الطاقة بنحو ٦٠٠ كالورى/ جرام بخار ماء مبخر، والتكثيف يفرج عن الطاقة المبخرة فى تعذيب الماء والحفاظ على الجو العالمى، وفى عملية دائمة ومستمرة فسبحان الله العظيم على ديمومة إنزال الماء ﴿وجعلنا من الماء

كل شيء حي﴾

- والعملية العكسية تتم مع تدفق الهواء البارد من القارات على المحيطات، ويحدث تبادل للطاقة، وتنقل الحرارة من الماء الدافئ إلى الهواء الأبرد، ومن فوق المحيطات فيكتسح الضوء الساخن من المنطقة المحيطية الإستوائية، وإلى شرق القارة الأسيوية، فيحدث تسخين سريع للهواء تنتج عنه عواصف رعدية وتتكون الأعاصير والعواصف.

- وتنتج الطاقة الميكانيكية من الأمواج الناتجة من الضغوط والرياح التى تهب على سطح المياه، وذلك فى وقت قصير جداً لتبادل طاقة الحمل الميكانيكية من اعلا إلى اسفل المحيطات.

ويا أحباب! يمكن تلخيص دورة الطاقة فى الآتى:

١. الإشعاع الشمسى.

٢. البخر فالتكثيف.

٣. تبادل الطاقة الناتجة عن التسخين والتبريد للهواء، ويلعب الكربون فى ذلك دوراً مؤثراً.

٤. تبادل الطاقة الميكانيكية التى تحدث بسبب الضغوط والرياح فى الجو، وللكربون الدور الحاكم فى التغيرات المناخية.

فالموتور الكونى فى أبسط صورة.. طاقته الأصلية من الشمس حرارة، ومن القمر مداً وجزراً.. وسيطة الماء، والرياح. وسمى كونياً لأنه يعمل مابين السماوات والأرض.. مؤثراً، ومتأثراً فيما بينهما (يابساً وسائلا وغازياً).. ومسخراً بقدرة الله عاملا بإذنه على ديمومة الحياة.. بالمشاركة والكربون، الذى يلعب الدور الرئيسى فى مناخ الأرض.. حرارة ودفيئة.. ورياحاً.. وتيارات بحرية.. واعاصيراً وسيولاً.. ودورات حياتية للكائنات الحية.

حقاً إنها آلة هائلة.. دائمة العمل بعزة الله.. وليس فيها من تفاوت او تجاوز فى دقة صنعها وضباطة أدائها.

﴿ماترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾

- وحد علمى يا أحباب! يقف عند.. أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب هو أول من ربط بين الجو والبحر والمناخ وحياة البحر واليابس.. حيث قال:

(عالم السر في مغرز الأوراق من الأفنان؛١ ومحط الأمشاج من مسارب الأصلاب؛٢ وناشئة الغيوم ومتلاحمها، ودرور قَطْر السحاب فى متراكبها، وما تسفى الأعاصير بذيولها؛٣ وتعفو الأمطار بسيولها٤ وعوم نبات الأرض فى كثبان الرمال٥ ومستقر ذواتى الأجنحة بذُرَى شناخيب الجبال،٦ وتغريد ذوات المنطق فى دياجير الأوكار،٧ وما أوعبته الأصداف،٨ وحضنت عليه أمواج البحار٩ وما غشيته سدفة ليل أو ذر عليه شارق نهار،١٠ وما اعتقبت عليه أطباق الدياجير١١ وسبحات النور، وأثر كل خطوة، وحس كل حركة ورخع كل كلمة وتحريك كل شفةٍ، ومستقر كل نسمة، ومثقال كل ذرة وهماهم كل نفس هامة،١٢ وما عليها من ثمر شجرة،١٣ أو ساقط ورقة أو قرارة نطفة ١٤ أو نقاعة كل دم ومضغة١٥ أو ناشئة خلق وسلالة، لم تلحقه فى ذلك كلفة، ولا اعترضته فى حفظ ما ابتدعته من خلقه عارضة١٦ ولا اعتورته فى تنفيذ الأمور وتدابير المخلوقين ملالة ولا فترة١٧ بل نفذ فيهم علمه، وأحصاهم عده ووسعهم عدله وغمرهم فضله مع تقصيرهم عن كنه ماهو أهله)!!

وهذا الربط لأمير المؤمنين على ابن أبى طالب لايتسنى لدول وبإمكانات الرصد الفضائى ولو إجتمعوا له.. ليربطوا فى بساطة واسترسال بين كل ماخلق الله وقدر من مخلوقات الأرض والبحر والجبل والليل والنهار والهواء والرياح

١- الأفنان: الغصون.
٢- الأمشاج: النطف.. وهى جمع مشيج: من مشج إذا خلط لأنها مختلطة.. ومسارب الأصلاب: مايتسرب المنى فيها عند نزوله أو عند تكونه.
٣- سفت الريح التراب: ذرته أو حملته، والأعاصير جمع أعصار: ريح تثير السحاب أو تقوم على الأرض كالعمود.
٤- تعفو: تمحو.
٥- الكثبان جمع كثيب: التل.
٦- الذرى جمع ذروة وهو أعلى الشىء .. والشناخيب: رؤوس الجبال.
٧- تغريد الطائر: رفع صوته بالغناء وهو نطقه، والدياجير: المظلمة.
٨- أوعبته: جمعته.
٩- حضنت عليه: ربته.
١٠- سدفة: ظلمة.
١١- اعتقبت: تعاقبت وتوالت.. والأطباق: الأغطية.. والدياجير: الظلمات.. وسبحات النور: درجاته وأطواره.
١٢- هماهم: هموم مجاز من الهمهمة بمعنى ترديد الصوت فى الصدر من الهم.
١٣- عليها أى على الأرض.
١٤- قرارتها: مقرها.
١٥- نقاعة عطف على نطفة.. ونقاعة الدم ما ينقع منه فى أجزاء البدن.. والمضغة عطف على نقاعة دم أى يعلم مقر كل ذلك.
١٦- عارضة: هى ما يعترض فيمنع عن العمل.
١٧- اعتورته: تداولته وتناولته.

والسحاب والماء والموج وخلق بنى آدم.. وهذا الوصف الإلهامى الوهبى سجل منذ أكثر من ١٤ قرن من الزمان فى بيئة صحراوية بلا منظار ولا تلسكوب وبلا محطات رصد فضائية.. ليسجل أحد خلفاء المسلمين أسرار كونية من علم الله ﴿وعلمناه من لدنا علماً﴾ (الكهف ٦٥) علم مما أحصاه ربنا عده.. ووسعه إلاهنا عدله.. وغمر به جل علاه امير المؤمنين فضله.

والمسلمون يا أحباب! عن كنه الإله وتكاليفه لهم بإعمال العقل والفكر والتدبر والارتفاق والإنتفاع من كل شىء.. عن كل هذا.. لاهون منصرفون عابثون؟! وأن صح قل نحن للاشياء والسنن مجزئون.. ولبعضها تاركون؟!

١٦. المنشآت البحرية

وسألت ابنتى: وماذا عن المنشآت البحرية؟!

قلت: يابنيتى! هذا أمر حديث متدرج والمعارف البشرية.. وعلى وجه التعميم فليس هناك من شك أن منشآت محطات الطاقة الحرارية التى تستغل طاقة البحار والمحيطات، ومنشآت المحطات والطواحين التى تعمل بطاقة المد والجزر، وأينما كانت، ومنشآت الطواحين الهوائية التى هى نتاج مباشر فى دائرة الشمس والهواء، والبحر، ومنشآت الطرق التى قد تأخذ شكل الأنفاق فى بحر الشمال بين فرنسا وانجلترا، وفى اليابان بين جزرها وفى مدينة نيويورك وتحت خليجها، ومنشأة الطريق الذى يربط السعودية بالبحرين بالإضافة إلى الموانئ والوحدات،. ونفق أحمد حمدى تحت قناة السويس بالإضافة إلى الموانئ ومصدات الأمواج والمد والجزر على الشواطئ وسدود تجفيف البحيرات هى فى جملتها من المنشآت البحرية الفعالة والتى أنبأ بها القرآن منذ ١٤ قرناً من الزمان

﴿وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام﴾

وإن تنجيم الخلجان والبحار والمحيطات والانهار قد تأتى بأشكال وأنماط من المنشآت يعلم الله شكلها وطاقتها ومدى فعاليتها ومدى تأثيرها فى حياة البشرية كلها.

والسؤال المطروح فى النهاية.. وبعد قتل الغابات وزيادة الحرارة بدرجة لاتطاق فى بعض المناطق المتصحرة ومستقبليات الطاقة البترولية والكهربية والازدياد المضطرد فى أسعارها.. ألا تبدأ البشرية فى المعيشة فى عوامات

ومدن على الشواطئ.. أو فى بيوت تنحت فى الجبال وعلى مقربة من شواطئ البحار.. وهذه هى منشآت ومدن الغد.. والله أعلم.

١٨. الكيمياء البحرية للكربون .

وسأل ولدى: وماذا عن الكيمياء البحرية للكربون؟!

أجبت: ياولدى! كيمياء الكربون والماء هى كيمياء غالبية الأحياء فى اليابس وفى البحر على حد سواء.. فالكربون هو الطاقة وهو البناء للكائنات الحية.. وتأمل قول الله تعالى:

﴿الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون﴾ (يس٣٦:٨٠)

ومعروف أن الكربون يؤدى دوراً مهيمناً فى كيمياء المحيط، وغاز ثانى أكسيد الكربون يتولد عن طريق إحتراق الفحم والشحم والغاز الطبيعى والبترول، ويلعب الكربون دوراً هاماً فى الظواهر الطبيعية للمحيطات، ولبيئة الإنسان وللجو عموماً سواء على سطح الأرض أو سطح المحيطات.

وفى دراسة مطولة للسيد دالاس س. بروكو أستاذ الجولوجيا بمرصد لامونت، أورد أن دورة الكربون والكربون المشع (ك ١٤) فى الجو موزعة على أساس أن ٦٠٪ من ثانى أكسيد الكربون يبقى فى الجو، ٤٠٪ الباقية من ذات الغاز يمتصها المحيط، وذكر أنه إذا استمر الإنسان فى زيادة إستهلاكه للوقود بالنسبة الحالية، والتى تقدر عالمياً بزيادة سنوية قدرها ٥٠٪ فى السنة فالتوزيع بين هذين المستودعين (الجو والمحيط) لن يتغير بدرجة محمودة، من أهم ماجاء فى دراساته أنه بالنسبة لليوم فإن جونا (الجو المحيط بالكرة الأرضية كلها) يجب أن تزداد نسبة ثانى أكسيد الكربون الموجودة فيه الآن بنسبة ١٠٪ لتصل للنسبة التى كانت موجودة فى جو الأرض الطبيعى عند بداية الثورة الصناعية، وذكر أنه بحلول عام ٢٠٠٠م يجب أن تزداد نسبة ثانى أكسيد الكربون بواقع الضعفين مقارنة بالنسبة التى كانت عليها مع بداية الثورة الصناعية، وبكلمات أخرى يجب أن يزاد ثانى أكسيد الكربون إلى الضعفين عن الوضعية النسبية التى هى عليها اليوم (علم المحيطات صفحة ١١٥).

ويرى البروفسور والاس بيكر فى دراسته المنشورة عام ١٩٨٢م (علم المحيطات ص ١٠٨: ١١٧) أنه يجب الاهتمام البشرى بكيميائية كربون المحيط لمعرفة مصير ثانى أكسيد الكربون الذى يهدد بإحداث تغيرات جذرية فى جو الكرة الأرضية،

وأورد أن بحوث دورة الكربون فى المحيطات، وفى الجو تعالج مشاكل هامة تؤثر علينا جميعاً، وهى مشاكل كبيرة وصعبة، وأضاف أنه يصعب على رجل واحد، أو حتى على جيل واحد أن يحلها، وطالب بضرورة تسخير المعرفة المكتسبة لإحراز مزايا طويلة المدى للبشرية، وبدلا من الأهداف السياسية قصيرة المدى.

وجاء بدراسة السيد جورج س. بنترن رئيس قسم علوم الأرض والكواكب بجامعة جوتز هوبكنز دراسة الجو والمحيطات أن:

(زيادة ثانى أكسيد الكربون مهمة فى ميزان الطاقة للجو لأن ثانى أكسيد الكربون يعمد إلى أن يعمل كبطانة ليأسر الطاقة بالقرب من سطح الأرض بإمتصاصه الإشعاع المنطلق من الأرض، ويرسل الطاقة مرة أخرى إلى أسفل فى إتجاه سطح الأرض، ولهذا السبب وبسبب أهمية ثانى أكسيد الكربون للأنظمة البيولوجية فإن دورة ثانى أكسيد الكربون مهمة، بدرجة قصوى لكثير من المجالات العلمية).

وأورد:(أن دورة ثانى أكسيد الكربون ذات صفات معقدة، ولمدة مئات السنين الماضية، فقد كان هناك إستغلال مكثف لوقود الحفريات، أى الزيت، والفحم، والغاز الطبيعى، وكان يضاف نحو مليار طن من ثانى أكسيد الكربون إلى الجو كل عام وإذا أعيد جميع ثانى أكسيد الكربون من الجو فإن محتوى الزيادة السنوية تقدر بنحو ١,٦ جزء فى المليون فى السنة، فى حين أنها الآن ٠,٧ جزء فى المليون فى السنة، أى أقل من النصف) ؟!

ويجب التركيز على أن ثانى أكسيد الكربون يتدخل، بدرجة كبيرة، فى نمو النباتات، وبالتالى الحيوانات (الغذاء الأساسى للإنسان)، ولما كانت نسبة ثانى أكسيد الكربون غير مستقرة، ومتناقصة على النحو سالف الذكر فإننا نعيش فى حالة غذائية غير مستقرة لأن حياة النبات والحيوان قد تنخفض بالإضافة إلى تغيرات جذرية قد تحدث.

وفى الآونة الأخيرة تهتم البشرية جميعها بتلوث البيئة، وبحسب أنها الطاعون البشرى للعصر الحديث، فيجب التنبيه أن التلوث يتأتى جزئياً من أول ومن ثانى أكسيد الكربون، والناتجين من عوادم السيارات، وهو ناتج من دورة المواد الغذائية، وأثر من آثار المعادن المذابة فى المواد العضوية، وهى أكثر صعوبة فى فهمها تماماً، والمقطوع به أن إنتشار الخضرة، والمزروعات الحقلية، والتشجير - يعطى بيئة مناسبة نسبياً، ومع عوامل كثيرة ومتعددة بالإضافة إلى أن هذه العملية الطبيعية الربانية الأزلية تنتج وتسخر لبنى البشر فى ديمومة عظيمة

للغذاء النافع، والجو الصحى، ودورة المحيط المتوازنة، وبالتبعية دورة المياه العذبة المستقرة.

وفى صحيح الحديث النبوى الشريف عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

﴿لاتقوم الساعة حتى يحسر الفرات على جبل من ذهب، يقتتل عليه الناس، فيقتل تسعة أعشارهم﴾

سنن ابن ماجه، والطبرانى الكبير.. الحديث رقم: ٧٤٢٤ فى صحيح الجامع.

وعنه ﷺ أنه قال: ﴿لاتقوم الساعة حتى يحسر الفرات على جبل من ذهب، يقتتل الناس عليه، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم: لعلى أكون أنا الذى أنجو﴾

صحيح مسلم .. الحديث رقم: ١٣٢٨٠ فى صحيح الجامع.

وعنه ﷺ أنه قال: ﴿يوشك الفرات أن يحسر على جبل من ذهب، فإذا سمع به الناس ساروا إليه، فيقول من عنده: والله لو تركنا الناس يأخذون منه ليذهبن به كله، فيقتتلون عليه، حتى يقتل من كل مائة تسع وتسعون﴾

مسند الإمام أحمد، وصحيح مسلم.. الحديث رقم: ١٤١٣٩ فى صحيح الجامع.

وعنه ﷺ أنه قال: ﴿يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً﴾

سنن ابى داوود، والبخارى ومسلم.. الحديث رقم: ١٤١٤٠ فى صحيح الجامع.

ويُحمَل الذهب فى الأحاديث النبوية الشريفة على أنه الذهب الأصفر والذهب الأسود وكل ثروات ما تحت الثرى!!

ومعنى ذلك أن ثروات العراق مستهدفة من الغرب.. شأنها فى ذلك شأن بترول الخليج.. وموقع الخليج.. وثروات الخليج.. وشباب الخليج.. وسلاح الخليج.. ومال الخليج ؟! ..

والسؤال الأول الذى يطرح نفسه هو: هل أدت حرائق آبار البترول الخليجى إلى زيادة نسبة ثانى أكسيد الكربون فى الجو ؟؟ وفى البحار ؟؟

الإجابة بنعم !!..

والسؤال الثانى: هل يؤدى تلوث البيئة فى جنوب الجزيرة العربية إلى تغيرات مناخية لصالح الغرب؟! وتلوث بيئى فى غير صالح المنطقة؟!

وهذا أمر وارد وبدرجة كبيرة.. !!

والسؤال الثالث: هل يؤدى سكب البترول فى الخليج إلى زيادة نسبة الكربون فى الخليج، وفى المحيط لصالح البشرية، وعلى نفقة العرب ؟!

هذه حقيقة لاشك فيها.. !!

والسؤال الرابع: هل يؤدى التلوث البيئى البحرى بصب البترول الكويتى فى الخليج العربى ونفوق الأحياء البحرية السطحية إلى تغيرات بيئية بحرية، وفى قاع الخليج، وبالتالى فى قاع المحيط لصالح دول الغرب.. ؟!

والإجابة بنعم.. !!

وإجابات هذه الأسئلة فى جملتها.. ربما قد تجيب لماذا كان كل هذا العبث بأنعم الله فى حرب الخليج؟! ولمصلحة من؟! وبالطبع فصاحب المصلحة الحقيقى هو الغرب ودول الصناعة.. الطامعة فى موارد وثروات وأسواق الشرق الأوسط.. وعلى أية حال.. فقد أصابت حرب الخليج الجسد العربى فى مقتل.. وسبحان من يحيى العظام وهى رميم.. !!

وفى الوقت الذى لم يبق فى العالم غابات لها التأثير المنتج لشجر التصنيع، وشجر التدفئة والحريق، إلا فى المناطق الإستوائية وحول نهر الأمازون وفى بعض المناطق الجبلية الأوربية.. إلا أنه يجدر التنبيه إلى.. أن كمية الكربون الناتجة عن حريق الوقود من مخلفات الشجر والزرع والحيوان، مضافاً إليها كمية الكربون الناتجة عن الاستخدامات البشرية الأخرى.. كل هذا.. لن يفى بالقدر الوزنى الهائل المطلوب من ثانى أكسيد الكربون.. لإتزان الجو، ولحياة البحر، وحياة الزرع.. !!

فى الختام فإن استقرار المناخ على الأرض فى القرن القادم أمر مشكوك فيه تماماً!! فهل كان ذلك أحد الأسباب الخبيثة لحرب الخليج.. !!

وإن العمل على خضرة اليابس كل اليابس بشتى السبل أمر واجب وضرورى، لنعيد للحياة البيولوجية إتزانها الذى كانت عليه قبل الثورة الصناعية!!

والعمل على خضرة شواطئ البحار وسواحلها.. بصفة خاصة.. بنباتات تروى بمياه البحار، أو بمياه نصف عذبة، ربما يساعد ذلك.. وبصورة فعالة.. إلى توازن غذائى وكربونى، وإلى استقرار مناخى مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون﴾ (الواقعة٥٦:٦١)

١٩. مولد ثانى أكسيد الكربون

CO2 GENERATOR

إن المهتمين بالزراعات المحمية فى الصوبات يعرفون جيداً أنه قد يحتاج

النبات إلى زيادات فى نسبة ثانى أكسيد الكربون، ولقد تم إنتاج مولدات ميكانيكية من شأنها تدخين الصوبة، منتجة ماتحتاجه من ثانى أكسيد الكربون، وتباع هذه المولدات حالياً فى الأسواق التجارية الأوربية والأمريكية، وضمن مستلزمات الصوبات والزراعات المحمية.

المرجع - كتاب تشغيل وإدارة الصوبات الزراعية، باول ف. نيلسون ١٩٨٨م، صفحة ٣٤١:

Greenhouse Operation and Managment Palul V. Nelson P. 341

فهل ياترى لو اعتبرنا الغلاف الجوى المشبع بالماء، والمحيط بكوكب الأرض الدرى الزيتونى الشكل، والذى صوره رواد الفضاء من فوق القمر، وكما جاء على غلاف، وفى متن ما أورده فى كتابه الأرض الكوكب الزمردي، والذى تحيطه زجاجة طيفية مائية زجاجية، ما هو إلا صوبة كبيرة بمحيطاتها وبحارها ويابسها وزرعها ومخلوقاتها الحية!

وهل ياترى لو سلمنا بأن هذه الصوبة ينقصها ثانى أكسيد الكربون!.. وهو ينقصها بحق.. جواً وبحراً! من واقع العمل المؤسسي البحثى الامريكى المشار إليه سابقاً.. ؟!

فالسؤال البسيط: هل أدت آبار البترول العربية فى الكويت دور المولد الصناعى لثانى أكسيد الكربون، ولصالح الكرة الأرضية كصوبة كونية، ولصالح البشرية جمعاء وعلى نفقه العرب ؟!

والإجابة الأبسط: (الله يعلم السر وأخفى) .. هذا بخلاف أن العرب كطلائع للمسلمين، وثرواتهم، وماضيهم، وحتى مستقبلهم.. وعليه فالعرب والمسلمين هم أعداء الغد للغرب.. كما يتوهم سياسيو ومفكرو المستقبليات.. راجع كتاب الفرصة السانحة للرئيس الأمريكى الأسبق ريتشارد نيكسون.. عن دار الهلال القاهرة ١٩٩٢.

﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام﴾ (إبراهيم١٤:٤٧)

٢٠. دعوة مفتوحة

من كل ما تقدم يستفاد أن البحر والنهر والخليج مصادر مشاركة وبفاعلية فى تصريف الرياح والسحاب وعذب الماء، والغذاء والكساء(الكربون)، والمعادن، والطاقات، مشاركة فعّالة فى كل نشاطات الحياة.. من هنا فدراسة البحار والأنهار والخلجان وارتفاقها فريضة من فرائض الاسلام!!

وعليه نوجه للخاصة والعامة دعوة مفتوحة من عدة نقاط فيما يتعلق بالبحر والنهر والخليج..

١. إن قادة الأمم وعلماء البشرية المنظرين والتطبيقيين مدعوون للإهتمام بمختلف جوانب التنمية، وخاصة فيما يخص التأثير الخليجى، والبحرى، والمحيطى عليها، بالإهتمام بتعليم وتعلم تكنولوجيا حديثة، والإهتمام أولا وقبل كل شىء بالبيئة، وتنمية زراعة الطحالب، والأسماك، وتصنيعها، وحفظها، وتوزيع منتجاتها، ومطالبين بوضع وترسيخ الأسلوب الأمثل فى إستخراج غازات، وبترول، وتعدين الخلجان، والبحار، والمحيطات، ومع الإهتمام بالمنشآت البحرية التقليدية، وغير التقليدية من عوامات سكنية، وكبارى وأنفاق غير تقليدية، وطرق برية فوق الماء، وتحت الماء (كبارى علوية وأنفاق بحرية.. إلخ، ومطالبون بإقامة مجتمعات عمرانية فى المواقع الملائمة، وتعذيب المياه للإستخدامات البشرية والحيوانية، وزراعة مايمكن زراعته على شواطئها، وسواحلها، بالنباتات والزراعات التى تتلائم مع الأراضى الملحية، والتى تروى بالمياه التى لا تتصف بالعذوبة، أى التى بها نسبة أملاح عالية نسبياً، ومطالبون باستغلال الطاقات الغير تقليدية الحرارية والهوائية وطاقة المد والجزر المتاحة على شواطئ الخلجان والبحار والمحيطات برؤى مستقبلية لعالم العشرة مليار نسمة، والذى سيواجهنا فى العقود القليلة القادمة.

٢. إن أنواعاً جديدة من أنماط التعليم والتدريب .. اللذين يخدمان النشاطات البحرية المستقبلية .. يلزم الإهتمام بهما ومن الآن.. كليات العلوم والزراعة والهندسة والصناعات الغذائية البحرية.. وكليات التعدين والتنجيم والبترول..

٣. إن تمويلا واستثماراً وإقراضاً غير تقليدى لما سبق ذكره من نشاطات يفترض التفكير فيه والدعوة إليه بإقامة نماذج متكاملة لحياة غير تقليدية علماً وتعلماً وتدريباً لإنسان المستقبل المهجر أو الساعى للمعيشة فى هذه الأماكن أو الراغب فى النشاطات التى سبقت الإشارة إليها.

٠٤ إن تحولات غير تقليدية فى النشاطات البشرية بإستغلال ثروات البحار والمحيطات والخلجان يجب الدعوة إليها والتعود عليها كحل لا غنى عنه لمواجهة الإنفجار السكانى العالمى ولمواجهة أزمات الجوع والبطالة.

٠٥ إن الإهتمام بصناعة السفن لمختلف الأغراض أصبح من أوجب أولويات الصناعة فى العقدين القادمين.

٠٦ إن النقل البحرى سيلعب دوراً كبيراً وخطيراً فى مستقبليات الإستغلال الأمثل لثروات الخلجان والبحار والمحيطات.

٠٧ إن خرائط بيولوجية وجوية للبحار والمحيطات ونشرات إذاعية مطلوب بثها وتقنين صناعة الصيد ومناطق نفوذه حتى لاتطغى الدول المتقدمة والغنية على مستقبليات الإحتياطى الغذائى البحرى!!

٠٨ إن تشريعات دولية وعلى مستوى كل دولة مطلوب وضعها والإلتزام بها للمحافظة على البيئة البيولوجية والفيزيقية للشواطئ والخلجان والبحار والمحيطات حفاظاً على مستقبليات ثرواتها التى هى إحدى أسس الإحتياطى الأساسى للبشرية فى غذائها وطاقتها وحياتها وبقائها.

٠٩ قد آن الأوان للأخذ بالتكنولوجيا الحيوية والإهتمام بالتصنيع وبالتجفيف والحفظ الغذائى مع زراعة أراضى المنخفضات والسواحل بالوسائل غير التقليدية.

٠١٠ إن جامعة الدول العربية ومنظمة العالم الاسلامى وإتحاد الجامعات العربية مطالبون بالعمل على قيام مؤسسات بحثية وإقتصادية تعنى بالنشاطات المستقبلية البحرية .. بعد علاج الاثار النفسية التى ولدتها حرب الخليج؟!

٠١١ إن تشريعات قانونية محلية وقومية ودولية يجب التفكير فيها وسنها؛ فيما يتعلق بالبحار والخلجان والانهار العربية، تحدد فيها المنافع والمغارم القومية، كما يجب أن تعلن إستراتيجيات وسياسات مائية وبحرية.. يتم التمسك بها والإصرار على متابعتها وإنجاحها.. درءاً لمخاطر عدائية دولية مستقبلية، بتقلبات مباغتة- تتحالف منقضة على ثرواتنا المائية ومرتفقاتنا البحرية فى البحرين الابيض والاحمر على حد سواء، وما التآمر الغربى على الخليج العربى ببعيد؟!.. وحتى تقف الدوافع الثقافية والوطنية والقومية موقف التضامن الحارس على بحارنا ومضايقنا وحقوقنا المائية.

ربما يجئ اليوم الذى يطلق فيه على القرن الحادى والعشرين.. قرن القرآن.. أو قرن البحار.. أو قرنهما معاً.. قرن القرآن والبحار ؟!

الكربون فى الكون والقرآن

١ـ الكربون فى الكون

وفى الحلقة الثالثة من جلستنا الممتدة لمدارسة منظومة الارض اتفقنا على موضوع الحلقة.. وارتأينا ان يكون اطار حلقتنا الكربون فى الكون والقرآن.

سأل ولدى: ولماذا كل هذا الإهتمام بالكربون ؟!

أجبت: يا ولدى! يعتبر عنصر الكربون المكون الرئيسى للكائنات الحية.. يضاف الى ذلك أنه يوجد نظير مشع للكربون الطبيعى يسمى كربون ١٤ (ك ١٤)، والماء والكربون هما الأساس الجمادى لبدن وجسم كل كائن حي على وجه الارض، والكربون مكون رئيسى من مكونات السماء..

﴿ثم استوى إلى السماء وهى دخان﴾ (فصلت١١)

وللكربون فى الكون دورات أربعة مهمة: أحداها فى الجو، وثانيتها فى المحيط، وثالثتها فى الصخور الرسوبية، والرابعة بين الجو والمحيط.

ففى الدورة الرسوبية ياولدى! تقضى ذرات الكربون حبساً أرضياً كونياً على هيئة كربونات الكالسيوم، وتلتصق بالكائنات البحرية أو برواسب عضوية أنتجتها النباتات والحيونات. وقد يتأين جزء يسير من هذه الدورة فى مياة المحيط، وإن تعرض الرواسب للتعرية البحرية يضيف كمية من الكربون إلى مياه المحيط.

وذرات الكربون فى المحيط يا ولدى ! تسهم فى غذاء الكائنات الحية البحرية، وخاصة فى المياة الباردة، وهذا يتم حين تصل ذرة الكربون إلى السطح الدافئ فتواجه أحد مصيرين النقل التيارى البحرى إلى المناطق القطبية فتبرد وتغوص فى المياه الباردة فى البحر العميق، أو تكون غذاء للكائنات الحية البحرية.

وفى المحيط تتحول جزئيات ثانى كربونات الصوديوم فى المحيط الدافئ إلى غاز ثانى أكسيد الكربون، والذى يفر إلى الجو. أو تذهب عائدة مع تيارات الحمل البحرى إلى المياه القطبية الباردة.

وذرات ثانى أكسيد الكربون الموجودة فى الجو، كربونها يمثل ١٪ فقط من كمية الكربون الموجود فى المحيط. وهى تلعب الدور الرئيسى فى التمثيل الكلورفيلى للنباتات وهذا مانعود إليه بعد قليل.

أما دورة ثانى أكسيد الكربون بين الجو والمحيط فهى آخر الدورات ونتيجة للتفاعل الكيميائى مع الماء يمكن تحويل غاز ثانى أكسيد الكربون إلى هيئة أيونية. ومع سطح البحر والمحيط تتبادل ذرات الكربون بين البحر والجو

لإستكمال حلقات الحياة للنباتات والكائنات الحية كلها.

وعلى الرغم من أن ذرة الكربون تتأكسد وتعود بسرعة إلى الجو لتثبت فى عملية التمثيل الضوئى (الكلورفيلى) للنباتات الأرضية.. وأثناء عمليات الأكسدة هذه فإن كما ضئيلا جداً من الكربون يكون مركبات مقاومة للأكسدة وتحمل أخيراً إلى البحر حيث تدخل فى رواسب البحر العميق.. وهكذا!!..

أما ذرات الكربون ١٤ المشع (ك ١٤) فتبقى قلقة بين العودة إلى النتروجين والذبذبة بين عنصرى الكربون المشع (ك ١٤)، والنيتروجين (ن ١٤).. وحين إنبعاث الإلكترون تنتهى حياة الكربون المشع وتنضم إلى مثيلاتها من الكربون الثابت.

والثابت علمياً أن ذرات الكربون ١٤ المشع (ك ١٤) إذا لم تقع فى شرك النبات، فإنها تقع فى شراك البحر فتبقى وحركاتها وسياحاتها مع سطح الماء المتأين فى رحلات بحرية بين المياه الدافئة، والمياه الباردة.

يا ولدى! قسمة الكربون ١٤ المشع (ك ١٤) ليست قسمة عادلة بين الجو والبحر بل هى ٥ر٥٢٪ للجو، ٥ر٤٧٪ للبحر - بواقع ٥٪ زيادة لصالح الجو. وأما الدورة فتصبح مغلقة بين الجو والبحر والتيارات الدافئة، فالتيارات الباردة، فالأحياء من نباتات اليابس، ومن أحياء البحر، أما قسمة ثانى أكسيد الكربون فتوزع ٦٠٪ للجو، و٤٠٪ للبحر وبفارق ٢٠٪ بينهما.

- يا ولدى! السرد السابق يجرى وراء ربط العلاقة بين الغذاء النباتى والغذاء البحرى وإستراتيجية التكامل بين الغذائين - حال نضوب الغذاء النباتى الأرضى.. والمحتم أننا سنواجه ذلك كبشر.. فى القريب العاجل، راجع كتاب علم المحيطات، ريشارد س. فيتر، القاهرة ١٩٨٢.

يضاف يا ولدى! أن فهم دورة الكربون فى المحيط هى من العوامل المؤثرة فى إحداث تغيرات جوهرية فى مناخ الكرة الأرضية. وربما يدخل فى الميزان الغازى للمحيطات وللجو، أن هناك نحو مليار طن من ثانى أكسيد الكربون تضاف إلى الجو كل عام بسبب الوقود الحفرى - زيت، وفحم، وغاز طبيعي. وزيادة ثانى أكسيد الكربون مهم للجو لأنه يعمل على أسر الطاقة إلى سطح اليابس وسطح البحر على حد سواء.

وثانى أكسيد الكربون بسبب الحياة العصرية المتسمة بإستغلال الطاقة الكهربية بدلا من الطاقات الحفرية، وبسبب الثورة الصناعية، وبسبب قطع الغابات فإن نسبة ثانى أكسيد الكربون تبلغ ٧ر. جزءً فى المليون فى السنة وفى حين أنه يجب أن تكون ٦ر١ جزء فى المليون فى السنة أى بنقص يصل إلى ٥٠٪ بما يهدد

بتغيرات مناخية عالمية..
لكل هذا كان الإهتمام بالكربون يا ولدى !!

٠٢ الكربون فى القرآن

سألت ابنتي: وهل وردت في القرآن إشارات إلى الكربون فى الكون؟!
أجبت: بالطبع يابنيتى ! فيجمل القرآن الكريم كل الصور الكربونية فى الآية ٨٠ من سورة يس: ٣٦ والتى جاء فيها قول الله تبارك وتعالى:
﴿الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون﴾
وإن من يعرف تكوينات غذاء الإنسان من نشويات وسكريات وبروتينات وخضروات وفواكه وإحتوائها جميعها على الكربون. والكربون فى كل هذه الاوجه ماهو إلا مركم كالبطارية الشمسية لليخضور، ولثانى أكسيد الكربون الجوى، وللماء، ولطاقة الشمس، وكل المظاهر الحياتية لوقود "غذاء" الإنسان، ولوقود السيارات والقاطرات والسفن والطائرات من بترول - ما هو فى الأساس إلا ناتج من هذه الخماسية: الارض، والشمس، والجو، والماء، واليخضور النباتى.
فالخلايا الخضراء فى النبات تمتص ثانى أكسيد الكربون من الجو، وحين تتلقى ضوء الشمس تحوله إلى طاقة تحلل الماء الذى يمتصه النبات من الأرض إلى أكسوجين، وهيدروجين، وينطلق الأكسوجين فى الهواء، ويثبت الهيدروجين الكربون، وتتكون بهذا المواد العضوية على إختلافها - وهى تشمل الخضروات، والفواكه، والاخشاب.. وما جميعها فى الأصل إلا من مكون كربونى وسليلوزي.
والنار طاقة ترتبت على عملية التمثيل الكلورفيلى النباتى. وهى فى الأصل من طاقات الشمس.. شمس الله، ومن ماء الأرض والجو - ماء الله، ومن نبات نزرعه فى الارض.. أرض الله - وتتم هذه العملية بالخلق والتسخير الالهى، وأما سر خلق اليخضور، فهذا مما أختص به الله سبحانه وتعالى، ولا سبيل لاحد إلى معرفة أسراره، أو مضاهاته - فهذا من إعجازات خلق الله جلت قدرته فى قوله..
﴿الذى جعل لكم من الشجر الاخضر ناراً﴾ يس
والنار والحال كذلك ليست فقط هى نار الخشب والتدفئة، أو نار الفحم والقش والشجر فى المنقد الريفى والفرن البلدى أو حتى موقد البوتوجاز لا.. لا يا بنتى ! بل تنسحب النار إلى كل غذاء وزاد وجسم للطير والحشرات والحيوان والإنسان.. بحسب أن الكربون هو مصدر طاقة ومعيشة ووقود كل

الأحياء.. والغذاء ماهو إلا الوقود والطاقة لبقاء كل كائن حى حياً نامياً متحركاً إنساناً كان أم حيواناً.. طائراً أم سمكاً.. والغذاء فى جوهره هو كربون قابل للأكسدة والحريق ليعطى الطاقة اللازمة للكائن الحى.

وتنسحب على النار عملية أكسدة الكربون فى حالات كل مركبات البترول والفحم والغازات الطبيعية والتى تستخدم فى الحياة الصناعية وفى الحياة العامة.

وآية المراحل النباتية الثلاث:

طاقة شمس ← خضرة وماء ← نبات.

وحتى البترول يتكون فى خبايا الأرض من تعفن الأشجار بعد دفنها ومن عظام الكائنات الحية الحيوانية والسمكية (غاز طبيعي) بعد موتها ودفنها، ومع ذلك يعاد إستخدامها وإستخلاص الطاقة منها بعد كل هذا. وينتج عن إحتراق الكائنات الحية ثانى أكسيد الكربون الذى ينتج عنه حياة النبات الأخضر، فى دورة متصلة، ومستمرة إلى ماشاء الله لها أن تستمر.

النبات ← دفن فى الأرض لفترة ← بترول (طاقة).

حيوان ← دفن فى الأرض لفترة ← غاز طبيعى (طاقة).

ويورد القرآن الحقائق العلمية فى متقابلات لطيفة: فالنشأة حق.. والخلق حق.. والموت حق.. والبعث حق.. وجميعها سنن كونية إيمانية، ويدلل عليها القرآن الكريم بمثلية دورة الخضرة خلقاً وحياة وحرقاً فى حلقة مغلقة لبقاء المادة الكربونية فى مختلف أشكالها الخضراء واليابسة والغازية والسائلة كما جاء فى سورة يس فى قول الله تعالى:

"وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم * قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم * الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون" (يس ٣٦: ٧٨-٨٠)

ولاستكمال التصور العام للكربون فى البترول مثلا، لنا أن نتصور أن غازات البترول كلها وهى من تركيبات متباينة من الكربون والهيدروجين سواء أكان هذا غاز فقط، أو بنزين سيارات، أو وقود طائرات، أو زيت الديزل، أو الشحومات، أو وقود السفن والمصانع، أو زفت القار (لرصف الطرق) وهى فى مجموعها من نواتج تقطير خام البترول. فيحصل عليها الأخف الأول، والأعلى فى برج التقطير، فالأثقل الأخفض، وصولا إلى القار.

وأما المركبات العضوية الكربونية السليلوزية الموجودة فى هياكل النباتات،

والحيوانات، وجسم الإنسان - فهى تخزن السكريات والنشويات لتمد بالطاقة.

والبوليمرات المطاطية، أو الحريرية النسيجية الصناعية، أو ألياف القطن والصوف ماهى إلا مركبات كربونية أيضاً والجلود هى الآخرى لاتعدو كونها من مكونات كربونية سليلوزية.

ومجمل القول فإن غذاءنا وكساءنا يدخل فيه الكربون بدرجة أو بأخرى، وهذا أساس فى تصدر الدور الحيوى والحياتى الجبار الذى يلعبه الكربون فى الحياة الكربونية - لنبات، ولحيوان، ولإنسان.

ونعود لهذا بتفصيل أكثر مع عرضنا للغذاء إن شاء الله تعالى.

ويضع القرآن الكريم قيوداً شرطية بيئية.. إيمانية وجمادية.. لضمان سلامة الدورة الكربونية والدورة المائية ومن ثم الدورات النباتية والحيوانية والإنسانية فى قول الله تعالى:

﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لايخرج إلا نكداً كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون﴾ (الأعراف٧:٥٨)

٣. الطعام والكربون فى القرآن

- طلب ولدى: هل لنا أن نستزيد بالعلاقة بين الطعام والكربون فى الكون والقرآن ؟!

- أجبت قائلاً: يا ولدى! يورد القرآن الكريم فى سورة عبس٨٠ الآيات من ٢٤ إلى ٣٢ فى شأن الطعام والمراعى للإنسان والحيوان.. يقول الله تعالى:

﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه * أنا صببنا الماء صباً * ثم شققنا الأرض شقاً * فأنبتنا فيها حباً * وعنباً وقضباً * وزيتوناً ونخلا * وحدائق غلباً * وفاكهة وأباً * متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ (عبس٨٠: ٢٤-٣٢)

- وفى شأن طعام الرسل ومغايرتهم للملائكة يقول تعالى:

﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون* وماجعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين﴾ (الأنبياء٢١: ٧-٨)

- وفى شأن الخلق والهداية والإطعام والسقاية والمرض والشفاء والموت والبعث يقول تعالى:

﴿الذى خلقنى فهو يهدين * والذى هو يطعمنى ويسقين * وإذا مرضت فهو يشفين * والذى يميتنى ثم يحيين﴾ (الشعراء٢٦: ٧٨-٨١)

- وفى شأن قريش وإطعامهم وأمنهم وضمان إطعام البشر يقول تعالى: ﴿الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ (قريش١٠٦:٤)
- وفى التوجيه بشأن ترشيد الأكل والشرب يقول تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ (الأعراف٧:٣١)

- والناس ينظرون إلى الطعام والمرعى نظرة غير نظرة العلم والعلماء لهما فالنباتات والحبوب والفواكه والألبان واللحوم - عند الناس طعام، وبعض النباتات وبعض الحبوب عند الناس مرعى، ومساحيق بعض اللحوم وبعض الأسماك - عند الناس أيضاً مرعى.
- والعلماء يرجعون الطعام البشرى والحيوانى إلى أصول ثلاثة: (راجع كتاب.. مع الله فى الأرض - د. أحمد زكى - الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - ١٩٨٧م.)

١- البروتين: وهو الأصل الذى يصنع منه بناء خلايا الجسم، والبروتينات مركبات مختلفة، ويدخل فى تركيباتها الكربون والأكسجين والأيدروجين والنتروجين، ثم الكبريت والفسفور أحياناً والبروتينات - منها النباتى، ومنها الحيوانى، وخاصة فى اللحوم.

٢- الكربوهيدرات: وقد يطلقون على الكربوهيدرات الكربون المتميع لأن الهيدروجين والأكسجين يدخلون فى تركيبها بالنسبة التى هما عليها فى الماء. ومعنى ذلك أن الكربوهيدرات تتكون أساساً من الكربون والهيدروجين والأكسوجين وتظهر تركيباتها فى الارز والبطاطس، وسكر القصب وحين هضمها ينتج عنها أبسط مركبات السكر (الجلوكوز) ولهذا فهى تسمى أحياناً بالسكريات، وأحياناً أخرى بالنشويات.

٣- الدهون: وهى مركبات تحتوى على عناصر ثلاث هى الكربون، والأكسيجين والهيدروجين (وبغير نسبة وجودها فى الماء). والدهون مركبات مختلفة، تنحل فتنفصل إلى جزأين بعد إضافة ماء إلى جزىء الدهن، هما الجلسرين وأحماض دهنية عضوية.

- ويعتبر الناس أن الخبز يشبع من الجوع، وهو الأساس فى الطعام للبشر ويختلف بإختلاف طعمه ومذاقه. ويعتبر علماء التغذية أن الخبز يحوى قدراً كبيراً من الكربوهيدرات، وقليلا من البروتين، والماء والأملاح فى الخبز أقل وأقل.. ويعتبر العلماء أن البروتين فى اللحم كثير، والدهن فى اللحم قليل أو كثير

بحسب نوع اللحم وهيئته ومواصفاته، أما اللبن فيصفونه بأنه يحوى البروتين (وهو مادة الجبن) ويرون فيه الدهن (وهو مادة السمن)، ويحوى اللبن كذلك على أملاح خاصة به، وعلى الكثير من الماء بحسب أنه سائل.

ـ وطعام الإنسان هو طعام أغلب الحيوانات فى الأرض من مستأنسة ومتوحشة من نبات ولحوم.

ـ وهذه الوحدة فى المطعم يتبعها وحدة فى الأجهزة الهضمية، وما الهضم إلا تكسير لجزيئات الطعام بصنوفه الثلاثة البروتينية والكربوهيدراتية والدهنية بإستخدام عوامل كيماوية تعرف بالأنزيمات أو الخمائر ـ مع التذكر بأن جزيئات الكربوهيدرات عظيمة وجزيئات الدهون أعظم، وأما البروتين فجزيئاته تحوى المئات أو الألوف من الذرات، والتى تدخل فى مختلف الأشكال والأعاصير فى عملية الهضم، وتبدأ الخمائر من لعاب الفم، والخميرة تفرزها المعدة وتفرز كذلك حامض الكلوردريك فيحولها إلى خميرة البيبسين، ففعالية اللعاب فى النشويات الكربوهيدراتية ومفعول البيبسين فى البروتينات وخمائر الأمعاء الدقيقة تعمل فى حل وتحليل وتحول البروتينات والسكريات، والصفراء التى يفرزها الكبد تساعد على هضم الدهون فى الأمعاء الدقيقة، وأما العصارة البنكرياسية فتحوى بعض الخمائر التى تعمل فى البروتينات ومشتقاتها وفى السكريات والدهون.

ـ وتدخل الأطعمة المهضومة إلى الدم فيوزعها القلب بدوره على الجسم وأنسجته وخلاياه، وللدورة الليمفاوية نصيب أيضاً فى نقل الطعام إلى الجسم شأنها شأن الدورة الدموية.

ـ ومعنى أن الكربون يدخل فى مكونات البروتين والكربوهيدرات والدهون، وهو (أي الكربون) يدخل وبشدة فى بناء جسم الإنسان والحيوان، ناهيك أن الكربون هو المكون الرئيسى فى تركيب نباتات المراعى والحبوب والخضروات والفواكه ـ وهذا مانجمله على وجه العموم ويدخل فى الغذاء البشرى والحيوانى قرآنياً فيما بعد.. ان شاء الله تعالى.

٤. المراعى فى القرآن

ـ وسألت ابنتى: ومن أين البداية الكربونية فى منظومة الأرض ؟!

ـ وأجبت: يابنيتى! الأصل العلوى ﴿ثم أستوى إلى السماء وهى دخان﴾، ﴿ومن كل شىء خلقنا زوجين﴾.. وبداية النظم الأرضى الكربونى بالمراعى فيقول الله

تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى * الذى خلق فسوى * والذى قدر فهدى * والذى أخرج المرعى﴾ (الأعلى٨٧: ٤١)

وقوله تعالى: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها﴾ (النازعات٣٠،٣١)

وقوله تعالى: ﴿أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون﴾ (السجدة ٢٧:٣٢)

٥- الحبوب فى القرآن

- وسأل ولدى: وماذا عن الحبوب فى القرآن ؟!

- أجبت: يا ولدى ! الاصل هو هو ﴿ومن كل شىء خلقنا زوجين﴾.. والحبوب فى الارض جاءت من حبة النشأة الاولى ﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين﴾ (الانعام ٦: ٥٩).. ومن هنا كان الحب البرى.. والحب هو مايكون فى سنابل النباتات كالقمح والشعير والذرة والأرز - وكل ماشابهها.. ومن هنا كان العزل والتهجين.. ويصنع الخبز وهو غذاء الأساس من الحبوب.. والحبوب فى الغالب تكون غنية بالكربوهيدرات والنشا وبها نسب معقولة من البروتين والدهون. ويحوى دقيق القمح على: ١٥٪ ماء، ٩: ١٥٪ بروتين، ٥ر٠ : ٥ر١٪ دهون، ٦٥:٧٠٪ نشا، ١ر٠:٠ر١٪ ألياف، ٣ر٠:٨٪ رماد. ويحتل الشعير مرتبة أقل من القمح فى تركيباته الغذائية للخبز لعوام البشر، ويليه فى الإنخفاض فى المرتبة الذرة. أما الأرز فيعتبر من الحبوب الفقيرة فى البروتينات ويلزم غذائيا أن يضاف اللبن إلى الأرز لتتكامل قيمته الغذائية، أو تضاف البقول والخضروات والفاكهة لجعله ذو قيمة غذائية معقولة.

وقد ورد في القرآن الكريم ذكر الحبوب فى العديد من المواضع منها قول الله تعالى:

﴿إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون﴾ (الأنعام٦:٩٥)

وقوله تعالى: ﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون﴾ (يس٣٦:٣٣)

وقوله تعالى: ﴿وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا * لنخرج به حبا ونباتا * وجنات ألفافا﴾ (النبأ٧٨:١٤-١٦)

وقوله تعالى: ﴿فلينظر الانسان إلى طعامه * أنا صببنا الماء صبا * ثم شققنا الأرض شقا * فأنبتنا فيها حبا * وعنبا وقضبا * وزيتونا ونخلا * وحدائق غلبا * وفاكهة وأبا * متاعا لكم ولأنعامكم﴾ (عبس٨٠:٢٤-٣٢)

وقوله تعالى: ﴿ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد﴾ (ق٥٠-٩)

وقوله تعالى: ﴿والحب ذو العصف والريحان﴾ (الرحمن٥٥:١٢)

وقوله تعالى: ﴿وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمرة إذا أثمر وينعه إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون﴾ (الأنعام٦:٩٩)

وقوله تعالى: ﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾ (يونس١٠:٢٤)

وقوله تعالى: ﴿الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى﴾ (طه٢٠:٥٣)

٦. الخضروات

- وسألت ابنتى: وماذا ورد عن الخضروات فى القرآن ؟!

- أجبت: يابنيتى! تمثل الخضروات الجزء الأكبر من غذاء الإنسان فى أماكن عديدة من العالم فالبطاطس والبطاطا والقلقاس وكذلك نباتات أخرى تزرع فى الجزء الموجود تحت سطح التربة وتعتبر الغذاء الرئيسى لبعض بلاد العالم. واللوبيا والفاصوليا والبسلة الجافة تعتبر مصدرا للإمداد بالجزء الأكبر من البروتين للسكان فى بلاد العالم الفقيرة.

- وتمد الخضروات ببعض المكونات أو الأشياء التى تفتقر إليها المواد الغذائية الأخرى. وتعادل الخضر الحموضة الناتجة عن هضم اللحوم والجبن وبعض المواد الغذائية الأخرى. وكما أنها ذات قيمة عظيمة من جهة إمداد الجسم بالمواد الجافة التى تساعد فى عملية الهضم. وهى المصدر الرئيسى والهام للعناصر المعدنية التى يحتاج إليها الجسم خاصة الكالسيوم والحديد.

وهى تعد مصدرا هاما للفيتامينات، وبالرغم من أن الخضر لا تعتبر المصدر الرئيسى لإمداد الجسم بالمواد البروتينية أو الدهنية أو الكربوهيدراتية، إلا أن بذور البقوليات كالعدس والفاصوليا والبسلة غنية بالبروتين، وتنفرد البطاطا والبطاطس بغناها بالكربوهيدرات،

- والخضروات تعتبر مصدر إمداد رئيسى للجسم من العناصر المعدنية كالكالسيوم والفسفور والحديد، فى ذات الوقت فإن البطاطس والبصل الناضج يحتوى على نسبة لا بأس بها من الفسفور، وأما الخضروات الورقية كالكرنب والسبانخ والكرفس والخس فتحوى نسبة عالية من الماء ونسبة عالية من السيليولوز والألياف وبسبب غضاضة وكبر حجم هذه الخضروات الورقية، وكذلك معظم الخضر الجذرية - يكون لها دور فى هضم المواد الغذائية الأكثر تعقيدا،

- والفيتامينات - وهى جزء من المواد الغذائية، ولكنها غير البروتين والكربوهيدرات، والدهون، وغير الأملاح كذلك - وتتواجد وبكمية ضئيلة فى المواد الغذائية الطبيعية، وهى ضرورية للنمو والتكاثر وللمحافظة على الصحة،

- والخضروات الخضراء والصفراء تعتبر مصدرا هاما لفيتامين (أ) حيث يمثل إمداد الخضروات لجسم الإنسان بنحو ٢٥٪ من حمض الأسكوربيك وكميات لا بأس بها من الثيامين والنياسين وحمض الفوليك، ويمثل إمداد البطاطس والبطاطا من حمض الأسكوربيك حوالى ١٦٪، بينما يصل ذلك إلى نحو ٣٤٪ فى حالة ثمار الطماطم والموالح،

- وهناك من الخضروات ماهو غنى بفيتامين (أ) ومن أهمها الجزر - اللفت - السبانخ - البطاطا - البنجر - المسطرد - القرع - السلق - والبروكلى، ولبقية الفيتامينات وخضرواتها جداول معروفة فى المراجع الزراعية والطبية،

ويقسم العلماء الخضروات إلى ١٣ مجموعة على النحو التالي: (راجع - محاصيل الخضر - كتاب - هومر طومسون، وليام كياس - ترجمه ا٠د٠ على أحمد عطية المنس، ا٠د٠ محمد سعد ذكى٠ الدار العربية للنشر والتوزيع - ١٩٨٥م)

١- مجموعة (١) : المحاصيل المعمرة - الخرشوف٠٠ وغيره٠
٢- مجموعة (٢) : مكسبات الرائحة والخضرة - السبانخ، السلق، المسترة٠٠
٣- مجموعة (٣) : محاصيل السلاطة - الكرفس، الخس، البقدونس،٠٠ وغيرها٠
٤- مجموعة (٤) : المحاصيل الكرنبية - الكرنب، القرنبيط٠٠ وغيرها٠
٥- مجموعة (٥) : المحاصيل الجذرية - البنجر، الجزر، اللفت، الفجل،٠٠
٦- مجموعة (٦) : المحاصيل البصلية - البصل، الكرات، الثوم، الشالوت،

٧ـ مجموعة (٧) : البطاطس.
٨ـ مجموعة (٨) : البطاطا.
٩ـ مجموعة (٩) : البسلة، والفاصوليا، واللوبيا، وفول الصويا.. وغيرها.
١٠ـ مجموعة ١٠ : الثمار الباذنجانية ـ الطماطم، الباذنجان، الفلفل،. وغيرها.
١١ـ مجموعة ١١ : القرعيات ـ الخيار، البطيخ، القرع ، الكانتالوب، الكوسة، الشمام، القثاء.. وغيرها.
١٢ـ مجموعة ١٢ : الأذرة السكرية والباميا.
١٣ـ مجموعة ١٣ : القلقاس، والكايون، واليام، والمكاساف.

٧. الخضروات فى القرآن

ـ ويورد القرآن عمومية عامة للخضر فى سورة البقرة٢ الآية ٦١.. قوله تعالى:
﴿وإذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها،قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير، اهبطوا مصراً فإن لكم ماسألتم، وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءو بغضب من الله،ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق،ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ (البقرة٢:٦١).

ويذهب بعض المفسرين إلى أن القثاء هو قريب الشبه من الخيار.. والخيار ومجموعته تحوى نسبة كبيرة من الماء حوالى ٩٥٪ وحوالى ٩ر٣٪ (كربوهيدرات ٣٪) بروتين ٨ر٪ دهون ١ر٠٪).. وأما الفوم فيجمع المفسرون على أنه الثوم، وفيه شفاء من سبعين داء.. كما جاء فى قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث شريف : ﴿كلوا الثوم وتداووا به فإن فيه شفاء من سبعين داء﴾ (ذكره السيوطى فى جمع الجوامع ١ـ ١٢٨ وعزاه للديلمى عن علي.) ويدخل الثوم فى وقف الدوسنتاريا، وعلاج عفونة الأمعاء، والربو، والكحة، وعلاج السعال الديكى، وتخفيض ضغط الدم، وينشط حركة القلب وعلاج تصلب الشرايين، ويستخدم جماعيا لعلاج أنفلونزا شعوب بأسرها (روسيا سنة ١٩٦٥، إنجلترا ١٩٧٣).. والثوم مطهر للجروح وللأسطح المقرحة.. والبصل الأخضر يتكون من ٨ر٨٦٪ ماء، ٣ر١٪ بروتين، ٣ر١٠٪ كربوهيدرات، ار٠ دهن ـ والباقى وزنا من الفوسفور والكالسيوم والحديد.. ويدخل البصل فى علاج الربو، والصرع، وعلاج إلتهابات الزور

والحلق، والتحكم النسبى فى نسبة السكر فى الدم، ومواجهة جلطات الدم، وإنحباس البول، والسعال الديكى، وفى حالات الإغماء والدوخة، وفى الإسعافات الأولية.. وأما البصل الجاف فيحوى ٢ر٧٥٪ كربوهيدرات، ١ر١٠٪ بروتين، ١٪ دهون، ٩ر٩٪ ماء - والباقى فيتامينات (أ)، (ب)، (ج) وحديد وكالسيوم وفسفور (راجع كتاب - الاطعمة القرآنية غذاء ودواء - د. محمد كمال عبد العزيز - مكتبة القرآن ١٩٨٨م)

- والعدس يلعب الدور الرئيسى فى تغذية الشعوب الفقيرة وخاصة فى فترة الشتاء، حيث يحوى على قرابة ٥٠٪ كربوهيدرات، وحوالى ٢٥٪ بروتين، وحوالى ر١٪ دهن بما يقطع بدروه الفعال فى التعويض عن البروتين النباتى وكذا الطاقة المتولدة من مكون الكربوهيدرات العالى فى العدس، بالإضافة إلى إحتوائه على نسبة لابأس بها من الكالسيوم والحديد والفسفور (راجع كتاب - الطعام الجيد والدخل المحدود - حسن عبد السلام - الدار القومية للطباعة والنشر)

- وحرى بمراكز البحوث المختصة، وكذا الجامعات الإهتمام بالدراسات العلمية المتعمقة فى الخواص الغذائية للخضروات، وكذا الخواص العلاجية لها على مختلف الاوجه عن الإعداد البارد والساخن والمطهى والعصائر المستخلصة والمزج والخلط خاصة وأن للخضروات ميزة نسبية فى رخصها وتوافرها طازجة فى غالبية بلاد الإسلام وفى أغلب شهور السنة !!

٨. الفاكهة فى القرآن

- وسأل ولدى وماذا عن الفاكهة فى الكون والقرآن ؟!

- أجبت: يا ولدى! ترد الجنات والحدائق والفواكه والاعناب والنخيل والتين والرُطب.. فى قوله تعالى:

﴿وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمرة إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لايحب المسرفين﴾ (الأنعام ٦: ١٤١)

وقوله تعالى: ﴿فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون﴾ (المؤمنون ٢٣: ١٩)

وقوله تعالى: ﴿وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون﴾ يس٣٤

·وقوله تعالى: ﴿ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب﴾ (النحل١٦: ١١)
وقوله تعالى: ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقاً حسناً إن فى ذلك لآية لقوم يعقلون﴾ (النحل١٦:٦٧)
وقوله تعالى: ﴿أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا﴾ (الإسراء ١٧: ٩١)
وقوله تعالى: ﴿وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً﴾ (مريم١٩: ٢٥)

والقسم القرآنى فى قوله تعالى: ﴿والتين والزيتون﴾ (التين٩٥:١)

- والفواكه القرآنية الورادة فى الآيات السابقة العنب والبلح والرمان·
- والعنب يحتوى على نسبة عالية من السكريات تصل إلى ٧ر١٦٪ وبروتين حوالى ٨ر٠٪ ودهن حوالى ٤ر٠٪ وفيتاميات (أ)، (ب)، (ج)، وحمض النيكوتنيك، وحمض الخليك، وغنى بعنصر البوتاسيوم ويحوى أملاح الصوديوم والكالسيوم والمغنسيوم والمنجنيز والحديد والنحاس والفسفور والكبريت والكلور ويحوى حمض الطرطريك أيضا·· وللعنب تأثير طبى فى حالات الإمساك، وإدرار البول، وتنشيط الكبد ووظائفه وزيادة إدرارة من العصارة الصفراء ويستخدم كطارد للبلغم والسعال·
- والبلح والرطب تبلغ نسبة الكربوهيدرات بهما٧٠٪، ويحوى٢٠٪ بروتين ٣٪ دهون، وهو غنى بالأملاح المعدنية من كالسيوم وبوتاسيوم وغنى أيضا بالحديد، ويحوى فيتامين (ب)، (ج)·· ويدخلان فى علاج المثانة والمعدة والأمعاء، وأما الرطب فيعمل على علاج الرحم خاصة مع الحمل والولادة·· ويقوى البلح من النظر ويدخل فى علاج المعدة، ويدر البول·
- والرمان يحتوى على نسبة عالية من السكر تصل إلى ١٨٪ إلا أن طعمه قابض ويحوى فيتامين (ج) وبالرمان نسبة عالية من الحديد·· ويستخدم الرمان لعلاج الحموضة، وفى علاج مرض النقرس، ويقضى على الدودة الشريطية ويساعد على طردها من الجسم·
- ومن الإعجاز فى خواص أشجار الأعناب والنخيل والرمان - أن أشجارها تحتاج إلى مقننات مائية بسيطة جدا، وفى ذات الوقت فهى تجود فى الأراضى الضعيفة ذات الملحية المرتفعة نسبيا (أرض درجة ثانية أو ثالثة)، وأما ثمارها فأودع الله فيها النفع والطاقة والغذاء والشفاء·· فسبحان الله العظيم··!!·

- ويورد القرآن أيضا الحطب والهشيم والطعام وبواقى النباتات وهى الصورة التى تستخدم فى الحريق الكربونى النباتى، والمشاركة بقوة فى الدورة الكربونية_الكونية.. فى قول الله تعالى:

﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شىء مقتدرا﴾ (الكهف١٨:٤٥)

وقوله تعالى: ﴿الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون﴾ (يس ٣٦:٨٠)

وقوله تعالى: ﴿إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ (الحديد٥٧:٢٠)

- ومن سابق عرض المراعى والنباتات الورقية والحبوب والخضروات والفواكه كنا نتلمس دورة الكربون فى الكون.. فى منظومتى السماء والأرض.. ونوجز فنقول:

١- الإنسان (أو الحيوان) يتناول طعامه ويحوى الكربون فى هيئة بروتين أو كربوهيدرات، أو دهون.

٢- الإنسان (أو الحيوان) يستنشق أكسجين الجو.

٣- يتأكسد الكربون الموجود فى غذاء الإنسان والحيوان بفعل الأكسجين ويكون الناتج ثانى أكسيد الكربون وبخار الماء ويطرد فى الجو.

٤- يعاود ثانى أكسيد الكربون الجوى بتأثير ضوء الشمس وحرارتها بالدخول فى عملية التمثيل الضوئى مع يخضور النباتات، ويدخل الكربون فى البناء النباتى، ويطرد النبات الأكسوجين إلى الجو.. وهكذا تغلق الحلقة فى التمثيل الطبيعى بين الماء واليخضور والإنسان (أو الحيوان) وثانى أكسيد الكربون والأكسوجين.. وهكذا وتباعاً ودواماً لتستقر الحياة فى توازن بيئى بين النبات والإنسان والحيوان - الكل ينمو، والكل يتنفس.. وسبحان منظم الأكوان !!

٠٩ التنفس والماء والغذاء

- سأل ولدى: وما العلاقة بين أكسوجين التنفس وكربون الغذاء ؟!

- أجبت: ياولدى! معروف أن تحليل الماء إلى عنصرية (الاكسجين

والهيدروجين) يحتاج إلى قدر هائل من الطاقة - إذا تمت هذه العملية التحليلية فى المعامل.. لكن بقدرة الله تعالى.. يتم هذا التحليل فى الخلية الحية بطريقة بسيطة، وفى ظل إستغلال طاقة الشمس الضوئية فى عملية التمثيل الضوئى «التمثيل الكلورفيلي».. فالطاقة الكامنة فى الهيدروجين المنفصل من الماء، تنطلق عن طريق العملية البيولوجية التى نسميها التنفس.. ويتحد الهيدروجين الناتج عن تحلل الماء الموجود فى المركبات العضوية مع أكسجين الجو، وهذا الإحتراق العضوى يتم خطوة خطوة منتجا الماء «ماء التنفس».

- وغالبية المركبات العضوية تتكون من جزيئات كبيرة الحجم شديدة التعقيد تؤثر فى جزيئات الماء المحيط بها، وهذه تكون فى الغالب نحو٧٠٪ من كتلة الغذاء الحيوى، وهذا التأثير يخدم الحياة بشتى أغراضها الحية، والماء فى مثل هذه الجزئيات الضخمة ليس كتلة عشوائية من الجسيمات المتحركة حركة عشوائية.. وبالتنفس يتحد الأكسوجين وكربون المادة الغذائية الحية منتجا ثانى أكسيد الكربون «زفير التنفس».

- ويلعب ثانى أكسيد الكربون دور البناء الغذائى للهياكل النباتية بتأثير التمثيل الضوئى وفى وجود اليخضور.. وهكذا تتكامل العمليات الحيوية النباتية للإنسان والحيوان من جهة.. وللنباتات من جهة أخرى.

- فالتنفس فى حلقة متكاملة تكاملا إلهياً كونياً محكماً.. فالنبات يلزمه ثانى أكسيد الكربون فى التنفس، ويطرد الأكسجين وهو ألزم اللوازم لحياة ولتنفس الإنسان والحيوان.. ومن عجب أنهم وجدوا بالتحليل الوزنى للغلاف الجوى ولعمق ٤٠ كيلومتر من سطح الأرض أن الأكسوجين يمثل ٥٠٪ وزناً.. فالتنفس وهو عملية الأساس للحياة مضمون ضماناً لدنياً من عزيز حكيم.. والإنسان والحيوان يطردان ثانى أكسيد الكربون وهكذا تقفل الحلقة التنفسية فما يطرده الإنسان والحيوان يلزم النبات ومايطرده النبات يلزم الإنسان والحيوان.. وسبحان الله العظيم !!

١٠. الكربون والكساء فى القرآن

- سألت ابنتى: بقى الكساء.. هل جاء وصفه فى الكون فى إشارات القرآن ؟!

- أجبت: بالقطع يابنيتى! وتأملى قول الله تعالى فى كتابه العزيز:

﴿يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير

ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون﴾ (الأعراف ٧:٢٦)

وقوله تعالى: ﴿والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون﴾ (النحل١٦:٨١)

- واللباس هو الاستتار بما يلبس ﴿قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم﴾ هذا عن القبيح المادى.. أما عن القبيح المعنوى فالزوج للزوجة لباس حيث أنه يمنعها ويصدها عن اتيان القبيح من الأفعال ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾.. والتقوى أعظم لباس معنوى ﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾.

- والملابس من خلق الله.. إما من شجر ونبات أقطان وتيل وكتان، أو من طيور ريش، أو من أسماك وحيوانات جلود وأصواف وأشعار وأوبار. وحتى الملابس الصناعية فهى من لب الشجر؛ أو من مستخلصات البترول، الذى هو فى الأصل كربون شجر ونباتات.

- وملخص القول أن جميع الملابس والكساءات البشرية ماهى فى الأصل الا من خلق كربونى.

- فالكسوة مرادفة للملابس.. وهى الأخرى من أصل كربونى.. تقى من البرد والحر وتستر العورة ﴿وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر﴾ وقوله تعالى:

﴿ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما﴾.

والإسلام يحض على معاملة الملبس معاملة خفيفة هينة طاهرة مطهرة.. وتأمل قول الله تعالى:

﴿وثيابك فطهر﴾ (المدثر٧٤: ٤)..

﴿وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة﴾ (النور٢٤: ٥٨)..

﴿والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم﴾ (النور٢٤:٦٠)

- والإسلام يضع الغذاء والكساء فى مرتبة متقاربة فهما ضمان للحياة الكريمة لمن يعول المسلم، أو لمن يصدق عليه، أو لمن يكفر عن حنث فى حلف بيمين.. وتأمل قول الله تعالى:

﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفاً﴾ (النساء٤:٥)

﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لاتكلف نفس الا وسعها﴾ (البقرة٢: ٢٣٣)

﴿لايؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ماتطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون﴾ (المائدة٥:٨٩)

- ولباس أهل الجنة فهو الآخر كربونى النشأة ومن حرير وسندس واستبرق
﴿ولباسهم فيها حرير﴾ (الحج٢٢:٢٣) و(فاطر٣٥:٣٣)..
﴿ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق﴾ (الكهف١٨:٣١)..
﴿عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾ (الإنسان٧٦:٢١)

- وهنا لابد أن يقف كل إنسان يتدبر أمر ﴿ثم استوى الى السماء وهى دخان﴾..ويتدبر أمر ﴿وكان عرشه على الماء﴾..ويتدبر أمر ﴿وجعلنا من الماء كل شىء حى﴾. فالدخان الكونى كربون وأكسيجين.. ومنه الغذاء والكساء.. والكربون شريك أصيل للماء فى كل نشاطات الحياة.. وبين الدخان (كربون + أكسيجنين)، والماء (أيدروجين + أكسيجين) نسب وعصب.. متمثل فى مشاركة الاكسيجين فى تكوينهما.. فسبحان من أنزل الأرزاق .. وسبحان من أنزل الكساء ﴿قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم﴾

- وليس بمستغرب أن تشغل بال الساسة والقادة هموم الأمن الغذائى والأمن الكسائى والأمن المائى للأوطان وأخيراً الأمن البيئى.. وهم فى مجموعهم يمثلون أمن الحياة للشعوب وللأفراد وللجماعات.

- وما الامن البيئى إلا حلقة فى سلسلة متكاملة للحفاظ على دورة الكربون فى الجو من جهة، واستقرار المناخ والبيئات الطبيعية من جهة أخرى.. والكربون مشارك أصيل فى الأمن الغذائى والكسائى والبيئى.. !!

الباب الثالث ـ الفصل الرابع

الجبال فى الكون والقرآن

١. تكوين الجبال

ـ فى الحلقة الرابعة من جلستنا الممتدة لمدارسة منظومة الارض.. خصصنا موضوعها.. الجبال فى الكون والقران.

ـ سأل ولدى: وماذا عن تكوين الجبال في الكون ووصف هذا التكوين فى القرآن والسنة ؟!

ـ أجبت: يا ولدى! الجبال كتلة مرتفعة من الأرض، ويغوص منها جزء داخل الارض يقدره العلماء فى الفترة الأخيرة بخمس أمثال الجزء الظاهر على سطح الارض، فالجبل والحال كذلك هو بمثابة وتد غائص فى الأرض.. وسبحان الله

العظيم اذ يقول: ﴿والجبال أوتاداً﴾ (النبأ ٧).. وظل التفكير فى نظرية تكوين الجبال يشغل بال العلماء حتى وقت قريب، وفى السبعينيات من هذا القرن ظهرت نظرية الالواح التكتونية، والتى مؤداها أن سطح الأرض يشبه قشرة بندقة صلبة وقد تشققت فى مواضع، وتسمى كل قطعة من هذه القطع، لوحاً يبلغ سمكه حوالى ٦٤كم، وهذه الألواح تتحرك دوماً، ولا تبقى ساكنة، وهى فى حركتها تتدافع وتحدث تغيرات كبيرة عند حواف تلك الألواح، بينما تبقى أوساطها ثابتة.

فالزلازل مثلا يتوقع وجودها عند تلاقى حواف تلك الألواح، وكذلك تتكون البراكين والحروف الناشئة فى قيعان المحيطات. كما أن سلاسل الجبال الكبرى، مثل الهيمالايا توجد من حواف تلك الألواح، نتيجة لتصادمها بعضها مع بعض الآخر.

- ولهذه الألواح تحركات نسبية - بعضها مع البعض، فقد ينزلق الواحد منها تحت الآخر ويختفي، أو ينزلق الواحد منها بجانب الآخر - فيحدث صدع، أو قد يلتقيان فيحدث جبل، وتحدث تحركات هذه الألواح على مدى ملايين السنين، والالواح بالطبع من صخور ثقيلة، والقارات من صخور أخف - محاضرات فى الجيولوجيا دكتور محمد فتحى عوض الله - دار المعارف ١٩٨١.

- وهناك من يقولون بنظرية التقلص - ومؤداها أنه بفقدان الحرارة ينكمش باطن الأرض، وتبقى القشرة ثابتة، وعلية لابد أن تنحنى القشرة لتملأ قيمة التقلص فى الداخل، ويحدث نتيجة لذلك النتوءات والفوالق، وتهتز الارض، ويحدث الزلزال، وقد تفور البراكين، وتتكون الجبال - نظرية فى أصل الارض - أوتو ثميث - دار المعارف

- وهناك رأى ثالث ينادى بربط التقلص والتمدد، واللذين تنتج عنهما تيارات حمل فى الإتجاه إلى القشرة، من داخل جوف الكرة الأرضية، وصاعداً إلى القشرة - حال التقلص فى جوف الأرض. إلا أن كل هذه فرضيات لم تحسم علمياً، وحتى الآن!!

- فخلق الجبال شىء عظيم حقاً.. فهى فى ذاتها راسية وتدية.. وهى وازنة للأرض تمنعها من الميد والإهتزاز.. وتجعل الأرض مستقرة!! ..

وتأمل ما رواه أنس عن رسول الله ﷺ قال:

﴿لما خلق الله الارض جعلت تميد، فخلق الجبال، فألقاها عليها، فاستقرت، فعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت: يا رب! هل فى خلقك شىء أشد من الجبال! قال نعم، الحديد، قالت: يا رب! فهل فى خلقك شىء أشد من الحديد! قال: نعم النار، قالت: يا رب! فهل فى خلقك شىء أشد من النار! قال: نعم، الماء، قالت يا رب! فهل

فى خلقك شىء أشد من الماء! قال: نعم، الريح، قالت: يا رب! فهل فى خلقك شىء أشد من الريح! قال: نعم ابن آدم يتصدق بيمينه، فيخفيها عن شماله﴾ صدق رسول الله ﷺ.

انظر الحديث رقم٤٧٧٠ فى ضعيف الجامع (مسند الامام أحمد والترمذى)

٠٢ الجبال فى القرآن

- ويا ولدى! يورد القرآن الجبال فى إثنين وأربعين موضعاً، فمرة يرد ذكرها مطلقاً بلفظ ﴿جبال﴾ فى موضعين، ويرد ذكرهما مقيداً بلفظ ﴿الجبال﴾ فى واحد وثلاثين موضعاً، وترد بلفظ رواسى فى تسع مواضع.

وقد جاء هذا الورود على ثلاث دروب:

الاول: كونى متعلق بالخلق والتسخير.. وهذا قرين التكليف بالانتفاع والارتفاق.

الثانى: حياتى متعلق بالفوائد، وقد يرد النص ليعطى معنى إندماجياً بين الآية الكونية والفائدة الحياتية.

الثالث: كونى متعلق بالدلالات الحسية على يوم القيامة.

ونعرض إن شاء الله هذا الورود، وللتصنيف الذى بوبناه على النحو التالى:

٠٣ أولا - خلق وتسخير الجبال

- ويا ولدى! يرد خلق وتسخير الجبال قرين الفاظ جعل.. سخر.. ألقى.. أرسى.. أنزل.. سجد.. وأوحى.. أو بالنداء القرآنى.. ياجبال.. وجاء كل ذلك فى واحد وعشرين موضعاً.. نعرض لها تباعاً فى قول الله تعالى:

﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والارض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها * متاعا لكم ولانعامكم﴾ (النازعات ٧٩: ٢٧-٣٣)

وقوله تعالى: ﴿أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت * وإلى السماء كيف رفعت * وإلى الجبال كيف نصبت * وإلى الأرض كيف سطحت * فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمصيطر﴾ (الغاشية ٨٨: ١٧- ٢٢)

وقوله تعالى: ﴿وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن فى ذلك لآيات لقوم

يتفكرون﴾ (الرعد ١٣: ٣)
وقوله تعالى: ﴿وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجاً سبلا لعلهم يهتدون﴾ (الأنبياء ٢١: ٣١)
وقوله تعالى: ﴿وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين﴾ (فصلت ٤١: ١٠)
وقوله تعالى: ﴿وجعلنا فيها رواسى شامخات وأسقيناكم ماء فراتاً﴾ (المرسلات٧٧-٢٧)
وقوله تعالى: ﴿ أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لايعلمون﴾ (النمل٢٧: ٦١)
وقوله تعالى: ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً، والجبال أوتاداً﴾ (النبأ٧٨: ٦- ٧)
وقوله تعالى: ﴿والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكناناً﴾ (النحل١٦: ٨١)
وقوله تعالى: ﴿وسخرنا مع داوود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين﴾ (الأنبياء٢١: ٧٩)
وقوله تعالى: ﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق﴾ (ص٣٨: ١٨)
وقوله تعالى: ﴿وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهاراً وسبلا لعلكم تهتدون﴾ (النحل ١٦: ١٥)
وقوله تعالى: ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون﴾ (الحجر ١٥-١٩)
وقوله تعالى: ﴿خلق السماوات والأرض بغير عمد ترونها وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ (لقمان٣١: ١٠)
وقوله تعالى: ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج﴾ (ق٥٠: ٧)
وقوله تعالى: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء إنه خبير بما تفعلون﴾ (النمل٢٧: ٨٨)

- ويفهم من النصوص القرآنية السابقة أن خلق الجبال عظيم الشأن عند الله سبحانه وتعالى، وذلك بحسب وروده فى القرآن بالتخصيص فى الخلق.. وإن خلق الجبال لازال لغزاً كبيراً محيراً للعلماء حتى اليوم.. ولأن الجبال أحد موازين ومحددات ومقيدات الحركات الأرضية، ورغم أن هناك العديد من الكتب فى هذا

الموضوع، إلا أنك تلحظ فيها كثرة الفروض التى أقترحت بدراسات الجبال.. والأدهى والأمر أن الفروض بدون نتائج شافية حتى الآن!!

- فحتى وقت قريب كان لفرض تقلص الأرض وقشرتها فرضية قد تؤدى بالعلماء إلى نتيجة تفسر خلق الجبال، لكن للأسف اتضح لهم تناقض الفرضية بجانب أخطاء نتائجها!! ويغيب فى المجال العلمى وحتى وقتنا هذا وجود نظرية فيزيائية معمقة حقة عن التقلص الأرضى ونتائجه!! ولقد ورد هذا فى أعمال الأكاديمى الروسى لينبسون الذى قرر : إنه لو كانت فروض التقلص صحيحة لكان الإنكماش -.. وبتطبيق نظرية المرونة.. فتنشأ الجبال، فى حدود متر واحد إرتفاعاً!! وليس أكثر من ذلك!!

- وحين تطبق نظرية التمدد الأرضى ووجود ثقوب فى قشرة الأرض فإن هذه الفرضية لاتؤدى لنتائج مرضية كذلك!!

- أما الربط بين التقلص والتمدد وهو مايسمونه بالخفقان.. فربما يفسر المشكلات الرئيسية لديناميكية حركات القشرة الأرضية - فى ذات الوقت لابد من إدخال الجوانب الجيولوجية فى الإعتبار - والحكم على تأثيرات العوامل الثلاثة فى الحركات الأرضية!!

٤. ﴿الجبال أوتاداً﴾

- ويا ولدى! الجبال موجودة على نوعين:

١- جبال قارية، أى جبال القارات اليابسة، ومكوناتها فى الأساس من مواد رسوبية، وقد تكونت بواسطة قوى ضاغطة.

٢- جبال محيطية، أى جبال المحيطات، ومكوناتها من صخور بركانية، وتكونت بواسطة قوى تمددية.

- والعامل المشترك بين الجبال القارية والجبال المحيطية هى أن لكل منها جذور لتدعم الجبل.. ففى حالة الجبال القارية فإن المادة الخفية القليلة الكثافة - والتى هى من مكونات الجبل تمتد تحت الأرض كجذر.. أما فى حالة الجبال المحيطة، فهناك أيضاً مادة خفية مكونها الرئيسى الصوديوم تدعم الجبل كجذر.. ولكنه فى حالة الجبال المحيطة فإن مادتها الخفيفة أكثر مناسبة ليس فقط لأن التركيب خفيف، ولكنه ساخن ولذا فإنها ممتدة بطريقة رقيقة.. كوسائد التشحيم بين يابس الجبل ويابس الأرض.. لضمان المرونة بين الجبال ولأرض.. ولكبت أى

اهتزازات قد تنشأ من دوران الأرض حول نفسها، أو من تأثيرات غيرها من كواكب المجموعة الشمسية عليها.

- ومن وجهة النظر العلمية الميكانيكية فالثابت أن الجبل يرسو على الأرض وبينهما مادة سائلة مائعة حاملة.. تقوم مقام المحمل الهيدروستاتيكى متعدد الوسائد MULTI-PAD HYDROSTATIC BEARING وهذه الصلة المرنة بين تداخل الجبل وقشرة الأرض تتيح للجبل - وفى حدود ضيقة جداً- حركة كابتة لميد الأرض واهتزازها.. والوصل هنا ليس بوصل جامد بجامد.. والا لتهشمت القشرة الأرضية.. وهذا التفسير الميكانيكى، وما يستتبعه من حركة نسبية للجبال على قشرة الأرض .. جاء ضمن الآية الكريمة: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء إنه خبير بما تفعلون﴾ (النمل ٢٧: ٨٨)

- وبالطبع من وجهة نظر الكثافة فإن الجذور تؤدى نفس المهمة وهى دعم الجبل.

- لذلك فإن وظيفة الجذور هى دعم الجبال وفق قانون الطفو!! وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً * والجبال أوتاداً﴾

- وتثبيت الجبل فى حد ذاته، ليس نهاية المطاف، ولكن الثابت أن الجبل يلعب فى الكون دوراً رئيسياً آخر وهو الإمساك بريع الجاذبية الأرضية بالغلاف الجوى المائى، الذى ييسر للأرض وللأحياء عليها مناخاً يحتمله الإنسان.. حقاً إنه القرآن المعجز!!

- أضف أن الأرض تتحرك فى الكون ثلاث حركات كونية رئيسية:

١- حركتها حول نفسها.

٢- حركتها حول الشمس.

٣- حركتها والشمس حول مركز المجرة.

- وكل هذه الحركات فى حاجة من حيث الخلق والنشأة إلى إتزان متناهى فى الدقة كشكل بيضاوى أو زيتونى، أو كمثرى، وليس كروي. ولما كان ذلك كذلك.. كانت الرواسى والجبال.. لإتزان هذا الشكل الزيتونى الكمثرى بحيث لاتهتز بنا الأرض!!

- والإتزان بإضافة كتل وأجسام نظرية معروفة فى هندسة إتزان الأجسام الدوارة .. - سبحانك ما أرحمك يا الله!! ﴿وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد بهم﴾.

وللجبال وظيفة ثالثة هى تثبيت قشرة الأرض ككل.. وهذا رأى أكابر علماء

الجيولوجيا والفيزياء·· راجع·· الأرض - كتاب ريمون سيفر - فرانك برس (ص ٤١٣ : ٤٣٥)، كتاب - نظرية من أجل الأرض··أوتو شميث - دار المعارف - القاهرة ١٩٦٩، أبحاث فى الأرض والفضاء - يوشيبيى توازى اليابان ١٩٨٨م، - أبحاث فى جيولوجيا البحار - بروفسور سياويدا اليابان ١٩٨٨·

- فيذكر البروفسور ريموند سيفر فى كتابه الأرض - الصفحات من ٤١٣ إلى ٤٣٥ - كتب يقول عن وظيفة الجبال:

- الجبل فى شكل وتد

- الجبل وتحته الجذر الغائص فى الطبقة السفلى·

- إن للجبال دوراً كبيراً فى تثبيت قشرة الأرض·

- وأما الربط بين الجبال عند مهطل النهر وعذوبة مياهه فهذا أمر نلمسه فى طعم ماء نهر النيل·· ذي المهاطل الجبلية فى الحبشة!!

﴿وجعلنا فيها رواسى شامخات وأسقيناكم ماء فراتا﴾ (المرسلات٢٧)·

ومن هنا جاءت مقولة النيل الخالدة·· (من يشرب من ماء النيل، لابد وأن يرجع إليه)·· لسابق عذوبة مائه طبعاً؟! وقبل تلوثه ؟

- والأمر المفهوم هو الربط بين الرواسى، والماء، وخصوبة الأرض، والنبات، والحيوان، والأرزاق·· - وهذا كله مفهوم بحسب أن الطمى الذى يسرى فى النهر من أثر الماء المتساقط على الجبال، ويخصب التربة، ويزيد الماء عذوبة، تكون النتيجة·· ماءً فراتاً، ونباتاً يانعاً، ورزقاً وفيراً - من النبات والحيوان ومنتجاتهما·· وكل هذا لصالح الإنسان!!

- أضف إلى هذا أن الجبال بإرتفاعها، والرواسى الشامخات - تزيد ماء المطر طاقة حركية هائلة، تسهل عليه النحت من الجبل والنحت فى الوديان بروافد، وبأنهار·· ومن الاخيرة سبلا للنقل النهرى·· فى ذات الوقت فإن الأنهار تؤخذ مرجعاً ودليلا للطيارين·· وسبحان الله العظيم·· حيث يقول:

﴿وجعلنا فيها فجاجاً سبلا لعلهم يهتدون﴾ (الأنبياء:٣١)·

والله جعل لنا من الجبال أكناناً، أى مواضع نسكن فيها كالكهوف والحصون·

٥· ﴿وبينهما برزخ لايبغيان﴾

- سألت ابنتى: وما معنى ﴿وبينهما برزخ لايبغيان﴾ ؟!

- أجبت: يابنيتى! الجبال المحيطية (أو الجبال البحرية) والتى جعل الله منها

حاجزاً بين البحرين، تقوم بوظيفة كونية آية فى الإعجاز، حيث عندها يحد الجبل(او الراسية) الماء المالح عن الماء الاقل ملوحة.. وفى هذا الشأن يقول البروفسور هيبى وهو أشهر المتخصصين فى الظواهر البحرية فى اليابان:
(البحار المالحة ليست كما تشاهدها العين المجردة، فالماء البحرى يحدد بكتل بحرية لها خواص مستقلة - من درجة حرارة، ودرجة ملوحة، ودرجة ذوبان الاكسوجين.. - وأول ماعرفت هذه الكتل كان فى سنة ١٩٤٢م وبعد العديد من القياسات.. ودعمت هذه القياسات فى الآونة الاخيرة، وبالرصد الفضائى من الأقمار الصناعية.. وبتكنولوجيات قياس عالية الدقة. وصورت المنطقة التى بين البحر الابيض المتوسط، وبين المحيط الاطلنطى.. فوجد أن كتل مياه المتوسط لاتبغى على مياه الأطلنطى.. وكتل الأطلنطى لاتبغى على مياه المتوسط. والأعجب أنه وجد بينهما جبل فى القاع ومائل، وحين دخول ماء المتوسط إلى الاطلنطى يأخذ صفات ماء المحيط والعكس صحيح!!)
- وأورد البروفسور هيبى أن: (مثل هذه الظاهرة موجودة عرضياً فى شمال المحيط الأطلنطى وجنوبه بحزامين عرضيين من جبلين يربطان بين أمريكا، وأفريقيا، وبين كندا وأوربا!!).
سبحان الله العظيم.. أن ما أورده القرآن منذ١٤٠٠ سنة لايكشف عنه العلم إلا منذ سنوات قليلة!! حقاً إن القرآن معجزة من الله، وهو من لدن عليم حكيم!!
- ويذكر جورج ديكون، ومارجريت ديكون فى بحث عن تاريخ علم وصف البحار ويذكرا.. (بدأت محاولات تفسير تيارات مضيق جبل طارق فى تنشيط مفهوم أفضل لإختلافات كثافة البحر وتأثيراتها الممكنة، وكان معروفاً على العموم أن الماء يتدفق فى البحر المتوسط من المحيط الاطلنطى وكذلك من البوسفور ومن أنهار كثيرة، وكانت المشكلة لماذا لم يفض البحر وكيف يفرغ نفسه من الماء الذى يحصل عليه بطريقة مرئية واضحة للعيان.
- واليوم فليس أمامنا صعوبة فى قبول الحقيقة التى تقول بأن القدر الكبير من الماء يتحول إلى الجو عن طريق البخر، وأن الباقى يصبح أثقل بسبب وجود الملح فى ماء البحر، وأن الباقى يصبح أثقل ويتدفق خارجاً من مضيق جبل طارق كتيار تحت الماء).
- وقد ثبت علمياً وبقياسات دقيقة وجود هذه التيارات المائية التحتية فى مضيق جبل طارق، وذات الظاهرة فى مضيق البوسفور هى والحواجز الصخرية التحتية بين البحرين الأبيض والأسود. وبين المحيط الأطلنطى، والبحر الأبيض، ومن

الصعب أن يطغى ماء أى من البحار على الآخر ولكل ماؤه وبذات خواصه : الأسود، والمتوسط، والأطلنطى.. سبحان الله العظيم!!

﴿بينهما برزخ لايبغيان﴾

- والظاهرة العلمية الاكثر اثارة هى انه عند ملتقى النهر والبحر توجد منطقة حجر مائى، وهى بالتالى حجر سمكى، وحجر نباتى بحرى.. وصوروها ورصدوها بالاقمار الصناعية، واصبحت من الحقائق العلمية التى لاتقبل الجدل.. سبحان الله العظيم - حيث اورد القرآن المعجز قول الله تعالى: ﴿وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجر محجورا﴾.. وهذا الحجر المحجور هو مركم ومكان تكوين الدلتات بين الانهار والبحار كما سبق واسلفنا.. وليس بخاف على احد برزخية وخيرية تربات أرض الدلتات من كافة وجوه الموارد البشرية الزراعية والسمكية والحيوانية والتعدينية!!

٠٦ ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾

- عادت ابنتى تسأل: وما معنى ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ ؟!

- أجبت: يابنيتى! يذهب الدكتور محمود حسين عشماوى الخبير بأكاديمية البحث العلمى وعضو اللجنة القومية للأستشعار عن بعد مفسراً قول الله تعالى: ﴿وفى الأرض قطع متجاورات﴾.. فيقول: (إن الارض عبارة عن ألواح متجاورة بلغ عددها ثمانية ألواح رئيسية (اليابس) وبالإضافة إلى عدد ثانوى من الألواح الصغرى وهذه الألواح المتجاورة تتحرك فوق غلاف مائع.. وتتحرك الألواح بواقع ٤ سنتيمتر فى السنة، سواء أكانت الألواح قارية، أو محيطية وتسبب هذه الحركة الزلازل والبراكين فتُخرج الارض أثقالها، وهى معجزة قرآنية!! وتسبق كل علوم الإنسان!! وقد تفيد ضمناً بحركة وسير الجبال القارية والمحيطية على حد سواء!!)

- وأما عن حركة الجبال سواء كانت هذه الحركة مع حركة الأرض.. أو كان لها حركة ضمنية فى ديناميكية القشرة الأرضية.. أو حركة ثالثة ذات سمة خاصة بالتضمين التقلص والتمدد، والذى سبق أن أشرنا إليه بالخفقان.. - كل هذا يدل على معجزة قرآنية سابقة لعلوم الإنسان وبقرون!!

- إستكمالا يا أحباب! لخلق الجبال وتسخيرها ووظائفها الكونية القرينة بألفاظ القرآن.. أنزل.. وأوحى.. ويسجد.. وينزل.. وبالإضافة إلى النداء القرآنى الجبال.. ﴿ياجبال أوبى﴾.. فقد ورد فى قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا داوود منا فضلا

ياجبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد﴾ (سبأ٣٤:١٠)
وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود﴾ (فاطر٣٥: ٢٧)
وقوله تعالى: ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون﴾ (النحل١٦: ٦٨)
وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يسجد له من فى السماوات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل مايشاء﴾ (الحج٢٢: ١٨)
وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يزجى سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار﴾ (النور٢٤: ٤٣)

٠٧ ثانياً ـ الجبال والحياة

ـ وسأل ولدى: وما دور الجبال فى حياتنا على الأرض ؟!
ـ أجبت: يا ولدى! جاء الربط بين الجبال والنشاطات الحياتية والعقائد الإيمانية في قوله تعالى: ﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين﴾ (الشعراء ٢٦: ١٤٩)
وقوله تعالى: ﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين﴾ (الحجر ١٥: ٨٢)
وقوله تعالى: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين﴾ (الأعراف ٧: ٧٤)
وقوله تعالى: ﴿وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يابنى اركب معنا ولا تكن من الكافرين﴾ (هود ١١: ٤٢)
وقوله تعالى: ﴿ولا تمش فى الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا﴾ (الإسراء ١٧: ٣٧)
وقوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا﴾ (الأحزاب٣٣: ٧٢)
وقوله تعالى: ﴿ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعاً أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو شاء الله لهدى الناس

جميعاً ولايزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريباً من دارهم حتى يأتى وعد الله إن الله لايخلف الميعاد﴾ (الرعد١٣: ٣١)

وقوله تعالى: ﴿وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾ (إبراهيم١٤: ٤٦)

وقوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا﴾ (طه٢٠: ١٠٥)

٨· ثالثاً ـ الجبال ويوم القيامة

ـ ويا ولدى! يورد القرآن الكريم ﴿الجبال﴾ قرين الدلالات الحسية ليوم القيامة فى أحد عشر موضعاً نوردها·· فى قوله تعالى: ﴿ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا﴾ (الكهف١٨: ٤٧)

وقوله تعالى: ﴿تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً﴾ (مريم١٩:٩٠)

وقوله تعالى: ﴿وتسير الجبال سيرا﴾ (الطور٥٢:١٠)

وقوله تعالى: ﴿وبست الجبال بساً﴾ (الواقعة ٥٦: ٥)

وقوله تعالى: ﴿وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة﴾ (الحاقة٦٩: ١٤)

وقوله تعالى: ﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ (المعارج٧٠: ٩)

وقوله تعالى: ﴿يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلا﴾ (المزمل٧٣: ١٤)

وقوله تعالى: ﴿وإذا الجبال نسفت﴾ (المرسلات٧٧:١٠)

وقوله تعالى: ﴿وإذا الجبال سيرت﴾ (التكوير٨١: ٣)

وقوله تعالى: ﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ (القارعة ١٠١: ٥)

وقوله تعالى: ﴿وسيرت الجبال فكانت سرابا﴾ (النبأ ٧٨:٢٠)

ـ والآيات القرآنية الواردة كدلالات حسية ليوم القيامة ـ واضحة تمام الوضوح، ونحن نؤمن بها إيماننا باليوم الآخر، وبالبعث، وبالحساب·· ونحسبها، ويحسبها أهل العقائد ـ من غيبيات الله سبحانه وتعالى·

٩· رابعاً ـ الجبال والتسبيح

ـ ويا أحبابا يرد تسبيح الجبال فى القرآن فى قول الله تعالى: ﴿إنا سخرنا

الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق﴾ (ص ٣٨: ١٨)
وقوله تعالى: ﴿ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين﴾ (الأنبياء٢١: ٧٩)
- أما سجود الجبال قرآنياً فجاء فى قول الله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يسجد له من فى السماوات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل مايشاء﴾ (الحج٢٢: ١٨)
وقوله تعالى: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ (الحشر ٢١)
نعرض للجبال وتأثيرها فى المنظومة الكونية من ناحية إتزان الأرض، وتأثيرها على الماء والغذاء، وعلاقتها بالإنشاءات المدنية، وكذا علاقتها بالنحل والثمر والعسل، ومشاركتها والناس والبحر والدواب والأنعام والعسل فى إختلاف الألوان.. في القرآن الكريم.

١٠. الجبال ومنظومة الحياة

- وسأل ولدى: كيف ننظر بشمول إلى الجبال وتأثيرها فى الحياة ؟!
- أجبت: يا ولدى! يلزمنا أن نعرض للجبال وتأثيرها فى المنظومة الكونية من ناحية إتزان الأرض، وتأثيرها على الماء والغذاء، وعلاقتها بالإنشاءات المدنية، وكذا علاقتها بالنحل والثمر والعسل، ومشاركتها والناس والبحر والدواب والأنعام والعسل فى إختلاف الألوان في القرآن الكريم..
- ويا ولدى! تدخل الجبال فى المنظومة الكونية وبفاعلية شديدة فى إتزان الكرة الأرضية، وفى غذاء النبات وحياته من ناحية العناصر والغرين ومن ناحية تأثير المياه حركياً وعلاقة ذلك بإرتفاعات وشموخ الجبال (الرواسى الشامخات) وتأثيرها على سرعة الماء ودرجة عذوبته، وتدخل الجبال أيضاً فى النشاطات التعدينية فى الأرض وخاصة الحديد، وتلعب الجبال دوراً بارزاً ومؤثراً فى الإنشاءات بيوتاً وقصوراً وأكناناً، والجبال يتخذها النحل بيوتاً بوحى من الله سبحانه وتعالى، وأخيراً فإن الجبال تلعب فى الحياة دوراً مؤثراً فى الألوان سواء فى مكونات المنشآت أو فى تحضير الألوان، بالمشاركة مع تلك الألوان التى قد تصنع إما من الجبال وإما من النباتات.

ـ يا أجباب! نعرض للدور الذى تلعبه الجبال فى المنظومة الحياتية الكونية فى خمس مجالات بحسب ورودها القرآني.

١١. الجبال وإتزان الأرض

ـ أولا.. جاءت وظيفة الجبال فى إتزان الكرة الأرضية فى موضوعين أحدهما فى سورة الانبياء ـ الآية ٣١، والثانى فى سورة لقمان ـ الآية١٠ فى قول الله تعالى: ﴿وجعلنا فى الارض رواسى أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجاً سبلا لعلهم يهتدون﴾ (الانبياء٢١: ٣١)

وقوله تعالى: ﴿خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ (لقمان٣١:١٠)

١٢. الجبال والماء والغذاء

ـ ثانياً.. تدخل الجبال والماء والغذاء فى منظومتين كونيتين فعاليتين:

المنظومة الأولى: الرواسى والماء والنبات ـ فى سورة : الرعد ـ الآية ٣، والحجر ـ الآية ١٩، ولقمان ـ الآية١٠، وسورة ق ـ الآية ٠٠٧ فى قول الله تعالى: ﴿هو الذى مد الارض وجعل فيها رواسى وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (الرعد١٣: ٣)

وقوله تعالى: ﴿وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ (لقمان٣١:١٠)

وقوله تعالى: ﴿والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج﴾ (ق٥٠: ٧)

أما الجبال والبحار.. فوردت الجبال كحاجز مرة، وبرزخ مرة أخرى، ليفصل بين البحار ليحتفظ كل بحياته المتميزة بنباتاته وأسماكه .. وجاء ذلك فى سورتى النمل ـ الآية ٦١، والرحمن ـ الآية٢٠ في قول الله تعالى: ﴿أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لايعلمون﴾ (النمل٢٧: ٦١)

وقوله تعالى: ﴿مرج البحرين يلتقيان* بينهما برزخ لا يبغيان﴾.(الرحمن٥٥: ١٩-٢٠)

٠١٣ الجبال والإنشآت المدنية

- ثالثاً٠٠ تدخل الجبال فى الانشآت المدنية سواء اتخذ الإنسان الجبال بذاتها مغارات وبيوت، أو نحت من الجبال خامات فى هيئة طوب، أو مكونات بلكية للبيوت وللقصور، أو نهاية خامات زلطية من جبال صخرية٠ هذا من ناحية المكون الرئيسى للكيان البنائى للبيوت والقصور من حوائط وهياكل وأسوار للمنشآت المعمارية٠ وتدخل ذات الخامات فى المنشآت المدنية النهرية والبحرية من تدبيش جانبى النهر أو فى هياكل القناطر والسدود والموانى النهرية والبحرية٠
- وتجىء الفراهة فى البيوت والقصور وتشطيبات المنشآت الرخامية من الجبال٠

ويرد ذلك كله فى الربط بين البيوت وخاماتها والجبال وماينحت منها فى قول الله تعالى: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الأرض تتخذون منه سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين﴾ (الأعراف٧: ٧٤)

وقوله تعالى: ﴿وكانوا ينحتون الجبال بيوتاً آمنين﴾ (الحجر ١٥: ٨٢)

وقوله تعالى: ﴿وتنحتون الجبال بيوتاً فارهين﴾ (الشعراء ٢٦: ١٤٩)

وقوله تعالى: ﴿والله الذى جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكناناً﴾ (النحل ١٦: ٨١)

٠١٤ الجبال والنحل والعسل

رابعاً٠٠ الجبال والنحل والعسل٠٠ ويورد القرآن فى سورة النحل وفى الآيتين ٦٨،٦٩ قول الله تعالى: ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون * ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ (النحل١٦: ٦٨-٦٩)

- فالجبال للنحل بيوت٠ والجبال والثمر والعسل بينهما قاسم مشترك وهو تباين الالوان!! وبين الجبال والسبل علاقة كونية مغناطيسية٠ تورد الآية ٦٨ من سورة النحل عمومية٠ فى ثلاث صور هي : الجبال، والشجر، والخلايا المعروشة

المصنوعة بأصول التصنيع ﴿مما يعرشون﴾ والتخصيص هنا للنحل وبالوحى بإتخاذ البيوت ثم بالأكل ومن كل الثمرات ومن رحيق أزهارها وحبوب لقاحها. ثم إن هذا الغذاء يتحول وبقدرة الله سبحانه وتعالى إلى مواد غذائية شافية معافية. ومتعددة الأغراض فى الشفاء لمختلف الأمراض والأعراض الصحية، وأما السبل وتذليلها فهذه خاصية ينفرد بها النحل بإختصاص من الله سبحانه وتعالى سواء أكان ذلك بين المرعى الثمرى وبين بيت النحل - أو سواء كانت سبلا داخلية فى البنية الداخلية وداخل جسم النحل لتحويل الغذاء إلى شراب، مختلف ألوانه فيه شفاء للناس.. والله أعلم.

١٥. الجبال والألوان

- خامساً.. الجبال وألوان كل شيء.. فمما لا شك فيه أن إختلاف الألوان والألسنة بين الناس دليل قدرة، وكذلك فإن إختلاف الألوان بين الزرع والثمرات والدواب والانعام وكذلك الجبال سنة كونية أيضاً، وسبق أن أوردنا تلك السنة الكونية لإختلاف ألوان عسل النحل. وهنا لوكان إختلاف الألوان قاسم مشترك لشاركت الجبال فيه الناس والثمرات والدواب والانعام والزرع والعسل وتأمل قول الله تعالى:

﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور﴾ (فاطر٣٥:٢٧- ٢٨)

وقوله تعالى: ﴿وما ذرأ لكم فى الارض مختلفاً ألوانه إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون﴾ (النحل١٦: ١٣)

وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً إن فى ذلك لذكرى لاولى الالباب﴾ (الزمر٣٩: ٢١)

- ولا شك أن المناخ والهواء ومكونات التربة تدخل كعوامل مؤثرة فى لون الارض.. فالارض فى المنطقة المعتدلة فاتحة اللون، فتكون ذات لون رمادى ناتج عن مساحيق المعادن التى خضعت لقليل من التغير الكيماوى. وتفسير وجود الالوان البنية والحمراء والصفراء فى الارض يدل على وجود مكونات الحديد

مضافاً إليها المادة العضوية. واللون الأحمر فى المنطقة الإستوائية يرجع إلى وفرة أكسيد الحديد فى الأرض .. أساسيات علم الأرض - كتاب هذى د. فوث - أستاذ علم الأراضى جامعة ولاية ميتشجان بأمريكا - ١٩٨٥م.. ومترجم للعربية د. أحمد طاهر عبد الصادق مصطفى.

- أما وفرة اللون الداكن لأراضى المنطقة المعتدلة فيرجع إلى وجود المادة العضوية شديدة التحلل مما يؤدى إلى أن تكتسب المادة العضوية اللون الرمادى أو الرمادى الداكن، هذا مالم تقم بعض مكونات التربة مثل أكسيد الحديد أو تراكم الأملاح بتعديل اللون. وإن وجود أكسيد الحديد (هيماتيت) فى التربة فى المنطقة الإستوائية يجعل لون الأرض مائلا إلى حمرة اللون، حال وجود المادة العضوية وبكثرة.

- وعادة يكون هناك تراكم كبير للمادة العضوية فى الطبقات الطمية للأراضى سيئة الصرف مما يكسبها لون داكن جدا، فى حين تكون طبقة الأرض الأعمق رمادية اللون وفاتحة - إشارة إلى سوء الصرف، وحال ما يكون الصرف فى هذه الحالة متوسطاً تتناثر فى التربة بقع من اللون الأصفر.

- وعندما يسمح الصرف بالتهوية، وتكون ظروف الرطوبة والحرارة مناسبة للنشاط الكيماوى فإن الحديد يعطى للأرض مركبات حمراء أو صفراء.

الغلاف الجـــوى

- في حلقة مدارسة عائلية خصصناها لمدارسة الغلاف الجوى٠٠
- باغتنى ولدى سائلاً: مالمقصود بالغلاف الجوى ؟!
- أجبت: يقصد بالغلاف الجوى يا ولدى ! ذلك الخليط الغازى، والذى نسميه الهواء، ويحيط بالكرة الأرضية، مضافاً إليه بخار الماء المحمول بواسطة الهواء، ويتكون الهواء من خليط من الأزوت بواقع ٧٨ % من حجمه، ومن الأكسوجين بنسبة ٢١ %، والباقى ١ % من بقية الغازات٠
- وكثافة الهواء أعلى من كثافة بخار الماء بواقع ١٠:١٦ أى بواقع ٦ر١ مرة، وهذا التفوق فى الكثافة يتيح للهواء حمل بخار الماء ونقله فى الغلاف الجوى المحيط بنا على هيئة سحب٠
- ويزن الغلاف الجوى ٩ره مليون بليون طن، وهذا الوزن يسبب الضغط الجوى، وهذا الضغط يتناسب من واقع تركيز الهواء فى الغلاف على الموضع الذى يقاس عنده هذا الضغط٠ فعند مستوى سطح البحر يكون الضغط مساوياً لواحد كيلو جرام لكل سنتميتر مربع٠ وإذا ارتفعنا عن سطح الأرض يزداد تمدد الهواء، وبالتالى يقل وزنه، ويقل الضغط الجوى تبعاً لذلك بما يجعل الضغط الجوى يساوى نصف كيلو جرام لكل سنتميتر مربع على إرتفاع ٣,٥ ميل من سطح البحر٠ والمعروف أن كمية الهواء المحيط بكوكبنا تتجمع حول المركز غالبيتها

ـ ٩٧ % منها ـ على إرتفاع ١٨ ميل من سطح الأرض ـ الأمر الذى ينتج عنه التناقص الشديد فى الضغط الجوى إذا ارتفعنا عن هذا المستوى، ولك أن تتصور أن الضغط الجوى يساوى عشرة جرام لكل سنتميتر مربع على إرتفاع ١٨ ميل من سطح البحر، أى ١ % من الضغط الجوى على الأرض !!

ـ والمسافر بالطائرة يشعر جيداً بهذه الظاهرة، وهى تناقص الضغط فى طبقات الجو العليا إذا لم تعمل أجهزة التحكم وبدقة، بمعنى أنه يضيق صدره ويشعر بقيمة الإختلاف فى الضغط وللبرهة التى لاتعمل فيها أجهزة التحكم·· وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد فى السماء﴾ (الأنعام٦:٢٥)

ـ وقد نرى إحتراق الشهب التى تهدى إلى الأرض من الفضاء الخارجى ونبصر ضياء حريقها على إرتفاع من ٦٠ وحتى ٣٦٠ كيلو متر مما يدل على وجود نسبة ضئيلة جداً من الهواء على هذه الأبعاد، وأنظر قول الله تعالى:

﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتنا معرضون﴾ (الأنبياء٢١: ٣٢)

ـ ناهيك أن خبراء الأرصاد الجوية، والذين رصدوا ظاهرة الفجر القطبى (الأورورا بورياس)، والذى هو من تأثيرات الشمس الكهربية فى أعالى الجو، والذى يرصد على إرتفاعات ١١٠٠ كيلو متر فوق كوكبنا ـ بما يقطع بوجود هواء وحتى هذا الإرتفاع مهما بلغت ضآلة نسبة وجوده·· وقد تتناثر الهواء·· وعلى مسافات متباعدة جداً جداً فى الفضاء الكونى المحيط بالكرة الأرضية إذا زاد الإرتفاع عن الحد الذى وصلنا إليه فى هذا العرض، وهو ١١٠٠ كيلو متر·· ودعنا نقول أن الغلاف الجوى للأرض بقطر ١١٠٠ كيلو متر !!

ـ ومن بديهيات المعارف الإنسانية أن درجة الحرارة تقل كلما ارتفعنا عن سطح الأرض، لذا يسكن الناس الاماكن العالية فى الصيف، ويهجرون إلى المرتفعات والجبال بحثا عن درجات حرارة أفضل· ودرجة الحرارة تهبط بواقع درجة واحدة لكل ١٨٠ متراً، ولإرتفاع ٣ كيلو متر تهبط درجة الحرارة فى الإجمال ١١ درجة مئوية·

ـ وإذا استمر صعودنا إلى إرتفاع يصل إلى ٨ كيلومتر فإن درجة الحرارة عند هذا المستوى مقيدة بحدود لاتقل عنها وهى -٢٠°م (عشرين درجة تحت الصفر)· ومن فوق هذه الطبقة يكون مسرح الرياح حركة وسرعة وتسارعاً وتدويماً·· لتصل سرعة الرياح فى بعض الأحيان فى هذه الطبقة فى حدود ٣٠٠ كيلو متر فى الساعة حتى أن هذه المنطقة يسمونها منطقة التيار النفاث أو (الجيت ستريم) ولك أن

تقارن ذلك بأقصى سرعة للرياح المدمرة على سطح الأرض ١٢٠ كيلو متر فى الساعة !!

ـ وعند إرتفاع ١٣ كيلو متر تهدأ الرياح فجأة‚‚ وتتناقص درجة الحرارة وحتى ـ ٥٥ْم (خمسة وخمسون درجة تحت الصفر)‚‚ ويؤكد علماء الجو والأرصاد أن درجة الحرارة ثابتة القيمة عند هذا المستوى ـ سبحان الله !!

ـ وبتخانة عدة كيلو مترات لطبقة من جو الغلاف الأرضى تعلو هذا الإرتفاع بواقع ٢٥ كيلو متر (أى ٣٨ كم) تصبح السماء مظلمة، ولأن جو الغلاف الأرضى يصبح من الخفة لدرجة لاتمكنه من تكوين قبة زرقاء؛ ويمكنه إخفاء معالم النجوم وإكليل الشمس‚‚ وتسمى هذه الظاهرة الكورونا‚‚ وعند مستوى ٥٠ كيلو متر تبدأ درجة الحرارة فى الإرتفاع‚‚ وتعود للإنخفاض مرة آخرى ـ عند علو ٨٠ كيلو متر‚‚ وعنده هذا المستوى ترتد الأمواج اللاسلكية إلى سطح الأرض فهى الطبقة الآيونية المليئة بالعجائب‚‚

ـ وعلى إرتفاع من ٨٠ وحتى ١٠٠ كيلو متر تصل درجة الحرارة إلى قرابة ١٠٠٠ درجة مئوية ـ وهى ظاهرة لم يفسرها العلم حتى الآن !!

ـ ويفسر ايفان راى تانهيل أن هذه الحرارة العالية لاتؤثر فى الأجسام المادية بسبب خلخلة الهواء ـ ويقول أنها حرارة حركية‚‚ راجع‚‚ الجو وتقلباته ـ كتاب مترجم ـ إيفان راى تانهيل ـ ترجمه دكتور جمال الفندى ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٩٠م.

ـ وعند إرتفاع ٨٠٠ كيلو متر يحزم الغلاف الجوى وهو أقصى علو تصله سفينة رصد فضائية.

ـ ويضمن الغلاف الجوى نفاذ أشعة الشمس الضوئية ـ بما يضمن التمثيل الكلورفيلى لضمان الإتزان الكونى الربانى للأكسوجين، ولثانى أكسيد الكربون‚‚ ضماناً لحياة كل الأحياء من نباتات وحيوانات وبشر.

ـ ويضمن الغلاف الجوى كذلك ديمومة دورة الماء فى الكون بتأثير العلاقة الكونية الخالدة بين : الشمس، والأرض، والماء، والرياح. فبحرارة الشمس تتبخر مياه الأرض (يابس وبحار) وتحملها الرياح حيث يشاء الله وتبرد وتسقط ماء عذباً طهوراً سبباً فى مأكل ومشرب غالبية الأحياء.

ـ وكما يضمن الغلاف الجوى التوازن الغازى فى الأرض لثانى أكسيد الكربون والأكسوجين بفضل ضوء الشمس والماء ومنتجات الغذاء من اليخضور ضماناً لتكاثر الزروع الخضراء، ومنها غذاء وحياة الكائنات الحية والحيوان

والإنسان فى النهاية فسبحان المسخر ذو العزة العليم الخبير، وتأمل قول الله تعالى:

﴿الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون﴾ (يس ٣٦:٨٠)

وهذا الأمر لايفسر على أن اليخضور والتمثيل الضوئى من ناتجه فقط بناء الأخشاب للحريق، بل منه البناء الكربونى العضوى كله للتكاثر النباتى، والنماء النباتى، والإثمار النباتى بمحصلة الغذاء الحيوى والحيوانى والبشرى بطاقات الحياة وضمانها ـ فنار الغذاء هنا هى الطعام للإنسان، وهى غير نار التدفئة الخارجية للإنسان !!

ـ فطاقة الغذاء.. هى طاقة داخل الكائنات.. طاقة بناء وتعويض وضمان حياة.. أما طاقة التدفئة فهى فرع منها، ولكنها ليست جوهرها !!.. والله أعلم بمراده.

ـ ويحفظ الغلاف الجوى بفضل طبقة الأوزون الأرض وما عليها من الهلاك والدمار بفضل حجزها وحجزه للأشعة المهلكة من الشمس سواء أكانت الأشعة السينية أم أشعة جاما وإن فاعليات هذه الطبقة معرضة للتناقص هذه الأيام بفعل الإنسان وبتدخله التدميرى فى أكوان الله.. من شروح فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى فى إعجاز القرآن الكريم.

ـ ولايفوتنا التنويه إلى أن زيادة نسبة الأوزون فى هواء الغلاف الجوى يساعد على إطفاء الحرائق، ولو كانت النسبة عكسية بين الأوزون والأكسوجين فى هواء الغلاف الجوى لتعذر بل لإستحال إطفاء حريق على وجه الأرض.. !!

ـ ومن الوظائف الكونية للغلاف الجوى التوزيع المنتظم لطاقة الشمس فى الأرض سواء الضوئية، أم الحرارية.. ويتبعها بالطبع التوزيع المتماثل لطاقة الضوء القمرية والنجمية.

ـ ومن آثار المجالات الكهربية الجوية وطاقات الشمس وبقية الافلاك من جذب وتأثير وتأثر مسارات الريح والسحاب بتصريف كونى من الله سبحانه وتعالى:

﴿وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ (البقرة ٢: ١٦٤)

تقسيمات الغلاف الجوى

ـ وسأل ولدى: وهى تقسيم بحدود فاصلة للغلاف الجوى ؟!

ـ أجبت: لا يا ولدى ! لا يوجد تقسيم طبيعى للغلاف الجوى. والتقسيم الحالى

الموجود للغلاف الجوى هو تقسيم إتفاقى قابل للتغيير والتبديل والإتفاق والإختلاف بحسب مكتشفات العلم والمعارف البشرية وما يتفق عليه العلماء الآن هو تقسيم الغلاف الجوى لأربع طبقات هى:

١ـ الطبقة السطحية ـ تروبو سفير:

وهى على بعد من ٦ وحتى ٨ كيلو متر من مستوى سطح البحر ربما يتكون البرد والمطر والصقيع.

٢ـ الطبقة متعددة الطبقات ـ استراتو سفير:

وهى على بعد٥٠ كيلو متر من سطح البحر وهى طبقة الإرتجاع فى رفع درجة حرارة الغلاف الجوي.

٣ـ الطبقة الحرارية ـ الأيونوسفير:

وهى تبدأ من بعد ٨٠ كيلو متر وحتى ١٠٠٠ كم.

٤ـ المحيط الخارجى ـ الاكسوسفير:

وهى الطبقة التى تعدو الألف كيلو متر وحتى ٨٠٠٠ كيلو متر.

ـ وتحتفظ الأرض، وبفضل جاذبيتها بغازات الغلاف الجوى (بالهواء) وإلا لاستحال علينا الحياة عليها، وبالطبع فإن من معوقات وجود الحياة على سطح القمر عدم وجود غلاف جوى من حوله لضعف جاذبيته.

ـ ولا شك أنه بقدر إمساك الأرض بغلافها.. وقيام هذا الغلاف بكل الوظائف السابق الإشارة إليها ـ وهى فى جملتها تضمن ديمومة الحياة فى الأرض حيث شاء الله بالإضافة إلى كل هذا فالغلاف الجوى يعتبر بمثابة خفير وحارس الأرض من أن ينزل إليها إلا ماشاء الله له أن ينزل من ذرات وكائنات.. ويحرق على بوابات الأرض الكونية ماشاء الله له أن يحرق.. وفى ذات الوقت لايسمح لأحد من جن أو إنس أن ينفذ من أقطارها إلا بإذن وبسلطان من الله سبحانه وتعالى وتأمل:

قوله تعالى: ﴿هو الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم مايلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ (الحديد ٥٧: ٤)

وقوله تعالى: ﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون﴾ (الأنبياء ٢١: ٣٢)

وقوله تعالى: ﴿يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾ (الرحمن٥٥: ٣٣)

ـ وينتهى الغلاف الجوى بسمائنا الدنيا.. ويقول تعالى: ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير﴾ (الملك٦٧: ٥).. وقوله تعالى: ﴿إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب﴾ (الصافات ٣٧: ٦)

ـ والسماء والسماء الدنيا مترادفتان، بحسب قول الله تعالى: ﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾ (الحجر١٥: ١٤ـ١٥)

وسماؤنا حافظة من تأثيرات الأشعة الكونية الضارة ومن وقوع الشهب على الارض.. فتقوم بتفتيتها قبل أن تسقط.. حافظة لحرارة الشمس فى الغلاف الجوى فيتولد السحاب والرياح، حافظة هى للحياة فى الأرض بفضل نفاذيتها للضوء من الشمس والقمر والنجوم.. فإذا به الرؤية والتمثيل الضوئى والغذاء والكساء.

محفوظة هى السماء بفضل الله تعالى.. ﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً﴾!!

ـ ومن سياق ما أورده الإمام على ابن أبى طالب حول نشأة السموات والأرض.. حيث قال: (أنشأ الخلق إنشاءً، وابتدأه إبتداءً بلا روية أجالها١، ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطرب فيها٢، احال الأشياء لأوقاتها٣، ولاءم بين مختلفاتها٤، وغرز غرائزها٥.، وألزمها أشباحها٦.، عالماً بها قبل ابتدائها محيطاً بحدودها وانتهائها، عارفاً بقرائنها وأحنائها ٧. ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء ٨، وشق الأرجاء وسكائك الهواء ٩، فأجرى فيها ماء متلاطماً تياره ١٠، متراكماً زخاره، حمله على متن الريح العاصفة، والزعزع القاصفة، فأمرها برده ١١، وسلطها على شده، وقرنها إلى حده، الهواء

١ الروية ـ الفكر، أجالها ـ أدارها ورددها.
٢ همامة النفس ـ اهتمامها بالأمر
٣ حولها من العدم إلى الوجود.
٤ كما قرن النفس الروحانية بالجسم المادى.
٥ الغرائز جمع غريزة وهى الطبيعة، وغرز الغرائز أى جعلها غرائز، والمعنى أودع فيها طبائعها
٦ أى ألزم أشخاصها غرائزه
٧ جمع حنو أى الجانب، عالم بكل الأمور ومتعلقاتها
٨ الأجواء جمع جو وهو الفضاء العالى
٩ جمع سكاكة وهو الهواء الملاقى العنان
١٠ التيار ـ الموج، والمتراكم ما يكون بعضه فوق بعض، والزخار ـ الشديد الزخر أى الإمتداد والإرتفاع والريح الشديدة العاصفة.. كأنها تزعزع كل ثابت وتقصف كل قائم
١١ أى منعه من الهبوط لأن الماء ثقيل وشأن الثقيل الهبوط، كأنه سبحانه أوثقه ومنعه من الحركة إلى أسفل، وجعل حده الأسفل مماساً لسطح الريح التى تحمله

من تحتها فتيق ١٠، والماء من فوقها دفيق. ثم أنشأ سبحانه ريحاً اعتقم مهبّها ٠٢ وأدام مربها، وأعصف مجراها، وأبعد منشاها، فأمرها بتصفيق الماء الزخار٣ ٠، وإثارة موج البحار، فمخضته مخض السقاء، وعصفت به عصفها بالفضاء، ترد أوله إلى آخره، وساجيه إلى مائره ٤، حتى عب عبابه، ورمى بالزبد ركامه فرفعه فى هواء منفتق، وجو منفهق ٠٥، فسوى منه سبع سموات جعل سفلاهن موجاً مكفوفاً ٦ ، وعلياهن سقفاً محفوظاً، وسمكاً مرفوعاً بدون عمد يدعمها، ولا دسار ينظمها، ثم زينها بزينة الكواكب، وضياء الثواقب ٠٧ وأجرى فيها سراجاً مستطيراً٠٨ وقمراً منيراً فى فلك دائر، وسقف سائر، ورقيم مائر ٠٩ ثم فتق مابين السموات العلا، فملأهن أطواراً من ملائكته ١٠ـ والجديد المتفاد من قول أمير المؤمنين يا أحباب ! أن الفتق تم بين السموات العلا وغلاف جو الأرض٠٠ بما جعل الأرض وما عليها ومن عليها غلفاً محميون من أثر الإنفجار العظيم !! ومع المشيئة تعطل سنن وتعمل أخريات والله أعلم !!

ـ يكرر الإمام على كرم الله وجهه ذات المعنى فى خطبة أخرى حيث قال:

(ناداها بعد إذ هى دخان، فالتحمت عُرى أشراجها، وفتق بعد الارتياق صوامت أبوابها١١، وأقام رصداً من الشهب الثواقب على نقابها وأمسكها من أن تمور فى خراق الهواء بأيده، وأمرها أن تقف مستسلمة لأمره).

ـ هنا يتجلى معنى قوله تعالى: ﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون﴾ (الأنبياء ٢١: ٣٢)٠٠ !!

ـ وهذا المعنى الالهامى يدحض فكرة وفرضية برودة الارض على مراحل٠٠

---

١ الفتيق ـ المفتوق، والدفيق ـ المدفوق
٢ أى جعل هبوبها عقيما لاتلقح سحاباً ولا شجر.. ومَرَبها ـ ملازمتها
٣ تصفيق الماء ـ تحريكه وتقليبه فى غير وعاء
٤ الساجى ـ الساكن، والمائر ـ الذى يذهب ويجىء متحركا حركة مطلقة
٥ المنفهق أى المفتوح الواسع
٦ المكفوف ـ الممنوع من السيلان، ويدعمها أى يسندها ويحفظها من السقوط
٧ الثواقب ـ المنيرة المشرقة
٨ مستطيراً ـ منتشر الضياء وهو الشمس
٩ الرقيم ـ إسم من أسماء الفلك، ومائر أى متحرك.. ويفسر الرقيم باللوح.. وشبه الفلك باللوح لأنه مسطح فيما يبدو للنظر
١٠ جعل الملائكة أربعة أقسام:
١١ بعد أن كانت جسماً واحداً فتق الله رتقه، وفصلها إلى أجرام بينها فرَج وأبواب، وأفرَغ ما بينها بعد ما كانت صوامت لافراغ فيها

فسرها البعض على ان الستة ايام ستة الاف سنة.. ونعتقد ان هذا خطا.. والله اعلم!!

(واصطفى سبحانه من ولد ادم انبياء أخذ على الوحى ميثاقهم[١]، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم لما بدّل أكثر خلقه عهد الله إليهم[٢]، فجهلوا حقه، واتخذوا الانداد معه[٣]. واجتالتهم الشياطين عن معرفته[٤] واقتطعتهم عن عبادته.. فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه[٥] ليستأدوهم ميثاق فطرته[٦]، ويذكروهم منسى نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ.. ويثيروا لهم دفائن العقول[٧].. ويروهم الآيات المقدّرة من سقفٍ فوقهم مرفوع، ومهادٍ تحتهم موضوع، ومعاشٍ تُحييهم، وآجال تفنيهم، وأوصابٍ تهرمهم[٨]. وأحداث تتابع عليهم.. ولم يخل سبحانه خلقه من نبيٍ مُرسل، أو كتابٍ منزل، أو حجةٍ لازمة، أو محجةٍ قائمة[٩].)

ـ ويستفاد من اثارة دفائن العقول اننا مكلفون شرعاً باعمال العقل فى كل شئون الحياة لاكتشاف اسرارها وقوانينها.. اسرار جماداتها وكائناتها.. وصولا الى اليقين الروحى، وأخذنا بأسباب القوة فى الحياة الدنيا ؟!

---

١ أخذ عليهم ميثاق التبليغ وأن لايشرعوا للناس
٢ عهد الله للناس هو ميثاق الفطرة.
٣ الأنداد أى الأمثال.
٤ إجتالتهم ـ صرفتهم عن قصدهم الفطرى.
٥ أى أرسلهم تباعاً.
٦ أى أن رسالات الرسل هى والفطرة سواء بسواء.. ولا يعكر صفو البشر إلا وساوس الشيطان.
٧ إعمال العقل لإكتشاف أسرار الكائنات وصولاً الى اليقين بخالقها، والغنم بنعيم الدارين.
٨ السقف المرفوع ـ السماء.. المهاد الموضوع ـ الأرض.. الأوصاب ـ المتاعب.
٩ المحجة ـ الطريق القويمة الواضحة.

الرياح فى القرآن

ـ فى حلقتنا السادسة حول مدارسة الرياح فى منظومة الأرض.. بادرنى ولدى سائلاً: ما الرياح وما تقسيماتها وأنواعها.. فى الكون وفى القرآن والسنة ؟!

ـ أجبت: يا ولدى! عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

﴿الريح من روح الله، تأتى بالرحمة، وتأتى بالعذاب، فإن رأيتموها فلا تسبوها، وإسألوا الله خيرها، واستعيذوا بالله من شرها﴾

مستدرك الحاكم.. انظر الحديث رقم: ٥٦٤ ٣ فى صحيح الجامع

ـ وعن عمر أن رسول الله ﷺ قال: ﴿الريح تُبعَثُ عذاباً لقومٍ، ورحمةً لآخرين﴾

مسند الفردوس.. انظر الحديث رقم: ٣٥٦٢ فى صحيح الجامع.

ـ وعن عائشة أن رسول الله ﷺ كان إذا عصفت الريح قال:

﴿اللهم إنى أسألك خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من

شزها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به﴾

انظر الحديث رقم: ٤٧٥٣ فى صحيح الجامع

- وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: ﴿يا عائشة! لاتأمني الريح أن يكون فيه عذاب؟ فقد عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب، فقالوا: هذا عارض ممطرنا﴾

انظر الحديث رقم:٩٣٠ ٧ فى صحيح الجامع

- وعن سلمة ابن الأكوع أن رسول الله ﷺ كان إذا إشتدت الريح قال: ﴿اللهم لقحاً لا عقيماً﴾ حديث حسن.. انظر الحديث رقم:٤٦٥٠ فى صحيح الجامع..

- والريح يا أحباب! هى حركة الهواء الموجود فى الغلاف الجوى للأرض أى أنها الهواء المتحرك، وتنتج هذه الحركة بتأثيرات الهواء، والشمس، والأرض.. وتقوم الرياح بتوزيع طاقة الشمس على أرجاء الأرض، توزيعا عادلا. وجرت العادة، فى التقسيمات العلمية، على دراسة الغلاف الجوى، والريح، ودرجات الحرارة، وتأثيراتها - ضمن دراسات الجو، والأحوال الجوية، أما دراسات البحر، والبخر، والسحاب، والأنهار، والمد والجزر، والأمواج، ودورة الماء - فتدرس ضمن دراسات علوم البحار. وإن كان علم الجغرافيا يجمعهما، إلا أنه يتعرض لدراستهما كل على حده -.. وصحيح أنه يتعرض لتأثير كل منهما في الآخر.. إلا أنه لم يضعهما فى منظومة علمية واحدة.

- وعلى عكس ذلك تماماً فالقرآن الكريم يربط بين دورة الماء، ممثلة فى السحاب، والريح.. وهذا من الدلائل الإعجازية القرآنية.

- أما الريح - وهى الرياح عالية السرعة، فهى ووظيفتها التسخيرية الإلهية الكونية.. أهى للرحمة؟!، أم هى للعذاب؟! فهذه أمور مردها للمسخر، ولمراده سبحانه وتعالى، والريح قد ترد فى القرآن بدلالة سرعاتها.. ريح طيبة.. ريح شديدة.. ريح عاصف.. ريح حاصب.. ريح صرصر.. ريح قاصف.. ريح عاتية.. وأخيراً إعصار. وحسبنا فى هذا السرد للورود القرآنى، ثم التدرج فى التصنيف بحسب السرعة، والمسمى. وليس عليك إلا التأمل فى حديث سيدنا رسول الله ﷺ فى قوله: ﴿اللهم إجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً﴾.. فالدعوة تفرق بين الرياح وفوائدها، والريح ومضارها؟!

ولا يخفى على فطنة المسلم المتدبر لآيات القرآن أن لفظ ﴿مطر﴾ فى القرآن ماجاءت قط قرين ﴿الماء﴾، بل ورد لفظ ﴿مطر﴾ دواماً قرين العقاب والعذاب.. ولنتأمل قول الله تعالى:

﴿وأمطر عليهم مطراً فانظر كيف كان عاقبة المجرمين﴾ (الأعراف ٧: ٨٤)..

وقوله تعالى: ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم﴾ (الأنفال ٨: ٣٢)٠٠

وقوله تعالى: ﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود﴾ (هود١١: ٨٢)٠٠

وقوله تعالى: ﴿فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾ (الحجر١٥: ٧٤)٠٠

وقوله تعالى: ﴿ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لايرجون نشوراً﴾ (الفرقان٢٥: ٤٠)٠٠

وقوله تعالى: ﴿وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين﴾ (الشعراء٢٦: ١٧٣)٠٠ و(النمل ٢٧: ٥٨)٠٠

وقوله تعالى: ﴿فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ماإستعجلتم به ريح فيها عذاب أليم﴾ (الأحقاف٤٦: ٢٤)٠٠

- أما الماء، والسحاب - فيرد قرين ألفاظ التعظيم والتوقير -٠٠ بحسب الشأن المؤثر فى الحياة للماء والسحاب٠٠ - ﴿أنزل﴾٠٠ ﴿وينزل﴾٠٠ ﴿ويُقِلّ﴾٠٠ ﴿وينشىء﴾٠٠ ﴿ويزجي﴾٠٠ ﴿ويؤلف﴾٠٠ ﴿ويمر﴾٠٠ ﴿وتثير﴾٠٠ وهذا فى حد ذاته دلالة ضمنية على عظيم النفع٠

- ونعرض لوظائف التسخير الكونية للرياح٠٠ عارضين لأوجه الإعجاز القرآنى لكل!!

٠٢ الرياح فى القرآن

- ويا ولدى! ترد الرياح فى القرآن كآية من آيات الله٠٠ ويكرمها الله بالبشرى٠٠ لأنها سابقة خير لتلطيف الجو٠٠ وحركة السفن٠٠ وتلقيح المزروعات والسحاب٠٠ ونزول الماء٠٠ وتصريفه فى أنحاء المعمورة يابس وبحار - آيات تستحق التفكر والتعقل، وجاء ذكر الرياح فى القرآن الكريم فى عشرة مواضع -٠٠ نعرض لها٠٠ فى قوله تعالى: ﴿وهو الذى أرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهوراً﴾ (الفرقان ٢٥: ٤٨)

وقوله تعالى: ﴿وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾ (الأعراف٧: ٥٧)

وقوله تعالى: ﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (الروم٣٠: ٤٦)

وقوله تعالى: ﴿أم من يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون﴾ (النمل ٢٧: ٦٣)

وقوله تعالى: ﴿والله الذى أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور﴾ (فاطر ٣٥: ٩)

وقوله تعالى: ﴿الله الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذ هم يستبشرون﴾ (الروم٣٠: ٤٨)

وقوله تعالى: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾ (الحجر ١٥: ٢٢)

وقوله تعالى: ﴿واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون﴾ (الجاثية ٤٥: ٥)

وقوله تعالى: ﴿وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ (البقرة ٢: ١٦٤)

وقوله تعالى: ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً﴾ (الكهف ١٨: ٤٥)

- ويا أحباب! لعل جملة هذه الآيات تربط بين الماء، والسحاب، والبحر، والفلك، والرياح، فى منظومة كونية متأثرة ومؤثرة بعضها فى بعض.. وهى تكاملية يعجز العلم الحديث عن ربطها ببعضها.. لا لشئ إلا لصعوبة هذا العمل من ناحية.. ومن ناحية آخرى فحدود أجلية وعمرية العلاقات الطبيعية بين الماء والهواء التى قد لاتتعدى التسعة أيام.. بمعنى أن السحاب أجله وعمره تسعة أيام فقط!!

٠٣ الريح فى القرآن

- ويا ولدى! وردت الريح فى القرآن الكريم فى ١٨ ثمانية عشر موضعاً.. وجاء ورودها قرين التعبير عن الذات ﴿ريح يوسف﴾.. أو التعبير عن القدرة البشرية ﴿تذهب ريحكم﴾.. وقدرة جند الله ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ

جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بماتعملون بصيراً﴾.. ﴿ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً لظلوا من بعده يكفرون﴾.. والريح بحسب سرعتها.. ريح ساكنة.. وريح طيبة.. وريح شديدة.. وريح عاصف.. وريح حاصب.. وريح صرصر.. وريح قاصف.. وريح عاتية.. وإعصار.. والريح المسخر فيها رخاء، ومنها أيضا الريح الطيبة.. أما ماعدا ذلك ففيها ومنها الهوة والعذاب والدمار.. ونعرض لهذا كله.. فى قوله تعالى: ﴿فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب﴾ (ص٣٨: ٣٦)

وقوله تعالى: ﴿هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بما جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾ (يونس١٠: ٢٢)

وقوله تعالى: ﴿ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره إلى الأرض التى باركنا فيها وكنا بكل شىء عالمين﴾ (الأنبياء ٢١: ٨١)

وقوله تعالى: ﴿ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر﴾ (سبأ٣٤: ١٢)

وقوله تعالى: ﴿إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ (الشورى ٤٢: ٣٣)

وقوله تعالى: ﴿حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق﴾ (الحج ٢٢: ٣١)

وقوله تعالى: ﴿فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم﴾ (الأحقاف ٤٦: ٢٤)

وقوله تعالى: ﴿فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لاينصرون﴾ (فصلت ٤١: ١٦)

وقوله تعالى: ﴿مثل ماينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون﴾ (آل عمران٣:١١٧)

وقوله تعالى: ﴿أم آمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعاً﴾ (الإسراء ١٧: ٦٩)

وقوله تعالى: ﴿إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً فى يوم نحس مستمر﴾ (القمر ٥٤: ١٩)

وقوله تعالى: ﴿وفى عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ (الذاريات ٥١: ٤١)

وقوله تعالى: ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية﴾ (الحاقة ٦٩: ٦)
وقوله تعالى: ﴿فأصابها إعصار فيه نار﴾ (البقرة ٢: ٢٦٦)

٤- تأثيرات قوى الرياح

- ويا أحباب! يعرض الأستاذ الدكتور جمال الفندى.. كمتخصص، ورائد من رواد الكتابة فى الإعجاز القرآنى.. للمطابقة بين الورود القرآنى بتقسيم الرياح، ومسمياتها وتأثيراتها.. و بين الأسماء والتقسيمات العلمية الحديثة والمسطورة فى مقياس بيفورت.. راجع كتاب.. الله والكون د. محمد جمال الفندى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٦م. فإسم الريح، وصفاتها يدل على الأثر والتأثير وهذا مايعنى به القرآن فى إجمال المعنى، وذلك يسطره العلماء المحدثين فى جدول بيفورت. وإذا كان هناك من إتفاق فى هذه الجزئية الخفيفة، والبسيطة، فمؤدى ذلك أن حديث القرآن موجه للفطرة البشرية، وبلغته البسيطة السهلة.. والتى تتطابق وفطرة مسميات عصرنا هذا.. بمردود إلى الله العليم الخبير الحكيم.

وفى لغة العرب فإن:

صرصر - تعنى شديد الصوت من الصرير وهو الصوت.

عاتية - تعنى متجاوزة الحد.

حاصباً - تعنى ترمى بالحصاء، والقصف الكسر.

إعصار - تعنى ريح عاتية صاعدة الأثر من الأرض إلى السماء على هيئة مخروط مقلوب.

- وقد يرجع بعض العلماء الإمطار - النادر للسماء من أسماك، أو ضفادع، أو من مطر ملون بالأحمر والأسود إلى تأثيرات وقوى الريح -.. كما حدث ذلك فعلا، وأمطرت السماء سمكاً فى سنة ١٨١٧م فى بلدة أبين فى اسكتلنده، وتكررت الظاهرة سنة١٨٣٠م فى ايسلى وفى مرة ثالثة أمطرت السماء ضفادع صغيرة، فى انجلترا، وفى سنة١٩٠٠م دفعت عاصفة رعدية عددا من الكائنات الحية بالقرب من ليفربول.. - ويضاف أن السماء أسقطت مطراً أحمراً فى سنة ١٦٠٨م، فى إيكس، وأمكن رؤيتها على جدران مقابر وكنائس، وسجلت هذه الظواهر فى هامبرج، وفينيا، وانجلترا..راجع.. كنوز العلم - كتاب - وليم فرجارا - ترجمة وتقديم د. سيد رمضان هوارة، د. محمد صابر سليم - بغداد - ١٩٨٧م. أضف أن هناك من

الأمطار السوداء، والصفراء ما سجلته البشرية على مرور الأزمان. ـ وتفسر ظاهرتا السمك، والضفادع ـ أنه شفط تقوم به الريح العاتية من برك، أو مستنقعات، وشواطىء بحار، وبحيرات، وتقذف له فى أماكن بعيدة!!.

ونعرض للكوارث والاعاصير كأثر من آثار الريح وإفساد البشر ـ فى الفصل العاشر.

جدول ـ مقياس بيفورت للرياح BEAUFORT SCALE

مقيا	الإسم الحديث	الإسم في القرآن	التأثير على الأجسام	السرعة ميل/ساعة
صفر	ساكنة	ساكنة	يتصاعد الدخان رأسيا	أقل من ميل
١	نسيم خفيف	طيبة	يتعين إتجاه الريح بحركة الدخان	١:٣ميل/س
٢	رياح خفيفة	طيبة	نشعر بحركة الرياح على وجوهنا	٤ : ٧
٣	رياح لطيفة	طيبة	تنشر الرياح الأعلام الصغيرة	٨ : ١٢
٤	رياح معتدلة	طيبة	ترفرف الأعلام	١٣ : ١٨
٥	رياح نشطة	طيبة	تهتز الشجيرات	١٩ : ٢٤
٦	شديدة	شديدة	يسمع صفير أسلاك البرق	٢٥ : ٣١
٧	عاصفة غير مكتملة	عاصف	يصعب السير ضد الرياح	٣٢ : ٣٨
٨	عاصفة	حاصبا	تثير الرمال وتعوق الحركة	٣٩ : ٤٦
٩	عاصفة شديدة	صرصر	شديدة العصف وتكسر المداخن	٤٧ : ٥٤
١٠	زوبعة	قاصف	تقص أو تكسر مايعترضها	٥٥ : ٧٢
١١	زوبعة هوجاء	عاتية	تتلف مساحات برمتها	٦٤ : ٧٢
١٢	إعصار	إعصار	كاسحة	فوق ٧٢

٥. الرياح والعلم الحديث

ـ وسألت ابنتى: وما علاقة العلم الحديث بالرياح ؟!

ـ أجبت: يابنيتى! أورد القرآن الكريم فى الآية ١٢ من سورة سبأ (٣٤) فى قول الله تعالى : ﴿ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر﴾ والمتأمل فى هذه الآية

يلاحظ الغدو فى إتجاه حركة، عكسه تماماً الرواح.

- وحسبنا أن تساوى المدتين فى الآية يعنى إنعكاس الحركة للرياح فى الإتجاه مع ثبات سرعتها الإعتبارية، وهذا هو ما يؤكده العلم الحديث:

POWER FROM WIND - Palmer Cosslett. Boston.

- وترصد الحركة والحركة العكسية للرياح بواسطة الأقمار الصناعية - ترى هذا الإعجاز القرآنى الذى أوحى به منذ١٤٠٠ سنة، إلى قوم لم يعرفوا، ولم تعرف معهم البشرية كلها، سبيلا للقياس والرصد، على رقعة الكرة الأرضية كلها!! - وسبحان الله العظيم.

- وقد عرضنا إلى الطاقة المستخلصة من الرياح حال عرضنا للإعجاز العلمى فى البحار، فى مجال إستخدام طواحين الهواء، وإستغلال طاقة الريح. أما الوظيفة الكونية للرياح لتلقيح الزرع فهذا أمر يقرره العلم الحديث، وقرينه تهوية الحدائق والمزروعات إعمالا لقول الله تعالى: ﴿كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير﴾ (البقرة ٢: ٢٦٥)

والربوة هنا هى التى تتيح للحدائق، وللزروع عامة، التهوية الطبيعية، والتعرض للرياح، والذى تنتج عنه الزيادة المحققة فى التلقيح، وبالتالى الزيادة المحققة ربانيا فى المحصول ﴿أكلها﴾ وبواقع أربع أمثال ﴿ضعفين﴾..!! وهذه أمور يصل إليها العلم الحديث، وينوه عنه خبراء الزراعة - فى بحوثهم.. وفى مواقفهم الإرشادية.. - وإعجاز آخر يضاف إلى ما أورده القرآن الكريم، فى قول الله تعالى: ﴿وأرسلنا الريح لواقح﴾.. وسبحان ربى العليم الخبير!!

- وإن من أنواع السحاب ما يبسطه الله كالبساط فى السماء.. ويسميه العلماء بالسحاب البساطى أو السحاب الطبقى.. كما هو مدون عند الغربيين فى كتبهم.. وهذا هو هو ما أورده القرآن فى قوله تعالى: ﴿الله الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذ هم يستبشرون﴾ (الروم٣٠: ٤٨)

- وبتأثير الرياح يتكون النوع الثانى من السحاب المتعدد الطبقات «الركامى».. وتأمل قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يزجى سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار﴾ (النور ٢٤: ٤٣)

وقوله تعالى: ﴿وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم﴾ (الطور

٥٢: ٤٤)

وهذا السحاب الركامى يعلو كالجبال.. وينزل منه البرد.. والبرد هو مسبب البرق ويغاير الثلج.. وتأمل قول الله تعالى ضمن الآية ٤٣ من سورة النور: ﴿وينزل من السماء من جبال فيها من برد﴾.. والعجب كل العجب أن الرصد الحديث جداً توصل إلى حقيقة علمية قرآنية مؤداها أن الـ ﴿بَرَد﴾ يكون وسط السحابة بشحنة كهربية موجبة.. بينما ﴿بَرَد﴾ حواف السحابة الذائب المتبخر يكون سالب الشحنة الكهربية.. ولا يقوى الهواء أو الرياح على العزل بين الشحنتين.. فيحدث التفريغ الكهربى.. وينتج عنه البرق.. الذى يسبب العمى المؤقت لناظره عن قرب.. وتأمل قول الله تعالى: ﴿يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار﴾

- والرياح تغذى السحاب ببخار الماء وتغذيه أيضا بجسيمات صغيرة مجهرية من مساحيق تمتصها مثل ملح الطعام.. أو مساحيق ترابية، والذى تمتصه الرياح مع بخار مياه البحار والمحيطات.. أو من اليابسة، ويتطاير مع الرياح من البحار والمحيطات والبحيرات الملحية وهذه الجسيمات هى نواة التكاثف "موجبة الشحنة".. وهذا هو المراد من كلمة لواقح فى وجه أخر..!!

- ويحاول العلم الحديث أن يربط بين الرياح والسحاب.. - ولكنه لازال فى أول الطريق، وذلك لتعاظم المشكلة إن رصداً، أو تحليلا.. إن سبباً أو نتيجة.. إن إستقراء أو تحكماً.. وإن توقعاً أو تجنباً!!

- ويكشف العلم الحديث ليس فقط عن كتلة الهواء فهذه بديهية، أما توافق، حركة كتل الهواء - فهذا هو الذى خضع ويخضع للدراسات المكثفة وتسمى هذه الكتل من الهواء، التى لها نفس درجة حرارة الأرض ودرجة رطوبة مقاربة من رطوبتها.. بالكتل الهوائية، ويسمون كتل الهواء، فى أقصى الشمال الارضى «الكتل الهوائية القطبية» وأما الكتل التى فوق المنطقة الأستوائية - فتسمى بالكتل الهوائية الإستوائية وحال تقابل كتل هوائية من مناطق مختلفة فتكون جبهة سطحية.. وهذه الجبهة لاترى رأى العين.. وتنفرد الجبهة السطحية الكتلية الهوائية فى منحدر هوائى متدرج، ويميل ١ :٣٠٠ من المسافة الأفقية لإنفرادة جبهة الكتل الهوائية، ويصعد الهواء الدافىء الأقل كثافة إلى أعلى الجبهة، فى حين يكون الهواء البارد فى أسفل الجبهة،

- وفى أكوان الله لما كان الهواء الدافىء أقل كثافة من الهواء البارد فهو لايقوى على دفعه بالسرعة الكافية.. بل يتحرك جزء من الهواء الدافىء فوق الهواء البارد، وكما لو كان يدفعه للحركة إعمالا لقول الله تعالى:

﴿الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذ هم يستبشرون﴾ (الروم٣٠: ٤٨)

- وبإنزلاق الجبهة السطحية للهواء الساخن فوق الهواء البارد فإن الهواء الساخن وكتلته تتخلف عن كتلة الهواء البارد.. حيث تبذل الجبهة الساخنة، طاقة أكبر فى الصعود إلى أعلا.. وإذ كان الهواء الساخن لايحمل درجة رطوبة عالية - فتكون الرياح ساخنة وجافة إعمالا لقوله تعالى: ﴿ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفراً لظلوا من بعده يكفرون﴾ (الروم٣٠: ٥١)، أما إذا كانت الرياح الساخنة مرطبة بدرجة معقولة - فهناك إحتمالا لنزول الماء وأنظر قول الله تعالى: ﴿حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء﴾ (الأعراف ٧: ٥٧)

- وقد تكون الكتلة الهوائية - كتلة حاملة للسحاب، بمعنى أن أداءها فى هذه الحالة أداء إنتقالى حملى، ويشير القرآن إلى هذه الحالة فى قوله تعالى:

﴿حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء﴾ (الأعراف ٧: ٥٧)

- وقد تكون هذه الكتل مزناً طبقياً بسيط (بساطى)، أو مزناً ركامياً.. ﴿الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذ هم يستبشرون﴾ (الروم٣٠: ٤٨)، أو ﴿أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق﴾ (البقرة ٢: ١٩)

ومن هنا فالرياح مشارك أصيل فى دورة المياه العذبة.. وتأمل ذلك فى قوله تعالى: ﴿ أفرأيتم الماء الذى تشربون، أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون﴾ (الواقعة ٦٨ - ٦٩).

- ويولى العلم الحديث أهمية كبرى للربط بين الرياح (الأحوال الجوية) والمحيطات - لا لشيء - إلا لأن كل منهما يتعامل مع سائل، يدور مع الأرض، وهذا السائل طباقى - أى مؤلف من طبقات.. والبحر والجو متصلان إتصالا تبادليا تأثيرا فيما بينهما، بحيث يؤثر كل منهما فى الآخر.. - وعند فحص الجو فوق المحيط يلاحظ تدفق عظيم للكتلة والطاقة والحركة عبر السطح، وهذا الأخير يمثل حدودا مشتركة بين البحر والهواء، بنظام سائل واحد بالنسبة للآخر. وصحيح أن سطح المحيط هو فى الواقع سطح يتحرك بمنتهى الصعوبة، وبالغ التعقيد فى حركته.

- والأساس كما سبق أن ذكرنا فى البحار أن الحركة العرضية على خط عرض واحد تتم من الشرق إلى الغرب.. وكذا الحال فالبخر يتم هو الآخر من الشرق

إلى الغرب عبر المحيط!! فالبخر على شاطىء الولايات المتحدة الأمريكية ضعف البخر - بعرض البحر - على الشاطىء المقابل!!

- والأكسيجين والكربون الآسر للطاقة الشمسية إلى الأرض يابسها ومحيطها يلعبان دورا هاما فى الجو، وفى الرياح. وعلى ذلك - أصبح من الضرورى ربط الجو، والرياح بالبحر والمحيطات حيث لايمكن إعتبارهما حدثين طبيعيين منفصلين.

وحقيقة هناك تدفق مستمر للكتلة فى هيئات كثيرة عبر سطح الماء، ويتكثف غبار الجو ويغوص فى البحر. وحتى الأيونات المشحونة كهربائيا، تتحرك من سطح المحيط إلى الجو، وتؤثر فى الجهد الكهربى بين الجو والمحيط من تحته. والجو والمحيط يؤثران كآلة حرارية مزدوجة نتيجة للحرارة المختلفة للأرض بين القطبين، وخط الإستواء.. ويضاف أن العلم يقف عاجزا أمام تفسير ظاهرة النقل الحرارى، والنقل الحركى من المشارق إلى المغارب - أى على خطوط العرض.. والقرآن الكريم يذكرنا ولا شك أن الجو والمحيط داخلان فى العملية وبشدة.. لكنه والحال كذلك فإن هناك قصوراً لازال يصيب العلم البشرى.. وسبحان ربى العظيم!!

- ويفسر العلم الحديث بأن مايدفع الهواء على الحركة - ماهو إلا فروق الضغط الجوى الناتج عن تأثير اشعة الشمس على غلاف الأرض، والذى يسخن الهواء. وتأخذ الكتل الهوائية إتجاهاً عكس عقارب الساعة فى نصف الكرة الشمالى، إتجاه عقارب الساعة فى نصف الكرة الجنوبى، ومع إختلاف ميل اشعة الشمس على سطح الكرة الأرضية، وإختلاف معدلات التسخين، أو التبريد - تنشأ الدورة العامة للرياح.

- وقد تقسم الرياح تبعا لدورية زمانها وتسمى حينئذ بالرياح الدورية أو الموسمية، وتقسم الرياح من ناحية اخرى بجغرافيتها المكانية إلى رياح قطبية، ورياح استوائية!!

- وفى الختام يا أحباب! الرياح مُشارك أصيل فى دورة الحياة على كوكب الأرض.. هى اللقح فى دورة المياه العذبة.. وهى اللقح فى النبات.. والماء والنبات هما أساس الحياة البيولوجية على سطح الأرض!!.. وهى اللقح فى طواحين ومراوح الهواء.. وهى الأساس فى انتظام وتوزيع درجات الحرارة!!

وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: ﴿اللهم لقحاً لا عقيماً﴾!!

الباب الثالث الفصل السابع

السحاب فى القرآن

١. السحاب فى القرآن.	٢. نشأة السحاب فى القرآن.
٣. أنواع السحاب.	٤. إنزال الماء.
٥. السحاب والعلم الحديث.	٦. الرعد والبرق.
٧. الرعد والبرق فى القرآن.	٨. السحاب والظل.
٩. السحاب يختزل الالوان.	١٠. الجو يدفأ عند سقوط الجليد.
١١. البرق يفقد البصر.	١٢. الرعد يفقد السمع.
١٣. صواعق البرق والرعد.	

- سأل ولدى: هل لنا أن نبدأ بحصر ورود السحاب فى القرآن ؟!

- أجبت: يا ولدى! تورد آيات القرآن الكريم السحاب فى احد عشر موضعاً.. تصف تسعة منها فى دقة متناهية العلاقة التبادلية التأثيرية بين السحاب والرياح: حراريا ﴿يرسل الرياح فتثير سحاباً﴾، وكهربائيا ﴿يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينشىء السحاب الثقال﴾.. ﴿ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحى به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾.

كما أن آيات القرآن الكريم تصنف السحاب تصنيفاً كونياً إلى سحاب مركوم ﴿وإن يرو كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم﴾.. و ﴿ثم يجعله ركاماً﴾. وإلى سحاب بساطى ﴿الله الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه فى السماء

كيف يشاء﴾.

ويرد السحاب بآيات القرآن الكريم فى موضع عاشر بمعنى المزن.. وبدلالة كونية كبرى، أعظم شأناً من إنشاء السحاب.. وهى التحكم فى إنزال ماء السحاب زمانياً ومكانياً.. متى وأين يشاء الله!!.. وتأمل قول الله تعالى: ﴿أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون﴾.. ويرد فى موضع حادى عشر ﴿وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً﴾.

أما الدلالة الغير مباشرة على السحاب فى آيات القرآن الكريم -فترد فى العديد من المواضع: ﴿أنزل من السماء ماء﴾ و ﴿وينزل من السماء ماء﴾ و ﴿نزلنا من السماء ماء﴾ و ﴿وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها﴾.. وهى بواقع موضع واحد لكل.

ونعرض للأحد عشر موضعاً التى أورد فيها القرآن الكريم السحاب نشأة وتصنيفاً وإنزالاً.. (إنزال من السماء الدنيا والسماء العلا).

٢. نشأة السحاب فى القرآن

- سألت ابنتى: وماذا عن نشأة السحاب فى القرآن ؟!

- أجبت: يا بنتى! السحاب يتكون عندما تبرد الرياح، وتقل درجة الحرارة فى طبقات الجو العليا، يتحول بخار الماء.. بفضل تلقيح الرياح للبخار بالاتربة والاملاح.. إلى نقط من الماء، أو إلى بلورات من الثلج، وذلك بحسب درجة الحرارة السائدة.

ويورد القرآن الكريم نشأة السحاب وأنواعه وتسخيره:

فى قوله تعالى: ﴿والله الذى أرسل الرياح فتثير سحاباً﴾ (فاطر ٣٥: ٩)

وقوله تعالى: ﴿الله الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون﴾ (الروم٣٠: ٤٨)

وقوله تعالى: ﴿هو الذى يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينشىء السحاب الثقال﴾ (الرعد ١٣: ١٢)

وقوله تعالى: ﴿وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾ (الأعراف ٧: ٥٧)

وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يزجى سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار﴾ (النور ٢٤: ٤٣)

وقوله تعالى: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء إنه خبير بما تفعلون﴾ (النمل ٢٧: ٨٨)

وقوله تعالى: ﴿وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم﴾ (الطور ٥٢: ٤٤)

وقوله تعالى: ﴿أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوق موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ (النور ٢٤:٤٠)

وقوله تعالى: ﴿وتصريف والرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ (البقرة ٢: ١٦٤)

وقوله تعالى: ﴿أفرأيتم الماء الذى تشربون، أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون﴾ (الواقعة ٥٦: ٦٩)

وقوله تعالى: ﴿وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً﴾ (النبأ ٧٨: ١٤)

٠٣ أنواع السحاب

ـ عادت ابنتى تسأل: وما أنواع السحاب ؟!

ـ قلت: يا بنتى! السحاب من نتاج حرارة الشمس، ومن ماء البحر والأرض يكون بخار الماء، والرياح تبرد، فتتكثف بخار الماء، فيكون السحاب فى أولى مراحل التكثيف. ﴿الله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا﴾.

ونحسب أن لفظ ﴿سحاب﴾ لفظ مطلق غير مقيد.. ومن تعريفات العلم الحديث.. والتى تشمل أنواع السحاب المعروفة والواردة بذات التعريف قرآنياً، ومنها:

أ. السحاب البساطى.. ﴿فتثير سحاباً فيبسطه فى السماء﴾.

ب. السحاب الركامى.. ﴿يزجى سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً﴾.. ﴿يقولوا سحاب مركوم﴾.

جـ. السحاب الثقال.. وبالطبع فإن من الكتل الهوائية ماينتج عنه لحامات لطبقات من السحاب.. ﴿سحاب ثقال﴾.. ﴿حتى إذا أقلت سحاباً ثقالا سقناه لبلد ميت﴾.. ﴿موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض﴾.

٤٠ تنزيل الماء

- ويا أحباب! السحاب مسخر كسنة كونية منه سبحانه وتعالى٠٠ ككل شىء مما خلق٠٠ فالكل مسخر٠٠ لما أراده الله له من وظيفة فى الكون٠٠ فالسموات والأرض وما بينهما وما فيهما، والشمس، والقمر، والنجوم، والليل، والنهار، والأرض، والبحار، والأنهار، والفلك، مسخرات بأمره٠٠ كذلك الرياح والسحاب مسخرات بأمره وإذنه٠٠ ونحن مكلفون بارتفاق واستغلال كل هذا التسخير لصالحنا ولصالح البشرية جمعاء٠٠

- وتامل قول الله تعالى فى الآية ٢٦٤ من سورة البقرة: ﴿وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾٠

- وإذا هيىء للإنسان أن مسألة التبخير من الأمور السهلة الميسورة - وهى هكذا سهلة، إلا أن أمر التكثيف والتنزيل لصعب عسير على البشر!!

- وهل يصعب هذا على خالق الأكوان ؟!

- حاشا لله - رب العزة والقدرة القادر على كل شىء٠٠ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون٠

- ويقرر ربنا تجلت قدرته وعزته فى تكثيف وتنزيل الماء:

﴿وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً﴾ ٠٠!!

- والسؤال الإلهى يأتى فى نهاية مطاف الرحلة الكونية٠٠ رحلة النشأة والخلق للرياح وللسحاب وتنزيل الماء٠٠ رحلة تسخيرهما، ورحلة حصادهما٠٠ والسؤال الإستنكارى للعلى القدير٠٠

﴿أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون﴾٠٠ ؟!

- ﴿بلى وهو الخلاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون * فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء وإليه ترجعون﴾٠

٠٥ السحاب والعلم الحديث

- ويا أحباب! لايختلف التصنيف العلمى الحديث عن الورود القرآنى فى الجوهر، لكنه التفصيل والتشعيب، الذى لايخل بالوظيفة الادائية للسحاب من بعد خلقها وتسخيرها٠٠ إن تكييفاً للجو فى الغلاف الجوى للكرة الارضية٠٠ وإن

إستكمالا للدورة الكونية للماء العذب.. ثلجاً كان أم ماء.. ينزل من السماء الدنيا إلى الأرض.

- والسحب التى منظرها كالريش فى الطيور أو كخصل الشعر فى الإنسان، وتتكون من بلورات صغيرة من الثلج، هى أعلى أنواع السحب.. تسمى سمحاق.. - وتوجد على إرتفاعات فى حدود من ٨ وحتى ١١ كيلو متر. ومنها يوجد السحب السمحاقية الطباقية، أو الركامية المتموجة، وألوانها لبنية يبدو قرصا الشمس والقمر خلالها محاطين بحلقة مضيئة تسمى الهالة.

- والسحب متوسطة الإرتفاع، يكون لونها أزرق، أو رمادي، يبدو لك قرصا الشمس والقمر وكأنك تراهما من خلال زجاج مصنفر، وهذه السحب مائية لا ثلجية وهى على بعد من ٣ إلى ٨ كيلو متر من الأرض.

- أما المزن الركامى فهو سحب عظيمة الكتلة تنمو وتتجمع رأسياً قد تأخذ كل المسافة الحدية مابين الثلاثة والثمانية كيلومترات أى بتخانة إرتفاعية بسمك خمسة كيلو مترات. وتتشكل فى هيئة السندان، وعنها تنتج رخات المطر، أو البرد، أو الثلج وقد تصحبها عواصف رعدية.

- وأما السحب الركامية الطبقية ذات اللون الرمادى المتدرج بين الفاتح والداكن فتوجد على إرتفاعات من كيلو متر إلى ثلاثة كيلو مترات من سطح الأرض .وينتج عنها تساقط الرذاذ. وقد ينتج فى هذه المسافة البينية من كيلو متر واحد وحتى ثلاثة كيلو مترات مزن طبقى، رمادى داكن، ينتج عنه نزول الماء وبصفة مستمرة.

- وفى مجمل هذه الأمور لا يلحق العلم بكل ما أورده القرآن الكريم منذ ١٤٠٠ سنة.. بل يعجز حتى الآن عن تفسير كنة الريح العاصف، وكنه الظواهر الاعصارية فى تكامليتها المناخية.. وسبحان من يعلم السر وأخفى!!

٦. الرعد والبرق

- وسأل ولدى: وماذا عن الرعد والبرق ؟!

- أجبت: يا ولدى! ظل العقل البشرى حتى القرن الماضى حبيس أفكار خاطئة - مؤداها أن البرق والرعد ناتجان من نواتج إختكاك السحب بعضها ببعض!!

- ويفسر العالم الإنجليزى ميخائيل فراداى ظاهرة البرق بأنه يمكن توليد شحنة كهربائية بتوجيه رذاذ بخار الماء نحو سطح مائى، فأجزاء مكونات السحاب

الهابطة ذات قوة طاقة كهربائية كبيرة تؤين الهواء الصاعد بشحنات مضادة ومساوية.. فيسقط الماء إلى الأرض.. ويصعد الهواء المتأين إلى نسمة السحاب.. وينتج عن ذلك شحن السحابة بشحنة كهربائية كبيرة كبراً كافياً.

- وحال ماتقترب سحابة من آخرى تتلاقح السحب بفعل الرياح وحركتها ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ وينعدم العزل الهوائى لقلة المسافة وقت تزاوج الرياح، فتنتج ومضة كهربائية من سحابة إلى آخرى، وكذلك من السماء إلى الأرض، وهذه الومضة نسميها برقاً ..!!

- راجع كتاب كنوز العلم - وليم فرجارا، مترجم، بغداد، ١٩٨٧.

- وجاء العالم الأمريكى بنجامين فرانكلين وأثبت أن الرعد والبرق ماهما إلا من نواتج الكهرباء الجوية.. والأساس النظرى فى ذلك مرجعه إلى أن مركز السحابة موجب الشحنة.. ونسمة السحابة تكون مشحونة بشحنات كهربائية سالبة فى الحواف.. ومن حيث أنه من الخواص الطبيعية للشحنات المتباينة أنها تتجاذب وتتحد.. فينتج عن هذا الإتحاد تولد طاقة حرارية، وكهربائية عالية جداً.. وتجاذب حجمى لمكونات السحب إن بَرَداً ثلجاً، وإن قطرات ماء - حتى أن حجم كرات الثلج قد يصل فى بعض الأحيان إلى حجم البرتقال.. أما النقط الكروية المائية فقطرها يصل من ٢ إلى ٣ ملليمتر.. وبدء الهطول ينشأ عند قمة السحابة، والزيادة الحجمية لمكونات الأجزاء المتساقطة تأخذ فرصتها فى التكون والزيادة.. فى ذات الوقت فإن الطاقة الكهروحرارية لإتحاد الأيونات الموجبة والسالبة ينتج عنها فرقعات رعدية، وومضات برقية، وتمدد هائل فى الهواء ..!!

- ويا أحباب ! نرى البرق قبل أن نسمع الرعد لسبب بسيط هو أن سرعة الضوء ٣٠٠,٠٠٠ كيلو متر/ثانية، فى حين سرعة الصوت فى حدود ٣٣٣ كيلو متر/ثانية.

- وقد يؤخذ الفارق الزمنى بين الرؤية البرقية، وبين السماع الرعدى دلالة على البعد الكونى الذى يتم فيه التزاوج الكهربى فى السحب بين الموجب والسالب، إلا أن هذا الأمر لايتعدى حدود السماع الرعدى فيه العشرين كيلو متر، فى حين أن لرؤية البرق آماد ومسافات أكثر بكثير.. ولا عبرة لرؤية البرق دون سماع الرعد فى حالة التطلع لمعرفة المسافات ..!!

- وإذا كان البَرَد «الثلج» يذوب على سطح الأرض فهذا مرجعه إلى تخطى وفقد كمية من الكهرباء.. وإن أردنا التعميم فإن سر عواصف البرق والرعد يكمن فى أعالى السحابة.. كلما كان أكثر برداً، وفيه بداية تكون السحب أما فى أسفل

السحابة فحتى حد معين يصل حجم مكوناتها الجزئية بالكهرباء، والإتحاد بين الشحنات، وفى حالة السحب الركامية فقد تنشأ حرارة فى سخونة ودرجة حرارة سطح الشمس (٦٠٠٠°م).. ناهيك عن تتابع الرعد ليصل ١٨٠٠ رعدة فى الساعة أى بواقع ٣٠ ثلاثين رعدة فى الثانية!! وتستهلك الرعدة الواحدة فى مجمل العاصفة الرعدية الكونية قرابة ٢,٠ مليون كيلو وات ساعة ..!! وقد يأتى زمان تستغل فيه هذه الطاقات الرعدية الهائلة ؟!

- والقرآن الكريم أسبق من كل علم وكل معرفة حقاً إنه.. ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن عليم خبير﴾ (هود:١)

٠٧ الرعد والبرق فى القرآن

- ويا أحباب! يرد الرعد فى القرآن الكريم فى موضعين:

فى قوله تعالى: ﴿أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين﴾ (البقرة ٢: ١٩)

وقوله تعالى: ﴿ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال﴾ (الرعد ١٣: ١٣)

- أما البرق فيرد فى خمس مواضع قرآنية منها الآية السابقة، ومنها النص الوارد فيه البرق قرين الرعد فى سورة البقرة - ١٩ السابق الإشارة إليه والأربع مواضع الآخرى جاءت في قوله تعالى:

﴿ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار﴾ (النور ٢٤: ٤٣)

وقوله تعالى: ﴿هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشىء السحاب الثقال﴾ (الرعد ١٣: ١٢)

وقوله تعالى: ﴿ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحى به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ (الروم٣٠: ٢٤)

وقوله تعالى: ﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شىء قدير﴾ (البقرة ٢:٢٠)

٠٨ السحاب والظل والظلمة!!

- ويا أحباب! إذا كان ماسبق يندرج تحت ظاهرة إعجازية عامة للخواص الكهربائية للسحاب ولبرقه ولرعده·· فإن للسحاب إعجازاً حرارياً ضوئياً آخر وهو إنتاجه للظل وحجبه للضياء وللحرارة فى آن واحد·!! وجاء ذلك فى موضعين قرآنيين:

- الاول فى قوله تعالى: ﴿وظللنا عليهم الغمام﴾ (البقرة ٢: ٥٧) بمعنى أن السحاب يقوم كالمظلة، أو الشمسية - وهو هكذا !!

- الثانى فى قوله تعالى: ﴿أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ (النور ٢٤:٤٠)

- وقد كشفت الدراسات الضوئية الحديثة للسحاب والبحار العميقة من تحتها·· وجود موج من فوق موج فى البحار العميقة·· وكل طبقة من هذا الموج تشتت الضوء الشمسى·· من اصل ضوء الشمس او من غمام السحاب·· حتى انهم وجدوا الظلام الدامس فى البحر العميق اللجِى على بعد ١٠٠٠ متر (كيلو متر واحد)·· فكانها الظلمة المتدرجة مع العمق·· سبحان الله العظيم على هذا السبق الاعجازى لحقيقة علمية لم تكتشفها البشرية الا حديثاً جداً··!!

٠٩ السحاب يختزل الألوان

ويا أحباب! السحاب شأنه شأن الماء يختزل أطياف الضوء·· وبحسب سمك السحابة، أو السحاب، أضف أن العلم لم يكشف إلا حديثا أن الرؤية سببها الضوء قبل البصر·· فالعين لا ترى فى الظلام·· وعلى هذا فإن أيام تكاثر السحاب تقل الرؤية وتقل حدودها لمسافات قصيرة، وهذا ما نلمسه جميعا، وكنا كبشر نجهل تفسيره التفسير العلمى الصحيح وحتى قرن سابق من الزمان·· وحتى سنوات محدودة مضت كانت البشرية كلها تجهل الخواص الضوئية للبحار·· حقاً انه الحق من ربى، فيه القول الحق المعجز!!

٠١٠ الدفء مع سقوط الجليد

- ومن عجب يا أحباب! أن الجو يدفأ أثناء سقوط الجليد ؟؟· نعم هو كذلك··

ومرده إلى الحرارة الكامنة فى الجليد ﴿البرد﴾·· حيث يتخلى الجرام الواحد من الماء عن ٨٠ سعر حرارى، وهذه الحرارة تتسبب فى رفع درجة حرارة الجو إرتفاعا قليلا أثناء سقوط الجليد مدة طويلة، وأضف أنه فى مثل هذه الحالة تقل درجة رطوبة الجو وبدرجة ملحوظة.

١١. البرق يفقد البصر

- ومن الظواهر المعروفة يا أحباب!·· تعرض الطيارون وخاصة فى المنطقة الإستوائية إلى الفقد اللحظى للبصر·· وهذه حقيقة عملية لامراء فيها·· تأملها فى قوله تعالى : ﴿يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار﴾!!··

١٢. الرعد يفقد السمع

- كذلك فإن للرعد آثاراً سمعية ضارة·· قد تؤدى الى فقد السمع·· ﴿يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت﴾·· ويتفق البرق مع الرعد فى آثاره·· فهذا يفقد البصر، وذاك يفقد السمع·· ﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم﴾ و ﴿يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار﴾·· والكل مسخر بأمره·· وبتوجيه لا يخطئ الهدف·· ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾··

- ألا له الخلق والأمر ؟!·· سبحان الله العظيم!!

١٣. صواعق البرق والرعد

- ويورد القرآن الكريم لفظ الصواعق فى عمومية التأثير وعمومية النوع (سمعياً كان أم بصرياً) فى موضعين·· فى قوله تعالى:

﴿أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين﴾ (البقرة ٢: ١٩)

وقوله تعالى: ﴿ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال﴾ (الرعد ١٣: ١٣)

- ويتضح لنا من الآيتين أن الصواعق إما صوتية رعدية، والحماية منها متعلقة بخصوصية السمع·· بحماية الآذان·· وأما فى حالة الصواعق البرقية البصرية

الكهربية فلا سبيل إلى حماية البصر إلا بتجنبها.

- وأما الحماية من الصواعق و من آثارها الكهربية المدمرة فلا يتأتى إلا بتفريغ طاقتها الكهربية فى الأرض بواسطة مانعات الصواعق - كمحاولة لزيادة تسرب الكهرباء الى الأرض - قبل أن تدمر الشحنات الكهربائية كل ماعلى الأرض من حياة - ويتم ذلك بتوصيل طرف معدنى مدبب يثبت على الابنية ويتصل الطرف المدبب بلوح معدنى مدفون فى باطن الأرض.. - وهذا يقى المنازل وسكانها من أخطار الصواعق.

- أما الصواعق التى وردت قرين القصص القرآنى فقد جاءت قرينة حالة بذاتها.. وعلى هذا الأساس وردت بلفظ المفرد صاعقة وجاء ذكرها فى القرآن الكريم فى خمس مواضع.. فى قوله تعالى:

﴿وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون﴾ (البقرة ٢: ٥٥)

وقوله تعالى: ﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ماجاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطاناً مبيناً﴾ (النساء ٤: ١٥٣)

وقوله تعالى: ﴿فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾ (فصلت ٤١: ١٣)

وقوله تعالى: ﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون﴾ (فصلت ٤١: ١٧)

وقوله تعالى: ﴿وفى ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين * فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون﴾ (الذاريات٥١: ٤٣-٤٤)

- وواقع الحال والأمر كذلك.. أن البشرية لم تسجل وقائع صواعق عاد وثمود، وقوم موسى.. ونستطيع أن نُحَمل ذلك على أن الصاعقة كانت ذات طبيعة كهربائية مدمرة.. وغالب الإعتقاد أنها كانت من هذا النوع الموجى الكهرومغناطيسى ذى الأثر الآنى اللحظى.. والله أعلم.

- والله سبحانه وتعالى يقسم فيقول ﴿فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون﴾.. وما نبصر الضوء، وما لانبصر هى الإشعاعات.. ومنها المميت من الصواعق!!

الباب الثالث ـ الفصل الثامن

الزلازل فى الكون والقرآن

فى الحلقة الثامنة من مدارستنا حول منظومة الأرض.. خصصناها لمدارسة الزلازل والبراكين والظواهر الغريبة للأرض فى الكون والقرآن وفى المعارف البشرية التراثية والحديثة !!

ـ سألت ابنتى: ما الزلزال ؟! وما البركان ؟!

أجبت: يابنيتى! الزلزال هزة، أو رجفة تنتاب سطح الأرض، وتحدث نتيجة لاضطراب وحركات جوف باطن الأرض وقشرتها الخارجية، وترجع الزلزال إلى:

٠١ صدمات شقوق وتواصل فى القشرة الأرضية.

٠٢ هبوط أجزاء من القشرة، وارتفاع اجزاء آخرى.

٠٣ إنزلاقات أرضية وانهيارات جبلية.
٠٤ إنفجار المياه الجوفية.
٠٥ تحرك الجبال الثلجية.
وأما البركان فمصطلح يطلق على فتحة فى قشرة الأرض.. تتصاعد منها الغازات وتقذف الصخور مصهورة وصلبة إلى سطح الأرض الخارجى..

٠٢ الزلازل فى القرآن

- ويا بنيتى ! الزلزال معناه لغوياً الإضطراب.. ولقد ورد الزلزال بتصريف المعنى فى أربعة مواضع في القرآن.. نصفها بشرى بلفظ ﴿زلزلوا﴾ فى موضعين.. والنصف الآخر كونى فى موضوعين آخرين.. زلزلة الأرض يوم الساعة.. ونعرض لجميع الورود !!..

- فالزلزلة البشرية جاءت فى قول الله تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾ (البقرة ٢: ٢١٤)

وقوله تعالى: ﴿هنالك أبتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً﴾ (الأحزاب ٣٣: ١١)

- و يا بنيتى ! جاءت الزلزلة الكونية الكبرى فى قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ (الحج ٢٢: ١)

وقوله تعالى: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها * وأخرجت الأرض أثقالها * وقال الإنسان مالها * يومئذ تحدث أخبارها * بأن ربك أوحى لها﴾ (الزلزلة ٩٩: ١- ٥)

- وأما الزلازل الكونية الصغرى يا بنيتى ! فهى لاتعدو كونها اضطرابة محدودة.. اهتزازة صغيرة.. (ميدة).. ووردت الإشارة إلى المَيدِ الأرضى فى موضعين:

يقول الله تعالى: ﴿خلق السموات والأرض بغير عمد ترونها وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ (لقمان ٢١:١٠)

وقوله تعالى: ﴿وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد بهم وجعلنا فيهل فجاجاً سبلا لعلهم يهتدون﴾ (الأنبياء ٢١: ٢١)

- ويا أحباب ! يتضح مما سبق أن جوف الأرض فى حركة لاتهدأ.. ونحسب أن تيارات الجوف الأرضى الحَمْلِيّة الحرارية ومواضع مياه الجَوف الأرضى تجعل

لهذه الحركة الداخلية دَيْمومة مُثيرة !!٠٠ يضاف أن حركة الأرض ذاتها إن حول نفسها، أو حول الشمس، أو حركتها هى والشمس حول مركز المجرة ـ كل ذلك ـ يزيد من الحركة تعقيداً داخل جوف الأرض !!٠٠

ـ أما زلزلة (أو ميدة) الطبقة الحيوية العلوية لسطح الأرض والتى تعج بحياتنا وحياة مختلف الكائنات، والطبقة السفلى تعج هى الأخرى بحياة يعلمها رب العزة من نيماتودا، وفطريات، وبكتريا، وحشرات، وجذور حية لنباتات وأشجار٠٠ وميدة الأرض التي إعتدنا على تسميتها مجازاً زلزالاً٠٠!!

ـ ويا أحباب ! نقصر عرضنا القادم على آخر ماتوصل إليه العلم الحديث حول ميدة الأرض٠٠ أو حول الزلزلة الإعتبارية الصغرى !!

٠٣ الزلازل فى التراث

ـ سأل ولدى: وهل للزلازل فى التراث الاسلامى موضع ؟!

ـ أجبت: بالقطع يا ولدى ! فعلماء العرب حاولوا تفسير الظواهر الطبيعية٠٠ وأعطوا النماذج العلمية لعلم الزلازل فى كتب التراث٠٠ على منهجية علمية قائمة على التجربة والرصد والمشاهدة !!٠٠

ـ وللرئيس ابن سينا بحوث قيمة فى الزلازل تصنيفها وأنواعها وأسباب وقوعها وآثارها٠٠ وهو مايتفق تماماً مع العلوم الحديثة٠

ـ وأورد الأستاذ الدكتور عبدالله يوسف الغنيم السجل التاريخى للزلازل مستنداً فى ذلك إلى أعمال علماء التاريخ والتراث الإسلاميين٠٠ من أمثال٠٠ (تاريخ الرُسل والملوك)٠٠ ابن جرير الطبرى، و (المنتظم)٠٠ ابن الجوزى، و (الكامل فى التاريخ)٠٠ ابن الأثير، و (كنز الدرر)٠٠ الدواداري، و (السلوك لمعرفة دول الملوك)٠٠ المقريزى٠٠ وغيرهم٠٠

ـ ويسرد تاريخ الزلازل ويقرر: (أن جلال الدين السيوطى الذي عاش فى مصر وتوفى بها عام ٩١١ هـ هو أول من وضع سجلاً شاملاً للزلازل الحادثة فى الاسلام ابتداءً من القرن الأول الهجري إلى القرن التاسع الهجري، وأصبح هذا السجل الذي أطلق عليه (كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة) مادة يعتد بها من عام ١٩٢٨م حينما تَحَدَثَ ولس WILLIS عنه فى مجلة جمعية الزلازل العالمية٠٠ ويكشف هذا الكتاب بحق عن مدى إهتمام العرب بدراسة الظواهر الطبيعية وتدوين تاريخ حدوثها٠٠!!

- ويسرد سيادته.. نقلا عن جلال الدين السيوطى.. أن مصر تعرضت منذ القرن الأول الهجرى لأكثر من خمسين زلزالاً.

- الأمر الذى يتحتم علينا معه جَرد كتب التراث.. ورصد الزلازل وآثارها.. مواضها وقوتها ومددها.. وتكرراها المكانى والزمانى.. فالماضى يقدم لنا معلومات لها وزنها.. إذ ربما بها نُفسر أحداث المستقبل بالنسبة للزلزال!!

- ومن هذه الزلازل المصرية المسّجلة فى التراث الإسلامى ما يلى:

٠١ ٩٤ هـ (٧١٣ م): (فى٢١ طوبة حدثت زلزلة عظيمة فى مصر وهدمت مدناً كثيرة، ومات أهلها تحت الردم وغرق فى البحر مراكب كثيرة)

٠٢ ١٨٠ هـ(١٦-٣-٧٩٦م): (كانت بأرض مصر زلزلة شديدة، سقط نتيجتها رأس منارة الاسكندرية)

٢٤٥٠٣ هـ(٢٠-١٢-٨٥٩م): (حدثت زلازل ورجفات فى بلاد المغرب والشام والعراق، وسمع بها أهل تنيس بمصر ضجة دائمة هائلة، فمات منها خلق كثير)

٠٤ ٢٦٧ هـ(١٢-٨-٨٨٠م): (وفيها كانت زلزلة عظيمة بالشام ومصر وبلاد الجزيرة وأفريقيا والأندلس، وكان قبلها هزة عظيمة قوية)

٠٥ ٢٧٢ هـ(١٣-١١-٨٨٠م): (وفيها زلزلت مصر فى جمادى الآخرة زلزلة أخربت الدور والمسجد الجامع، وأحصى فى يوم واحد بها ألف جنازة)

٠٦ ٢٧٤ هـ(٢٨-٥-٨٨٧م): (زلزلت مصر وهدمت أكثر عماراتها، وأهلكت خلقاً، ولم يعهد ذلك من قبل)

٠٧ ٢٨٦ هـ(١٤-١١-٨٩٩م): (حدثت بمصر رجفة يوم الأربعاء لسبع خلون من ذى القعدة من نصف الليل الى الصباح واضطربت الكواكب التى يقال لها الشهب اضطراباً شديداً، وكانت الشهب تنتقل شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، ولم يكن لأحد طاقة أن ينظر الى السماء لأجل ذلك).

٠٨ ٣٢٣ هـ(١-١٢-٩٣٤م): (كان فى مصر زلزلة عظيمة ثالث ذى القعدة من هذه السنة)

٠٩ ٣٣٩ هـ(١٩-٦-٩٥٠م): (وفيها كانت بمصر زلزلة عظيمة مات فيها خلق عظيم واهدمت دور كثيرة وبعض الجوامع)

٠١٠ ٣٤٠ هـ(١٥-٠٧-٩٥١م): (جاءت زلزلة عظيمة بمصر يوم الأحد آخر الساعة الثانية لست خلون من صفر ثم عادت فى ثلث الليل، ثم عند الأذان، ثم بعد صلاة الصبح، وقد توالت ثلاثة أيام، وخسف ببعض

قراها حتى صار أعلاها أسفلها، وهلك من كان فيها، وخرج أهل مصر منها الى الصحراء وقد مكثت ستة أشهر و سكتت فى رجب ولم تعد)

١١٠ ٣٤٤ هـ(١٩-٠٩-٩٥٥م): (زلزلت مصر زلزلة صعبة هدمت البيوت ودامت ثلاث ساعات وفزع الناس إلى الله بالدعاء)

١٢٠ ٣٥٢ هـ(٨-٠٥-٩٦٣م): (حدثت زلزلة بمصر ودوى عظيم ليلة أربعة عشر من ربيع الآخر سنة اثنين وخمسين وثلثمائة، وأصبحت الشمس محمرة وبعده إلى السواد فابتهل الناس إلى الله)

١٣٠ ٢٧٧ هـ(٣-٥-٩٧٨م): (كانت الزلزلة بمصر وكذلك بالموصل، وهدمت دوراً كثيرة من الاقليمين)٠

١٤٠ ٤٢٥ هـ (٢٦-١١-١٠٣٣م)٠٠ (وفيها كثرت الزلازل بمصر والشام فهدمت شيئاً كثيراً، ومات تحت الردم خلق كثير)٠

١٥٠ ٥١٢ هـ (٢٣-٠٤-١١١٨م)٠٠ (حدث بمصر زلزلة عظيمة يوم الجمعة ثالث طوبة فى الثالثة من النهار)٠

١٦٠ ٥٨١ هـ (٠٩-٠٦-١١٨٥م)٠٠ (حدثت بمصر زلزلة، وفى مثل تلك الساعة كانت زلزلة فى بعلبك كذلك)

١٧٠ ٥٩٢ هـ (٠٦-١٢-١١٩٥م)٠٠ (وفيها هبت ريح سوداء عمت الدنيا، وذلك بعد خروج الناس من مكة، ووقع على الناس رمل أحمر، ووقع من الركن اليمانى قطعة،٠٠ ،وفيها زلزلت مصر)

١٨٠ ٥٩٦ هـ (٠٧-٠٥-١٢٠١م)٠٠ (وفيها كانت الزلزلة العظيمة فى شهر شعبان، أتت من نحو الصعيد، فعمت الدنيا فى ساعة واحدة، وهدمت بنيان مصر، حتى عدم تحت الهدم عالم عظيم٠ ثم وصلت بالشام والساحل٠ وهدمت نابلس، حتى لم يبق بها دار قائمة إلا حارة السامرة، وهلك تحت الردم ثلاثون ألف إنسان٠ وكذلك هدمت عكا وصور، مع قلاع الساحل، وإمتدت إلى دمشق، فهدمت بعض المنارة بجامع بنى أمية، وهرب الناس إلى الميادين)

١٩٠ ٦٠٠ هـ (١٠-٩-١٢٠٣م)٠٠ (وفيها كانت زلزلة عظيمة عمت أكثر البلاد، مصر والشام والجزيرة وبلاد الروم وصقيليه وقبرص ، ووصلت إلى الموصل والعراق وغيرها، وخرب من مدينة صور

سورها، وأثرت فى كثير من الشام)٠

٢٠ ٠ ٦٥٧ هـ (٢٩-١٢-١٢٥٨م)٠٠ (وفيها كثرت الزلازل بأرض مصر)

٢١ ٠ ٦٦٠ هـ (٢٦-١١-١٢٦١م)٠٠ (زلزلت مصر)٠

٢٢ ٠ ٦٩٣ هـ (٢-١٢-١٢٩٣م)٠٠ (كانت زلزلة أثرت فى سائر مصر حتى أن بعض عُمُد جامع عمرو انفصل بعضه عن بعض، وكان أخف مما حدث فى جامع القاهرة)

٢٣ ٠ ٧٠٢ هـ (٩-٨-١٣٠٣م)٠٠ (لما كان يوم الخميس الثالث والعشرين من شهرذى الحجة قبل طلوع الشمس زلزلت الأرض زلزالاً شديداً لم يعهد بمصر مثلها من قبل ثم امتدت فى جميع البلاد بالشام ومصر، وأقامت تهتز تقدير ربع ساعة فلكية، وكان لها دوى كدوى الرعد، وسمع للحيطان قعقعة وللسقوف أصوات شديدة، وصار الماشى يميل والراكب يسقط حتى تخيل الناس أن السماء انطبقت على الأرض،٠٠، وخرجت ريح عاصف، ففاض ماء النيل حتى ألقى المراكب التى كانت بالشاطىء قدر رمية سهم، وعاد الماء عنها فصارت على اليبس، وتقطعت مراسيها، واقتلع الريح المراكب السائرة فى وسط الماء، وحذفها إلى الشاطىء،٠٠)

٢٤ ٠ ٧٤١ هـ (١٨-٠٥-١٣٤١م)٠٠ (زلزلة عظيمة بمصر والشام مات فيها تحت الردم ما لايحصى وغرقت مراكب كثيرة وتهدمت مآذن وجوامع ومآذن لا تعد)٠

٢٥ ٠ ٧٤٤ هـ (٣-١-١٣٤٤م)٠٠ (وفيها كانت الزلزلة العظيمة المزعجة العميمة أخربت كثيراً من الاماكن ودخلت إلى مصر والشام وتواتربعدها الزلزال مدة فسكن الناس فى الصحارى)٠

٢٦ ٠ ٧٥٣ هـ (١١-١٠-١٣٥٢م)٠٠ (حدثت زلزلة فى مصر والناس فى صلاة العشاء الآخرة)٠

٢٧ ٠ ٧٧٥ هـ (١٩-١٠-١٣٧٣م)٠٠ (زلزلة خفيفة فى القاهرة)٠

٢٨ ٠ ٧٨٨ هـ (١٨-٠٧-١٣٨٦م)٠٠ (زلزلت القاهرة ومصر زلزلة خفيفة الساعة الرابعة)٠

٢٩ ٠ ٨٢٥ هـ (٢٩-٠٦-١٤٢٢م)٠٠ (وقعت زلزلة عظيمة بالقاهرة حتى هدمت عدة بيوت)

٣٠ ٠ ٨٢٦ هـ (٢١،٢٢-١١-١٤٢٣م)٠٠ (فى سابع عشر ذى الحجة زلزلت القاهرة بعد مضى ساعتين أو نحوها من الليل وكانت خفيفة، ثم زلزلت

كذلك فى ليلة الأحد)٠

٠٣١ ٨٢٨ هـ (٢٤-٦،٥-٨-١٤٢٥م)٠٠ (وفى يوم السبت حدث عند شروق الشمس زلزلة قدر ما يقرأ الإنسان من سورة الاخلاص، ثم زلزلت ثانية مثل ذلك ثم زلزلت ثالثة، فلولا أن لطف الله بسكوتها لسقطت الدور، فإن الأرض مادت وتحركت المبانى وغيرها حركة مرعبة، بحيث شاهدت حائطاً خرج من مكانه ثم عاد)

٠٣٢ ٨٣٨ هـ (٧-١١-١٤٣٤م)٠٠ (قبيل الظهر بقليل حدثت زلزلة بالقاهرة اهتزت لها الدور هزة لو طالت لأخرجت ما زلزلت)

٠٣٣ ٨٤١ هـ (٢٨-١-١٤٣٨م)حدثت بالقاهرة زلزلة عند أذان العصر، اهتزت بها الأرض مرتين إلا أنها كانت خفيفة ولله الحمد)٠

٠٣٤ ٨٦٣ هـ (٨-١١-١٤٥٨م)٠٠ (وحدثت فى القاهرة زلزلة ولكنها كانت خفيفة)٠

٠٣٥ ٨٨١ هـ (٢٠-١٠-١٤٧٦م)٠٠ (زلزلت القاهرة زلزلة لطيفة ليلاً)٠

٠٣٦ ٨٨٦ هـ (١٩-٣-١٤٨١م)٠٠ (كانت زلزلة مهملة بمصر والقاهرة ماجت منها الأرض وتحركت المآذن ومالت وسمع للأرض دوى كدوى الرحى وكان ذلك بعد العصر، فاستمرت نحوثلاث درج وهى فى اضطراب حتى دهش منها الناس، وخرجت النساء من البيوت وهن حاسرات عن وجوههن وحصل للناس غاية الرعب، ومات من هذه الزلزلة قاضى القضاة شرف الدين موسى ابن عيسى الدمشقى الحنفى، وكان جالساً بديوان المدرسة الصالحية، فقام حين وقعت الزلزلة فسقط عليه ساقط من أعلى الديوان، فمات لوقته، مات أيضاً الزينى أبوبكر ابن القاضى عبد الباسط مرجوفاً من الزلزلة حين ماج به البيت)٠

٠٣٧ ٨٨٨ هـ (١٩-٦-١٤٨٣م)٠٠ (حصلت بمصر زلزلة لطيفة بعد العشاء، لكنها كانت خفيفة ولم تدم ولو دامت قدر درجة حصل منها غاية الفساد)٠

٠٣٨ ٨٩٦ هـ (٢٦-٤، ٣-٥-١٤٩٠م)٠٠ (زلزلت مصر زلزلة لطيفة يوم الأحد نصف الشهر، ثم زلزلت أيضاً يوم الأحد ثانى عشرينه)

٠٣٩ ٩٠٥ هـ (٢٥-٧-١٥٠٠م)٠٠ (وقعت بالقاهرة زلزلة خفيفة بعد العشاء، وأقامت نصف درجة ولو دامت لأفسدت٠٠)٠

٠٤٠ ٩١٤ هـ (١-٥-١٥٠٨م)٠٠ (زلزلت مصر زلزلة لطيفة)٠

٠٤١ ٩١٦ هـ (٨-٣-١٥١١م)٠٠ (زلزلت القاهرة يوم الجمعة ٧ من ذى الحجة)

٠٤٢ ٩١٩ هـ (٢٩-٣-١٥١٣م)٠٠ (وقعت زلزلة خفيفة بالقاهرة واستمرت تعاود الناس ثلاث مرات، والأرض تضطرب اضطراباً ظاهراً)

٠٤٣ ٩٢٩ هـ (٥-٤-١٥٢٣م)٠٠ (وفى ليلة السبت، وقعت زلزلة لطيفة بالقاهرة بعد أذان العشاء الآخرة بنحو عشر درج، مكثت نحو نصف درجة، ارتجت فيها الحيطان والسقوف)٠

٠٤٤ ٩٣٣ هـ (١٦-٧-١٥٢٧م)٠٠ (وقعت زلزلة لطيفة بالقاهرة فى ضحوة الأحد)٠

٠٤٥ ٩٣٦ هـ (١٣-١١-١٥٢٩م)٠٠ (قال الشاذلى وقعت قبل الفجر بنحو عشر درج زلزلة بالقاهرة، وأنا بالمئذنة، فماجت المئذنة منها موجاً عظيماً، وارتجت رجاً شديداً، ومكثت نحو درجتين أو ثلاث)٠

٠٤٦ ٩٤٠ هـ (٢٤-٣-١٥٣٤م)٠٠ (بعد فجر يوم الإثنين، زلزلت مصر زلزلة لطيفة)٠

٠٤٧ ٩٤٣ هـ (٣٠-١٢-١٥٣٦م)٠٠ (وقعت زلزلة لطيفة جداً بالقاهرة)٠

٠٤٨ ٩٤٤ هـ (١٠-٦-١٥٣٧م)٠٠ (زلزلت مدينة دمياط، واستمرت تتزلزل أربعة أيام، كل يوم خمس مرات)٠

٠٤٩ ٩٧١ هـ (٤-٩-١٥٦٣م)٠٠ (وفى ليلة الإثنين وقعت زلزلة ورجفة شديدة بمصر، ومعها دوى الأرض، واستمر أكثر من درجة، بل قريباً من درجتين وتهدمت منها بعض البيوت، وانشقت جدران)٠

٠٥٠ ٩٩٦ هـ الأحد (٥-١-١٥٨٧م)٠٠ (قال الشاذلى: وقعت زلزلة بالقاهرة مكثت نحو خمس درجات٠٠ بعد الظهر بيسير٠٠ماجت المآذن ووقع بعض رؤوس منها)٠

٠٥١ ١٠٠٠ هـ (١٩-١٠-١٥٩١م)٠٠ (زلزلت مصر القاهرة ثلاث مرات ثم سكتت)٠

٠٥٢ ١١٠٦ هـ (زلزلت مصر زلزلة عظيمة وخرج أهلها إلى الصحراء ثلاثة أيام إلى أن سكتت، وانهدمت بعض البيوت)٠

٠٥٤ ١١١٦ هـ (١٥-٣)٠٠ (حصلت زلزلة فى ثالث ساعة من الليل فى مصر)٠

٠٥٥ ١٣٠٤ هـ (ارتجفت الأرض بمصر إرتجافاً قوياً سقطت منه بعض المنازل البالية، ومكث نحو أربعين ثانية،٠٠٠ وحدثت بالقاهرة الساعة العاشرة الا ثلاث دقائق صباحاً توالت فيها الهزات دفعتين من الغرب إلى الشرق على ما شعرنا بها واستمرت كل هزة من ثانيتين إلى ثلاث ثوان ولشدتهما شعر بهما أكثر سكان القاهرة ففر كثير منهم خارج بيوتهم،٠٠٠ ولم نشاهد قبيل ذلك

علامة تنذر بالزلزلة من مثل هجوع الريح واشتداد الحرارة عن المعتاد واغبرار الأفق.. ونحو ذلك، وأخبرنا جماعة أنهم سمعوا دوياً طالعاً من الأرض كهزيم الرعد عند حدوث الزلزلة فى الجزيرة، وقد علمنا من الأخبار التى تواردت علينا أن أكثر سكان القطر شعروا بها).

- ولا نعتقد يا أحباب ! أن الوصف العلمى الحديث للزلازل يخرج عن الإطار الوارد فى كتب التراث الاسلامى رفيعة المستوى من حيث المدة والقوة !! فهى جهود فى حاجة إلى ترتيب وتصنيف زمانى ومكانى.. وما الماضى إلا دلالة ومؤشر للمستقبل النشاطى الزلزالى فى مصرنا الحبيبة حماها الله.. ليتسنى لنا التقليل قدر الطاقة من الخسائر الناجمة عن الزلازل !!

- ولا عجب يا أحباب ! فان ذلك الجيل من علماء المسلمين حَمَلَ مشعَل التقدم العلمى العالمى.. ما أحوجنا ! الى عمل منظم وصولاً الى بعض التقدم العلمى تأسياً وإقتداءاً بهم !!..

٤. الزلازل والعلم الحديث

- عاد ولدى يسأل: وماذا عن الزلازل فى العلم الحديث ؟!

- أجبت: يا ولدى! يعتقد علماء الجيوفيزياء أن جوف الارض أكثر تعقيداً مما نظن.. وذهب البعض الى تشبيه الارض وطبقاتها بالبصلة!.. وقد إعتمد العلماء هيكلاً معقولاً للطبقات الأرضية: قشرة خارجية رقيقة على السطح ثم غلاف صخرى سميك ينقسم الى ثلاث مناطق ذات مميزات مختلفة: العليا، الانتقالية، والسفلى.. ومكونات اللب الخارجى السائل: الحديد والنيكل المنصهرين.. وهو فى حجم المريخ، أما اللب الداخلى الصلب فهو فى حجم القمر..

- وفى دراسة حديثة.. ضمن نظرية التكوينية الصفحية - التى تقدم صورة متكاملة للكثير من سلوك القشرة الأرضية، مثل البراكين وظهور الجبال، وتحرك القارات، وامتداد قاع البحر، الزلازل.. فتوصل العلماء فى الولايات المتحدة الأمريكية فى يونيو ١٩٨٧م إلى أن القشرة الأرضية تعمل وتتحرك بديناميكية، وتوصلوا الى ان هاواى كجزيرة جبلية تتحرك نحو اليابان بمعدل ٨٣ ملليمتر/سنة.. وقد تمت القياسات بواسطة تلسكوبات الراديو.. وبمرجعية نحو اشباه النجوم البعيدة.. كنقط قياس مرجعية ثابتة.

والزلازل تولد بعض الطاقات الضخمة.. وتنتقل من نقطة البداية على شكل موجات الضغط، من نوعين فى الأساس:

النوع الأول: موجات الضغط وهى موجات صوتية من سلسلة من الضغوط والإسترخاءات.. وتنتقل طولياً، وتتوقف سرعة هذه الموجات على كثافة المادة التى تنتقل من خلالها، فكلما زادت المادة كثافة زادت سرعة الصوت فالصوت يسرى فى الماء أسرع من سريانه فى الهواء.

النوع الثاني: موجات القص وتهتز من جانب إلى آخر وهى عمودية على إتجاه مسارها وهى تمتد وتنتشر من خلال المواد الصلبة فقط، لاالمواد السائلة، والغازات والأخيرة تنتقل بسرعة تساوى ثلث سرعات موجات الضغط.

- ويا ولدى ! كان الفضل للفيزيائى اليوغوسلافى أمدريا موهورفيتش عام ١٩٠٩م إبان زلزال كرواتيا العظيم فى تسجيل السيزمية لهذا الزلزال.. واستنتج أن الموجات العالية السرعة نسبياً إنما تسير خلال قشرة كثافتها عالية.. وتكريما لعمله هذا تسمى الطبقة بين السطح القشرى الارضى، والغلاف الصخرى (بثغرة موروفيتش) أو (موهو).

- ومع حلول عام ١٩٢٣م ومع وقوع زلزال قارون قام العالم الفيزيائى النمساوى فيكتور كونراد بدراسته، وفى ١٩٢٥م حدد الطبقة العليا والطبقة السفلى من الغلاف الصخرى للأرض.

- وفى عام ١٩٢٦م ذكر الفيزيائى البريطانى هارولد جبينريز أن القلب الداخلى للأرض يسد الطريق أمام الموجات الثانوية لنموذج الزلازل، أنه وعلى بعد٢٩٠٠ كيلو متر تحت سطح الأرض يوجد بحر من المعدن المنصهر هو قلب الأرض.

- وأخيراً يا ولدى ! تمكن روبرت كلايتون - بمعهد كاليفورنيا للتكنولوجيا من وضع أسلوب يسمى الرسم الطبقى السيزمى، أى تماثلية النموذج الأرضى.. ومعه يقوم بتجميع تسجيلات مئات الآلاف من الزلازل التى سجلت على كوكب الأرض بمعونة الحاسبات الآلية.. ويبيح النظام الجديد دراسة تغيرات سرعة الزلزال.

- وفى مؤتمر للإتحاد الجغرافى الأمريكى عقد فى مايو ١٩٨٨م ذكر أنه : (.. كلما بردت المادة، زادت كثافتها، والصوت ينتقل بسرعة فى المواد الأكثر كثافة، والواقع أن الغلاف الصخرى كله يتصرف تصرف قدر من الحساء وضع على النار. ومثل الحساء فإن تيارات الحمل الحرارى تعكر الغلاف الصخرى، ولكن على مقياس زمنى يقدر بعشرات ملايين السنين. والغلاف الصخرى مكون من

الصخر الصلد، والذى يتدفق مع ذلك تحت دفع الفروق فى درجات الحرارة العالية).

- ويقول وود هاوس أستاذ الجيولوجيا بجامعة هارفارد : (مع عام ١٩٨٣م تمكنا وجماعة معهد كاليفورنيا من إنتاج خرائط ثلاثية الابعاد.. تتفق إلى حد كبير، من حيث أماكن السرعة والبطء فى الغلاف الصخرى !!

- ويضيف وود هاوس ذاكراً: إستطعنا أن نحدد سلاسل الجبال فى وسط قاع المحيط، حيث مناطق الفوران الساخنة، ومن ثم هى بطيئة، ووجدنا القارات سريعة ربما لأنها باردة).

- ويقول كلايتون: (.. إن مجموعة معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا اكتشفت أن أكثر الاماكن حرارة فى الغلاف الصخرى موجودة على حدود قلب الغلاف الصخرى تحت القارة الافريقية.. ولا عجب فى ذلك لأن اليابس الافريقى يبدو كمن يجلس على موقد - ففيه براكين تتحسس طريقها إلى السطح) !!..

- ويسود إعتقاد علمى الآن بين العلماء بأن هناك فى جوف الارض (طبقة - دي) قد تكون ذات سلوك مشابه كثيرا لقشرة سطح الارض الواقعة على بعد ٢٩٠٠ كيلومتر من فوقها - مُغيرة من ملامحها بإستمرار (أى متحركة).. ويزيد على ذلك، أنه إذا كانت هناك منخفضات وبروزات على سطح القلب الخارجى لكانت هناك تضاريس (مضادة) مقابلة معكوسة فى الجزء الأسفل من الغلاف الصخرى، أى وديان وقارات وجبال ومحيطات مقلوبة وتتطابق مع نظرياتها على سطح الأرض !! أى الجبال والجبال المضادة، والقارات والقارات المضادة، ونظيرتها المحيطات والمحيطات المضادة، وهذا يوضح، ويفسر ظاهرة تباين الخواص!!

٥. الأرض وزلزالها وأثقالها

- وفى الإجمال يا أحباب ! فحتى الآن يقف العلم عاجزاً عن التحديد الإحتمالى لوقوع الزلازل، حتى ولو فى الأماكن السائد حدوث الزلازل بها، وعلى فترات تاريخية شبه متكررة ويضاف أن تحديد نطاق الزلازل هو من الأمور الإحتمالية كذلك.. ولا يتعدى تقنين دور هذه الإحتمالات - من حيث وقوع الزلازل ومكانها ونطاقها وشدتها - إلا التقليل من مخاطرها (الزلازل) على البشر والممتلكات، وربما أخذت أو تتخذ الإحتياطات الواجبة لتحسين النظريات الإنشائية للمناطق السيزمية، أى شديدة التعرض للزلازل وذلك لتفادى آثار الزلازل

المدمرة، وتوفير التسهيلات والتأمينات الدفاعية الشعبية المنظمة والضرورية لمواجهة مثل هذه الكوارث.

٠٦ رصد الزلازل

- ويا أحباب ! توصل العلم الحديث الى رصد مواطن القلق فى باطن الأرض وتحديد احتمال وقوع الزلازل بدلالة وجود غاز الرادون فى المياه الجوفية... ويتم رصد هذا القلق من مراصد أرضية، أو من أقمار صناعية مثبتة فى الفضاء لهذا الغرض، ترسل الاقمار بتسجيلاتها ليل نهار الى محطات المتابعة الأرضية.. فيكون الإنذار وتحطاط الناس والسلطات وتتقلص الخسائر. وعَمَمَ العلماء تسجيلاتهم للزلازل والبراكين للقمر والمريخ برصد حركة مايثور بداخلهما من غازات ومواد صلبة، وإستشعار وتسجيل كل الهزات التى تحدث على سطحهما.. ومد محطات المراقبة الأرضية تباعاً ودواماً بالمعلومات المتاحة للرصد والتحليل، ومفاد وحدة أصل الأجواف للمجموعة الشمسية ربما يسهل الربط بين الخواص الطبيعية للزلازل والبراكين هنا وهناك.. والله أعلم.

٠٧ آثار الزلازل والبراكين

- ويا ولدى ! لكى نعطى صورة مكانية وزمانية عن الآثار الإقتصادية والاجتماعية الناجمة عن الزلازل والبراكين فى الفترة من فبراير١٩٦٠م وحتى نهاية عام ١٩٨٩م (٣٠ سنة) مقرونة بعدد الضحايا من الأنفس البشرية لكل زلزال وبركان - وذلك من قبيل إعطاء تصور جغرافى وزمانى للأماكن السائد وقوع زلازل بها، ومقرون بكل زلزال وبركان قيمة الخسائر المادية الناجمة مقدرة بالمليون دولار أمريكى نورد الجدول التالي:

□ جدول يوضح تواريخ وقوع الزلازل والبراكين فى العالم وأماكن وقوعها وقيمة الخسائر الناجمة عنهابالمليون دولار (١٩٦٠م :١٩٩٠م)

التاريخ	الحدث (زلزال أوبركان)	المنطقة	عدد ضحايا (نسمة)	الخسائر م. دولار
٢٩ فبراير ١٩٦٠	زلزال	المغرب	١٢١٠٠	١٢٠
٢١ مايو ١٩٦٠	زلزال	شيلي	٣٠٠٠	٨٨٠
مارس ١٩٦٣	ثورة بركانية	أندونسيا	٣٨٧٠	–
٢٦ يوليو ١٩٦٣	زلزال	يوغوسلافيا	١٠٧٠	٦٠٠
٢٨ مارس ١٩٦٤	زلزال	ألاسكا	١٣١	٥٤٠
٣١ مايو ١٩٧٠	زلزال	بيرو	٦٧٠٠٠	٥٠٠
٩ فبراير ١٩٧١	زلزال	أمريكا	٦٥	٥٣٥
١٠ إبريل ١٩٧٢	زلزال	إيران	٥٤٠٠	٥
٢٣ ديسمبر ١٩٧٢	زلزال	نيكا راجوا	٥٠٠٠	٨٠٠
٦ سبتمبر ١٩٧٥	زلزال	تركيا	٢٤٠٠	١٧
٤ فبراير ١٩٧٦	زلزال	جواتيمالا	٢٢٧٧٨	١١٠٠
٦ مايو ١٩٧٦	زلزال	إيطاليا	٩٧٨	٣٦٠٠
٢٧ يوليو ١٩٧٦	زلزال	الصين	٢٤٢٠٠٠	٥٦٠٠
١٧ أغسطس ١٩٧٦	زلزال	الفلبين	٣٥٦٤	٠١٢٠
٢٤ نوفمبر ١٩٧٦	زلزال	تركيا	٣٦٢٦	٠٠٢٥
٤ مارس ١٩٧٧	زلزال	رومانيا	١٣٨٧	٨٠٠
١٢ يونيو ١٩٧٨	زلزال	إيران	٢٠٠٠٠	١١
١٥ ابريل ١٩٧٩	زلزال	يوغسلافيا	١٣١	٢٧٠٠
مايو ١٩٨٠	ثورة بركانية	أمريكا	٦٠	٨٦٠
١٠ أكتوبر ١٩٨٠	زلزال	الجزائر	٢٥٩٠	٣٠٠٠
٢٣ نوفمبر ١٩٨٠	زلزال	إيطاليا	٣١١٤	١٠٠٠٠
٢٤ فبراير ١٩٨١	زلزال	اليونان	٢٥	٩٠٠
١٣ ديسمبر ١٩٨٢	زلزال	اليمن	٣٠٠٠	٩٠
٣١ مارس ١٩٨٣	زلزال	كولومبيا	٢٥٠	.٣٨٠
٢٦ مايو ١٩٨٣	زلزال	اليابان	١٠٤	٦٠٠
٣٠ أكتوبر ١٩٨٣	زلزال	تركيا	١٣٤٦	–
٣ مارس ١٩٨٥	زلزال	شيلي	٢٠٠	١٢٠٠
١٩ سبتمبر ١٩٨٥	زلزال	المكسيك	١٠٠٠٠	٤٠٠٠
١٣ نوفمبر ١٩٨٥	ثورة بركانية	كولومبيا	٢٣٠٠٠	٢٣٠
أغسطس ١٩٨٦	ثورة بركانية	الكاميرون	١٧٣٦	–
١٠ أكتوبر ١٩٨٦	زلزال	السلفادور	١٠٠٠	١٥٠٠
٢ مارس ١٩٨٧	زلزال	نيوزلند	–	٣٥٠
٥ مارس ١٩٨٧	زلزال	إكوادور	١٠٠٠	٧٠٠
١ أكتوبر ١٩٨٦	زلزال	أمريكا	٨	٣٥٨
٧ ديسمبر ١٩٨٨	زلزال	روسيا	٢٥٠٠٠	١٤٠٠٠
١٧ أكتوبر ١٩٨٩	زلزال	أمريكا	١٢	٠٧٥٠
الجملــــة	٣٢ زلزال ٤ ثورات بركانية		٤٦٧٫٠٣٤	٦٧٫٦٧١

٠٨ الظواهر الغريبة للأرض

ـ وسألت ابنتى: وهل فسر العلم الحديث كل ظواهر الأرض ؟!

ـ أجبت: كلا .. كلا يابنيتى ! فلا زال فى قلب الأرض وغلافها الصخرى وما بداخله ظواهر تثير جدلا لم يحسم حول ثلاث ظواهر:

ـ أولاها المجال المغناطيسى للأرض!!.. ولماذا يعكس مجال الأرض المغناطيسى نفسه من فترة لآخرى؟!.. ولا زال هذا يثير جدلاً شديداً !!..

ـ ثانيها ظاهرة الطبقة العازلة فى الغلاف الصخرى !!.. ويرصد العلماء بالأساليب العلمية الدقيقة درجة حرارة جوف الأرض فيحددونها بـ٦٩٠٠ درجة مئوية وهو ضعف التقدير السابق، أى أسخن من سطح الشمس بحوالى٩٠٠ درجة..!! وحرارة الحدود بين القلب السائل والقلب الصلب نحو٦٦٠٠ درجة مئوية، أما درجة الحرارة على حدود القلب والغلاف الصخرى فوجدت درجة الحرارة٤٨٠٠ درجة مئوية وأدى ذلك إلى لغز مُحَيِّر آخر، وهو إحتمال وجود طبقة عازلة من نوع ما فى الغلاف الصخرى تحجز الحرارة داخل الغلاف الصخرى ـ وهذا يقود إلى ظاهرة اخرى غريبة فى حاجة إلى تفسير !!..

(عن مقال علمى لأرثر فيشر ـ مجلة العلوم ـ ١٩٨٨ م)..

ـ وثالثها (طول اليوم)!!.. وهذا يظهر ضمناً فى الدورات الغير منتظمة للأرض!!.. وبدأ يظهر مُشكل (طول اليوم!!) حيث رصد ومنذ الستينيات أن اليوم الأرضى يتغير بواقع ٠٠٥ر٠ من الثانية لكل عشر سنوات متأرجحاً بين الزيادة والنقصان.. بمعنى أن الأرض يتباطأ دورانها حول نفسها بواقع ٠٠٠٠ر٠٠٠ر٩١٢ر٧٨٦ر٣:١ من الثانية كل يوم، وسجلت الأجهزة الدقيقة التى رصدت مواقع الشمس والقمر وعطارد بالنسبة لنجم ثابت وثبت من الرصد تراكمية تبكير وصولها الى مواقعها على أساس الميكانيكية السماوية وتأكد العلماء بعد ذلك من الزيادة فى اليوم بواقع ٠٠٠٠٠٠:١ر٧٨٦٩١٢ر٣ من الثانية فى اليوم .. ولذا أحجم العلماء عن إستخدام الأرض كساعة ميقاتية دقيقة١٠٠% بل إنهم يدخلون هذا المعامل التصحيحى فى الاعتبار ؟!

ـ وإذا كانت الميكانيكا الكلاسيكية لإسحق نيوتن.. والنسبية لألبرت أينشتين قد أسستا على ثبات اليوم الكونى.. فقد ثبت عدم ثباته.. ومعنى هذا أننا أمام نسبية كونية جديدة.. والنسبية هى فى واقعها نسبية النسبية.. للأجرام

والكواكب الكونية ذاتها٠٠ وبالتالى لمن و لما على الأرض٠٠ فحال ما تكون نسبة التغير الزمانى فى فترات ثوان القياس الزمانى المستقبلى فى حدود ٩٩٫٥ ٪ فإن المواقيت ستتغير تغيراً جوهرياً !! والنظرية النسبية السائدة الآن فى المحافل العلمية ستواجه العديد من المآزق فى تفسير عموم الظواهر !!٠٠

- عادت ابنتى تسأل وهل ورد عن هذه الظواهر الغريبة إشارات قرآنية ؟!

- أجبت: بالقطع يابنيتى ! فقد ورد فى القرآن الكريم منذ سنة ٦١١ - ٦٢٣م٠٠ إشارات الى تباين (طول اليوم) !!٠٠ حيث جاء فى قول الله تعالى:

﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون﴾ (العنكبوت٢٩:١٤)

فقد تفسر توقيتات ما حول زمن الطوفان٠٠ الألف سنة القمرية تساوى٩٥٠ سنة شمسية !!٠٠

وتأمل قوله تعالى: ﴿ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً﴾ (الكهف٢٩: ٢٥)

- فتفسر توقيتات نسبية أخرى حول زمن أهل الكهف٠٠ وحتى الآن٠٠ بأن الثلاثمائة سنة قمرية تساوى ٢٩١ سنة شمسية !!٠٠ بمعنى أن الألف سنة القمرية تساوى٩٧٠ سنة شمسية !!٠٠

- وهو توقيت لاحق٠٠ تَقارَبَ فيه الزمان٠٠ بواقع٢٠ سنة شمسية لكل ألف قمرية !!

- وتورد آيات القرآن الكريم قول الله تعالى عن اليوم السرمدى فى سورة القصص:

﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون٠ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون﴾٠٠٠ (القصص٢٨:٧١،٧٢)

- ويا أحباب ! تورد السُنة النبوية المُشرفة كذلك أربعة أحاديث صحيحة حول النسبية وتقارب الزمان٠٠ ثلاث منها حول زماننا ونسبيتنا٠٠ ثانى هذه الأحاديث يربط بين (تقارب الزمان!)٠٠ و(كثرة الزلازل!)٠٠ والحديث الرابع منها حول نسبية لاندرك كنهها تكون حول زمن ظهور الدجال !!٠٠ وهى فى جملتها تتعرض (لمشكل طول اليوم!)٠٠

<u>الحديث الأول:</u> عن أنس أن الرسول ﷺ قال: ﴿لاتقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، فتكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كالضرمة بالنار﴾

حديث صحيح رقم:٧٤٢٢ فى صحيح الجامع، مسند الإمام أحمد، الترمذى٠

الحديث الثانى: عن أبى هريرة أن الرسول ﷺ قال: ﴿لاتقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج: وهو القتل﴾.. حديث صحيح رقم: ٧٤٢٨ فى صحيح الجامع، مسند الإمام أحمد، البخارى، وسنن ابن ماجه.

الحديث الثالث: عن أبى هريرة أن الرسول ﷺ قال: ﴿يتقارب الزمان، ويقبض العلم، ويلقى الشح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، قيل: وما الهرج ؟ قال: القتل﴾ .. حديث صحيح رقم:٨٠٢٠ فى صحيح الجامع، مسند الإمام أحمد، الترمذى، والبخارى، ومسلم، وسنن أبى داوود.

- وموضوع الأحاديث زمان يتقارب.. أو يتكامش.. ويستتبعه سرعات تتزايد !!.. وفترات الزمان النسبية الكونية تتناقص.. السنة، والشهر، والاسبوع، واليوم، والساعة.. وينتج عن ذلك ديناميكية حركية حرارية عالية لباطن جوف الأرض.. يستتبعها براكين وهزات أرضية وزلازل !!..

- الحديث الرابع: والسنة النبوية المشرفة تُشِيرُ بجلاء إلى أننا أمام نسبية زمانية مغايرة.. تجىء فى آخر الزمان.. لاندرك كنهها.. ولا تنسب بحال من الاحوال إلى ما هو معروف الآن فى النظريات الكونية.. كنسبية ألبرت أينشتين !!.. أو حتى فى غيرها مما نعرف من النظريات اللاحقة.. ففى صحيح الحديث.. عن النواس ابن سمعان أن رسول الله ﷺ قال: ﴿غير الدجال أخوفنى عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج وأنا لست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتى على كل مسلم، إنه شاب قطط، إحدى عينيه كأنها عنبة طافية،..، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين الشام والعراق، فعاث يميناً، وعاث شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا، قالوا يا رسول الله، ما لبثه فى الأرض ؟ قال: أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كيومكم، قالوا يا رسول الله ! فذلك اليوم كسنة أتكفينا فيه صلاة اليوم ؟ قال: لا، أقدروا له، قالوا وما إسراعه فى الأرض ؟ كالغيث استدبرته الريح، فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به، ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت دراً وأشبعه ضروعاً، وأمده خواصر، ثم يأتى القوم فيدعوهم، فيردون قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون مملحين، ليس بأيديهم شىء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها أخرجى كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسب النمل، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً، فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين رمية القرص، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك، فبينما هو كذلك ،اذ بعث الله المسيح ابن

مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق، بين مهرودتين واضعاًكفه على أجنحة ملكين، إذ طأطأ رأسه قطر، وإذ رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله، ثم يأتى عيسى قوم قد عصمهم الله منه فيمسح على وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة، فبينما هم كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: انى أخرجت عباداً لابد لاحد بقتالهم فحرز عبادى إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج ؛ وهم من كل حدب ينسلون ؛ فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها ويمر آخرهم، فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء ! ثم يسيرون إلى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من فى الارض، هلم لنقتل من فى السماء، فيرمون بنشابهم ألى السماء، فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً، ويحصر نبى الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لاحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف فى رقابهم، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبى الله عيسى وأصحابه إلى الارض، فلا يجدون فى الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل فيرسل الله طيراً كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله قطراً لايكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة، ثم يقال للأرض انبتى ثمرك وردى بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك فى الرسل، حتى أن اللحظة من الإبل لتكفى الفئام من الناس، واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة﴾ !!

مسند الإمام أحمد، ومسلم، والترمزى.. حديث صحيح..

ـ وهذا يوم تتجلى فيه أزمة التقارب الزمانى الحاد!!.. يتقارب الزمان.. فى وجه مغاير.. من زاوية اختلاف (طول المواقيت).. يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر الايام كأيامنا.. !!

وسبحان الله العظيم تربط الأحاديث النبوية المشرفة.. فى إحكام بديع.. بين (تقارب الزمان)، وبين (كثرة الزلازل)، وبين (كثرة الهرج والقتل).. الحديث الثانى.. كنتيجة للكوارث الطبيعية من زلازل وبراكين وعواصف وسيول !!..

ـ وللمسلم وبحق أن يعلن إعجاز القرآن والسنة فى الانباء (بتغير طول الفترات الزمانية لطول اليوم!).. قبل معارفنا الحديثة وبأكثر من ١٤٠٠ سنة !!..

- والقرآن والسنة لهما السبق فى الانباء بآية (طول اليوم)٠٠ التى عرفناها حديثاً٠٠ ويسبقا فى كل آية تتوصل إلى معرفتها البشرية فى المستقبل !!٠٠

- ومن إعجاز القرآن الكريم ما أورده فى شأن يوم يأتى يصبح الليل ليلا سرمداً أبدياً٠٠ والنهار نهاراً سرمدياً أبدياً !!٠٠ حيث جاء فى قول الله تعالى:

﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدياً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون٠ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون﴾ (القصص ٢٨: ٧١،٧٢)

- لكن ماموعد هذا اليوم؟! ٠٠ علمه عند الله٠٠!!

- ولا عجب؟! فعطارد نهاره نهاراً سرمدياً أبدياً، وليله ليلا دائماً كذلك!!

- وفى الختام٠٠ تربط الأحاديث النبوية المشرفة فى إحكام تناسبى طردى بديع بين (تقارب الزمان!)، و (كثرة الزلازل!)، و (كثرة الهرج!)، (وكثرة القتل!)٠٠ هذا هو الملاحظ فى زماننا٠٠ بالمقارنة بالماضى القريب؟!

- والظواهر٠٠ الزلازلية والبركانية والانهيارات الصخرية فى حاجة الى دراسات عميقة ومطولة، من كل البشر؟!

٠٩ الزلازل فى مصر

- أوردنا يا أحباب! ومن التراث تاريخ الزلازل فى مصر، من أعمال العالم الاسلامى جلال الدين السيوطى٠٠ ويا أحباب! عن زلزال الإثنين ١٢ أكتوبر ١٩٩٢م فقد كتب عنه، وعن توابعه الكثيرون، وتعرض للظاهرة بالتحليل العلمى الرفيع العالم المصرى الدكتور فاروق الباز والدكتور محمد عبد الهادى رئيس الهيئة القومية للإستشعار من البعد وعلوم الفضاء!!

- نرى ضرورة اقتران علوم ميكانيكا التربة وميكانيكا الصخور والهندسة الجيولوجية بكود انشائى جيولوجى للمواقع الحضرية والعمرانية٠٠ بمعنى الربط بين مهندسى التخطيط العمرانى والانشائى وبين الجيولوجيين لتأمين منشآت اليوم والغد؟!

- ونرى ضرورة تكثيف الجهد البحثى فى هذه المجالات وبتكنولوجيات عالية لرصد الزلازل وتوابعها فى جميع الأراضى المصرية والعربية٠٠ ووضع خطط جاهزة لاحتمالات المستقبل الزلزالية، والإنهيارات الصخرية لاقدر الله، حتى لانستيقظ فجأة على وقع كارثة تفقدنا التوازن٠٠ والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين!!٠٠

الباب الثالث الفصل التاسع

علوم الأرض فى التراث
(الجغرافيا والجيولوجيا والزلازل)

ـ سال ولدى.. وهل فى التاريخ الاسلامى لمحات عن علوم الارض.. الجغرافيا والجيولوجيا والزلازل؟؟

ـ أجبت ـ بالطبع ورد الكثير! يا ولدى! لكن دعونا نبدأ بفهم مَاهِيَّة علم الجغرافيا؟!

ـ ياولدى! سبق أن عرضنا للإشارات القرآنية حول بدء الخلق الكونى العام للسماوات والأرض وما بينهما، وخلق الماء. وعرضنا ضمناً للخلق الإلهى للكائنات الحية، ذوات الأرواح، من مخلوقات الله ـ النباتات، والحيوانات، والإنسان.. وتعرضنا للأرض، ويابسها، وبحارها، وجبالها، وأنهارها فى آيات القرآن وفى العلم البشرى. ثم تعرضنا للظواهر الكونية لباطن الأرض من زلازل وبراكين.

عرجنا فى التضمين لعلوم باطن الأرض ـ الجيولوجيا والزلازل ـ فى التراث الإسلامى.. وطفنا مع الغلاف الجوى للأرض وتقسيماته، ورياحه وريحه، وعرضنا للسحاب، ولرعده، ولبرقه، ولصواعقه، ولدورة الكربون، بين الأرض والغلاف الجوى. وكل هذا يشمله ويشتمل عليه علم الجغرافيا بأغلب فروعه!!

☐ علم الجغرافيا يا أحباب! من العلوم التجريبية، والتى تبحث فى كل مظاهر سطح الأرض الطبيعة والبشرية، وتشعبت إلى جغرافية التضاريس، وجغرافية البيئة، وجغرافية الكون، وجغرافية الأقاليم، والجغرافية السياسية، والجغرافية الحيوية، والجغرافيا الفلكية، والجغرافيا الإقتصادية، والجغرافيا البشرية.

- وتجيء مسميات التراث الجغرافى الإسلامى تحت عنوان البلدان وتقويمها، أو المسالك والممالك، أو الخرائط، أو التقاسيم.. وجاءت هذه الأسماء فى كتب:

- المسعودى (كتاب التنبيه)..
- المقدسى (أحسن التقاسيم)..
- ابن رستة (الأعلاق النفسية)..
- ابن خلدون (المقدمة)..
- الخوارزمى (صورة الأرض)..

- وقال عنه نللينو إن مثل كتاب صورة الارض لاتقوي على وضعه أمة أوربية فى فجر نهضتها العلمية؟!.. والكتاب يعالج دوائر العرض وخطوط الطول، والجبال، والبحار، والأنهار، وأسماء المدن!!

☐ أما المرحلة الثانية لتطور الجغرافيا عند المسلمين فاتجهت الى التخصص.. ومن علماء هذه المرحلة: ابن خرداذبة والإصطخرى وابن حوقل والمقدسى وابن فضلان والمسعودى والهمدانى، ثم الشريف الإدريس وعبد الله البكري.

وإتجهت البحوث الجغرافيا إلى الدراسات العامة، كذلك إلى الدراسات التخصصية:

- (صفة جزيرة العرب) للهمدانى..
- (كتاب الهند) للبيروني..

☐ وبدأت مرحلة وضع المعاجم:

- (معجم ما أستعجم) للبكرى..
- (معجم البلدان) لياقوت الحموي..
- وفى الوقت الذى كان يجوب فيه المقدسى العالم كله طولا وعرضاً ليكتب كتابه فى القرن العاشر فى جغرافية الأرض وشعوبها، واضعاً المنهج العلمى للجغرافيا الحديثة - كانت أوربا- عاكفة خلف أسوار الأديرة يبحثون عن

الجغرافيا فى كتب الأقدمين!!

○ والهمدانى - الذى ألف (صفة جزيرة العرب)- يمنى الجنسية ،أضاف إليها ثلاث كتب أخرى (الأكليل) و (سراء الحكمة) و (الجوهرتين العتيقتين)..

ولقد رسخت المعارف والعلوم الجغرافية بفضل كتب ومحتويات:

○ (المسالك والممالك) أو صورة الأرض لأبى القاسم محمد بن حوقل الموصلى..

○ (كتاب الهند) للبيرونى..

○ (نزهه المشتاق فى اختراق الآفاق) للشريف الإدريسي..

○ (الفوائد فى أصول علم البحر والقواعد). لشهاب الدين أحمد بن ماجد النجدي - ملك الملاحة- وهو بحق كتاب فلك وملاحه وأجهزة وهندسة شواطئ، وحتى أن فاسكوري دى جاما الرحالة البرتغالى استعان به فى رحلاته الشهيرة.

○ وأسهمت الرحلات التاريخية المسجلة لسيلمان السيرافى، وأبو حامد الغرناطى، وابن جبير، وابن بطوطة وغيرهم.. فى دعم الاسس التى تشيد عليها علوم الجغرافيا الحديثة.. ترى ياولدى! من وضع وأرسى ودعم الأصول البحثية لعلوم الجغرافيا.. إنهم بلاشك الآباء والاجداد!!

□ ولقد أدت يا أحباب! البيئة الصالحة للعلم فى ظل الأمن الإسلامى، وفى ظل حرص الخلفاء والأمراء على معرفة البلاد، والقيام بالعديد من الرحلات للتعرف على أحوال البلاد والعباد، وعاداتهم إلى هذه الانجازات العظيمة.. وبهذا وغيره تدفقت مشاعر الإخوة، وتآلفت القلوب، وتوثقت العروة بين النفوس، وعرف المسلمون زمامات وأحوال بلادهم من الصين إلى روسيا إلى الشمال الأفريقى إلى الأندلس، وأفريقيا على إمتدادها.

- والمسلم به ياولدى! أن الرحلة الجغرافية وعيونها المبصرة هى معمل العالم، وقلم تدوينه فى صفحات العلم..

- بهذه المفاهيم ولدى! أسس العرب والمسلمون هذا العلم، الذى يلعب الدور الهام والرئيسى فى حياة الشعوب.

- وللإستدلال على أثر الجغرافيا المأخوذة من تراثنا الإسلامى.. فليس أدل على ذلك مما نقله علماء الغرب، آخذين المرجعية عن العلماء المسلمين - ومن هؤلاء روجر بيكون، بيير آيلى.. فقررا أن كريستوفر كولومبس استعان فى رحلاته وحدد الأرين، وإستنتج أنه لابد وأن تقابلها قبة أخرى فى النصف الغربى من

الكرة الأرضية·· بفضل البحوث الجغرافية العربية··

☐ ثرّى ولدى! أن الجغرافيا كعلم نبتت وترعرعت فى البيئة الإسلامية وعلى يد العلماء المسلمين؟!·· وحالنا ومقدرتنا وفعالياتنا فى علوم الجغرافية الحديثة لاتوزن ولاتؤثر؟!·· ومكان علماء المسلمين الجغرافيين فى موضع لايليق بهم!!

☐ يضاف يا أحباب! أن علم الجيولوجيا وهو الفرع الذى يبحث فى علوم طبقات الأرض·· وهو فى الحقيقة من وضع العلماء المسلمين وهم بحق مؤسسوه، وواضعوا أسسه النظرية والعملية ومن أبرز علماء الإسلام فى هذا المضمار ابن سينا، والرازى، والكندى، والهمدانى ،والإدريس، وياقوت الحموى، وابن الاكفانى، والقبجاقى، والتيفاشى· .

○ ويقول الأستاذ الدكتور محمد يوسف حسن أستاذ الجيولوجيا بجامعة عين شمس: (كان كتاب التيفاشى·· أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار·· ذروة ماوصل إليه علم المعادن العربى قبل بداية عصر النهضة فى أوربا بنحو قرنين إلى ثلاثة قرون· وقد ضم الكتاب زبدة ماتوصل إليه السابقون من عرب وإغريق ورومان فى هذا العلم· كما يضم الكتاب إضافات مبتكرة دقيقة لم يعرفها الغرب إلا بعد بداية عصر النهضة الأوربية)··

○ ويذكر مؤرخو علم الجيولوجيا الحديث فى الغرب ومنهم·· فردريك آدمز أنه: (كان لعلم المعادن العربى أثر هام فى تطور علم المعادن فى أوربا قبل عصر النهضة)!!

○ فيا أحباب! لا ريب أن العرب هم مؤسسو علم الزلازل·· ويرجع فى ذلك إلى كتب التاريخ والتراث الإسلاميين·· مثل:

○ (تاريخ الرسل والملوك) لابن جرير الطبرى··
○ (المنتظم) لابن الجوزى··
○ (الكامل فى التاريخ) لابن الأثير··
○ (كنز الدرر) للدوادارى··
○ (السلوك لمعرفة دول الملوك) للمقريزى·· وغيرها··

□ ولاشك أن جلال الدين السيوطى الذى عاش فى مصر وتوفى بها عام ٩١١ هـ هو أول من وضع سجلاً شاملاً للزلازل الحادثة فى الاسلام ابتداءً من القرن الأول الهجرى إلى القرن التاسع الهجرى، وأصبح هذا السجل الذى الذى أطلق عليه (كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة) مادة يعتد بها من عام ١٩٢٨م حينما تحدّث ولس WILLIS عنه فى مجلة جمعية الزلازل العالمية.. ويكشف هذا الكتاب بحق عن مدى إهتمام العرب بدراسة الظواهر الطبيعية وتدوين تاريخ حدوثها..!!

□ ومن المخجل أننا أهملنا التراث وأغلقنا المجال البحثى فى هذه المجالات، حتى أننا إعتمدنا أساساً فى المرجعية والاستشارة وأخذ الرأى إبان زلزال ١٢ أكتوبر١٩٩٢م بشبه الكلية على الخبرة الأجنبية؟!

○ فهل يستنهضنا المأزق للعناية بالمدارس البحثية الوطنية فى العلوم الجغرافية والزلزالية تأسيساً على منجمية تراثنا والمعارف الغربية الحديثة؟!

○ نحسب أنه آن الأوان لذلك..!! وفى مجال البحوث الكونية كلها..!!

□ وإذا كان الأمر وبإختصار شديد يعرف علمياً بأن الجغرافيا تعنى بعلوم سطح الأرض من عمومية الوجوه، وأما الجيولوجيا فتعنى بعلوم باطن الأرض ومناجمها، وخاماتها الباطنية والجبلية - مما يستتبع الرصد والتسجيل العلمى لسطح ولباطن الأرض من كافة الوجوه العلمية، مع الأخذ فى الإعتبار تأثيرات الزمن على كل مايرصد من تغييرات طبيعية وإجتماعية وإقتصادية وسياسية.

○ فالمثير بحق يا أحباب! ما جمعه وصنفه وبوبه وربط بين مختلف عناصره.. العلمية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والعقائدية.. الجغرافى المصرى المعاصر الأستاذ الدكتور جمال حمدان فى كتابه (شخصية مصر) نموذجاً فريداً بين توحد الزمان والمكان والعلوم من جيولوجيا وأركيولوجيا وفلك وإنثربولوجيا وموارد وتاريخ وإجتماع وإقتصاد وسياسة وإستراتيجية.. بمنظور جغرافى عام وشامل.. إستكشافاً ونقداً للذات.. وتطلعاً لغدٍ أفضل.. وهى أعمال جديرة بدراستها والأخذ بنهجها والإستفادة بكل مافيها.. فهى بحق مرآة صدق لعمل مخلص صادق أمين!!

□ وفى العصر الحديث يا أحباب! أخذت الرحلة العلمية الجغرافية بعداً أعم وأشمل من المفهوم العادى للرحلة البرية.. نقلتنا وانتقلت بنا إلى الرصد من

أعلى الكرة الأرضية، وصولا إلى شمولية التأثير والتأثر.. وامكانية التنبؤ بالطقس ودرجات الحرارة، وبالتغيرات السيزمية للأرض التى قد تعطى مؤشرات للزلازل قبل وقوعها بوقت قليل لتفادى بعض آثارها المدمرة!!

☐ من هنا يتحتم التعرض لغزو الفضاء وعلومه، وللتحليل لبرنامج وكالة ناسا للفضاء.. كنموذج عصرى حديث لتوظيف العلم فى خدمة علوم الحياة.. من جغرافيا وجيولوجيا وزلازل وعلوم كونية وطبيعية وتطبيقية وحتى العلوم السياسية؟!

الباب الثالث ـ الفصل العاشر

الفساد والإختلال فى الأرض

فى حلقتنا العاشرة من مدارستنا الرابعة حول منظومة الأرض.. كان موضوعنا مع فساد وإختلال مظاهر الحياة بسبب السلوك غير المنتظم للبشر على كوكب الأرض!!

ـ سأل ولدى: وما معنى الفساد فى الأرض ؟؟!

ـ أجبت: يا ولدى! الفساد عامة هو زوال الصورة عن الشىء بعد أن كانت حاصلة فإن دلت الصورة على الوجود بعد العدم، فإن الفساد يدل على العدم بعد الوجود، ووجود الصورة آنى، أى سريع الحصول، أما الفساد فتدريجى حتى يبلغ

الدرجة التى لارجعة فيها إلى أصل الصورة، والفساد هو كون العمل الفاسد حادث بأصله لابوصفه، والبطلان معناه إنعدام العمل الفاسد أصلاً ووصفاً.

- ويا ولدى! الفساد يشمل المكروه والمنهى عنه.. وعليه فالفساد يحتوى الكل، لانه فائت الوصف.. والباطل فائت الأصل والوصف.. والمكروه فائت الكمال.. ففوات الوصف موجود: فى الفساد، وفى الباطل، وفى الكمال..

- ويا ولدى! الفساد فى الارض هو إحداث الإضطراب فى الصورة الكونية التى خلق عليها الله الأشياء: تربة، هواء، وماء، وحرثاً وزرعاً، وكنية، وفطرة، وأمناً، وإيماناً، وبيئة.. بمعنى إفساد البيئة وإفساد المجتمعات البشرية فى شتى مناحى الحياة سلوكاً على مستوى الفرد والأسرة والجماعة والامة وحكماً على مستوى الشعوب نتيجة البعد عن السنن الكونية، ونتيجة البعد عن أوامر الله سبحانه وتعالى ؛ وعن كتابه العزيز ؛ وعن السنة النبوية الشريفة.. ويرد ذلك على الاجمال فى قول الله تعالى:

﴿ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذين عملوا لعلهم يرجعون﴾ (الروم٣٠: ٤١)

- وبقراءة متأنية لهذه الآية الكريمة يتضح أن الفساد مقتصر على البر والبحر.. والبحر هنا قد يفسر على أنه بحار ومحيطات كوكبنا الأرضى، ويفسر أيضاً على أنه الفضاء الكونى الذى تسبح فيه النجوم والشموس والكواكب.. ﴿وكل فى فلك يسبحون﴾.. ومرجع الفساد إلى أفعال وأعمال الناس الشاذة فى شتى مناحى الحياة، فى البر والبحر وفى الفضاء الخارجى.. حتى أن علماء ووكالات الفضاء بات يشغلهم بواقى سفن الفضاء المندفعة فى الفضاء الخارجى، ويفكرون فى مكانس فضائية لتنظيف الفضاء من بواقى سفن ومركبات الفضاء التى لم تعد الى الارض تجنباً لكوارث تصادمها والسفن التى سترسل إلى الفضاء فى المستقبل!!..

- والله سبحانه وتعالى يقطع على نفسه أن الفساد لابد وحتماً بأن يقابل بالعقاب الإلهى.. كنتاج لهذا السلوك الشاذ والعمل المفسد للسنن والكيفيات والهيئات الكونية التى أرادها الله..!!

- فى ذات الوقت فإن المولى سبحانه وتعالى.. رحمة بعباده!! يتمنى لهم أن يرجعوا عن غيهم وفسادهم وإفسادهم.. ﴿لعلهم يرجعون﴾.. وبالتالى يرفع عنهم العذاب.

- يا أحباب! إن أبشع ألوان الفساد الواردة فى آيات القرآن تتمثل فى إهلاك الزرع والنسل.. وجاء ذلك فى قوله تعالى: ﴿وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد﴾ (البقرة٢: ٢٠٥).

- ويا أحباب! إن الله سبحانه وتعالى يَعدُ العبادَ بالدار الآخرة، مع كل الهبات والعطايا الربانية فى الدنيا، وينهى عن الفساد فى الأرض، مذكراً العباد بأنه جل فى علاه لايحب المفسدين، وتأمل قوله تعالى: ﴿وابتغ فى ما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لايحب المفسدين﴾ (القصص٢٨: ٧٧)

- ويا أحباب! من سنن الله تعالى تلك الآيات الحسية التى وردت فى شأن العقاب المادى للمكذبين والمشركين.. فى قوله تعالى: ﴿قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ (الأنعام٦:١١).

وقوله تعالى: ﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ (آل عمران٣: ١٣٧).

وقوله تعالى: ﴿أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ (الروم٣٠: ٩).

وقوله تعالى: ﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا فى الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق﴾ (غافر٤٠: ٢١).

وقوله تعالى: ﴿أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً فى الأرض فما أغنى عنهم ماكانوا يكسبون﴾ (غافر٤٠: ٨٢)

- ومن الأحكام القطعية مانهى عنه ربنا جل فى علاه وحرم الفساد فى الأرض بعد إصلاحها فى قوله تعالى: ﴿ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمت الله قريب من المحسنين﴾ (الأعراف٧: ٥٦)

- وورد مشدداً يا أحباب! جزاء من يسعى فى الأرض فساداً فى قول الله تعالى: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا

أويصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم﴾ (المائدة٥: ٣٣)٠

- وقوله تعالى: ﴿فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين﴾ (الزخرف٤٣: ٢٥)

- ويأخذ الفساد الجمادى الكونى فى الأرض صور تدمير وتلويث البيئة: غازيا٠٠ بما يعرف على سبيل المثال بتدمير طبقة الأوزون، وتلوثات البيئة فى الأرض: اليابس، والانهار، والبحار، والمياه، والهواء، والضوضاء٠٠ بما ينتج إختلالاً بيئياً عاماً يهلك معه الحرث والزرع والنسل٠

- وفساد البيئة الإقتصادى يتأتى فى صور مجتمعات الربحية وإستغلال طاقات وخامات الشعوب الفقيرة٠٠ وإقراضهم بفوائد عالية٠٠ وفسادها وإفسادها بالغزو الفكرى، وإفساد التربية والتعليم والاعلام والثقافى٠٠ هذا فى الإجمال هو الفساد البشرى الإقتصادى والإجتماعى والفكرى والسياسى بسبب تسلط الدول الاستعمارية الغازية٠٠ بالفكر، والثقافة، والصناعات، والاستغلال الاقتصادى المنظم - بعيد المدى!!

- ويستتبع ذلك يا أحباب! اختلال المجتمعات٠٠ بما يهددها بالإضطرابات والفوضى٠٠ وهذه هى مقدمات التدمير فى حياة الشعوب والأمم!!

- يا أحباب! قد يكون الدمار كونياً بإنتقام من الله سبحانه وتعالى فى شكل اندثار إمبروطوريات وحضارات٠٠ بأعاصير وفيضانات٠٠ وزلازل وبراكين٠٠ ورجفات وصيحات٠٠ ومطر حامضى قاتل للتربة والزرع والحرث والنسل، مفسداً للماء والهواء والحياة كلها!!

- يا أحباب! قد يكون الدمار الكونى بالأمراض والأوبئة٠٠ كالإيدز والسرطانات وما إلى ذلك من الإختلالات الجسدية٠٠ بسبب الفساد السلوكى فى مجتمعات الإباحية واللواطية والشذوذ؟! ٠٠

٢. الاختلال فى الأرض CHAOS

- وسألت ابنتى: وماذا تقصد بالإختلال فى الأرض؟!

- أجبت: يابنيتى! يقصد بالإختلال التدخل بالإفساد فى الأرض٠٠ ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر: تدمير طبقة الأوزون، والتدمير البيئى٠٠ بما يؤدى إلى تغيرات مناخية وفساد: التربة، والماء، والهواء، والأنواء، والأجواء٠٠ وفساد ودمار الحياة على الارض بتأثيرات الامطار الحمضية٠٠ بما يهدد يابس وماء

وهواء دول وقارات!! ٠٠

٣٠ تدمير الأوزون

- ويابنيتى! لا أحد يجهل أن تدخل البشر٠٠ ذى الايقاع السريع فى الحياة العمرانية والإنشائية والصناعية والزراعية الحديثة٠٠ سبب تأثيراً مدمراً للغلاف الجوى، نتج عنه تآكل طبقة الأوزون٠٠

- وتعلمين يابنيتى! أن تآكل الأوزون ناتج عن قطع الغابات الإستوائية، وتلوث الأرض من جراء إستخدام المبيدات والكيماويات، وإستخدام كربونات الكلور والفلور التى تستخدم فى صناعة الثلاجات وأجهزة التكييف وفى العلب والأوعية المضغوطة المستعملة لرش الرذاذ، سواء أكانت: أدوية، مطهرات، أصباغاً، رغويات إطفاء الحريق٠٠ فهذه المواد تهاجم طبقة الأوزون بعد وصولها إليها فى حدود من ٨ إلى١٠ سنوات٠٠ وتبقى ذات تأثير فعلى لقرابة المائة عام٠٠ لتطلق غاز الكلور الذى يتحد مع ذرة من الذرات الثلاث المكونة لجزئ الأوزون (أ٣) ويتحول الآخر بعد عملية الإختزال هذه إلى (أ٢)، أو إلى الأكسدة النشطة بالأكسجين العادي (أ٢)٠٠

- ونتيجة لهذه التأثيرات يابنيتى! أظهرت صور الأقمار الصناعية وجود ثقب فى طبقة الأوزون فوق القطب المتجمد الجنوبى، ويبلغ هذا الثقب إرتفاع جبل إيفرست، وتظهر هذه الفتحة فى طبقة الأوزون فى فصل الربيع من كل عام٠٠ وقد أنتقل الخلل فى طبقة الأوزون إلى الشمال من الكرة الارضية، وخاصة فوق: أمريكا الشمالية، بريطانيا، وألمانيا، والدول الإسكندنافية، وأوربا الشمالية٠٠ وبما يهدد بوجود ثقب آخر للأوزون فى الشمال٠٠

- يا أحباب! لا سبيل لوقف هذا التدهور فى طبقة الأوزون إلا بالمنع العالمى الملزم لجميع الدول بعدم إستخدام كافة المواد الكيماوية التى تدمر طبقة الأوزون٠٠

- ولكم أن تتصوروا ياأحباب! أن غاز الأوزون المغلف للغلاف الجوى الارضى يحمى الأرض، ومن وما عليها من أشعة الشمس الفوق بنفسجية التى تتسبب فى سرطانات الجلد الآخذة فى الإزدياد، والتى يتسبب عنها موت ١٢٠٠٠ شخص سنوياً فى الولايات المتحدة الأمريكية وحدها، وتسبب عن هذه الأشعة الفوق بنفسجية فقدان البصر عند ١٢ مليون شخص فى العالم، وتعتم البصر عند

١٨ مليون شخص.. وينتج عن هذه الاشعة وبالتأكيد تدمير الحياة النباتية، وكذلك التغيير الحيوى والحياتى لسطح تربة الارض، وفساد الحياة البحرية والتأثير السلبى على الثروات السمكية.. أى الإقتراب من دمار الحياة على سطح الارض يابساً وبحراً..!!

٠٤ الاختلال البيئي

- و من ناحية أخرى يا أحباب! يؤدى القطع العشوائى للغابات الإستوائية.. بهدف الكسب السريع من عائدات أشجارها، أو مناجمها، أو ثرواتها التعدينية الأخرى، أو بهدف آخر هو إحلال الزراعات التقليدية محل هذه الغابات.. إلى إختلالات بيئية..!! والصورة ليست بهذه البساطة فقطع الغابات وحرقها ينتج عنه تغيرات جذرية مدمرة فى المناخ.. من تعظيم قدر ثانى أكسيد الكربون فى الجو إما بسبب الحرق، أو بسبب غياب المستهلك الرئيسى لثانى أكسيد الكربون وهى الغابات.. وينتج عن ذلك تجمع هذا الغاز مع غيره من الغازات فى طبقات الجو العليا، ويسمح ثانى أكسيد الكربون بدخول الاشعة الكونية إلى الغلاف الجوى ولا يسمح للحرارة بالخروج من جو الارض إلى الطبقات العليا، أو إلى الفضاء الخارجى، وتسمى هذه الظاهرة (بالدفيئة GREEN - HOUSE).. ينتج عن هذه الدفيئة إرتفاع درجة حرارة الجو.. يصحبه تغيرات مناخية هائلة كالأعاصير الإستوائية الحلزونية، والاعاصير فى شتى أنحاء العالم، وظاهرة النينو فى أمريكا، وظاهرة السيول المائية، ويصاحب ذلك قلة أمطار، وندرة فى المياه العذبة، وذوبان ثلوج وإرتفاع مناسيب بحار ومحيطات بما يهدد بغرق أجزاء كبيرة من دول العالم وأبرزها بنجلاديش، وغرق أجزاء كبيرة من دلتات ملتقى الانهار والبحار، وقلة فى المحاصيل بسبب قلة الامطار بما يهدد بخطر مجاعة عالمية، مع تزايد السكان العالمى.. ويزداد التصحر فى يابس العالم كله.. وهناك ماهو أكثر دماراً بسبب دفيئة الأرض.. وهى ظاهرة المطر الحامضى المدمر للتربة والزراعات ومياه الشرب والرى..!!

- ويا أحباب! الظواهر الإختلالية الجوية، والتى قد لاتحدث سنويا، كظاهرة السيول والاعاصير والنينو، وظاهرة المطر الحامضى.. إلا أن آثارها المدمرة تضيف إلى الآثار السلبية المتنامية الناتجة عن ثقوب الاوزون، أو الإرتفاع الساخن لجو الارض بما يخلق موقفاً مركباً معقداً فى مواجهة البشرية جمعاء،

ساسة وشعوباً، وبلا تمييز بين غنى وفقير، ولا حتى بين قارة وأخرى، ويصبح الامر تهديداً كاملا للأرض براً وبحراً وجواً٠٠!!

٥٠ الأعاصير والفيضانات

- سأل ولدى! وماذا عن الأعاصير والفيضانات الناجمة عنها ؟!

- أجبت: ياولدى! مع زيادة درجة حرارة سطح الأرض يابساً وبحراً لأكثر من ٢٧ درجة مئوية تتولد العواصف المدارية الحلزونية٠٠ وتزداد سرعة الرياح فتصل لمستوى العواصف الضخمة، وزيادة سرعة الرياح عن معدلاتها المسجلة فى السنوات العشرين الماضية - فينتج عن هذه التغيرات فى الإجمال التغير الجوهرى لمناخ الارض كلها٠٠ لكل قاراتها ويابسها وبحارها وجزرها٠

- ويعتبرون ياولدى! عام١٩٩٠م من أكثر السنوات دفئاً منذ١٣٠ سنة - وحيث بدأت البشرية فى تسجيل درجات الحرارة لكوكب الأرض٠٠ إلا أن تبايناً ملحوظاً بين الواقع الحرارى المسجل من إرتفاع حرارة المنطقة الإستوائية، فى حين أن التوقع الحرارى للمناطق القطبية لم تصل إليه درجة الحرارة الفعلية لهذه المناطق٠٠!!

- وتؤكد النماذج المناخية المدققة أن درجة حرارة العالم سوف تزداد بواقع ٥ر١ درجة مئوية على سطح الكرة الأرضية كلها مع عام٢٠٥٠ م بفرض أن كوكبنا الأرضى وغلافها الجوى سوف تثبت حرارتهما خلال العشر سنوات القادمة٠

- أما إذا إستوت الزيادة فى درجة حرارة الأرض وبالمعدل الذى تزداد به الان فإن درجة حرارة سطح الأرض سيزداد بواقع ٥ر٤ درجة مئوية وهذه هى أقصى درجة حرارة منذ بداية العصر الجليدى منذ ٥ر٢ مليون سنة٠

- وينتج عن إرتفاع درجة حرارة سطح الأرض ٥ر١ درجة مئوية زيادة مستوى سطح البحر٣٠ سنتيمتر، فى حين أنه بزيادة درجة الحرارة بواقع ٤,٥ درجة مئوية فإنه من الممكن زيادة إرتفاع سطح البحر لحوالى ٥ر١ متر٠ وذلك مرجعه لذوبان الجليد فى المناطق القطبية وعلى المرتفعات الجبلية٠

- ويتوقع علماء البيئة والمناخ والمحيطات أن تزداد العواصف والأعاصير والتيارات المائية فى المناطق الإستوائية والقطبية على حد سواء٠ فى ذات الوقت يزداد بالتبعية بخار الماء فى الجو مما ينتج عنه أمطار أكثر غزارة، وسيول أكثر خطورة، مصحوبة بعواصف وأعاصير، وبرق ورعد، وظواهر غرق

ودمار شواطئ..

- ويا أحباب! ومع فرض! إستقرار المناخ المستقبلى المتوقع لكوكب الأرض.. ساعتها يصبح مؤكداً أن الدول الواقعة على خطوط العرض المعتدلة ستحصل على محاصيل زراعية أوفر فى حين أن دول شمال البحر المتوسط وجنوب روسيا والغرب الأوسط للولايات المتحدة الأمريكية ستواجه مزيداً من حالات الجفاف الخطيرة، وبما يُتَوّقع معه تغيرات وأزمات سياسية وإجتماعية لايمكن تجنبها..

٦. الأعاصير الحلزونية

- أما الإعصار الحلزونى الإستوائى فيتولد فوق المحيطات الإستوائية، حول العالم، حينما تصل درجة حرارة سطح الأرض ٢٦ درجة مئوية فأكثر، وتكون درجة الرطوبة النسبية عالية وحتى إرتفاع ستة كيلو مترات ؛ ويكون تدفق الرياح حلزونيا عند طبقات الجو الدنيا متفرقاً مع طبقات الجو العليا - على أن تتوافر كل هذه الشروط فى آن واحد..

- وياولدى! مركز الإعصار هو (عينه) وهى منطقة تكون خالية من المطر حيث تقل سرعة الرياح، وتحاط العين بسحب كثيفة وأمطار غزيرة، وقد تكون الأعاصير الحلزونية الإستوائية بسرعات متعاظمة تفوق سرعتها ٢٠٠ كيلو متر فى الساعة.. ولكون سرعات هذه الأعاصير عالية، وأمطارها غزيرة ورعدها صاخب، وسيولها متدفقة، وتكرار حدوثها قائماً - كل ذلك يجعل منها أعاصير مدمرة دماراً شاملاً للأنفس والمزروعات والثروات الحيوانية والممتلكات..

- ويا أحباب! لا مجال أبداً للقول بأن هناك ثمه طريقة لتفادى هذه الظواهر الكونية فهذا أمر يحتاج لتدابير تخص الكوكب الأرضى كله.. ولا تتأتى نتائجه إلا بعد عشرات السنين.. والمتاح الوحيد هو الإنذار المبكر لتقليل حجم الخسائر بإتخاذ الإحتياطات الواجبة لمواجهة الآثار الناجمة عن الأعاصير الحلزونية الإستوائية.. وقد ينبنى الإنذار المبكر على تنبؤ.. يبنى الأخير على أسس علمية وتكنولوجية أتاحتها الأقمار الصناعية، والرصد العالمى للتغيرات المناخية، وقياسها أولا بأول، وعلى إتساع رقعة الكوكب الأرضى كله، وفى زمن متقارب - فى برامج مناخية إقليمية يطلق عليها (الملاحظة الإقليمية المناخية) ودور مثل هذه المنظمات قائم على التعاون الدولى والإنذار المبكر لتقليل الكوارث البشرية والمادية، التى تنجم عن الأعاصير الحلزونية الإستوائية..

- ويوضح الجدول رقم (١) بعض الكوارث الكبرى الناجمة عن الأعاصير فى الفترة من يناير١٩٦٠م وحتى ديسمبر ١٩٨٩م (٣٠ سنة)٠٠!

٠٧ ظاهرة النينو ؟!

- سألت بنيتى: وماذا عن ظاهرة الإختلال الجوى المسماة بالنينو ؟!

- أجبت: يابنيتى! نينو - فى اللغة الأسبانية معناها الطفل الصغير٠٠ وهى ظاهر جوية معروفة فى نصف الكرة الأرضية الجنوبى ؛ وغرب استراليا ؛ وفيتنام٠٠

- موعد الظاهرة يابنيتى! شهر ديسمبر٠٠ (كانون الأول)٠٠ وفى سنوات متباعدة٠٠ وحدثت تسع مرات فى السنوات الأربعين الماضية٠٠

- ومن مظاهرها وعلاماتها يابنيتى! لسان طويل من المياه الباردة موازٍ لخط الإستواء فى نصف الكرة الجنوبى٠٠ متعامد على شواطئ أمريكا الجنوبية، ويتحول إلى مياه دافئة نسبياً - وأشدها فى القريب حدث عامى ١٩٨٢ م، ١٩٨٣م ويؤدى التغير فى المناخ وفى المياه جنوبى خط الإستواء إلى تذبذب المناخ جنوبى الاستواء مقروناً بتغيرات جذرية وجوهرية فى سرعات الرياح٠٠ والرياح التجارية تهب من الشمال الشرقى والجنوب الشرقى على المنطقة الإستوائية لتدفع بتيارات المياه الباردة إلى شواطئ أمريكا الجنوبية من جهة الشرق (غربى الهادي) وفى هذه الحالة تحل محل المياه الدافئة مياه باردة تصل حرارتها إلى أقل من عشرين درجة مئوية٠٠ وربما يُحدث هذا التغير الحرارى الناتج من النينو إلى إختلال فى جو العالم كله، وقد يبقى هذا الأثر فعالا لمدة تتراوح بين عام وعامين تقريبا٠٠

- ويا أحباب! تم وضع نموذج للحاسب الآلى بواسطة العالمان الأمريكيان كاين وزيبياك يستطيع علماء البحار والمناخ من تحديد التوقعات المناخية بهذا النموذج، إلا أن الطبيعة تشذ عن القاعدة، ولا يمكن القول بأن النموذج صحيح صحة مطلقة!!

- يا أحباب! من الآثار المدمرة للنينو زيادة الأمطار فى مواضع من العالم ويقابلها جفاف فى مواضع أخرى، وقد يقترن الجفاف بريحٍ عاتية مُحرقة مُدَمرَة!!٠٠ وهذا مايجعل العلماء يقرنون بين الإختلال الجوى والفوضى فى الظروف المناخية بوجه عام٠٠ وهذا من سنن الحياة الكونية!!

٠٨ جدول (١) بالكوارث الإعصارية والفيضانات الكبرى التى حدثت عالمياً فى الفترة من١٩٦٠م حتى نهاية ١٩٨٩م (٣٠ سنة)

التاريخ		الحدث	المنطقة	عددضحايا (نسمة)	الخسائر م٠ دولار
سبتمبر	١٩٦٠	إعصار (دونا)	أمريكا	٥٠	٤٠٠
سبتمبر	١٩٦١	إعصار (كارلا)	أمريكا	٤٦	٤١٠
فبراير	١٩٦٢	عاصفة (سيرج)	ألمانيا	٣٤٧	٦٠٠
نوفمبر	١٩٦٢	إعصار إستوائي	جوام	٩	٢٥٠
أكتوبر	١٩٦٣	إعصار (فلورا)	هاييتي	٥١٠٠	٦٢٥
نوفمبر	١٩٦٤	إعصار إستوائي (لويز)	الفلبين	٥٨	٦٠٠
			ج ٥ سنوات	٥٦١٠	٢ر٨٨٥
سبتمبر	١٩٦٥	إعصار(تبس)	أمريكا	٢٩٩	١ر٤٢٠
نوفمبر	١٩٦٦	فيضان	إيطاليا	١١٣	١ر٣٠٠
فبراير	١٩٦٧	عاصفة شتاء	ألمانيا	٤٠	٣٠٠
أغسطس	١٩٦٩	إعصار(كاميل)	أمريكا	٣٢٣	١ر٤٢٠
			ج ٥ سنوات	٧٧٥	٤ر٤٤٠
أغسطس	١٩٧٠	إعصار رعدي (سيليا)	أمريكا	١١	٤٥٠
١٢ نوفمبر	١٩٧٠	إعصار حلزوني	بنجلاديش	٣٠٠ر٠٠٠	٠٨٥
يونيو	١٩٧٢	إعصار أجنس	أمريكا	١٢٢	٢ر١٠٠
نوفمبر	١٩٧٢	عاصفة الشتاء	وسط أوربا	٥٤	٤٢٠
إبريل	١٩٧٤	إعصار قمعي	أمريكا	٣٢٢	١ر٠٠٠
سبتمبر	١٩٧٤	إعصار رعدي (فيفي)	هندوراس	٨٠٠٠	٥٤٠
ديسمبر	١٩٧٤	إعصار حلزوني (تريس)	إستراليا	٦٥	١ر٠٠٠
			ج ٥ سنوات	٣٠٨ر٥٧٤	٥ر٥٩٥
سبتمبر	١٩٧٥	إعصار(الواز)	أمريكا		٥٥٠
يناير	١٩٧٦	عاصفة الشتاء	أوربا	٨٢	١ر٣٠٠
مايو	١٩٧٦	إعصار إستوائي	جوام	١٠	١٢٠
نوفمبر	١٩٧٧	؟إعصار،	الهند	٢٠ر٠٠٠	١ر٠٠٠
١٠ إبريل	١٩٧٩	إعصار قمعي	أمريكا	٤٨	٤٧٠
أغسطس	١٩٧٩	إعصار(دافيد)	أمريكا	٣١	٢ر٣٠٠
			ج ٥ سنوات	٢١ر٥٧١	٧ر٧٤٠
أغسطس	١٩٨٠	إعصار(ألن)	أمريكا	٢٣٥	٣ر٥٠٠
مايو	١٩٨١	عاصفة ثلجية	أمريكا	٢٠	٤٠٠
٢٨ يوليو	١٩٨١	عاصفة ثلجية	كندا	–	١٢٥
نوفمبر	١٩٨١	عاصفة الشتاء	الدانمرك	٩	٢٥٠
يناير	١٩٨٢	عاصفة الشتاء	أمريكا	٢٧٠	١٠٠٠
٢؛٤ إبرايل	١٩٨٢	إعصار	أمريكا	٤٦	٥٠٠
نوفمبر	١٩٨٢	عاصفة الشتاء	فرنسا	١٤	٣٥٠
نوفمبر	١٩٨٢	إعصار (أيوا)	هاواي	٣	٢٣٠
يناير/مارس	١٩٨٣	عاصفة الشتاء	أمريكا	١٩	٥٢٥
يناير/إبريل	١٩٨٣	فيضانات	بيرو/إكوادر	٥٠٠	٧٠٠
فبراير	١٩٨٣	حرائق الأجمة	إستراليا	٧٥	٢٣٠

٤ مارس	١٩٨٣	إعصار حلزوني	فيجي	٧	٨٥
أغسطس	١٩٨٣	إعصار إليسيا	أمريكا	١٨	١٦٥٠
أغسطس	١٩٨٣	فيضانات	أسبانيا	٤٢	٩٠
يناير: فبراير	١٩٨٤	إعصار حلزوني	ج. أفريقيا	١٠٩	٩٠
مارس	١٩٨٤	إعصار قمعي	أمريكا	٨٠	٤٠٠
يونيو	١٩٨٤	عواصف ثلجية	أمريكا	–	٦٠٠
١٢ يوليو	١٩٨٤	عواصف ثلجية	ألمانيا	–	١٠٠٠
أغسطس	١٩٨٤	إعصار إستوائي	الفلبين	١٠٠٠	٢٢٠
			ج ٥ سنوات	٢ر٤٤٧	١٣ر١٠٥
يناير	١٩٨٥	عاصفة مدمرة	وسط أوربا	–	٣٥٠
يناير	١٩٨٥	عاصفة مدمرة	أمريكا	١٥٠	٨٠٠
مايو	١٩٨٥	إعصار حلزوني	بنجلادش	١١ر٠٠٠	
٣١مايو	١٩٨٥	إعصار قمعي	أمريكا و ك	٩٤	٦٠٠
أغسطس سبتمبر	١٩٨٥	إعصار إلينا	أمريكا	٢	١ر١٠٠
٢٧ سبتمبر	١٩٨٥	إعصار جلوريا	أمريكا	١٥	٩٠٠
يوليو/أغسطس	١٩٨٦	فياضنات	الصين	٢٦٠	١ر٢١٠
يوليو/أغسطس	١٩٨٦	جفاف/موجة ح.	أمريكا	٤٨	١ر٥٠٠
أغسطس	١٩٨٦	إعصار إ.	اليابان	١٧	٢٠٠
أغسطس	١٩٧٦	عاصفة ثلجية	سويسرا	–	١٠٥
أغسطس	١٩٨٦	إعصار استوائى	كوريا	–	١٥٠
ديسمبر	١٩٨٦	فياضانات	إيران	٤٢٤	١ر٥٦٠
يناير	١٩٨٧	عواصف مدمرة	بريطانيا	٣٤	٧٠٠
فبراير	١٩٨٧	فياضانات	روسيا	١١٠	٥٥٠
مايو	١٩٨٧	فياضنات	بولند	–	٥٠٠
مايو	١٩٨٧	حرائق الغابات	الصين	١٩٣	١٥٠
يوليو	١٩٨٧	فيضانات إتلاف	إيطاليا	٤٤	٥٠٠
يوليو	١٩٨٧	٣ إعصارات إ.	كوريا	٣٣٣	٥٠٠
٣١ يوليو	١٩٨٧	إعصار قمعي	كندا	٢٦	٣٠٠
يوليو	١٩٨٧	موجة حارة	اليونان	١ر٠٠٠	–
يوليو/أغسطس	١٩٨٧	فيضانات	سويسرا	–	٧٠٠
يوليو/أغسطس	١٩٨٧	فياضان موسمي	بنجلاديش	١ر٦٠٠	١ر٣٠٠
سبتمبر	١٩٨٧	فياضانات	ج. أفريقيا	٤٨٧	٥٠٠
١٥/١٦-١٠	١٩٨٧	عاصفة الشتاء	بريطانيا وفرنسا	١٧	٣ر٠٠
نوفمبر	١٩٨٧	إعصار إستوائي	الفلبين	٥٦٠	٢٧
يناير	١٩٨٨	فياضانات موسم	بنجلاديش	٣٠٠٠	١ر٢٠٠
سبتمبر	١٩٨٨	إعصار جلبرت	جاما يكار المكسيك	٢٨٦	٢ر٣٥٠
سبتمبر	١٩٨٩	إعصار هوجو	أمريكا	٥٠	٩ر٠٠٠
نوفمبر	١٩٨٩	إعصار إستوائي	تايلاندهند	١٠٠٠	٢٨٠
نوفمبر	١٩٨٩	فياضانات	أسبانيا	١٢	٣٧٥
			ج ٥ سنوات	٢٠ر٨٥٢	٣١ر١٠٧

□ ٢. جدول(٢) مقارنة الضحايا والخسائر موزعة لكل خمس سنوات على مدار ثلاثين عاماً عالمياً فى الفترة من١٩٦٠ وحتى١٩٩٠م.

الفترة	جملة ضحايا	جملة خسائر العالم		ج. خسائر أمريكا
١٩٦٠ ـ ١٩٦٤	٥٦١٠	٥٦١٠	٪٨	٠٨١٠
١٩٦٥ ـ ١٩٦٩	٠٧٧٥	٤٤٤٠	٪٦	٢٨٤٠
١٩٧٠ ـ ١٩٧٤	٣٠٨ر٥٧٤	٥٥٩٠	٪٨	٣٥٥٠
١٩٧٥ ـ ١٩٧٩	٠٢١ر٥٧٠	٧٧٤٠	٪١١	٥٣٢٠
١٩٨٠ ـ ١٩٨٤	٠٠٢ر٤٤٧	١٣١٠٥	٪١٩	٨٨٠٥
١٩٨٥ ـ ١٩٨٩	٠٢٠ر٨٥٢	٣١١٠٧	٪٤٦	١٣٩٠٠
جملة	٣٥٩ر٨٢٨	٦٧٥٩٢	٪١٠٠	٣٥٢٢٥

فجملة عدد الضحايا من١٩٦٠ وحتى١٩٩٠م ٣٥٩ر٨٢٨ ألف نسمة، أما جملة الخسائر المادية ٥٩٢ر ٦٧ مليار دولار أمريكى، يخص أمريكا وحدها ٢٢٥ر٣٥ مليار دولار أى بواقع ٥٢٪ من جملة الخسائر العالمية؟! ..

- جدير بالذكر يا أحباب! أن الخسائر العالمية فى الخمس سنوات ١٩٨٥م : ١٩٨٩م تقارب الخسائر العالمية فى خمسة وعشرين عاماً من١٩٦٠م وحتى ١٩٨٤م.

وتتركز الخسائر بسبب الكوارث والأعاصير الفيضانية فى الولايات المتحدة الأمريكية والتى تقدر خسائرها فى الثلاثين عاماً الماضية١٩٦٠م : ١٩٨٩م بواقع ٢٢٥ر٣٥ مليار دولار بواقع ٥٢٪ من الخسائر العالمية..!!

- ويرجع التعاظم فى الخسائر إلى الإفساد البيئى فى الأرض والإختلال المناخى.. وذلك بغير إحتساب تأثير المطر الحامضى، وتأثير تدمير مياه الأنهار والمياه الجوفية، وبغير إعتبار للآثار الغير مباشرة لصحة الإنسان.. بسبب التلوث المناخى والأرضى.. وهو مالا يقدر بمال؟! ..

٠٩ ظاهرة المطر الحامضى

- وسأل ولدى: هل لنا أن نعرف شيئاً عن المطر الحامضى ؟!

- أجبت: يتكون المطر الحامضى ياولدى! نتيجة إحتراق الفحم والبترول من تفاعل نواتج الإحتراق مع بخار الماء بتأثير أشعة الشمس والأكسجين الجوي·· وينتقل المطر الحامضى بفعل الرياح ويتساقط فوق الغابات والأنهار والبحيرات والأراضى الزراعية فيلوثها، ويقضى على الحياة فيها·· وهذا ماتعانى منه الآن أوربا وأمريكا الشمالية·· يحدث ذلك دماراً فى الحياة الزراعية، والثروات السمكية فى كل من: ألمانيا، والنرويج، وشرق الولايات المتحدة الأمريكية، والمكسيك، والنمسا، والصين، واليابان، وكندا ·· وغيرها·

والأخطر من ذلك كله يا ولدى! أن المطر الحامضى يتساقط معه مواد سامة أخرى: كالزئبق، والزنك، والألومنيوم، والرصاص، والمنجنيز··

- وياولدى! لايقف خطر المطر الحامضى على الحياة: النباتية والحيوانية والإنسانية فحسب، بل يمتد أثره وتأثيره إلى تدمير المنشآت المدنية والمعدنية - بما يهدد بزوال آثار الحضارات الإنسانية التاريخية العمرانية·

١٠· الاختلال والفوضى والدمار

- وسألت ابنتى: وما نتيجة الإختلال ؟!

- أجبت: يابنيتى! الفساد فى الأرض يؤدى الى الاضطراب والخلل، والاضطراب والخلل مؤديات إلى الفوضى والدمار·· ويبدو أن بعض المؤثرات الكونية تؤيد القليل من هذه الفوضى·· والإضطراب يبدو أكثر مايكون فى الماء، فى البحر والنهر، وفى الجو، رياحه وريحه وسحبه ومطره، وبرقه ورعده، وفى الحياة البرية، فى النباتات، أو الحشرات والحيوان، وفى الإنسان، فى بدنه - تليف الكبد، وجلطات القلب، والمخ، وتصلب الشرايين، وأمراض الجلد، والعين، وفى نفسه - فى الأمراض النفسية والعصبية، والغدد، والإفرازات، وربما فى سرطانات قد تودى بحياته كلها·

- ويا أحباب! الإضطراب قد يكون فردياً·· وقد يكون جماعياً وبائياً· قد يسببه فيروس مرضى وبائى عضوى، وقد تسببه أوضاع نفسية مدمرة·· وقالوا عن الحروب - إن هزيمة العدو نفسياً أجدى من هزيمته عسكرياً·· والإضطراب قد

يقضى على حياة الشعوب·· ويقضى على حياة الطير، والسمك، والدواب، والنبات، ولا يميز بين كائن حى وآخر، بل هو النهاية، والفوضى، والدمار··!!

- ويا أحباب! لدراسة الإضطراب، والإختلال، والفوضى، والدمار - لقب - هو (الإختلال) وليس لها إسم أكاديمى، إلا أن لها رواد فى العالم، يبحثون، ومنهم علماء الفيزياء، والرياضيات، والكيمياء، والأحياء، وغيرهم - كثيرون يعملون·

- وإن أول ندوة عقدت فى العالم كانت فى جوتنبرج بالسويد سنة ١٩٨٤م·

- ولأن الإضطراب، والإختلال، والفوضى، والدمار - تشغل البال كظواهر وأما أسبابها وطبيعتها فلم تلق حتى الآن الدراسة العلمية الكافية··!!

- وأعطت محاولة الدراسة لظاهرة الإختلال فى النهاية أرقاماً لمؤسس هذه الدراسة العالم الفيزيائى الأمريكى فيغنبوم تسمى (أرقام فيغنبوم)·· وميشيل فيغنبوم يعمل أستاذاً للفيزياء بجامعة كورنيل إيثال بولاية نيويورك، والأرقام هذه ذات شمولية محدودة·

- وطبقت هذه الدراسة على القطاع الحيوانى·· وكذلك فى دراسة حركة السوائل·· فى أمريكا وفى فرنسا· وقد نجح فيغنبوم فى الوصول إلى الحد الفاصل بين السلوك المنتظم، والسلوك المختل· وهو أمر مغاير لنظريات الفيزياء - فيما يخص الجسيمات عالية الطاقة، وميكانيكا الكم - التى شغلت، ولا زالت تشغل العلماء حتى وقتنا هذا؟!

- ولا أحد يتوقع، وبصورة حاسمة، عن مؤدى هذه الدراسة ولكن هناك من يظن أن الفيزياء تتجه بنفسها إلى مأزق، ويعتبرون أن الإختلال مخرجاً لها ولهم، ويشبهون هذا أن معرفتهم لما يفعله شىء جد صغير - جزىء واحد من الماء، أو من نسيج القلب - تستحق الدراسة، والمعرفة عنها - تستحق الكثير·

- وعلماء الرياضيات يعرفون أكثر من غيرهم، أن الإعتماد الحساس على الظروف الأولية يؤثر على مخرجات معادلاتهم الرياضية·· وكذا علماء التحكم والفيزياء يعرفون أن التشوش على النظم يصبها بإضطراب غير محسوب، وقد يصعب السيطرة عليه·

- وعلماء الأسماك لايمكن أن يسلموا بالتغير الخطى المنتظم المضطرد لقطيعهم·· لأن ذلك يعتمد فى الأساس على الغذاء الطبيعى، والغذاء الصناعى، وظروف التكاثر، والجو والبيئة·· ولكنهم يستطيعون تكرار الدورة بين الحين والحين·· وجيل بجيل من الأسماك· وقد تستقر فعاليات الأسماك وتستقر عند عدد وحجم معين للقطيع·

- وقد يأتى شذوذ قطيع السمك الموجود فى بركة.. بسخونة معينة لقدر محدود من الماء.. وربما يشذ القطيع.. وبتتابع المدة.. وبتأثيرات معامل زمانى يسمى: (معامل مضاعفة المدة).. وهو المعامل المؤثر الرئيسى والمؤدى إلى الإضطراب.. والإختلال.. والفوضى.. والدمار فى القطيع.

- والعلماء ينصحون بالبحث (وراء السلوك الشاذ).. بحسب أن الانماط الحتمية قد تأتى أفعالا مجنونة.. ينبغى توقعها، وينبغى البحث فيها وأخذها مأخذ الجد.. وعلى الجميع أن يدرك مدى أهميتها.

- والبحث فى الإضطراب، والإختلال، والفوضى يحتاج تعمقاً.. من نوع يتسم بالفراسة.. ويحتاج فهماً دقيقاً لقضية كونية على جانب كبير من الاهمية.. وهى (ماهية الزمان).!!

- ويا أحباب! بحث فيغنبوم فى رياضيات شكلية غاية فى البساطة لنقطتين صغيرتين متموجتين، إحداهما تكبر الأخرى قليلا، والنقطتين معرضتين لمضاعفة المدة عليها، وفى طريقها إلى الإضطراب والإختلال، وحصل منها على أول ثابت شامل، وهو تعبير عن مدى سرعة نظام يتعرض لمضاعفة المدة، وفى طريقة إلى الإختلال الكامل ويساوى:٤٫٦٦٩٢٠١٦٠٩..!!

- وبدأ البروفسور ريتشارد كوهين فى معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا فى دراسة مشكل أمراض القلب ومسبباتها الإختلالية من الناحية المرضية والناحية الكهربية، وبالتركيز فى الدراسة على مشكل مضاعفة المدة والتى تؤدى إلى الإختلال.

- ومجمل القول يا أحباب! أن الإضطراب والإختلال والفوضى - ظواهر تُجبر العلماء على التفكير فى المشاكل بشكل مختلف، والظاهرة تغير حدسهم عما تكون علية الإجابات، وهذا سيغير الأسئلة والإستفهامات التى تلقى. وبهذا يصبح الإختلال أسلوب لممارسة العلم - لكنه فى ذات الوقت سيكون إطاراً مفاهيمياً يعلق عليه النظريون بعض أعز أمانيهم عن فهم تسخير وتدبير وحياة الكونيات!!..

والإختلال فى مجال الإنسانيات يقدم الإجابة لمشكل الإرادة الحرة.. وإن ربط صغائر الأشياء بكبائرها.. ربما يعطى تغذية أدق لفهم الاشياء.. والباحث فى الهياكل الكبرى يجد أن التفاصيل الكبرى تأتى من واقع عملية أو عمليات صغيرة مستمرة.. ولا مجال للإختلاف حول أن جوهر الأشياء لايعرف، ولا يتعرف عليه إلا بالقياس.

- ويا أحباب! كل فن، وكل حرفة، وكل مهنة هى تفسير جزئى بسيط جداً لاجزاء كونية غاية فى البساطة، ولكنها أشياء مغرية وعجيبة - الكل يسعى لادراكها من واقع مهنته، ومن واقع إهتمامه٠٠!! وهى فى البداية والنهاية تعبير عن مدى إدراكنا لكنه الزمن!!

ترى٠٠ ياترى٠٠ قيمة فهم الزمن٠٠ وجوهر تكرار المُدد٠٠؟!

- وترى٠٠ ياترى٠٠ الآثار المدمرة للسلوك الشاذ٠٠؟!

- ويا أحباب! النتيجة الحتمية للسلوك الشاذ، ومع مرور الزمن وتكرار المدة، إضطراب فإختلال ففوضى فدمار٠٠ وهذا يبدو كلام حديث فى علوم جديدة فى طور البدايات العلمية٠٠ ولكن القرآن أوردها فى لواط قوم لوط٠٠ وعقاب قوم عاد وثمود٠٠ وفرعون وملأه٠٠ وأصحاب الفيل٠٠ وهى سنن متكررة إلى قيام الساعة بمقدماتها وظواهرها ونتائجها٠٠ ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً﴾!!

- ويا أحباب! عليكم أن تتوقفوا طويلاً أمام السلوك الشاذ شذوذاً عاماً٠٠ والذى يرتبط بالإضطراب والإختلال!!٠٠ الوارد فى قول الله تعالى:

﴿ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذين عملوا لعلهم يرجعون﴾ (الروم٣٠-٤١)

- ترى كم كان الإعجاز القرآنى دقيقاً ومحدداً باقتران فساد الأرض بإفساد الناس فيها، وفى بيئتها الكونية، وبإفسادهم فى مجتمعاتهم سلوكياً وأخلاقياً وإجتماعياً وإقتصادياً٠٠يا سبحان الله العظيم٠٠!!

- سأل ولدى: وهل ورد بالسنة النبوية المشرفة مايربط بين الإختلال والدمار؟!

- أجبت: بالقطع ورد الكثير يا ولدى! فحددت السنة قوام المسلك بإتقاء الشبهات إستفتاءاً للقلب الذاكر العقول٠٠ فى الإطار الايمانى والاخلاقى للمسلم٠٠ العامل، الصادق، التقى، الحيى، المصلح لذات البين، النافع للناس، ذي الخلق الكريم٠٠

- عن النعمان ابن البشير أن رسول الله ﷺ قال: ﴿الحلال بين، والحرام بين، وبينهما أمور متشابهات، لايعلمها كثيراً من الناس، فمن إتق الشبهات فقد إستبرأ لعرضه ودينه، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام، كراعٍ يرعى حول الحمى، يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله تعالى فى أرضه محارمه، ألا وإن فى الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد

الجسد كله، إلا وهى القلب﴾ انظر الحديث رقم ٣١٩٣ فى صحيح الجامع.

- وعن ابن عمر قال.. أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إن سوء الخلق ليفسد العمل، كما يفسد الخل العسل﴾ انظر الحديث ١٧٦ فى صحيح الجامع.

- عن معاوية قال.. أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إنما الأعمال كالوعاء، إذا طاب أسفله طاب أعلاه، وإذا فسد أسفله فسد أعلاه﴾ انظر الحديث رقم٢٣٢٠ فى صحيح الجامع.

- وعن أنس قال.. أن رسول الله ﷺ قال: ﴿أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح له سائر عمله، وإن فسدت، فسد سائر عمله﴾ انظر الحديث ٢٥٧٣ فى صحيح الجامع.

- عن ابن عمر قال.. أن رسول الله ﷺ قال: ﴿أما إنه لم تهلك الامم قبلكم حتى وقعوا فى مثل هذا، يضربون القرآن بعضه ببعض، ماكان من حلال فأحلوه، وما كان من حرام فحرموه، وما كان من متشابه فآمنوا به﴾ انظر الحديث ١٣٢٢ فى صحيح الجامع.

- عن أبى هريرة قال.. أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إن لاتفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض﴾ انظر الحديث رقم٢٧٠ فى صحيح الجامع.

- عن أبى الدرداء قال.. أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هى الحالقة﴾ انظر الحديث ٢٥٩٥ فى صحيح الجامع.

- عن معاذ ابن جبل قال.. أن رسول الله ﷺ قال: ﴿الغزو غزوان، فأما من غزا إبتغاء وجه الله تعالى وأطاع الإمام، وأنفق الكريمة، وياسر الشريك، وإجتنب الفساد فى الأرض، فإن نومه ونبهه أجر كله، وأما من غزا فخراً ورياء، وسمعة، وعصى الإمام، وأفسد فى الأرض، فإنه لن يرجع بالكفاف﴾ انظر الحديث رقم ٤١٧٤ فى صحيح الجامع.

- عن ابن مسعود قال.. أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إن الصدق ليهدى إلى البر، وإن الرجل ليصدق، حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً﴾ انظر الحديث رقم ١١٦٥ فى صحيح الجامع.

- عن الحسن قال.. أن رسول الله ﷺ قال: ﴿دع ما يريبك إلى ما لايريبك. فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة﴾ انظر الحديث رقم ٣٣٧٨ فى صحيح الجامع.

- عن ابن عمر.. أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إن الحياء والايمان قرنا جميعا؛ فإذا رفع أحدهما رفع الآخر﴾ انظر الحديث ١٦٠٣ فى صحيح الجامع.
- عن ابن عباس وعن أنس قالا.. أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إن لكل دين خلقاً؛ وإن خلق الإسلام الحياء﴾ انظر الحديث ٢١٤٩ فى صحيح الجامع.
- عن ابن عمر قال.. أن رسول الله ﷺ قال: ﴿صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين؛ ويهلك آخرها بالبخل والأمل﴾ انظر الحديث ٣٨٤٥ فى صحيح الجامع.

١١. هل الغلاف الجوى مختل ؟!

- سأل ولدى الأكبر: وهل الغلاف الجوى مصابٌ بإختلالٍ ؟!
- أجبت: نعم ياولدى! الغلاف الجوى مختل.. ومظاهر هذا الاختلال التغير السريع فى حرارة الجو.. وإزدياد حرارة الارض.. والتغير المناخى فى أماكن عديدة فى العالم.. والتغير الملحوظ فى طبقات الجو العليا..
- وعاد يسأل.. وما السبب فى هذا التغيير؟!.. وذاك الاختلال ؟!
- السبب مرجعه ياولدى! إلى النشاطات المكثفة للثورة الصناعية والزراعية.. نتج عن ذلك البث المكثف لثانى أكسيد الكربون، والميثان، وأكسيد النيتروجين، والكلوروفلوروكربون.. وأثر ذلك على طبقة الأوزون.. مما أدى إلى حبس حرارة الشمس فى الغلاف الجوى.. ولايدع ذلك الحرارة الدافئة من النفاذ من غلاف الكرة الأرضية إلى الكون الخارجى.
- ويتوقعون ياولدى! أن تزداد درجة حرارة الارض من ٥ر١ الى ٥ر٤ درجة مئوية ،وقد يصحب ذلك نتائج مدمرة.. يتغير المناخ.. يزداد الجفاف فى أماكن كثيرة فى العالم.. وعلى العكس.. تغزر الأمطار فى الصحارى.. ويعلو منسوب المياه فى البحار والمحيطات بمعدل ٥ر٠ :٠ر٢ متر فتختفى بعض الجزر وبعض السواحل المنخفضة.. مما سيدخل إضطراباً وتغيراً فى أنماط الزراعة العالمية، وموارد المياه، ومصائد الأسماك، ونشاطات السواحل ومدنها، والطاقات التقليدية ومعدل استهلاكها!!
- وياولدى! سبق أن ذكرنا أن القلق يصحبه اضطراب فاختلال فدمار!!..
- فمن الناحية البيولوجية ياولدى! ربما يؤدى التغير المناخى الى نفوق وانقراض عدد هائل من أصناف النبات والحيوان.. تلك التى يصعب عليها التأقلم البيئى والمناخى مع التغيرات المناخية القادمة على كوكب الأرض كله.

- ويتبع بسؤال ثالث: وهل الصورة قاتمة بالنسبة لكل دول العالم ؟؟

- أجبت: بالطبع لا يا ولدى!.. فهناك أجزاء فى العالم قد تستفيد من هذا التغيير المناخى.. ومن هذه الدول كندا وروسيا وحتى منغوليا.

- ويقرر كيرى إيمانويل، عالم الرصد الجوى فى معهد مساتشسوستس للتكنولوجيا: (المسلم به أن شدة الاعصار ترتبط بحرارة سطح البحر. فإذا ارتفعت حرارة البحر الى المستويات المتوقعة فإن شدة الاعاصير بحسب النماذج المتوقعة بحسابات الكمبيوتر ستزيد بنسبة ٤٠:٥٠٪ عن مثيلاتها التى حدثت فى الخمسين سنة الاخيرة).

- أما جيمس تيتوس مدير مشروع إرتفاع مستوى البحر فى وكالة حماية البيئة الأمريكى فيقرر: (إن الناس فى الاماكن المهددة لن يكون امامهم سوى خيارين: بناء جدران أو الرحيل.. لكن بالنسبة لمعظم الاماكن الساحلية سيكون الرحيل هو أفضل حل)..

- ويتوقع المتخصصون ان زيادة الامطار والثلوج سيكون بمعدل ٧:٥٪ وبذا يحظى وسط الهند بمضاعفة الامطار، اما الوسط الغربى للولايات المتحدة الامريكية، وجنوب وغرب كاليفورنيا فسيواجه شتاء أكثر جفافاً مما هو عليه الآن.

هل الردة التكنولوجية ممكنة ؟!

- وسأل ولدى: وهل الردة التكنولوجية ممكنة ؟!

- أجبت: يا أحباب! يجمع المتخصصون فى شئون الجو والبحر والمناخ أن السبيل الوحيد لعودة الحياة إلى طبيعتها والمناخ إلى إستقراره هو العود بالعالم إلى ماكان عليه قبل الثورة الصناعية وحتى هذا العود مشكوك فيه.. حتى لو تشددوا فى إحلال الطاقة الغير تقليدية من طاقات الشمس والرياح بدلاً من الفحم والبترول.. وحتى لو أجبروا وألزموا باستغلال طاقات جوف الأرض والطاقات النووية.. فإن ذلك كله لن يعود بنا إلى ما كان عليه العالم قبل الثورة الصناعية..!!

□ ويتشدد المنظر الأمريكى آلفين توفلر صاحب دراسة صدمة المستقبل، ومعه مائة من العلماء الحاصلين على جائزة نوبل فى مواجهة الدعوات البيئية التى تدعو إلى العود بالبيئات إلى ما قبل الثورة الصناعية.. ويعتبر هؤلاء العلماء أن مؤتمر البيئة فى ريو إنما هو موجه ضد العلم والتكنولوجيا.. ويعتبرون أيضا أن

أنصار البيئة هم دعاة العيش بأسلوب حياة ينتمى إلى العصور الوسطى•• بدائى بديل عن الحداثة، والعيش فى هذا العصر•• ويدللون ان الثورة الزراعية هى علم وتكنولوجيا بدأت من تنظيم الزراعة من الأصول البرية للمزروعات•• تلاها صناعة الفئوس والمحاريث والسروج ولجامات الخيل وامكابس والمضخات•• وهى جميعا صناعات متصلة بالحياة الزراعية•• ثم جاءت الثورة الصناعية بالمحرك البخارى وآلات حلج القطن وغزله ونسجه بالأنوال الميكانيكية فضلاً عن آلاف الآلات والأجهزة التى تعمل بالطاقة والوقود المستخرج من باطن الأرض، وليس بطاقة الحيوان أو عضلات الإنسان•• ونتج عن ذلك تمركز الصناعات فى المدن•• وأدى ذلك إلى تدهور حيوى وبيئى•• والمرحلة الثالثة من الثورة الصناعية - وهى مرحلة إعمال العقل وليس قوة العضلات الانسانية أو الحيوانية أو حتى قوة المحركات•• وتدعو هذه المرحلة ألى مركزة الصناعات بعيدا عن المدن ••!!

- والأكثر من هذا يا أحباب! أن الثورة التكنولوجية قد تغير من شكل الاعمال ذاتها حتى أنه أصبح من الممكن أن يقوم عدد كبير من البشر فى تنفيذ بعض أو كل الأعمال فى منازلهم•• فالعمل الآن أصبح ذهنيا لا جسديا•• والعمال والموظفون يستخدمون الفاكسيميل الذى يمكن ربطهم جميعا بشبكة معلومات واحدة وعلى مستو الأرض كلها!!••

- ويقول الغلماء أنه لابد من (تثوير) أى إحداث ثورة فى مفهوم الانتاج وطبيعة العمل•• ولابد من خلق إقتصاد (تدويرى) معقد يقوم على إعادة إستخدام المنتجات القديمة بحيث يكون كل منتج موجود هو نفسه الذى يستخدم فى إنتاج المنتج الجديد RENEWING•• وإن نقل المعلومات إلى العامل أ أمن وأنظف للبيئة من نقل العمال أنفسهم إلى حيث المواد الخام•• ولابد من الاستفادة من الكمبيوتر وأشعة الليزر لخفض نفايات المصانع بالقطع الدقيق••!!

والثورة التكنولوجية المعاصرة - ثورة المعلومات - كفيلة بالبحث عن بيئة آمنة نظيفة بمئات الطرق بحسب أننا نعتبر أن جميع أصناف التكنولوجيا كل واحد••!!

- وهذه وجهة نظرهم يا أحباب!•• وهى بالطبع ليست كل الحل!!••

- وربما نصل إلى حل مشاكل الكوكب الأرضى يا أحباب! بأسلوب المواءمة بين البيئة والحياة المعاصرة فى حدود الإطار الايمانى الفطرى للبشر••!!

١٢. عالمية الاجراءات

- سألت ابنتى: وهل أتخذت إجراءات عالمية حديثة لوقف هذه الهالكة الجمادية من جراء التلوث البيئى ؟!

- أجبت: نعم يابنيتى! فلما كان الغلاف الجوى للكرة الارضية كل لاتجزئة فيه ولا حدود تحده.. فان اى اصلاح أو افساد فيه يؤثر بعضه بعضاً على الكرة الارضية كلها.. من هنا كانت قمة تورينتو ١٩٨٨م.. حضرها ٣٠٠ مندوب يمثلون ٤٨ دولة فى المؤتمر الدولى حول الغلاف الجوى المتغير.. والذى تصدى لدفيئة الارض.. والمطر الحامضى.. واستنزاف طبقة الاوزون.. وكان من قرارات هذا المؤتمر:

١- تخفيض قدره ٢٠٪ من غاز ثانى أكسيد الكربون الذى تنفثه الدول الصناعية بحلول عام ٢٠٠٥م.

٢- التحول الى الطاقات الغير تقليدية.. طاقة الشمس والرياح والغاز الطبيعى.. والتحول من استخدام الفحم الحجرى.

٣- إعادة غرس الغابات والكف عن مابقى منها.

٤- التوقف شبه التام عن انتاج واستخدام الفلوروكربون بحلول عام ٢٠٠٠م.

٥- تحديد المنتجات التى لايؤدى صنعها الى تلوث البيئة.

١٢. قمة الأرض بريو !

- وعادت تسأل: وماذا عن قمة ريو دى جانيرو ؟!

- قلت مهلاً يابنيتى! ففى الثالث من يونيو ١٩٩٢م عقدت قمة الارض فى ريو دى جانيرو حضرها أكثر من ١٥٠ رئيس دولة لدراسة مشاكل الارض من ناحية:

* التحكم فى تغيير المناخ.
* الحفاظ على التنوع الحيوى.
* حفض التلوث.
* مواجهة اهتراء طبقة الاوزون.
* ترشيد استخدام المياه العذبة.
* الحد من التصحر.
* محاصرة تآكل الغابات الاستوائية.
* التعاون على تكاليف البرامج البيئية.

- ونجح المؤتمر فى توجيه الانظار للحد من الفساد الذى وصل اليه غلاف الارض·· ووجه الانظار للمخاطر التى تواجه الكوكب الارضى كله·· وفتح المؤتمر الباب أمام التفكير فى آليات دولية للتصدى لمشكلة المناخ والتلوث الارضى والمائى فى البر والبحر والتلوث الضوضائى·· ووضعت القمة جدول أعمال البيئة والتنمية وقيودهما البيئية للقرن الحادى والعشرين·
- وفشل المؤتمر فى اقناع الدول الصناعية فى تحمل تبعات افسادها المناخى للارض·· واصرت الاخيرة على عدم دفع نفقات صيانة البيئة·· بل ذهبت الولايات المتحدة الامريكية الى ماهو ادهى وامر برفضها التوقيع على ميثاق التنوع البيولوجى والتوازن الحيوى للارض!!·· وما قدمه المؤتمر أقل بكثير مما كان مرجواً منه!!··
- وكشف المؤتمر عن الهزال الذى أصاب الشرعية الدولية، التى أصبحت شرعية الطرف الواحد·· فالمقاييس اصبحت انتقائية مزاجية متباينة··ذلك مرده الى غيبة المعيار الاخلاقى الايمانى الدولى الآن·· فلا يوجد عدل دولى فى مواجهة أخطر المشاكل التى تواجه البشرية وهى البيئة والتنمية·· ناهيك عن حقوق الشعوب فى الحرية وحق تقرير المصير والمساواة والعدل الدولى·· وبان أن مجلس الامن والامم المتحدة أصبحا عصاً غليظة فى يد دول الشمال الصناعى·· وليس ببعيد أن تتدخل دول الشمال فى الامور الداخلية لدول الجنوب·· فى جو الهزال الذى يصيب المؤسسات الدولية·· فعالمنا يسوده قانون القوة، لا قوة القانون·· سبحان الله·· غابت العقائد الوضعية - الغربية والشرقية - وتمايز البشر كثيرا بين الغنى والفقر·· والسكينة والاضطراب·· وتباينت معيارية الحرية العدل الديموقراطية - من مكان إلى مكان·· وتباين معها معنى حقوق الانسان!!
- ولا يمكن يا أحباب! أن تقوم الشرعية الدولية على طرف أو حتى أطراف النمو الإقتصادى·· فهذه شرعية مادية متهاوية لا محالة!! ويجب أن تقوم الشرعية الدولية على أساس المكنون الثقافى والحضارى وتناميه·· جنبا إلى جنب مع التنامى الإنتاجى!! ومن هنا فالساحة مهيأة أمام الفكر الإسلامى ليثرى ويبدع·· فى مجال المشاركة والحرية والعدل والمساواة والسلام!!

١٣٠ تجديد فعالية حضارة الإسلام !!

☐ سأل ولدى: وهل هناك أمل فى بعث حضارة الإسلام ثانية ؟!

- أجبت: بالطبع هناك٠٠ وبالصبر تكون ياولدى! فعالمنا قلق مضطرب مختل هائج ملىء بالصراعات والدم والدمار ينقصه الايمان والتقوى٠٠ تنقصه نسمات سلام حقيقى٠٠ وحرية حقيقية٠٠ وعدل اجتماعى حقيقى٠٠ وأمر بمعروف ونهى عن منكر٠٠ ولو أصبح ذلك كذلك٠٠ لقامت حضارة سلام ووفاق متآخية وحضارة الاسلام٠٠ أو لقام بعث لحضارة الاسلام من جديد!!

- وتأمل قول الله تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون، أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون، أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون﴾ الاعراف٧: ٩٦-٩٨)

وقوله تعالى: ﴿ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون﴾ (الانبياء٢١:٦)

☐ سأل ولدى: ولماذا الصبرُ إذن ؟!

- أجبت: مهلا ولدى! فهناك نزعات عدائية تثار فى الغرب ضد الاسلام والمسلمين لابد أن نقف عندها طويلا٠٠ فهم يحاولون شطرنا عرقياً وإقليمياً ومذهبياً!!٠

- راجع ياولدى! كتاب الفرصة السانحة للرئيس الامريكى ريتشارد نيكسون، دار الهلال ١٩٩٢(٩٥)٠٠ يذكر فيه أن: (الاسلام هو قوة الغد العالمية، حيث التعداد البشرى ٨٥٠ مليون نسمة، والامكانات المادية متاحة للمسلمين، والمسلمون هم أعداء الغد للغرب)؟!

- ويكرر الرئيس نيكسون أن الاسلام والغرب متضادان٠٠ مما قد يحدو بالغرب أن يتحد وموسكو لمحاربة الخطر الاسلامى؟!

- ويا أحباب! التضاد بين الغرب والاسلام راجعٌ للحروب الصليبية، وتصفية الإمبراطورية العثمانية، وسقوط الأندلس٠٠ ويحكم السياسة الأمريكية منذ إيزنهاور مع نهاية الخمسينيات سياسة الفراغ والوجود (مشروع إيزنهاور ١٩٥٧)٠٠ بمعنى أن فراغاً نشأ عن غيبة الإمبراطوريتين الإنجليزية والفرنسية

خاصة فى دول الشرق الأوسط ذات الكثافة المسلمة العالية، يتعين التنسيق بين دول الشرق الأوسط وأمريكا لملء هذا الفراغ آنذاك.. تأجل المشروع لتعاظم قوى التحرر الوطنى والعالمى، وتأججت الحرب الباردة بين الشرق والغرب.. ويحقق كل طرف انتصاراً محدوداً فى داخل معسكره أو فى معسكر الطرف الآخر.. فتُكبّت حركة التمرد فى المجر ١٩٥٦م!، ويكبت التمرد الطلابى فى بولندا ١٩٦٨م!، وتصفى حركة الاستقلال فى تشيكوسلوفاكيا ١٩٦٨م!، تتعايش رومانيا بين المعسكرين، تنعزل ألبانيا ومنغوليا، وتعود نقابة التضامن فى بولندا مرة أخرى!، وتنتهى حرب فيتنام!، تظهر صراعات الصين وروسيا!، تظهر سياسات جديدة فى روسيا والصين وفى كل دول الكتلة الشرقية، التى تتحرر عسكرياً، وتقترب سريعاً من إقتصاديات السوق، وتحظى دول العالم الثالث بتحررٍ ظاهرى!.. ويبرز دور زعامات ورموز تحدث بعض التحولات الإجتماعية المرحلية.. ومنهم نهرو وتيتو وعبد الناصر وسوكارنو ونكروما وسيكوتورى وكثيرون آخرون.. ويرحلون طوعاً أو كرهاً لمتاعب إقتصادية وإجتماعية أو لفشل فى تحقيق الآمال العريضة التى تطرح وتواجه بالعجز والتقصير والصدمات؛ حروب هنا ومؤامرات هناك لاتهدأ بضغط الإقتصاد.. إقتصاد حدود الاشباع المنخفض من مأكل وملبس ومسكن.. فى دول العالم الثالث ودول الكتلة الشرقية على حد سواء!

- وبزغ فجر جديد للوفاق الدولى.. شارك فى التنظير له الرئيس الامريكى ريتشارد نيكسون.. يصعب الآن تحديد بماذا بدأ؟ وما خطته؟ وما إستراتيجيته؟.. سار الوفاق ببطء بسبب بعض الصراعات الإقليمية خاصة فى جنوب شرق آسيا والشرق الأوسط بحروب: اليمن، فيتنام، السويس ١٩٦٧، حرب السويس والبترول ١٩٧٣.. وأحدثت زلزال البترول، تلاه زلزال المال.. نتج عن ذلك دخول الدول البترولية الشرق أوسطية: بشبه الجزيرة العربية والخليج وإيران وبقية دول الأوبك الأهمية العالمية لأسباب ثلاث: منابع البترول وثرواته، الموارد الطبيعية الحالية والمستقبلية، المد الإسلامى وتأجج الموقف بالقلق بظهور الخومينى!

- ثم دخل الوفاق الدولى مرحلة الإختبار الثانى للأسباب التالية: أفغانستان والتدخل الروسى، حرب العراق إيران، تنحية دول الكتلة الشرقية عن المشاركة فى مشكلة الشرق الأوسط، بطء النمو المؤسساتى الإقتصادى والسياسى لأوربا الموحدة، غموض الموقف العقائدى والإصلاحى للصين، ومجموعة من القضايا المتناثرة هنا وهناك.. التسليح والسلاح، الحرب والسلام، الحرية والديموقراطية، نقل التكنولوجيا وسرقتها، هشاشة أحلاف الارض، حروب النجوم

والكواكب... إلخ.

- ومع مجىء جورباتشوف تطورت مرحلة الإختبار الثالث للوفاق الدولى: حد من الأسلحة وتدمير جزء منها، ووضع حد لصراع الكواكب، سمح بالهجرة اليهودية الجماعية، تمارس الكنيسة والمسجد نشاطاتهما فى دول الشرق، تعظيم وتقدير دور الحافز البشرى، نقل الملكيات العامة إلى الملكية الخاصة، تبادل الإستثمارات، التنسيق المعرفى.. حتى أصبح العالم وكأنه قرية كبيرة تحكمها الولايات المتحدة!!.. وقد تتشاور والدول الصناعية السبع ؟!

- أما فى الشرق الأوسط فبعد ثمان سنوات من الحروب والدمار تنتهى حرب العراق إيران بلا نتائج وحتى بلا أسباب ومبررات.. بعد أن تبدد فيها الشباب والمال والسلاح العربى والإسلامى.. ويسلم العراق بالأوضاع الجغرافية والإتفاقات التى كانت سائدة يوم قيام الحرب بعد رحيل الشاه والخومينى!!

❑ وبعد ذلك كله يَحِلُ بالعرب اللامصدق واللامنتظر واللامعقول:

- قتلى مصريين فى العراق..
- العراق يطالب بإسقاط ديون العرب..
- إختلافات حول بترول سحب على حدود العراق بمعرفة الكويت..

وهذه أمور تقبل النقاش والإلتقاء على منتصف الطريق عند أسوأ الفروض!!..

- إجتاح العراق الكويت عن دفعٍ أو إندفاع ؟!.. يعلم الله..

❑ كان التدخل الدولى فى الخليج وتم الوجود الدولى بزعامة أمريكا لينجح بوش فيما عجز فيه إيزنهاور بعد جيلٍ واحدٍ فقط ؟!..

- وضاع العراق وأضاع قضايا الشرق الأوسط لأجيال قادمة!!

❑ ساد ويسود العالم الإسلامى اللامصدق واللامنتظر واللامعقول الثانى: من فتن، وهرج، ومرج، وقتل، وسفك دماء، ومواجهات داخل الوطن الواحد، وعلى حدود أغلب الأوطان، ومشاكل حدود لاحصر لها!!..

وكأن المقصود هو تمزيق الشعوب الإسلامية فى حروب ذاتية داخلها وعلى حدودها وبين المسلمين أنفسهم.. طوفان من الدمار يا أحباب!!

❑ ويا أحباب! واللامصدق واللامنتظر واللامعقول الثالث هو التدخل السافر

فى الصومال·· ومعيارية العقوبات المفروضة على ليبيا·· ووصم ووشم سوريا والسودان بالارهاب·· وما يحدث فى البوسنة والهرسك من تصفية عرقية للمسلمين العزل·· والمجتمع الدولى جَمّدَ الأخلاق والقيم والشعارات التى رفعها إبّانَ حرب الخليج؟!

☐ ويا أحباب! السؤال المطروح الآن هو هل شرارة الحرب العالمية الثالثة يستدرج لها المسلمون والأوربيون الشرقيون فى البلقان·· وعلى أرض البوسنة والهرسك ؟؟·· وإن صح هذا الإحتمال! فالتاريخ يذكر أن شرارة الحرب العالمية الثانية أوقدت فى ذات المكان! وكان هدفها تصفية الإمبراطوريات الثلاث: العثمانية، والألمانية، والهنجارية النمساوية·· وتحققت أهدافها فى زمانها، وإنفك تحالف قديم تقليدى رَبَطَ بين العسكرية التركية والعسكرية الألمانية·· ووجه التشابه قائم بين: العسكرية الشرق أوسطية،والعسكرية الأوربية الشرقية لحلف وارسو·· وهل هى سياسة إرتداد الحقب BAKLASH التى تسيطر على العقلية الأمريكية ·· راجع كتاب بروستين·· جمهورية التكنولوجيا(٨٤)!!··

- فربما تدفع قوى اليوم العالمية وعلى رأسها أمريكا بالصراع على أوسع نطاق ليشمل أوربا كلها، والغرب كله - فى مواجهة الإسلام أينما كان·· كما يقول الرئيس ريتشارد نيكسون فى كتابه الفرصة السانحة!!

- ويبخل الرئيس الامريكى الاسبق فى تقديم نموذج للتعاون بين الاسلام قوة الغد العالمية وبين دول النهضة التكنولوجية الحديثة·· دول الشمال النامى؟!··

لكنه ذهب سريعا ليَسُب ويَقذف المسلمين·· ويرفع راية الحرب والتصارع والتصادم والتناحر بين الاسلام والغرب؟!

☐ منهج تجديد فعالية الحضارة الاسلامية يا أحباب! يحتاج إلى صبر جميل وعمل شاق!!·· وليبدأ كل فرد بذاته وأسرته ومجتمعه الصغير فى إطار إيمانى عقلى خُلقى!!·· نترك خلافاتنا الشكلية فى فقه العبادات والمعاملات·· ونتجه بكليتنا الى علوم الجماديات وعلوم فقه الحياة·· استزادة لخبرة، وتعظيما لقوة واستنهاضا لحضارة··

- من حَقنا على القادة والساسة والمنظمات والهيئات العربية والإسلامية السعى لمصالحة تجمع البيت العربى والأسرة الإسلامية!!

- ولا مجال يا أحباب! للربط الحضارى بين حضارتنا وحضارتهم ·· أو حتى

المقارنة بين الحضارتين غير جائز على الاطلاق، فلا يجوز مقارنة إمبراطورية الآلة بحضارة ايمان وعلم وصدق وحق وخُلقٍ قويم؟!

□ ولاشك أن الساحة العالمية مهيأة للاسلام بخلقه القويم ومبادئه السمحة·· حتى ولو سادت النزعات التصادمية فى أوطان المسلمين، فهذا عرض زائل، وتآمر مكشوف أمره ومقاصده ومراميه·· وظلم جائر من الغرب لمسلمين عُزّل يحاسبون عليه من ربنا جل علاه·· ونحاسب نحن عليه أيضاً عليه!!·· وتأمل ولدى! قول الله تعالى:

﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً﴾ (الاسراء١٧- ١٦)

وقوله تعالى: ﴿وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً﴾ (الطلاق٦٥: ٨)

وقوله تعالى: ﴿وكأين من قرية أمليت لها وهى ظالمة ثم أخذتها وإلى المصير﴾ (الحج٢٢: ٤٨)

وقوله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ ؟!

- وسأل ولدى: وهل هناك قلق فى المجتمع الأمريكى من دمار لجمهوريتهم التكنولوجية ؟!

- أجبت: ياولدى! القلق قديم وعام؟!·· فهل تتصور أن رئيس امريكا الأسبق جيفرسون قد طالب بتقسيم الولايات المتحدة الأمريكية إلى ١٢ جمهورية مستقلة؟!··

- وعاد المفكر والسياسى الأمريكى المعاصر جورج كينان فى كتابه (حول التل الصخرى) إلى ذات الرأى مرة أخرى·· ويسوق فى أسى وحزن التمزق بين دوافع الإنسان المادية والروحانية!!·· وردد أنه لايستطيع التأقلم مع الحياة الإستهلاكية بشخصيتها المجردة - ناهيك عن التلوث المادى والثقافى الذى يشعره (بالغربة) فى وطنه الأمريكى؟!·· ويرى ج· كينان أن النظام العالمى الجديد لن يضم دولاً (توحشت) كوطنه الأمريكى!!·· ويرى أن التقسيم ربما يفادى صراعات عرقية مدمرة كتلك التى تنخر فى دول الكتلة الشرقية!!··

- ويحذر دانيال باتريك فى كتابه (الجحيم: العرقية فى السياسة الدولية) من إتجاه كل الدول إلى التفكك·· وذكر أن النزاعات العرقية ستظل المصدر الأول لجميع الحروب التى سيشهدها العالم فى المستقبل!!··

□ نعود يا أحباب إلى الرئيس الأمريكى (المُنظِر) ريشارد نيكسون حيث ذكر فى كتابه تلميحات لمحاور يعمل عليها ساسة الغرب تدخلنا فى جحيم النزعات: العرقية، والإقليمية، والفتن الطائفية، والمذهبية - بين سنة وشيعة ومتصوفة·· يتعشم فى نمو وتَجَذُر عوامل الانحلال والإختلال السياسى والإجتماعى والأخلاقى والثقافى فى الدول الإسلامية؟!

- وتتفق نتائجهم المتوقعة من هذا النظر الخبيث مع ظاهرتى الفساد والإختلال الكونيتين، واللتين يتولد عنهما دماراً محققاً بتكرار المدد، وبتكرار السلوك القسرى الشاذ المرسوم لنا·· ولا سبيل للتصدى لهذه المؤامرة الكبرى إلى بإحياء روح التضامن العربى والإسلامى، وفى ظل التعددية السياسية التى تتحكم وتحدد وتقيد فعالية الواقعين العربى والإسلامى··!!

- لنتذكر يا أحباب! أن الإسلام يوازن فى إحكام دقيق بين مطالب الإنسان المادية والروحانية، وينبذ العرقية، ويفاضل بين الناس بالتقوى، ويدعو إلى الوسطية فى الإستهلاك، ويستثير الأخوة بين الناس - كل الناس - بغض النظر عن عرقيتهم·· بحسب أن الإنسان أخو الإنسان، أخوه ديناً أو خِلْقَةً، ويؤاخى الإسلام بين الأديان فى رسم حدود الحرية فى المعتقدات، ويدقق العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية بأن لا إكراه فى دين واعتقاد··

- ويا أحباب! الإستنهاض الإسلامى الفعال تمثل فى حرب ١٩٧٣·· ميداناً وبترولاً·· وتمثل فى استنهاض اقتصاد فى ثلاث دول إسلامية·· أندونسيا وتركيا وباكستان·· وهِىَ هِىَ الدول التى يركز عليها الرئيس الأمريكى المنظر فى كتابه حامل الحمَمَ علَى الإسلام والمسلمين؟!

- يا أحباب! عليكم أن تدركوا أن الغرب يجاهد فى تعظيم الفتن والقلاقل والعداوات والتنافس فى الجزائر وتونس والسودان ومصر والمغرب والأردن للَبْنَنَة هذه الدول فى النهاية·· (أى ليُشعل فيها حروباً داخلية وحدودية كما هو الحال فى لبنان!) ·· ويجاهد الغرب لتوسيع هوة الشكوك بين النظم فى إيران والعراق والكويت ودول الخليج·· وبين مصر والسودان·· المغرب والجزائر·· سوريا والعراق وتركيا وإيران والأكراد·· ويجاهد فى النهاية للهيمنة الإقتصادية والسياسية على الشرق الأوسط من خلال السوق الشرق أوسطية··

فهذه هى موضوعات بثه الإعلامى ودعايته ومجال نشاطاته فى السنوات الأخيرة!!··

□ حللوا لأنفسم التعددية السياسية والحزبية والوحدة الإقتصادية وحرمونا من ذلك بكل الطرق والسبل·· أعاقوا حشد قوانا وتجميع صفوفنا·· وأقاموا مؤسساتهم السياسية والبرلمانية والعسكرية والتسويقية المشتركة·· وأغرقونا فى دوامة التناحر والتنافس!!·· فهل يسمح لنا بقيام سوق شرق أوسطية عربية؟! أو سوق شرق أوسطية إسلامية؟!·· والإجابة بالطبع لا·· وألف لا!!

- ياأحباب! الغرب يطمع فى موقعنا العالمى المؤثر·· يطمع فى ثرواتنا وخاماتنا وأسواقنا الحالية·· ويؤمن الغرب نفسه أكثر وأكثر بمد شبكات نقل الطاقات المستقبلية المتجددة (الشمس والرياح) من أواسط أفريقيا مروراً بمصر والأردن وسوريا وتركيا بشبكات ربط مستقبلية موحدة، وبإسهاماتنا نحن الشعوب الفقيرة؟!

□ يا أحباب! إستكثر الغرب علينا حتى التنمية السياحية·· فراحوا يتآمرون عليها وعلينا؟!

□ ونَحسَبُ يا أحباب! أن صياغة النظام العالمي الجديد·· إذا كان هناك ثمة نظام جديد·· لابد أن يشارك فيه جميع المفكرون، وجميع الشعوب على قدم وساق، وبكامل التساوى فى الحق والواجب، إعلاءًا لشأن الانسان·· ولابد من أخذ الجذور التاريخية والايمانية والحضارية للشعوب فى الاعتبار - إذا أريد الاستقرار للكيانات البشرية روحياً ومادياً··

- ويا أحباب! مطلوب منا جميعاً أن نلزم روح الإسلام·· ونستنهض القيام بكل تكاليفه فيما فرض الله وشرع·· نعمل وننتج·· نسوس بحياة السلف بين المسجد والمعمل والحقل والمكتبة والمصنع والسلاح·· ننمى الانسان ونعمر الأرض·· نسير فى الأرض لننقل عن الآخرين وننقل لهم·· نبنى القوة فى شتى مجالات الحياة·· نعمل العقل ونقدم نموذجاً حياتياً واقعياً للأجيال وللبشرية·· وفى الإسلام متسع لكل هذا·· إذا إستُهدف الإتزان الكونى والبيئى والحياتى للإنسان أخ الانسان على كوكب الأرض·· وهذا هو مفهوم تجديد فعالية وآليات النظام الإسلامى·· وهذا يتأتى بالايمان وعمق الفهم والعزم والعمل والكد والكدح والصبر·· أأدركتم الامر يا أحباب؟!

❑ ياولدى! نصبر على الأعداء، ونصطبر لأنفسنا.. فهم ياولدى يجيدون لعبة الأمم، فمنذ قرن مضى من الزمان رصدوا ودرسوا مواطن ضعفنا وقوتنا، ولا يكلوا ولا يملوا من توسيع نقاط ضعفنا، وطمس نقاط قوتنا محلياً وقومياً وعالمياً!!.. ومع ذلك فنحن الاخيار وهم الاغيار!!.. شريطة أن نتمسك بجوهر ديننا ونسير على صراط الله المستقيم!!.. وتأملوا يا أحباب! قول الله تعالى:

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾ (آل عمران ٣:١١٠).

﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء فى رحمته والظالمون مالهم من ولى ولا نصير﴾ (الشورى٤٢: ٨).

﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ (الأنبياء٢١: ٩٢).

﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾ (المؤمنون٢٣: ٥٢).

❑ فالإستنهاض الحضارى الإسلامى ممكن ومتاح قريب.. بعمق الفهم، وحشد كل عناصر المشاركة، وصبر أولى العزم، وطيب النوايا، وبناء جسور الثقة.. والمسخ الحضارى الإسلامى مستحيل، ولو تحت وطأة السلاح.. هكذا يقول التاريخ، وتحكى السنن.. وهذا الأمر من ثوابت الله فى كونه لاتبديل ولا تحويل فيه!!

﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾ صدق الله العظيم

الباب الرابع

علوم الفضاء فى القرآن

١. النظرة الفضائية فى القرآن.
٢. ألم تروا!
٣. المجموعة الشمسية.
٤. غزو الفضاء فى العصر الحديث.
٥. الأقمار الصناعية.
٦. مكوك الفضاء.
٧. تلسكوب الفضاء.
٨. برنامج مكوك الفضاء.
٩. الأرصاد الجوية والفضاء.
١٠. الأرصاد البيئية.
١١. الأرض من الفضاء.
١٢. الكون والعلم الحديث.
١٣. المجرات الكونية والعلم الحديث.
١٤. إعجاز رفع السماء والعلم الحديث.
١٥. العلم ولغز أصل الكون.

فى جلسة المدارسة العائلية الرابعة والتى خصصناها لمدارسة موضوع علوم الفضاء من كافة وجوهه.. الصواريخ، الأقمار الصناعية، مكوك الفضاء، تلسكوب الفضاء، برامج الفضاء، تعاظم قيمة الرصد الفضائى فى فك ألغاز الكون..

ـ سأل ولدى: وهل نحن مكلفون بإعمال النظر الفضائى فى القرآن.. ذات تكليفنا بالتفكير وإعمال العقل لظواهر الكون فى السموات والأرض؟!

ـ أجبت: ياولدى! التكليف واحد هُوَ هُوَ.. وإعمال النظر الفضائي فى القرآن تلمسه العديد من الآيات الكريمة.. والتى جاءت فى قول الله تعالى:

﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً﴾ (نوح ٧١: ١٥)

﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج﴾ ق٥٠: ٦

﴿أو لم ينظروا فى ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شىء﴾

(الأعراف٧: ١٨٥)٠
﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة إن الله على كل شىء قدير﴾ (العنكبوت ٢٩:٢٠)

ـ وفى الإجمال فإن هذه الآيات الأربع تدعونا للنظر والتفكر والتدبر فى مفردات الكون٠٠ والنظر الأعم والأشمل لايتأتى إلا من أعلى نقطة فى الوجود لأن ذلك يتيح توسيع وتعريض وتعميق وتنويع حجم النظرة فى ذات الزمن وهذا هو وجه الإختلاف بين النظر الفضائى المتواحد فى زمانه للأشياء والظواهر٠٠ إذا قورن بالرصد الأرضى٠٠

فإذا كنا مكلفين بدراسة كافة مايمكن دراسته من مجرات ونجوم وشمس وقمر وكواكب، والأكثر من هذا أننا مطالبون بالنظر والدراسة والرصد والتحليل فى جزئية نشأة الكون، وبدأ الخلق الكونى والنباتى والحيوانى والإنسانى٠٠ مكلفون بدراسة والمحاجة بإعجاز خلق السماء المتمثل فى بنائها الطباقى، الذى ليس له من فروج ولا شروخ ولا تشققات!!

ـ .وياولدى! إن إعمال هذه التكليفات بالرؤية والنظر لهذه الأكوان العظيمة المتعاظمة الحجم والبعد لا يتسنى للعين المجردة، بل يتطلب الأمر النظر من تلسكوبات ضخمة، وحساسة، وقوية جداً، وهذا حتى لاتتأثر الرؤية بقيود الغبار والغيوم، أو بقيود المكان الثابت للرصد ـ إلماماً بشمولية النظرة!!

ـ الأمر الذى يقطع بحتمية الرصد من مدارات حول الأرض، أو من حول الكواكب الأخرى، أو من الأقمار الصناعية، أو من مستعمرات فضائية، أو من حولهم جميعاً٠٠ لنرى ونبصر خلق الله الكونى من كافة المواضع وفى آن واحد٠٠ ولعلنا نعرف شيئا قليلا٠٠ حول ماخلق الله فى أكوانه٠٠ وعلى أرضه٠٠ وفى كون الله الفسيح٠٠ وفى أنفسنا!!

ـ من هنا ياولدى! فإن النظر الفضائى تكليف إسلامى عقائدى عقلى حياتى ذو نفع للدارين الدنيا والآخرة٠٠ نحاجج به المنكرين، وننافس به الفراعين!!

٠٢ ألم تر!!

ـ وتأمل ياولدى! قول الله تعالى فى كتابه الحكيم:
﴿ ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا﴾ (نوح ٧١: ١٥)

﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد﴾ (الفجر ٨٩: ٦)
﴿ألم تر أن الله سخر لكم مافى الأرض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ (الحج ٢٢: ٦٥)
﴿ألم تروا أن الله سخر لكم مافى السماوات وما فى الأرض﴾ (لقمان٣١:٢٠)
﴿ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير﴾ (لقمان ٣١: ٢٩)

- ومناط التكليف بالرؤية هنا ليس رؤية العين فقط بل هى رؤية العين والقلب والعقل والفكر والتبيان - كُلٌ على حِدَه، والكل مع الكل·· وفى آن واحد·· أضف أن جريان القمر قد يدرك بالعين والعقل، وجريان الشمس يتطلب معرفة علوم الفضاء، وميكانيكا الكون، وليس نظراً، ولكن تجريباً ورصداً·· وفى هذا دعوة قرآنية صريحة لدراسة الكون على إتساع المجموعة الشمسية، وبشمولية كل مكونات الكون كله!! حتى نقف على عناصر الربط بين النجوم والكواكب -·· وهذا ماوصل إليه العلم الحديث بالخيوط الكونية التى تربط السماوات والمجرات والنجوم والكواكب والتعنقد النجمى··

- وهذا بَعضٌ صريح مماأشار اليه القرآن·· وطالبنا بالوقوف عليه علماً وتعلماً·· ﴿ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه﴾··

- ثم إليك ياولدى! الآية الكريمة التى تدعونا وبصحيح العبارة بدراسة المغناطيسية والجاذبية الأرضية، والمغناطيسية، والجاذبية الكونية بالتبعية، وأثر وتأثير كل منها على الآخر، فى قول الله تعالى:
﴿ألم يروا إلى الطير مسخرات فى جو السماء مايمسكهن إلا الله إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ (النحل ١٦: ٧٩)

٣· المجموعة الشمسية

- وياولدى! فى جزئية المجموعة الشمسية·· يورد القرآن الكريم·· قول الله تعالى: ﴿أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون﴾ (الواقعة ٥٦: ٧٢)
وقوله تعالى: ﴿الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره

من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم﴾

(النور ٢٤: ٣٥)

وقوله تعالى: ﴿فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى إنى أنا الله رب العالمين﴾ (القصص٢٨: ٣٠)

وشجرتها - معناها المجموعة الشمسية.

والزجاجة - هى الغلاف الجوى للأرض.

والكوكب الدرى - هو الأرض.

وشجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية - هى الشمس محور المجموعة الشمسية، فهى الثابتة ثباتاً نسبياً ومن حولها تدور الكواكب.

ومن ضوء الشمس - زيتها - يضىء ولو لم تمسسه نار.. ﴿وجعلنا الشمس ضياءا﴾.

والوادى الأيمن - هو وادى الطور الأيمن.

والبقعة المباركة - جبل الطور.

البقعة المباركة من الشجرة الشمسية (ومنها الارض) - والبقعة هى جبل ووادى الطور.

وهذا تفصيل جغرافى كونى للمجموعة الشمسية...

- ويتلو ذلك القسم الإلهى - فى قول الله تعالى : ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم * إنه قسم لو تعلمون عظيم﴾.

- ومعنى هذا أننا مطالبون بالبحث والتعلم والإجتهاد فى معارف أصل الكون وكُنهِهِ ومواقع النجوم سبيلا إلى معرفة عظمة الخلق وعظيم قدرة الخالق!!

- وهناك من الإشارة الواضحة الصريحة إلى تلمس الخروج من أقطار الارض بحثاً فى أكوان الله تعالى - وبنص الآية الكريمة الواردة بقول الله تعالى:

﴿يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فأنفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾ (الرحمن٥٥: ٣٣)

- والنفاذ هنا مسموح به من رب العزة، أما قيد النفاذ فسلطان العلوم والمعارف الموصلة إلى الآليات والتكنولوجيات التى لها القدرة على الإفلات من مجال الجاذبية الأرضية.. وهيأت البشرية ذلك بالصواريخ متعددة المراحل..

هى ياولدى بمثابة سلسة من التكليفات الإسلامية العقلية العلمية التطبيقية الايمانية البرهانية.. إعمالا لقوله تعالى:

﴿لتركبن طبقاً عن طبق﴾ (الإنشقاق ٨٤: ١٩)

ويذهب البعض لتفسير وإنزال هذه الآية على الأطباق الطائرة، ويفسر البعض الآخر الآية الكريمة على أنها إشارة إلى الصواريخ متعددة المراحل.. والله أعلم بمراده.. والمقطوع به أن الآية الكريمة إذا لم تكن تحمل المعنيين فى آن واحد، فإنها والحال كذلك تشير إشارة واضحة إلى غزو الفضاء الخارجى.. كناتج مادى ملموس لإعمال التكليفات الفضائية!!

- وياولدى! يورد القرآن النص الصريح الدال على مظاهر وتأثيرات غزو الفضاء.. وبأبعد ماوصلت إليه البشرية، وحتى مدخل القرن الواحد والعشرين.. وذلك فى قول الله تعالى:

﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون﴾ (الحجر ١٥: ١٤)

وهذا مؤداه أن المولى سبحانه وتعالى يشير إلى أن النفاذ إلى مالا ندرك بعداً وكيفاً أمر غير متصور خيالا حتى هذه اللحظة، ولكنه وارد باليقين فى مرحلة لاحقة.. ستتشبه فيها مركبات ومستعمرات ورحلات الفضاء.. من الأرض إلى الفضاء والعودة.. بما يشبه خطوط الموصلات الأرضية.. فسبحان الله!! وسبحان الله العظيم - حيث يسبق القرآن الكريم بالإنباء عن غزو الفضاء قبل ظهوره وإعماله بحوالى١٤٠٠ سنة.. حقاً إنه القرآن المعجز تنزيل من رب العالمين..

- وياولدى! إذا كان يحلو للبعض من تسمية هذه المعارف الفضائية والكونية بـ ﴿الآفاق﴾.. وتنشر المجلات العلمية والمتخصصة دولياً فى مجال غزو الفضاء وتحت هذا المسمى ﴿الآفاق﴾.. ولنتأمل قول الله تعالي:

﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ (فصلت٥٣)

- أفبعد هذا ياولدى! لاندرك هذا التكليف الإسلامى.. نلتفت عنه ونتركه ونهمله.. ونعيش هملاً بين الأسرة الفضائية.. ونحن بالآيات ننطق.. نسمع ولا نبصر!!.. وتأمل قول الله ولدى! ﴿أسمع به وأبصر﴾..!!

والآن دعنا نعرض غزو وعلوم الفضاء - المهمة والهدف.. من المنطلقات السلمية النافعة للبشر وللبشرية جمعاء.

٤ - غزو الفضاء فى العصر الحديث

وسألت ابنتى: وما هى طبيعة مهمة غزو الفضاء؟! وما الهدف منها؟!

أجبت: يابنيتى! غزو الفضاء هو ناتج تكنولوجى لتقدم العلوم، وهو مرادف

للتجارب العلمية للعلوم التطبيقية بغض النظر عن النظم السياسية..

فالحروب أدت إلى التشابة فى تملك معداتها، وبالتالى تقاربت المعدات، وقلت الفجوة بينها!! وفى نهاية المطاف فإن التكنولوجيات أذابت الأيديولوجيات.. الشيوعية والرأسمالية.. أى أن التكنولوجيات غلفت وغطت وطمست معتقدات البشر بتوحيدهم فى المهام والاهداف الفضائية.. فلا يوجد غزو فضاء رأسمالي وغزو فضاء إشتراكي.. كمذاهب الإقتصاد..

- ويابنيتى! البشرية يشغلها الزرع والحصاد، وتدبير الغذاء، والكساء والسكن والإنتقال، والنقل والرعاية الصحية، ويشغلها كذلك حصر الموارد وتصنيعها وتسويقها.

- البشرية مهمومة بنظم التعليم والتدريب والتعلم فى جميع بقاع الارض، مضافاً إلى كل هذا أن الفضول المعرفى، والمعارف الثقافية، عظمت من شأن دور الاعلام، والإتصال والتنمية والتغيرات الإجتماعية.

- وأضحى المجتمع رهين بفاعليات الأجهزة - فى الإنتاج، والتعليم والبحث العلمى، والتدفقات التحويلية، ومقدرة الجهاز الإدارى فى الدولة على تنظيم المدخرات الوطنية وتوجيهها للاستثمار، وفتح اسواق تجارية والحفاظ عليها.. مجتمع متوافق الأدوار.. بين الافراد والجماعات والقيادات وحتى السفراء والعلماء والحكماء والقادة.

- وهذا كله لايتأتى الا فى جو من الحرية، وصدق الإنتماء. وقاعدة الانطلاق إلى كل هذه الأهداف تأتى من مذاكرة تراث السلف وتجاربهم وتبسيطها وتطويرها بما يتفق وإفساح المجال للجميع أن يعمل ويبدع!!

- وإن الذخائر الأدبية والإجتماعية والأخلاقية تثرى بالقديم.. وتثرى القديم فى آن واحد.. وأما العلوم التكنولوجية الحديثة فهى تبلى كل يوم وتتطور فى كل لحظة.. وعلى هذا فإن إستنهاض أمة إلى الطريق التكنولوجى.. قد لايأخذ إلا عدة سنوات قليلة.

- والعكس من هذا فإن الإستنهاض الحضارى - أو المسخ الحضارى يأخذ أجيال وأجيال لأن الأبعاد الحضارية تعيش فى وجدان الشعوب.

- والتحدى وتحمل المسئولية - قد يعجلا من الإستنهاض الحضارى. أما الإفلات من براثن الثورة التكنولوجية، فيتاتى بالبساطة الإختيارية، وبلغة أهل الإجتماع التدنى بحدود الإشباع.. مع توظيف الحكمة الإجتماعية فى موضعها الصحيح، بحسب أن الحكمة الإجتماعية لاتتقادم أبداً!!

- كل ماسبق يجعل من الأهمية بمكان.. دراسة القوى والثروات، ودراسة تقويم قوة الثروة - أى قوة الموارد الطبيعية فى الأرض من مناجم ومزروعات، وثروات سمكية، وثروات حيوانية، وظروف وتغيرات مناخية!! وهذا يتطلب البحث فى طرق رصد وتوقع المحاصيل على المستوى الدولى، ومن الأقمار الصناعية التى تجوب العالم.. والبحث عن ما يمكن التوسع فى زراعته، وكذا الأرض التى يمكن إستصلاحها وإستزراعها، وكذا المواقع البحرية التى يمكن زراعتها وصيدها..

- ويابنيتى! هذا هو الناتج والحصاد من وراء إعمال التكليف الإسلامى ببث فعاليات برامج غزو الفضاء!!

- عادت تسأل وكيف يتم وضع برامج الفضاء هذه؟!

- أجبت يابنيتى! النسخ والنقل هنا واجب.. لنقلب قليلا فى أحد هذه البرامج لوكالة ناسا للفضاء، وبالتالى نعيش ونتعرف على طريقة التفكير الأمريكية - حول غزو الفضاء!! - السبب والمهمة.. والهدف - التنمية، والقوة!!.. ونبدأ القصة من أولها يابنيتى!

٥ - الأقمار الصناعية

- تولدت يابنيتى! قصة الأقمار الصناعية بالخيال العلمى اليونانى للكاتب لوسيان بتصوره رحلة إلى القمر.. تلاه الفرنسى جول فيرن ١٨٦٥م بقصة أخرى خيالية حول الموضوع متصوراً السفر داخل كرة جوفاء.. وجاء العلماء الروس ليعطوا فكرة إطلاق الصواريخ.. ومع حلول الحرب العالمية الثانية أنتج الألمان العديد من الصواريخ، وما أن وضعت الحرب أوزارها حتى أنتج الأمريكان والروس الصواريخ.. إلى أن أطلق الروس أول قمر صناعى سنة ١٩٥٧م بإسم سبوتنك.. وتطورت وتسابقت الدول الكبرى فى صناعة الأقمار الصناعية، وتمكن الروس من إرسال أول رائد فضاء روسى سنة ١٩٦١م - يورى جاجارين.

- وفى سنة ١٩٦٨م تطلق الولايات المتحدة الأمريكية مركبة الفضاء أبوللو٧ وعليها ثلاث رواد والتر م. شيرا، ودون. ف. إيسيلى، ور. والتر. كانينجهام وأكملت ١٦٣ دورة حول الأرض.. تلتها أبوللو ٨ فى ٢١ ديسمبر ١٩٦٨م وعليها ثلاث رواد أيضاً فرانك بورمان، وجيمس لوفيل، ووليم أندريرز. ودارت عشرة دورات حول القمر.. وفى ٣ مارس ١٩٦٩ تنطلق أبوللو ٩ وعليها الرواد جيمس ماكديفيت، ودافيد سكوت، وراسل شويكارت. وإنفصلت المركبة المدارية، ودارت ١٥٦ دورة

حول الأرض، ومشى شويكارت فى الفضاء.

- أما أبوللو١٠ فأطلقت فى ١٨ مايو ١٩٦٩ - وعليها توماس ستافورد، ويوجين سيرفان، وجون يانج.

- وفى اليوم التاريخى ١٦ يوليو ١٩٦٩ أطلقت أبوللو ١١ وعليها نيل أرمسترونج، وأودين الدرين، وميشيل كولليتز وهبط الأول والثانى على سطح القمر، وأمضيا ٢١ ساعة و٣٨ دقيقة على سطح القمر وأعادو عينات من التربة القمرية وصخور البازلت القمرية.

- وتتابع برنامج أبوللو ١٢ فى ١٤ نوفمبر ١٩٦٩، وأبوللو ١٣ فى أبريل١٩٧٠، وأبوللو ١٥ فى يوليو ١٩٧١ وعليها دافيد سكوت، وجيمس أيرون، والفريد ويردون.. وتجولا سكوت وأيرون لمسافة ٢٤ كيلومتر بسيارة لاندروفر وثبتوا جهاز لقياس الحرارة، وجمعوا مختلف الصخور المتعددة من منخفض هاوى ريللى ومن جبال أبنين.

- وفى ١٦ أبريل ١٩٧٢م أطلقت أبوللو ١٦ وعليها جون يانج، وشارلز ديوك، وتوماس مايتنجللى. وقاما يانج وديوك بأول نزول على المرتفعات القمرية، وتجولا بعربة لاند روفر، وجمعا صخور ثمينة من الجبل الحجرى، وفجوة نورث راى.

- وأما رحلة أبوللو ١٧ فى ٧ ديسمبر ١٩٧٢م، وعليها الرواد الثلاثة يوجين سيرفان، وهاريسون شميث، ورونالد أيفانز، وهى آخر رحلات أبوللو وكانت لمسافة طويلة على سطح القمر فى سيارة لاند روفر القمرية عبر وادى (ليترو) وجمعت صخور بازلتية من قاع الوادى وبراشيا من التلال القمرية وجمعت الصخور البرتقالية وثبتت جهازاً ثانياً لقياس الحرارة.. والتأكد من تدفق الحرارة القمرية العالية.

- ولا شك أن الدافع الحقيقى وراء نجاح برامج الفضاء - هو شدة المنافسة بين أمريكا وروسيا.. ففى الوقت الذى نجح فيه الروس ولأول مرة فى التاريخ يوم ٤ أكتوبر ١٩٥٧م بإطلاق قمر صناعى إلى الفضاء الخارجى، وتلاه بعد عام أن تمكن الروس من تحقيق نجاح آخر فى برنامج لونا بالتحليق فى الفضاء الكونى. وعقبه فى ١٢ أبريل ١٩٦١م رحلة أول رائد فضاء يورى جاجارين فى سفينة الفضاء فوستك.

- وتبع ذلك حوالى٢٠٠٠ مركبة فضائية بإجمالى وزن حوالى٥٠٠٠ طن - دفع بهم إلى الفضاء بواسطة الروس من أكتوبر ١٩٥٧م وحتى ١٩٨٥م، ومن هذه الالفى مركبة فإن ستين رحلة إلى القمر والمريخ والزهره. وحوى البرنامج الروسى

سفر٦٠ رائد روسيا وتسعة من الدول الإشتراكية ورائدين من فرنسا والهند - وهذه كلها مؤشرات تدل دلالة واضحة على الأهمية من وجهة نظر عريضة لمعرفة واستكشاف الفضاء.

- ونشير هنا إلى أن الأمريكان قد تفوقوا تفوقاً مدهشاً ومنذ إنشاء الإدارة القومية للطيران والفضاء (ناسا) فى ١٩٥٨م وبقرار من الرئيس الأمريكى ايزنهاور. ونجح البرنامج المركز لميركيرى وجمينى ولأبللوا نجاحاً عظيماً - بسبب تفوق الأمريكان فى صناعة الصواريخ.

- وفى سياق التقويم العلمى لمجهودات وكالة ناسا للفضاء كتب دون باترسون يقول: (إن الفوائد الجوهرية التى نتجت عن الجهود الأمريكية فى الفضاء هى حتى الآن فوائد علمية، فقد إكتسبت علوم الفلك والفيزياء الشمسية والإستكشاف مكاسب جمة، وحدد الفلكيون وصنفوا عدداً كبيراً من مصادر الأشعة فوق البنفسجية وأشعة إكس وجاما، كذلك اكتشفوا نجوم الكواسار - والبولسار - وتوصلوا إلى نظريات جديدة أحياناً ما كانت تثير الجدل حول أصل وشكل قوانين الكون، وبالبحث فى الفيزياء الشمسية تكونت فروض حول تكوين وطريقة عمل الشمس وعلاقتها بباقى العناصر الفلكية، وقد قاد البحث فى الفيزياء الفضائية إلى اكتشاف أحزمة (فان ألن) والغلاف الأيونى المشع، وهالة الشمس الأيدروجينية، والبلازما، والمجال المغناطيسى، وصدمات الإلتواء، والذيل المغناطيسى والإشعاعات المحبوسة، والرياح الشمسية، والمجال المغناطيسى لما بين الكواكب، وإن اكتشاف القمر والكواكب قد عاد بكنز من المعلومات العلمية الجديدة).

- يابنيتى! إن مقدار التقدم العلمى عن أول نشاط فضائى منذ ٣٢ سنة (١٩٦٠م - ١٩٩٢م) لانظير له فى الغالب فى أى فترة مماثلة فى التاريخ البشرى.. ومن سوء الحظ فإن هذا التقدم إحتاج إلى وقت طويل لكى يؤثر فى حياة رجل الشارع الذى لم يتحمس له.. وإن الوظائف الطاغية لاستمرار نشاط بحوث الفضاء من المحتمل ألا تكون علمية فى طبيعتها.

- ولاشك أن البشرية تحتاج إلى نظرة جديدة شاملة حتى تستطيع التعامل مع مشاكل السكان، وتضاؤل الأرض والمعادن والماء، وكذلك مع البيئة التى تنقرض ببطء. ولا شك أن مراقبة الأرض لابد أن تحدد هندستها وخواص السطح وصفاته، وخواص جسمها الديناميكى، وتفتح الطريق أمام فهم فيزياء الطقس والتنبؤ بالأحوال الجوية، وتعديل الجو!! وإدارة المصادر الطبيعية والبيئية ..

- ذلك بالإضافة إلى شبكة الإتصالات العالمية الإقتصادية، وأقمار الأحوال الجوية، والتى تجمع معلومات عن السحب مما يساعد على تكهنات بالطقس تتسم بالدقة. كما وإن المراقبة الحرارية تساعد على التنبؤ بالزلازل المدمرة.

وأن النظر إلى الأرض من الفضاء يحقق العديد من الفوائد الإجتماعية والسياسية - وكان من نتائج الوفاق الدولى فى مجال غزو الفضاء ذلك الإلتحام الذى تم فى ١٧ يوليو ١٩٧٥م بين سفينتين فضائيتين روسية وأمريكية فى الفضاء وعلى بعد ١٣٨ ميل من سطح الأرض.

٦. مكوك الفضاء

- أما برنامج مكوك الفضاء الامريكى يابنيتى! وما تبعه من إلحاق معمل الفضاء (سكاى لاب) والذى هو عبارة عن مشروع معملى تعاونى بين الدول الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية، فيستخدم إستخداماً تعاونياً تعويضياً، بين وكالة ناسا ووكالة الفضاء الأوربية.

٧. تلسكوب الفضاء

- يضاف يابنيتى! إلى برنامج المكوك الفضائى مشروع تلسكوب الفضاء والذى يدق على إرتفاع٥٠٠ كيلو متر (٣٠٠ميل) فوق سطح الأرض لملاحظة الموجات الطولية فى جزء الأشعة الفوق بنفسجية ودون الحمراء للطيف. وهذا يتيح مراقبة أفضل لظواهر الجو والسطح فى الكواكب الأخرى. ويعمل هذا التلسكوب لمدة عشرين سنة دون حجاب من الغلاف الجوى الأرضى، وهناك مكنة للتردد على التلسكوب للصيانة والأصلاح، وسحبه الى الارض للتجديد إذا لزم الأمر.

- والبيانات الهندسية للتلسكوب هى على النحو التالى : قطر المرآه ٤و٢ متر، الوزن١٥٠٠٠ رطلا، الطول ٤٥ قدماً، القطر الكلى ١٥ قدماً. مصدر الطاقة الشمس فى المواجهة معها، والبطاريات حال مايكون فى جانبه المظلم. ويلتقط الصور ويرسلها إلى الأرض.

٨٠ برنامج مكوك الفضاء ٨٠:١٩٩٢م

- ويابنيتى! يذكر الدكتور جيمس س، فلتشر - بوكالة ناسا لبحوث الفضاء فى مقاله العلمى المنشور تحت عنوان (الإنسان يغزو الفضاء الجبهة غير المحدودة).. راجع (إلى أطراف الكون) - كتاب - دون دى نيفى - الناشر دار الوعى العربى ١٩٨٢م.. فيقول:

﴿.. لقد وجدنا أن الفوائد التى يمكن أن يحققها (مكوك الفضاء).. برنامج مكوك الفضاء الأمريكى يخالف برنامج الهبوط على سطح القمر، أو المريخ، وبرنامج المكوك ذو طبيعة علمية جغرافياً وجيولوجياً وفيزيقياً وكونياً.. خلال فترة إستخدامه بين: ١٩٨٠:١٩٩١م ستقدر قيمتها بنحو مليار دولار فى السنة، ومعظم المزايا ستعمل على تخفيض تكاليف الحمولة وعلى إعادة إستخدامها وسيحقق المكوك أيضاً وفراً قيماً فى النقل..﴾

- وجاء يابنيتى! فى تقرير واف لناسا بعنوان (نظرة تطلع إلى الفضاء) أعدته مجموعة خاصة للدراسة من علماء الفضاء والإقتصاد وحددوا فيها مساهمات معينة يستطيع المكوك أن ينجزها فى السنوات الخمس والعشرين القادمة لمواجهة إحتياجات الشعوب والدول، ومجموعة واحدة من هذه المساهمات (النشاطات الأرضية الموجهة إستجابة للحاجات البشرية)،

مصادر الغذاء والغابات:

* التنبؤ بإنتاجية المحاصيل للكرة الأرضية،
* التنبؤ بوجود الماء،
* إستخدام الأرض والإلتزامات البيئية الواجب مراعاتها،
* تحديد المصادر البحرية الحية،
* حصر الأخشاب
* تحديد مناطق الرعى،

البيئــــــة:

* التنبؤ بالجو على نطاق واسع،

* تجارب تعديل الطقس.
* التنبؤ بالطقس.
* التغيرات التى تطرأ على الجزء الأعلى من الجو وتأثيراتها.
* التحكم فى نوعية المياه.
* التنبؤ بالأحوال الجوية فى بحار العالم.

الحياة والممتلكات:

* الجو المحلى والعواصف الهوجاء.
* التحكم فى ملوثات طبقة الجو السفلى.
* إخطار التنبؤ بالجو بالمقاييس الوصفية.
* الإتصالات الملاحية.
* التنبؤ بالزلازل.
* التحكم فى الحشرة الضارة.

الطاقة وإستكشاف المعادن:

* محطات قوى شمسية فى الفضاء.
* إرسال الطاقة عن طريق الأقمار الصناعية.
* التخلص من المخلفات الخطيرة فى الفضاء.
* أطلس جيولوجى عالمى.

نقل المعلومات:

* الإتصالات المحلية.
* الإتصالات بين القارات.
* الإتصالات الشخصية.

الأغراض العلمية والتجارية:

* الفيزياء والكيمياء الأساسية.
* علم المواد.
* العمليات التجارية غير العضوية.
* بحوث المواد البيولوجية وتطبيقاتها.
* أثر الجاذبية على الحياة الأرضية.

* الحياة والعمل فى الفضاء.
* عمليات وظائف الأعضاء والأمراض.

علم الأرض:

* مجال الأرض المغناطيسى.
* ديناميكية القشرة الأرضية.
* باطن المحيط وديناميكيته.
* ديناميكية وأنشطة الجو السفلى.
* تكوين وكيمياء وديناميكية الطبقات الجوية العليا والطبقة التى على إرتفاع ٢٥٠ ميلا من الأرض.
* الإرتباط بين الغلاف الجوى الأيونى والمغناطيسى.

- ويا أحباب! هذا البرنامج يرينا أن القسم الأعظم منه ذو طبيعة جغرافية وجيولوجية.. جوية وأرضية.. وربما أتاح ذلك للولايات المتحدة الأمريكية معرفة القوى المتاحة، وبالموارد الطبيعية لكل دول العالم - شرقاً، وغرباً، وشمالاً، وجنوباً. ومعرفة الولايات المتحدة الأمريكية لذاتها.. وهذا يسر عليها قيادة العالم من مكمن معرفة قوى الذات، ومعرفة قوى الآخرين، وفى آن واحد.. فى آن واحد!!

- وهذه هى القيمة الحقيقية من وراء غزو الفضاء وعائده الطبيعى لمن أتيح له تسخير العلم، والموارد لخدمة أهدافه.

- وربما يعطينا هذا ذلك تغذية إرتجاعية هامة لمدى حرص الولايات المتحدة الأمريكية على منطقة الخليج العربى، ومن واقع المعرفة التفصيلية، لمكمون الثروات، ولقيمتها، ولتأثيراتها، ولمستقبلياتها على شعوب المنطقة، وعلى العالم أجمع!!

- ترى ياترى لماذا كانت حرب الخليج..؟!

- ولماذا تتذبذب نتائجها أمامنا..؟!

وماذا خفى علينا من الأسباب والغايات؟!

وهذا ماسوف يجيب عنه التاريخ، ولكن بعد عقود من الزمان!!

لكن مايطرح من أسئلة أساسية فى الموضوع:

- ما هى الدوافع العراقية وراء حرب العراق إيران؟!

- وما هى الدوافع وراء حرب العراق الكويت ؟!
- وماذا عن مستقبليات تقسيم العراق؟!
- وهل هناك ربط بين مشاكل أذربيجان أرمينيا؟! ومشاكل أكراد تركيا وأكراد العراق؟!
- وماذا عن الأوضاع على إمتداد خط الخليج العربى العراق - تركيا الحدود الارمينية الأزربيجانية؟!
- وما أثر وتأثير كل هذا على تهويد إسرائيل؟!
- وهل الأردن فى طريقها للعلمنة بعد حرب الخليج؟!
وإذا وسعنا دائرة الأسئلة فى الإطار الدولى فتتداعى التساؤلات التالية:
- ماهى مستقبليات العمل الأسيوى الافريقى؟! وخاصة ماهو دور دول النهضة الصناعية الأسيوية اليابان وكوريا وسنغافورة؟! وما دور غيرها من دول نادى الضباع الإقتصادية؟!
- وما هو مستقبل العمل الإسلامى للدول الناطقة بالعربية؟!
- وما هى مستقبليات الدول التى تدين بالإسلام ولاتنطق بالعربية؟!
- وما مستقبل العمل العربى المشترك وتأثيراته وتأثره بالعمل الإسلامى من ناحية، والعمل الأسيوى والأفريقى من ناحية أخرى؟!
- وأخيراً ماذا عن أوربا الموحدة ودورها فى النظام الدولى الجديد؟!
- وماذا عن الدور الوصائى العالمى للولايات المتحدة الأمريكية؟!
- وماذا عن العداء المتنامى ضد الإسلام فى الغرب وفى الشرق على حد سواء؟؟
- وهل تعود البلقان مسرحاً لحرب عالمية ثالثة وقودها المتسرسب من المسلمين؟؟
- هل نستطيع الفكاك من مؤامرات النزاعات الإقليمية والحدودية والمذهبية والدينية؟؟
- هل ننجح فى إعادة ترتيب البيت العربى والكيان الإسلامى الكبير؟؟
- هى يا أحباب! تساؤلات ولكنها بإيقاعات سريعة!! وهذه هى قيمة الزمن وتأثيراته!!
- وهذا السباق حول منطقة واحدة فى العالم، ويظهر قيمة العلم، وقيمة الزمن وقيمة عوائد غزو الفضاء وفعالياتها للبشر أثراً وتأثيراً وتأثراً.. والله أعلم!!

٩· الأرصاد الجوية وعلوم الفضاء!!

- وسأل ولدى! وما علاقة الأرصاد بعلوم الفضاء؟!

- أجبت: ياولدى! الأرصاد على نوعين: أرصاد جوية وأرصاد بيئية·· فهناك هيئات ومؤسسات لها أساليبها فى رصد حالات الجو فى بقعة ما، وتتكامل معلوماتها بالإتصالات السلكية واللاسلكية، لرصد حالات الجو فى مساحة أكبر وأكبر - حتى أنها قد تتعاون على مستوى القارات والمنظمات الدولية بقصد التنبؤات الجوية المبنية على معلومات متكاملة، وذلك يتم بعد معالجة كافة البيانات التى تدخل فى هذه النظم·· ونتائج هذه النشاطات على المستويين المحدود والدولى هو التنبؤ الجوى، وقياس إرتفاع الشمس، وقياس طبقة الأوزون، وطاقة الرياح، والتنبؤ بالأمطار، وتوقع العواصف والأعاصير·

- ولكن ياولدى! هذه الإجتهادات والأداءات والفعاليات تحتاج الى نظم مركبة ومعقدة فى طبيعتها وفى طبيعة برامجها التى تستخدم الحاسبات الآلية فى معالجة بياناتها وتوقعاتها ولكن وبدون شك تزداد الدقة والفعالية بالرصد الفضائي·

١٠· الأرصاد البيئية

- وأما الأرصاد البيئية ياولدى! فيقصد بها قياس حالات البيئة فى ثلاث محاور رئيسية : تلوث الماء، وتلوث الهواء، وتلوث التربة· ولكى يتم ذلك وبدرجة معقولة من الضباطة فيقسم القطر تقسيماً طولياً، وعرضياً ولمسافات بينية طولية، وعرضية معقولة· ويوضع عند نقاط التلاقى الطولى والعرضى نقاط رصد لمختلف المكونات، أولبعضها وتربط هذه النقاط بمراكز تجميع جغرافية، فمركز تجميع قومى· ويغذى الأخير بمعلومات التقاسيم الأدنى عن تلوثات الماء والهواء والتربة·· وذلك يتيح التعرف على المؤثرات على فساد البيئة الأرضية أوالمائية، أو الهوائية· وغالباً ما تعطى لهذه المراكز وبالتالى لتقاسيمها الإدارية الأدنى إمكانيات وصلاحيات الضبط القضائية لإيقاف أى نشاط من شأنه إفساد الموقع الجغرافى بادى النشاط بالتلوث، والذى يؤثر بالضرورة على سواه من النشاطات، وإن لم يكن على غالبها، أو كلها·

- ولهذه الأرصاد البيئية أهمية قصوى، ووجودها ضرورة قومية، وضرورة حياتية

فى أن واحد، إلا أنه يعتريها القصور، لأنها مهما صممت بدقة عالية فى دولة ما فتظل فى حاجة إلى تكاملية مع الجيران، وفى سلسلة مترابطة ومتشعبة.

وحل هذه المشكلة فى عمومتها لايتأتى إلا بالرصد الفضائى، ومن أبعد النقاط الممكنة، وصولاً إلى الشمولية فى الرصد، وفى النتائج فى آن واحد!!

- زد على ذلك أن للرصد الفضائى مكنة الرصد والاستكشاف الجيولوجى التعدينى والمائى!!.. وتضاف مكنته فى التحكم فى الحشرات الضارة والنافعة!!.. بالإضافة إلى المستهدف من الرصد الفضائى.. على غرار ما شمله برنامج وكالة ناسا الأمريكية.. سابق الاشارة إليه.. وبالطبع فإن هذا بعض من البرنامج السلمى!!.. ولاشك أن هناك من البرامج ذات الطبيعة السرية والقومية والعسكرية التى تحددها إستراتيجيات الدول صاحبة البرامج الفضائية.

ونحن المسلمون مكلفون شرعاً بالقيام بكل هذه النشاطات الحيُاتية.. إن سلماً وإن إستنهاضاً لقوة ذاتية فى شتى مجالات الحياة.. ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة زمن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾.. وإن إستنهاضاً لإرادة الحياة وعزها!!.. ﴿فالمؤمن القوى خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف﴾!!.. والإستغلال الأعم والأشمل.. هو ذلك الذى يدخل ضمن النشاطات التجارية.. مؤجرة أومملوكة.. خاصة فى نشاطات الإتصالات والبث الإعلامى.. وهذا هو ضمن الإستغلالات الإقتصادية ذات الطبيعة المتسمة بالعرض والطلب!!

- وجل جلال الله القائل عنهم: ﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون﴾.. وجل شأنه القائل عنا: ﴿لتركبن طبقاً عن طبق﴾.

وسبحانه جل شأنه، علام الغيوب فيما خفى علينا، وفيما يكشف الله تعالى للبشر بإعجازات القرآن يوماً بعد يوم!!

١١. الأرض من الفضاء!!

- سألت ابنتى: وكيف يرون الأرض من الفضاء؟!

- أجبت: يابنيتى! يقول الله تعالى:

﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون، لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾ الحجر١٤: ١٥.

- ويتحقق غزو الفضاء.. ويصعد الرواد.. وينقلب الانطباع السائد عند

العامة٠٠ فالسماء التى نراها فى صورتها الخلابة الجميلة٠٠ تنقلب إلى سواد فى سواد فى طبقات الجو العليا٠٠ وأرضنا السوداء تبدو زمردية زرقاوية٠٠ عكساً بعكس٠٠ كالسكران٠٠ وكالمسحور!!

- إنه فى البداية اللامصدق واللامنتظر واللامعقول لرواد الفضاء الأوائل٠٠ ويورد الدكتور مجد المخزنجى قول رائد الفضاء الروسى شتالوف: (كان يدهشنى دائماً غلاف الأرض الجوى الذى بدا لى وكأنه لا نهائى ولا محدود ولكننى أكتشفت - من الفضاء - أن الغلاف الجوى للأرض رقيق للغاية ومثير للتساؤل٠٠ وكيف يستطيع ذلك الغلاف حمايتنا من الأشعة الكونية المميتة ومن سيل شظايا اللهب والنيازك، كيف يمكن توفير الهواء اللازم لتنفس المليارات العديدة من سكان الأرض؟؟ وهل سيكفينا هذا الهواء٠ لمدة طويلة؟ لكم هو مريع أن يؤذى، ولو بقدر ضئيل، هذا الغلاف الرقيق الواقى للحياة)٠ ١

- ويصف رائد الفضاء أوجار ميشيل الأرض من فوق القمر بقوله: (من وراء خط أفق القمر، وبحر مخطة طويلة جليلة، تصعد مضيئة جليلة لؤلؤتنا البيضاء المشعة بالزرقة، تصعد بالتدريج صغيرة فى بحر من الظلمة المدهشة٠ وتمر اللحظة مديدة حتى يدرك الإنسان أن هذه هى٠٠ الأرض٠٠ بيتنا)

- ويصف الامريكى "جيمس أورين" الأرض من فوق القمر بقوله "ذكرنى منظر الأرض وهى معلقة فى ظلمة الفضاء بحلية شجرة عيد الميلاد وكنا كلما ابتعدنا عنها يقل حجمها رويداً رويداً حتى تصبح فى النهار بحجم كرة مرمرية صغيرة هى أجمل مايمكن تخيله٠ وتبدو تلك الكرية، الدافئة الحية المدهشة، رقيقة وهشة حتى تخال أنك لو لمستها بأصبعك لتهشمت وتساقطت بددا) وراجع هذا القول فيما سبق أن أوردناه فى شرح سورة النور الأية ٣٥٠

- ويقول إيرلس لانام فى كتابه الكوكب الزمردى فى وصف الأرض: (فلا عجب أن يطلق على كوكبنا وصف الكوكب الزمردى أى الكوكب الذى أكتسب لون الأصفر الأزرق المشوب بالخضرة، والصور الأولى التى إلتقطها رواد الفضاء للأرض فى رحلة الهبوط على سطح القمر أزهلت العلماء، وصورت الأرض فى صورة كوكب وردى مشرق كالدرة الزرقاء تحيط به سحب بيضاء لامعة من بخار الماء)

وتأملوا قول الله تعالى: ﴿لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾

ونحن على عكس من هذا الخلق وهذا التسخير الكونى نفسد فى الأرض ونعبث٠٠ ولكنها إرادة الله : ﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة

١- مجلة العربى - العدد ٤٠٢ - مايو١٩٩٢٠

قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم مالا تعلمون﴾ (البقرة ٢:٣٠)

- وما يعنينا برؤية الارض من أعلى نقطة ممكنة فى الوجود هو خدمة الاغراض العلمية فى مجال الموارد الغذائية والمائية والتعدينية والبيئية والمناخ والطاقة والخواص الطبيعية للأرض ولغلافها الجوى.. ناهيك عن ذلك الربط الممتع للكرة الارضية كلها بشبكة إتصالات فائقة الدقة بفضل محطات الربط القضائية.

- ولقد خطت جمهورية مصر العربية خطوة جادة بإصدارها الأطلس الجغرافى عن مركز الاستشعار عن بعد.. ونرجو من وراء ذلك برامج تنفيذية مطورة فى النشاطات التعدينية والزراعية والعمرانية والسكانية والسياحية والصناعية.

ونطمع فى نشاط تنسيقى فى هذا المجال بين الدول العربية والاسلامية.. بما يشبه بنوك المعلومات المطورة لشتى نشاطات الحياة.

- ولعل الربط الاتصالى الفضائى يوجه بتنمية وتدريب تنموى حضارى إعمارى ثقافى.. لنلحق بركب الحضارة البشرية.. مشاركين ولو بنصيب متواضع فى الاسهامات المعاصرة..

- والجامعة العربية مطالبة قبل غيرها من المؤسسات بتأسيس وكالة عربية إسلامية لبحوث الفضاء..

١٢. الكون والعلم الحديث

- سأل ولدى: وماذا عن الكون فى العلم الحديث؟!

- أجبت: ياولدى! الكون مكون من مجموعة كبيرة من المجرات العظمى.. والمجرة العظمى مكونة من مجموعة من المجرات.. والمجرة مكونة من تجمع من آلاف بل ملايين النجوم.. ولكل نجم مجموعة من الكواكب.. ولكل كوكب (يحتمل) وجود قمر، أو مجموعة أقمار تدور حول الكوكب.. وينتشر فى الفضاء الكونى مجموعة هائلة من الشهب والنيازك.. وهذا التسلسل الكونى من الأكبر إلى الأصغر يسمى المتسلسلة الكونية. ولاتمثل مجموعتنا الشمسية منها إلا قدر ضئيل جداً جداً من الحجم والاشغال الكونى فى خلق الله.

- ومجموعتنا الشمسية المتناهية فى الصغر فى الكون هى.. النجم - الشمس.. الكواكب - عطارد، الزهرة، الأرض، المريخ، المشترى، زحل،

أورانس، نبتون، بلوتو، ومجموعة من الكويكبات، والتوابع (الأقمار)، والمذنبات.

والشمس - نجمنا القريب يضيء ذاتياً.. أما الكواكب والأقمار الأخرى فتضيء نتيجة انعكاس ضوء الشمس عليها.. وبدون طاقة الشمس الحرارية والضوئية تستحيل الحياة على الأرض بتاتاً.. ولايوجد دليل قطعى بوجود حياة ذكية فى المجموعة الشمسية حتى الآن!! وتدور كواكب وكوكبيات المجموعة الشمسية حول الشمس.. أما الأقمار فكل يدور حول كوكبه. وبدوران الكوكب حول الشمس دورة كاملة - تكون الفترة الزمنية هذه - السنة الكوكبية، والتى تخص هذا الكوكب، ودوران الكوكب دورة كاملة حول نفسه - فالفترة الزمانية لهذه الدورة هى اليوم لهذا الكوكب.

- وياولدى! ينتج عن حركة الثلاثية الكونية: الشمس، والأرض، والقمر - المد والجزر، والكسوف والخسوف، كظواهر كونية..

- والكون كله فى حركة دائمة.. وأما الظاهر من النجوم فترجع لدوران الأرض حول نفسها.. ودرجة إضاءة كل نجم - دلالة على بعد النجم عن الأرض.

- ومعلومات البشر عن الكون - بادئة.. وتزداد كل يوم.. وللاتساع الكبير للكون فإن وحدة القياس للمسافات هى السنة الضوئية وتساوى حوالى ٥ر٩ مليون مليون كيلو متر.. ووحدة قياس السرعة هى سرعة الضوء وتساوى حوالى ٣٠٠,٠٠٠ كيلو متر فى الثانية (وبهذا تكون السنة الضوئية هى المقياس المسافاتى الفلكى - حال السير - ولمدة عام، وبسرعة الضوء).

- وحتى الآن لم يحسم العلماء إشكال هل الكون مفتوح؟! أم أن الكون مغلق؟!

١٣. المجرات والعلم الحديث

- وياولدى! لا أحد يستطيع أن يجزم وبإجابة قاطعة عن بدء تكوين المجرات الكونية!! ولا توجد نظرية علمية استقرائية قاطعة ومقبولة من الناحية النظرية لتكوين المجرات ويضاف أنه لا بالرصد الأرضى، ولابأحدث، ولابأكفأ المراصد.. ولا بالرصد الفضائى، ولا من خلال المراصد الفضائية تمكن أحد من تحديد ماهية المجرة، والتى بها شمسنا، ومجموعتها الكوكبية، وهى مجرة درب التبانة!!.. وكل ماهو متفق عليه الآن الحدود الدنيا من المعلومات العامة بحسب أن قطر مجرتنا، بما فى ذلك أذرعها الدورانية - مائة ألف سنة ضوئية، وبينما سمكها٦٠٠ سنة ضوئية.

- ويتوقعون أن الكتلة الغازية لمجرتنا كانت على هيئة كرة تدور حول نفسها، ثم مالبثت أن دارت حول نفسها بفعل التأثير الجذبى التثاقلى الذاتى، واستمر ذلك الجذب حتى تعادلت قوى الجذب مع ضغط الغاز الحار والقوة الطاردة الناتجة عن الدوران، وتوقف التجمع بعد ذلك، وتسطحت سحابة الغاز خلال ذلك بسبب انخفاض عزم الحركة الزاوية، وأما سدم المجرات الاخرى والتى بدأت بسرعات دورانية منخفضة فقد حافظت على شكل أكثر كروية وهى المجرات الأهليلجَية وبقيت النجوم القديمة خلال التقلص فى المنطقة الكروية السابقة، وهى المعروفة باسم الهالة ولا زالت هذه النجوم تحتل الهالة ومركز المجرة.

١٤. رفع السماء والعلم الحديث

- ونعلم ياولدى! أن المجرات فى مجموعها مكونات أساسية للكون.. وقد أعطت المراصد - الأرضية، والفضائية - والتى تعمل فى جو غير مترب أو معتم بالضباب - المكنة من الكشف عن بعض معالم المجرات.. فتتكون المجرة الواحدة من بلايين النجوم (الشموس)، وتعد المجرات بالبلايين، ونجوم كل مجرة بالبلايين يعطينا تصور ويصيب الإنسان بدوار من عدد وتعداد النجوم والشموس فى الكون!! ياسبحان الله العظيم.

- وما الفكرة (ولا أقول العلم) عن الكون إلا نماذج رياضية وفلكية فرضية فى تغيير وتبديل مستمر - كل يوم - وكل عام ومع كل جديد ودقيق فى الرصد البشرى.

- ومن أحدث ماقيل فى العلوم الكونية أن المجرات موجودة فى الكون مجتمعة على هيئة عناقيد ضخمة، وكل عنقود منها (أو مجموعة عناقيد) - تشمل ملايين المجرات موزعة - فراغياً، وكونياً - على هيئة فقاعات.. وهذه الفقاعات أشبهوها ومثلوها برغاوى الصابون فى إناء الغسيل.

- وذهبوا إلى أبعد من ذلك حديثاً، ليتصوروا، ولينقلوا لنا، أن هناك مصفوفات من المجرات متباعدة وبمسافات تقدر بملايين السنين الضوئية.. وراحوا يؤكدون ويروجون لمجموعة من المجرات المركزة وبكتلة مركزة سموها (الجاذب الأعظم) بخواص تجاذبية عالية جداً - لدرجة أنه من القوة بحيث يسحب مجرة التبانة وغيرها من المجرات الكونية القريبة فى اتجاهها.

- ومن مقولات الفيزيائى الفلكى أدموند بيرتشينفر - معهد ماساشوتسس للتكنولوجيا (إن عناقيد المجرات الضخمة، وسرعات السلاسل العنقودية المجرية

نطاقها كبير، وجاذبها عظيم ـ، وهو مارصد فى عام ١٩٨٨، وربما يحدث ذلك أزمة للنظريات الكونية٠٠ ويدفع ذلك الجميع إلى تعلم شىء جديد عن الكون) ومن العجيب أن هذا القول قيل عام ١٩٨٨!!

ـ والآن تدرس هياكل ضخمة لتوزيع المجرات٠٠ وتعنقد المجرات تاركة وراءها مايشبه الفراغ الشاسع، وهل لنا أن نتصور أن ماتم رصده بالفعل يبين المجرات فى خرائط الكون الحديثة ـ الثلاثية الأبعاد ـ أن كل ماتشغله عناقيد المجرات لايزيد على١٠٪ فقط من الكون٠٠ فى حين أن ٩٠٪ الباقية تتكون من فراغ مظلم يشبه فقاعة فارغة تقريباً عرضها أكثر من مائة مليون سنة ضوئية،

والمثير للدهشة والعجب أن العناقيد المجرية تتجمع فى عناقيد فائقة الضخامة والأخيرة تتجمع فى هياكل أضخم وأضخم ـ تعرف بالمجمعات العنقودية،

ـ ويطلع علينا فى ١٩٨٨ الفلكى برفت تولى ـ معهد الفلك جامعة هاواى، بعثوره على دلائل تفيد بأن مجرتنا سكة التبانة ـ جزء من مجمع عنقودى فائق الضخامة وأكبر مائة مرة من أى هيكل سبق معرفته!! ـ ويشمل ملايين المجرات الممتدة على١٠٪ عبر ماتم رصده من الكون (١٠٪ من الكون فقط)٠٠ ويستطرد مؤكداً أن توزيع المجرات ليس عشوائياً فى جميع أنحاء الكون!! ولكنها متعنقدة بطريقة لم تتوقعها النظريات التقليدية الحالية المعروفة لتكوين المجرات!!

ـ أضف ياولدى! أن مجموعة من هيئة كبار العلماء الفلكيين الأمريكيين والبريطانيين قد قرروا بأنه فى الإجمال (وبعد نظرية بير تشينفر عن الجاذب الأعظم ـ ١٩٨٦) أن عناقيد المجرات الصغيرة، والكبيرة، ومن ضمنها مجرة سكة التبانة ـ تتجه من كل اتجاه نحو نقطة واحدة فى السماء بسرعة٧٠٠ كيلو متر فى الثانية ولمئات الملايين من السنين الضوئية!!

ـ والمستفاد من هذا العرض ـ أن الرصد الفلكى الحديث يقلب النظريات الفلكية الكونية المعيارية القديمة رأساً على عقب٠٠ ـ للتضارب الضخم بين هذه النظرية وبين القيم المرصودة فعلا وواقعاً رصداً حديثاً٠

ـ ويتوصل العلم الحديث عن (خيوط كونية) غريبة٠٠ فقاعات وخيوط وفراغات ضخمة فى الفضاء ـ جيم نولار ـ مقال علمى ـ المحرر العلمى لوكالة الإعلام الامريكية٠٠ لأنه ليس لها نهايات، بل هى موجودة فى حلقات مقفلة أو ممتدة إلى مالا نهاية، وهى رقيقة جداً، أرق من الجزىء الذرى، ومع ذلك فهى من الضخامة لدرجة أن سنتيمترين من الخيط قد يزنان ١٠,٠٠٠,٠٠٠ مليون طن على سطح الأرض ـ٠٠ كما جاء بوصف الفلكى الفيزيائى الكسندر فيليكن جامعة تافتش ـ أمريكا٠٠ ـ

ويرجع فيليكن الأسباب الحقيقية لشدة اهتمام الفيزيائيين بالخيوط الكونية - أنها ربما تساعد بكثافتها وقدراتها على تفسير نظريات نشأة المجرات· ويقول بأن الفكرة خلاصتها أن المجرات تتكثف حول حلقات ضخمة من الخيوط بسبب جاذبيتها· وفى نهاية الأمر تشع الحلقة طاقتها إلى الخارج وتختفى، لكنها تترك مجرة وراءها ويتفق هذا حتى الآن مع مايعرف عن المجرات·

وللمسلم أن يتأمل فيما أورده القرآن الكريم ومنذ١٤٠٠ سنة - فى قول الله تعالى ﴿رفع السماء بغير عمد ترونها﴾

- ويقول فيليكن (لا حاجة للقول بأن اكتشاف الخيوط الكونية سيكون حدثاً مثيراً· فهى سوف تفتح نوافذ على عالم الطاقة الفائقة، قرب الدوى العظيم، وسوف نعرف الكثير عن الكون المبكر)

وسبحان الله العظيم على عظمة القرآن حين أنبأ بذلك بآية جامعة مانعة:

﴿رفع السماء بغير عمد ترونها﴾ صدق الله العظيم!!

والحمد لله على نعمتى الإسلام والقرآن··!!

فمن يستطع أن يدرك عظمة الإعجاز القرآنى فى هذه الخصوصية ومنذ١٤٠٠ سنة؟!

١٥· العلم ولغز أصل الكون

- وعاد ولدى يسأل: وهل فك العلم لغز أصل الكون؟!

- أجبت: ياولدى! منذ أوائل الستينيات فى هذا القرن ووكالة أبحاث الفضاء الأمريكية (ناسا) تبذل أقصى الجهد وعلى مدى ٢٨ سنة لحل لغز نشأة الكون ومع نهاية أبريل (٢٣ - ٤ - ١٩٩٢م) التقط القمر الصناعى كوب صورة علمية لنواتج الانفجار العظيم، وربما يساعد هذا الاكتشاف فى تفسير لغز نشأة النجوم والمجرات· وملخص هذا الكشف يتمثل فى العثور على بذرة المادة الأصلية، والتى نشأ منها الكون، فى الفضاء السحيق· وهذه المادة تغطى مسافة ٩٤ مليار تريليون كيلو متر (٩٤ × ١,٠٠٠,٠٠٠ × ١,٠٠٠,٠٠٠ × ١,٠٠٠,٠٠٠ × ١٠,٠٠٠ كيلو متر) ويقدر علماء ناسا عمرها بخمسة عشر مليار سنة، وظهرت هذه المادة بعد ٣٠٠ ألف سنة من تاريخ وقوع الزلزال العظيم:

- ويؤكد البروفسور جورج سموث أستاذ الفيزياء الفلكية بجامعة كاليفورنيا ورئيس الفريق البحثى، والذى أعلن عن اكتشافاته الحديثة فى ٢٣ أبريل ١٩٩٢، أن المادة الركامية البدائية فى حالة انتشار مستمر، ومن هذا الانتشار ومن

هذه المادة الركامية كانت النجوم، والمجرات، وكانت الجاذبية بين النجوم وكواكبها وأقمارها. ويؤكد سموث أن٩٠٪ من الكون لا زال معتماً غير مرئيى ولم يرصد حتى الآن.

- ويقول سموث أن القمر الصناعى (كوب) الذى أطلق عام ١٩٨٩م أجرى أكثر من٣٠٠ مليون عملية قياس ورصد. الاختلافات فى درجات الحرارة وبدقة متناهية٣٠ على المليون من الدرجة.. راجع جريدة الأهرام عدد ٢٤ - ٤ - ١٩٩٢م.

- وإذا كان الانفجار العظيم (بج بانج) هو البداية، فكيف ياترى تكون النهاية.

- ووفق النموذج المطروح علمياً للانفجار العظيم فإن الأجسام السماوية تستمر فى إشعاع طاقاتها ومادتها حتى تموت، وتنهار مكوناتها بعضها على بعض لتزداد بذلك جاذبيتها على نحو رهيب يجعلها تلتهم أى شىء فى الوجود يقترب منها. والمواد المنهارة من الأجسام السماوية تكون مايسمى بالثقوب السوداء، وهى بحسب الفرضيات أشبه بمادة أصل الكون قبل الانفجار العظيم، بمعنى العودة إلى دورة كونية جديدة!!

وهنا يتجلى الإعجاز القرآنى فى قوله تعالى:

﴿أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون﴾ (الانبياء ٢١:٣٠)

وقوله تعالى: ﴿يوم تطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾ (الأنبياء ٢١: ١٠٤)

١٦. المنظومتان وعلوم الفضاء!!

- ويقول الله تعالى: ﴿إن كل شىء خلقناه بقدر﴾.. ومعنى هذا أن الخلق المنظومى السماوى؛ والخلق المنظومى الأرضى خلق موزون مضبوط فى ذاته وفى مجموعه.. ولكل خلق غاياته وحكمته.. ولكل سنته فى الخلق والتسخير.. لاتبديل ولا تغيير لسنة الله.. ﴿فلن تجد لسنة الله تحويلا ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾.. والمنظومتان بكل مكوناتهما من سماء ومجرات ونجوم وكواكب، والأرض وجبالها وبحارها وأنهارها والنباتات والحيوانات والحشرات والطير وخلافه - كل هذا خُلِقَ لحكمةٍ بالغة يؤثر فى فعاليات خَلق بقية الأشياء فى الكون ويتأثر بها ﴿ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون﴾ (الروم٣٠: ٨) ﴿وما خلقنا السموات والأرض

وما بينهما لاعبين، ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لايعلمون﴾ (الدخان٤٤: ٣٨ - ٣٩).

- والماء والدخان والأحياء كلها من شجر وحشرات ودواب وإنسان ونحل ونمل وطير فى تأثير تبادلى مشترك.. حتى أن البعض بالملاحظة قال: لو أن فراشة طفقت بجناحيها فى بكين لاهتز لها كوبرى سان فرنسسكو فى أمريكا - دلالة على وحدة التأثير والتأثر فى الأرض كلها!!

- ولقد آن الأوان أن لا نتحدث عن مكان دون آخر أو عن مكان دون زمان، أو عن أى مخلوق دون الآخر.. بل الكل فى منظومة مؤثرة ومتأثرة بعضها ببعض: الزمان والمكان.. الساكن والمتحرك.. الحى والميت.. الماء والهواء.. النار والدخان.. الجبال والبحار.. السحاب والآبار.. الدخان والأزهار.. الانسان والحيوان.. الأسماك والطيور - كل خلق الله مُؤثِرٌ ومُتَأثِرٌ فى حركة الحياة فى الكون.. وبدرجة أو بأخرى!!

- ولا يتسنى لنا الربط بين كل هذه الأشياء المؤثرة والمتأثرة إلا بالرصد الفضائى ومن أعلى نقطة فى الفضاء لِنَرَى الاكثر من الاشياء فى آن واحد.. ولندرك علاقات الكل بالكل.. المناخ وتأثراته وتغيراته.. الزلازل والبراكين.. الطاقات الكونية من حركة رياح وطاقات ضوئية وحرارية.. الماء والكربون وشأنهما واسهاماتهما فى حياة الكون.. مجهودات البشر فى الكون اثارة واعماراً، سعياً وكدحاً، أو فساداً واختلالا!!

- ولكل ما تقدم اكتسبت النظرة الفضائية بشموليتها الأهمية الايمانية والحياتية.. الأهمية العلمية والعملية.. لِفَلَاحِ ونَجَاحِ واعمارِ الكون.. ونحن المسلمون مطالبون بهذا النظر الشامل قبل غيرنا وبأوامر قرآنية..﴿إقرأ﴾ و ﴿سيروا﴾ و ﴿انظروا﴾ و ﴿ألم تر﴾ و ﴿ألم يروا﴾ و ﴿كشفنا عنك غطاؤك فبصرك اليوم حديد﴾.. وجامعة الدول العربية ومنظمة الدول الاسلامية أولى المنظمات المطالبة بتَبَنى برنامجاً فضائياً عربياً واسلامياً للشئون العلمية والاعمارية.

- والبداية لهم ﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون﴾!!

- والبشارة لنا ﴿لتركبن طبقاً عن طبق﴾؟!!

- لكن متى ندرك ونعمل جوهر تكليفنا بارتفاق تكنولوجيات الفضاء فى صميم فقه الحياة وإرادتها؟!.. الله أعلم!!..

رجاء فى خاتمة

- يُولَدُ نشأ ويرحل جيل.. وموضوعنا جديد متجدد مادامت الحياة.. الكلام هُوَ هُوَ.. الموضوعات متماسكة مترابطة ترابط الروح بالجسد.. متصلة إتصال أعضاء الجسم.. كل شىء متمم مكمل لبقية الأشياء.. صَغُرَ الامرُ أو كَبُر فهو مؤثر فى الكون كله!!..

- صحيح أن فهم كل هذه الأمور يمس فطرة الإنسان ويحركها.. والوصف القرآنى للجماديات وللأحياء قاطع جازم.. والسنن البشرية للسلف والخلف لاتبديل ولا تحويل فيها..

- نعتقد أن كل عمل نافع يقع تحت تصنيف من تكاليف الإسلام فى الإعتقاد والعمل والعبادات والمعاملات بكلية جامعة لاتجزىء فيها!!..

- زادتنا المُدارسة قناعة بأن التفكير فريضة من فرائض الإسلام.. وزادت قناعتنا أكثر وأكثر بأن آيات النظر فى القرآن هى محور الحياة العقلية للإنسان..

- أدركنا أن سر تخلفنا يكمُن فى أننا أهملنا الفهم السليم لفقه الحياة فى القرآن والسنة.. ونكساتنا تكمُن فى تحزبنا فرقاً مذهبية وشيعاً عرقية..

- أدركنا أن سنن الخلق والتسخير والتدبير للجماديات وللأحياء هى منجم التوحيد والإيمان المُتَشَيِّد على أساس عقلى وروحى..

- راجعنا المنظومة السماوية فوجدنا أن المعارف البشرية مُغتَرَفَة من منابع القرآن والسنة النبوية المُشرفة..

- فى مُدارستنا رُحنا نجوبُ اليابس، ونطوفُ البحار، ونحفرُ ماتحت الثرى، ونصعدُ فى غلاف جو الأرض، ونتجاوزه إلى الفضاء الخارجى - فوجدنا لكل ظاهرة مقام ومقال، وأثرٌ، وتأثر، وتأثير على بقية الظواهر والأشياء.. يسود صفاء وسكينة وإتزان مالم يُفسِد الإنسان بيئةً أو يخالف سُنةً قرآنية، فيحل فساد وإختلال

ودمار !!٠٠

- نظرنا فى واقع حياتنا فوجدنا أننا أمام مؤامرات قسرية٠٠ تتسم بالفتن، تُبعِدُ الفرد عن منهج ربه، والأسرة عن إسلاميتها، وتُقرب المجتمع من تبعية وتغريب فكرى وثقافى، تسُود مجتماعتنا فتن جديدة متجددة بنعرات عرقية وإقليمية ومذهبية، حتى سُددِّ للجسد الإسلامى طعنات دامية مميتة، وأصبحنا فى حاجة لمحاصرة قيح، ونقل دم، وترويض روح، وعزم فتية آمنوا بربهم ٠٠

- رجونا الله داعين أن يوفقنا للقيام بتكليفاته فى العبادات والمعاملات والأخلاق وفى شتى نشاطات الحياة٠٠

- مشاكلنا مشاكل فهم بصرٍ وبصيرة، عقل وإيمان وكياسة٠٠

- واجبنا أن نسعى ونبتغى ونبنى قواعد القوة بمنهج الاسلام وجوهره٠٠

- علاجنا يبدأ بإستنهاض الفرد والأسرة على منهجى القرآن والسنة٠٠ آخذين بسنن التدرج والدفعية بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر٠٠ لا إكراه فى الدين، ولا تجزئة فى سنن الله ورسوله ﷺ٠٠

- اتفقنا أن ننتقل لمُدارسة الإنسان فى القرآن لعل الصورة تتكامل٠٠ من ناحية حياته النفسية والعقلية والفكرية والثقافية والحضارية٠٠ تربيته وتعليمه وتدريبه٠٠ نظمه الفردية والأسرية والمجتمعية والشعوبية والدولية٠٠

وهذا هو موضوع مُدارستنا القادمة إن شاء الله تعالى٠٠

أهم المراجع والمصادر

١- القرآن الكريم.

كتب التفاسير:

٢- القرطبي.

٣- ابن كثير.

٤- في ظلال القرآن، سيد قطب.

٥- تفسير الجلالين.

٦- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني.

٧- تفسير فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي.

٨- تفصيل آيات القرآن الحكيم، جول لابوم ـ فرنسي.

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

= مصادر السنة النبوية المشرفة.

٩ – الجامع الصغير وزياداته.

١٠ – صحيح البخاري.

١١ – صحيح مسلم.

١٢ – سنن أبي داود.

١٣ – سنن الترمذي.

١٤ – سنن النسائي.

١٥ – سنن ابن ماجه.

١٦ – مسند الإمام أحمد.

١٧ – مستدرك الحاكم.

١٨ – فتح الباري، في تفسير صحيح البخاري.

١٩ – فقه السنة، فضيلة الشيخ السيد سابق.

٢٠ – إصدارات أعمال القرآن والسنة على الكمبيوتر للشركة العالمية، وصخر، وسلسبيل، بمصر، ودار السنة بالمملكة العربية السعودية.

٢١ – ابراهيم خليل، دكتور، (وتكلم الجلد)، دار الصفا، القاهرة ١٩٩٠م.

٢٢ – ابن أبى الدنيا الحافظ أبى بكر، (العقل وفضله)، مكتبة القرآن، القاهرة ١٩٨٨م.
٢٣ – ابن النقيب أحمد، فى الفقه والأخلاق، (عمدة السالك وعدة الناسك)، حققه وترجمه، نوح حاميم كيلر، أبو ظبى ١٩٩١م.
٢٤ – ابن كثير الإمام الحافظ، (كيف تكون مؤمناً)، المختار الإسلامى للطبع والنشر، القاهرة ١٩٧٧م.
٢٥ – أبو إسحق محمد ابن إبراهيم النعمانى الشافعى، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، (السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج)، مكتبة القرآن، القاهرة ١٩٨٥م.
٢٦ – أبو بكر جابر الجزائرى، (عقيدة المؤمن)، مؤسسة جمال بيروت – لبنان.
٢٧ – أبو حامد الغزالى، (جواهر القرآن)، مكتبة الجندى، القاهرة.
(المنقذ من الضلال)، دار المعارف بمصر.
(أحياء علوم الدين)
٢٨ – أسامة عسل، (الزلزال أصعب ٦٠ ثانية فى تاريخ مصر)، مكتب الخدمات الصحفية، القاهرة ١٩٩٢م.
٢٩ – أحمد بن بيلا، (حديث معرفى شامل)، دار الوحدة للطباعة والنشر بيروت لبنان.
٣٠ – أحمد جمال العمرى، دكتور، (مباحث فى إعجاز القرآن الكريم) مكتبة الشباب، القاهرة ١٩٨٢م.
(مفهوم الإعجاز القرآنى حتى القرن السادس الهجرى) دار المعارف، القاهرة ١٩٨٤م.
٣١ – أحمد خليل، (أضواء على طريق العودة إلى الإسلام)
مصر العربية للنشر والتوزيع ١٩٨٨م.
٣٢ – أحمد رأفت على عبد المنعم، دكتور، (الألوان فى القرآن)
مطبعة الأمانة، شبرا مصر ١٩٩٠م.
٣٣ – أحمد رجب محمد، تحقيق دكتور أبى مصعب البدرى، (الصيدلية المحمدية)
دار الفضيلة ٧ ش الجمهورية القاهرة ١٩٩١م.
٣٤ – أحمد زكى، دكتور، (مع الله فى الأرض)، (مع الله فى السماء)
الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٧م.
٣٥ – أحمد شوقى إبراهيم، دكتور، (أطوار الخلق فى تاريخ الإنسان)
مطابع روز اليوسف الحديدة، القاهرة ١٩٩٢م.
٣٦ – أحمد عبد السلام الكردانى، (نماذج من الإعجاز العلمى للقرآن)
المركز الإسلامى برمنجهام ١٩٧٧م.
٣٧ – أحمد عبد المنعم حسن، دكتور، (البصل والثوم)، الدار العربية للنشر والتوزيع ١٩٨٨م.
٣٨ – أحمد فؤاد الأهوانى، دكتور، (التربية فى الإسلام)
دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣م.
٣٩ – أحمد فؤاد باشا، أ. دكتور، (التراث العلمى للحضارة الإسلامية)
دار المعارف بمصر ١٩٨٤م.
٤٠ – أحمد فؤاد عفيفى، دكتور، وآخرون، (أطلس النبات)

دار المعارف، القاهرة ١٩٩٢م.
٤١ – أحمد كمال أبو المجد، دكتور، (رؤية إسلامية معاصرة، إعلان مبادىء)، دار الشروق، القاهرة ١٩٨٦م.
(حوار لامواجهة)
دار الشروق، القاهرة ١٩٨٨م.
٤٢ – أحمد محمد حسن، دكتور، (القرعيات)
الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٤م.
٤٣ – أحمد محمود سليمان، (القرآن والعلم)
الدار القومية للطباعة والنشر.
(القرآن والطب)
دار العودة بيروت، ١٩٨١م.
٤٤ – البار محمد على دكتور، (خلق الانسان بين الطب والقرآن)
الدار السعودية للنشر والتوزيع ١٩٨١م.
٤٥ – البار محمد على دكتور، (الأمراض الجنسية وعلاجها)
دار المنارة للنشر والتوزيع ١٩٨٧م.
٤٦ – ألبرت فيشلو، كارلوس ف. دياز، اليجاندرو، ريشارد فاجن، روجر د. هانسن، ترجمة ميشيل تكلا، (الأمم الفنية والأمم الفقيرة)
مؤسسة سجل العرب، القاهرة ١٩٨٣م.
٤٧ – البقاعى الإمام الحافظ أبى الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن، (كتاب سر الروح)، مكتبة التراث الإسلامى، القاهرة١٩٩٠م.
٤٨ – (التداوى بالقرآن، بعسل النحل – الحبة السوداء – الأعشاب والنباتات)، دار نهر النيل للطباعة، القاهرة.
٥٠ – الرازى الإمام فخر الدين بن عمر بن الحسين، (عجائب القرآن)
دار الكتب الإسلامية، القاهرة ١٩٨٢م.
٥١ – الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين ابن محمد، (المفردات فى غريب القرآن)، كتاب الجمهورية ١٩٩١م.
٥٢ – الزمخشرى جار الله أبى القاسم محمد ابن عمر، (أساس البلاغة)، دار صادر بيروت.
٥٣ – السيد أبى الحسن على الحسينى الندوى، (ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين)، مكتبة الدعوة الإسلامية.
٥٤ – السيد الجميلي، دكتور، (الإعجاز الكونى فى القرآن)، دار زاهد القدسى، القاهرة ١٩٨٤م.
(الإعجاز الفكرى فى القرآن)، دار بن زيدون، بيروت ـ لبنان ١٩٨٥م.
(إعجاز الطب النبوى)، دار بن زيدون، بيروت ـ لبنان ١٩٨٥م.
(الإعجاز الطبى فى القرآن)، منشورات دار النصر بيروت دمشق ١٩٨٢م.
٥٥ – الطبرى على ابن ربن، الإمام، (كتاب الدين والدولة)، المكتبة العتيقة، تونس.
٥٦ – ألكسيس كاريل، ترجمة شفيق أسعد فريد، (الإنسان ذلك المجهول)، مكتبة

المعارف بيروت.
٥٧ – المقدسى الحافظ ضياء الدين محمد ابن عبد الواحد، (فضائل الأعمال)، مكتبة القرآن، القاهرة ١٩٨٧م.
٥٨ – ألفين توفلر، ترجمة محمد على ناصف، (صدمة المستقبل، المتغيرات فى عالم الغد)، نهضة مصر، القاهرة ١٩٩٠م.
٥٩ – أمينة الصاوى، د. عبد العزيز شرف، (رجاء جارودى وحضارة العرب)، مكتبة مصر، القاهرة ١٩٨٤م.
٦٠ – أندريه كرسون، ترجمة د. عبدالحليم محمود وآخر، (المشكلة الأخلاقية والفلاسفة)، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٤٦م.
٦١ – أوتو شميث، أكاديمى روسى، (نظرية فى أصل الأرض)، دار المعارف بمصر ١٩٦٩م.
٦٢ – إيرلس نورتون لانام، ترجمة دكتور فيليب رفلة، (الكوكب الزمردى)، سجل العرب، القاهرة ١٩٨٠م.
٦٤ – أيريك بير جس، (غزو الكوكب الأحمر)، مؤسسة سجل العرب ١٩٨٣م.
٦٥ – باول شمتر، (الاسلام قوة الغد العالمية)، ترجمة د. محمد شامة، مكتبة وهبة القاهرة، ١٩٨٣م.
٦٦ – بول غليونجى، (قطوف من تاريخ الطب)، مطبعة جامعة عين شمس ١٩٧٩م.
٦٧ – بيار جورج، ترجمة ميشيل أبى فاضل، (مناهج البحث فى الجغرافيا)، المؤسسة الجامعية للدراسات وتانشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٦م.
٦٨ – بيفان، م. فرنش، ترجمة ثابت رزق الله، (أسرار القمر)، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ١٩٨٠م.
٦٩ – جمال الدين حسين مهران، دكتور، (أيات من الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم)، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩١م.
٧٠ – جمال حمدان، دكتور، (شخصية مصر)، موسوعة علمية فى دراسة عبقرية المكان، عالم الكتب، القاهرة ١٩٨٤م.
٧١ – جمال السيد، عقيد، (الغواصة، تاريخ، ومغامرات، ومستقبل)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٥م.
٧٢ – جمعة أمين عبد العزيز، (منهج القرآن فى عرض عقيدة الإسلام)، دار الدعوة، الإسكندرية ١٩٩١م.
٧٣ – جون كلوفر مونسما، ترجمة د. جمال الفندى، (الله يتجلى فى عصر العلم)، مؤسسة الحلبى وشركاه، القاهرة ١٩٦٨م.
٧٤ – جون هولت، (الحرية وما وراءها)، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٨م.
٧٥ – جيمس جينز، ترجمة جعفر رجب، (الفيزياء والفلسفة)، دار المعارف، القاهرة ١٩٨١م.
٧٦ – حامد الجوهرى، (معجزات الله فى الخلق)، كتاب التعاون، القاهرة ١٩٩٢م.
٧٧ – حسن الملطاوى، (رسول الله فى القرآن الكريم)، دار المعارف القاهرة ١٩٨٩م.
(الله والإنسان فى فلسفة أبى حيان التوحيدى)، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٨٩م.
٧٨ – حسن فهمى، (أضواء من الحقيقة العظمى حقائق علمية واجتماعية من القرآن)، دار

المعارف القاهرة ١٩٨٩م.
٧٩ – حمادة إبراهيم، دكتور، (عشرة كتب فى كتاب واحد)، دار الفكر العربى ١٩٨٨م.
٨٠ – حمدى قنديل، (إتصالات الفضاء)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٥م.
٨١ – حنفى محمود، (التفسير العلمى للآيات الكونية فى القرآن)، دار المعارف، القاهرة،١٩٨٠م.
٨٢ – خالد محمد خالد، (الدولة فى الإسلام)، دار ثابت، القاهرة ١٩٨٢م.
٨٣ – خلف محمد الحسينى، (دليل الحيران فى آيات من القرآن)، دار نهضة مصر ١٩٨١م.
٨٤ – دانييل ج. بورستين ١٩٧٨م، ترجمة: زغلول فهمى، (جمهورية التكنولوجيا تلأملات فى مجتمع المستقبل فى الولايات المتحدة الأمريكية)، مطبوعات كتابى، القاهرة ١٩٨٥م.
٨٥ – دوب إس سى، مترجم، (التغير الإجتماعى)، مكتبة نهضة الشرق ١٩٨٤م.
٨٦ – دافيد ماكلليلاند، مترجم، (مجتمع الانجاز)، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة.
٨٧ – دونالد دون دى نيفى، ترجمة ميشيل تكلا، (إلى أطراف الكون،إستكشاف الفضاء فى القرن العشرين)، مكتبة الوعى العربى، القاهرة ١٩٨٢م.
٨٨ – رشدى سعيد، دكتور، (نهر النيل، نشأته وإستخدام مياهه فى الماضى والمستقبل)، دار الهلال، القاهرة ١٩٩٣م.
٨٩ – رشدى فكار، دكتور، (التحدى الإعجازى للإسلام)، مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٨٢م.
٨٩ – رضا هلال، (الصراع على الكويت مسألة الأمن والثروة)، سينا للنشر ١٩٩١م.
٩٠ – رمزى الغنيمى، (منظومة العقل البشرى)، كتاب الحرية ١٩٩١م.
٩١ – روبرت كاون، مترجم، (البحار وما فيها)، مؤسسة سجل العرب ١٩٦٦م.
٩٢ – رياض العبد الله، (٢٥ ظاهرة حيرت العلماء)، دار الكتاب العربى دمشق ١٩٨٧م.
٩٣ – ريشارد بريس، وفريق من المحللين، تقرير الكونجرس، (أمريكا والسعودية – تكامل الحاضر، تنافر المستقبل)، سينا للنشر، القاهرة ١٩٩١م.
٩٤ – ريتشارد س. فيتر، أ. د.، ترجمة ميشيل تكلا، (علم المحيطات، وصف المحيطات وظواهرها)، مطبوعلت كتابى، القاهرة ١٩٨٢م.
٩٥ – ريتشارد نيكسون، الرئيس الأسبق لأمريكا !!، ترجمة أحمد صدقى مراد، دار الهلال ١٩٩٢م، (الفرصة السانحة)
٩٦ – رين هارت بردور، مترجم، (الإتصال مع النجوم)، جزءان، مؤسسة الإيمان بيروت، ودار الرشيد دمشق ١٩٨٨م.
٩٧ – سامى الدروبى، دكتور، (علم النفس والأدب)، دار المعارف ١٩٨١م.
٩٨ – سامية مصطفى الخشاب، دكتور، (علم الإجتماع الإسلامى)، دار المعارف، مصر ١٩٨٧م.
٩٩ – ستيفانى يانشنسكى، مترجم، (هندسة الحياة – العصر الصناعى للبيوتكنولوجيا)، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٠م.
١٠٠ – سعد أحمد منصور، دكتور، (قراءات فى تنمية الموارد البشرية)، وكالة

المطبوعات الكويت ١٩٧٦م.
١٠١ – سعد شعبان، مهندس، (أسرار العلم)، ١٩٨٧م.
(الطريق إلى الكواكب)١٩٩٠م.
(أسرار الفضاء)، ١٩٨٨م.
الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
١٠٢ – سعيد حوى، (كى لانمضى بعيداً عن إحتاجات العصر)، دار السلام للطباعة والتوزيع، القاهرة ١٩٨٤م.
١٠٣ – سيد قطب، (الإسلام ومشكلات الحضارة)، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٢م.
١٠٤ – سيمونا جاناسى آجر، ترجمة فاطمة بهجت، (نحو مجتمع جديد)، مؤسسة دار التعاون، القاهرة ١٩٨٢م.
١٠٥ – شنتاروا إيشهارا، ترجمة هالة العورى، (اليابان لم تقل لا، صراع المستقبل بين الكبار)، يافا للدراسات والأبحاث، القاهرة ١٩٩١م.
١٠٦ – عائشة عبدالرحمن، دكتورة بنت الشاطئ، (الإعجاز البيانى فى القرآن ومسائل ابن الأزرق)، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٧م.
١٠٧ – عباس محمود العقاد،
(الإنسان فى القرآن)،
(المرأة فى القرآن)،
دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٧م.
(الفلسفة القرآنية)،
دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٤٧م.
(الإسلام والحضارة الإنسانية)
(الديموقراطية فى الإسلام)،
منشورات المكتبة العصرية، صيدا بروت.
١٠٨ – عبد التواب عبد الحى، (النيل والمستقبل)، مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٩٨٨م.
١٠٩ – عبد الجليل شلبى، دكتور، (مفتريات المبشرين على الإسلام)، (المختار الإسلامى، ١٩٩٢م.
١١٠ – عبد الحليم الجندى، (أحمد ابن حنبل إمام أهل السنة)، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧م.
١١١ – عبد الحليم محمود، دكتور، الإمام.
(الحمد لله هذه حياتى)، دار المعارف.
(محمد رسول الله)، مترجم عن إيتين دينيه، دار المعارف، ١٩٨٦.
(التوحيد الخالص أو الإسلام والعقل)، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٧٣م.
(الإسلام والعقل)، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٨م.
(القرآن فى شهر القرآن)، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٥م.
(الإسراء والمعراج)، دار المعارف بمصر١٩٩٠م.
١١٢ – عبدالرزاق نوفل، دكتور،
(السنة والعلم الحديث)، دار الشعب، القاهرة.

(إسلامنا بين التصديق والتطبيق)، كنوز للإنتاج الإعلامى ١٩٨٩م.
(المسلمون والعلم الحديث)، دار الشروق، ١٩٨٨م.
١١٣ - عبد الرحمن حامد، دكتور، (القرآن وعلم الحيوان)، الدار السودانية للكتب، الخرطوم.
١١٤ - عبد العزيز العلى المطوع القناعى، (العلم بين القديم والجديد، فى رحاب القرآن الكريم)، مطابع الإسلام، الكويت ١٩٧٥م.
١١٥ - عبد العظيم إبراهيم محمد المطعنى، (أوربا فى مواجهة الإسلام، السلئل والأهداف)، مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٩٢م.
١١٦ - عبد العليم عبد الرحمن خضر، دكتور، (الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن)، (المنهج الإيمانى للدراسات الكونية فى القرآن الكريم)، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة والرياض ١٩٨٧م.
١١٧ - عبد الغنى عبد الرحمن محمد، (مكة أم القرى، لماذا؟)، دار الفكر العربى١٩٩٠م.
١١٨ - عبد الغنى محمد سعد بركة، دكتور، (الإعجاز القرآنى وجوهه وأسراره)، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٩م.
١١٩ - عبد الغنى محمود، دكتور، (الملامح العامة للمجتمع الإسلامى)، دار الفكر العربى، القاهرة١٩٨٠م.
١٢٠ - عبد المتعال الجابرى، (نظام الحكم فى الاسلام)، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٤م.
١٢١ - عبد الكريم دهينة، دكتور، (سر الوجود بين الحفريات والقرآن)، دار الشرق الأوسط للنشر، القاهرة ١٩٩٢م.
١٢٢ - عبد المحسن صالح، (ومن كل شىء خلقنا زوجين)، عكاظ للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ١٩٨٤م.
(من أسرار الحياة والكون)
كتاب العربى، يوليو ١٩٨٧م.
١٢٣ - عبد المنعم الحفنى، دكتور، (المعجم الفلسفى)، الدار الشرقية، القاهرة١٩٩٠م.
١٢٤ - عبد المنعم بلبع، دكتور، (استصلاح الأراضى)، (الأرض والإنسان فى الوطن العربى)، دار المطبوعات الحديثة، الإسكندرية ١٩٧٣م.
١٢٥ - عبد الفتاح محمد طيرة، دكتور، (خلق الإنسان، دراسة علمية قرآنية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٨م.
١٢٦ - عبد الله النفيسى، دكتور، (الحركة الإسلامية: رؤية مستقبلية - أوراق فى النقد الذاتى)، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٨٩م.
١٢٧ - عبد الوهاب عبد الواسع، وزير الأوقاف السعودى، (التحديات التى تواجه العالم الإسلامى)، مطبوعات الشعب، القاهرة ١٩٩١م.
١٢٨ - عز الدين إسماعيل، دكتور، (نصوص قرآنية فى النفس البشرية)، مكتبة غريب، القاهرة ١٩٧٧م.
١٢٩ - على حسب الله، (أصول التشريع الإسلامى)، دار المثقف العربى ١٩٨٢م.
١٣٠ - على عبد الحليم محمود، دكتور، (الغزو الفكرى وأثره فى المجتمع الإسلامى

المعاصر)، دار البحوث العلمية، الكويت ١٩٧٩م.
(عالمية الدعوة الإسلامية)، عكاظ للطباعة والنشر، جدة ١٩٧٩م.
١٣١ – على عبدالله الدفاع، دكتور، (الموجز فى التاريخ الإسلامى)، جون وايللى نيويورك.
١٣٢ – على محمد مطاوع، دكتور، (الكعبة والعلم الحديث)، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة ١٩٧٧م.
١٣٣ – عبد الودود شلبى، دكتور، (الله)، دار الشروق ، القاهرة ١٩٨٧م.
١٣٤ – عكاشة عبد المنان الطيبى، (المرأة فى ظلال القرآن)، دار الفضيلة، القاهرة ١٩٩٢م.
١٣٥ – على عبد الواحد وافى، دكتور، (عبد الرحمن ابن خلدون)، وزارة الثقافة والإرشاد، دار مصر للطباعة ١٩٦٢م.
١٣٦ – على جريشة، دكتور، (القرآن فوق الدستور)، مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٨٦م.
١٣٧ – عيسى عبده، ودكتور أحمد إسماعيل يحيى، (حقيقة الإنسان)، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٨م.
١٣٨ – غريب مجد متبولى، مهندس، (إشارات هندسية فى آيات قرآنية)، دار المجد للدراسات والبحوث الهندسية ١٩٩٢م.
١٣٩ – فاروق أحمد الدسوقى، (الإسلام والعلم التجريبى)، المكتب الإسلامى – مكتبة الخانى، الرياض ١٩٨٧م.
١٤٠ – فخر الدين الرازى، الإمام، تحقيق مصطفى عاشور، (الفراسة، دليلك إلى معرفة أخلاق الناس وكبائعهم وكأنهم كتاب مفتوح)، مكتبة القرآن، القاهرة ١٩٨٧م.
١٤١ – فريد هويل، وشاندرا ويكراماما يتج، ترجمة د. أحمد مستجير، (البذور الكونية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٩م.
١٤٢ – فؤاد أحمد السيد الحطاب، دكتور، (سورة يس بين النحاة والمفسرين)، دار الطباعة المحمدية، القاهرة ١٩٨٨م.
١٤٣ – فهمى هويدى، (مواطنون لا ذميون)، دار الشروق، القاهرة١٩٩٠م.
١٤٤ – فوزى درويش، دكتور، (الشرق الأقصى الصين واليابان)، مطابع غباشى، طنطا ١٩٨٨م.
١٤٥ – فوزى حنفى مدبولى، دكتور، (عيش الغراب، غذاء الصحة والجمال)، مركز البحوث الزراعية، معهد بحوث البساتين، مصر.
١٤٦ – قبارى محمد إسماعيل، دكتور، (علم الإجتماع السياسى)، منشأة دار المعارف بالإسكندرية.
١٤٧ – كارل و. دويتش، ترجمة محمود نافع، (تحليل العلاقات الدولية)، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٢م.
١٤٨ – كلارنس ب. أيديل، ترجمة محمد محمد فرج، (البحار ضد الجوع)، مكتبة غريب، القاهرة ١٩٨١م.
١٤٩ – كمال الدين سامح، دكتور، (العمارة فى صدر الإسلام)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩١م.
١٥٠ – كولن ولسون، ترجمة فؤاد كامل، (فكرة الزمان عبر التاريخ)، عالم المعرفة / ١٥٩، الكويت، مارس١٩٩٢م.

١٥١ – ماكس دييبر، مترجم، (مستقبل الأعمال، قضايا عالمية فى الثمانينات والتسعينيات)، مكتبة الوعى العربى، القاهرة.
١٥٢ – مجاهد توفيق الجندى، دكتور، (تاريخ التربية الإسلامية)، دار المعارف ١٩٨٤م.
١٥٣ – مجدى حسنين، (الصحراء، الثورة والثورة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م.
١٥٤ – محفوظ عزام، دكتور، (حق الإنسان على الإنسان فى ضوء الإسلام)، دار الهداية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٩١م.
١٥٥ – محمد أبو زهرة، الإمام، (التكافل الاجتماعى فى الاسلام)، دار الفكر العربى، القاهرة.
(العلاقات الدولية فى الاسلام)، دار الفكر العربى، القاهرة.
(تنظيم الإسلام للمجتمع)، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٦٥م.
١٥٦ – محمد أحمد الغمراوى، (الإسلام فى عصر العلم)، دار الإنسان، القاهرة ١٩٨٩م.
١٥٧ – محمد اسماعيل ابراهيم، (القرآن واعجازه التشريعى)، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٨٢م.
١٥٩ – محمد السيد سعيد، دكتور، (مستقبل النظام العربى بعد أزمة الخليج)، عالم المعرفة، الكويت، فبراير ١٩٩٢م.
١٦٠ – محمد السيد عبد السلام، دكتور، (الغذاء لسبعين مايوناً تحدى الزراعة المصرية عام٢٠٠٠م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩١م.
١٦١ – محمد الغزالى، (خـلُق المسلم)، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٧٤م.
(كفاح دين)، مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٩١م.
(معالم المنهج الإسلامى)، دار الشروق، القاهرة ١٩٩١م.
(كيف نتعامل مع القرآن)، هيرندن ـ فرجينيا ـ الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٨١م.
(تراثنا الفكرى فى ميزان العقل والشرع)، دار الشروق، القاهرة ١٩٩١م.
(الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر)، مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٨٩م.
(ظلام من الغرب)، دار الإعتصام، القاهرة ١٩٧٨م.
(الطريق من هنا)، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٢م.
(الإسلام دين الحياة، أزمة الشورى)، دار الشرق الأوسط للنشر، القاهرة١٩٩٠م.
١٦٢ – محمد الفقى، (النفس وأمراضها وعلاجها)، محمد على صبح – الأزهر١٩٧٠م.
١٦٣ – محمد جمال الدين الفندى، دكتور، (مع القرآن فى الكون)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢م.
(الإسلام والكون)، دار الشرق الأوسط للنشر، القاهرة١٩٩٠م.
(الله والكون)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦م.
(الإسلام وقوانين الوجود)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٣م.
١٦٤ – محمد سراج الدين عفيفى، دكتور، (آيات التوحيد قوانين الله وليست قوانين الطبيعة)، دار الفكر العربى ١٩٩١م.
١٦٥ – محمد سليم العوا، دكتور، (فى النظام السياسى للدولة الإسلامية)، سبع طبعات مؤسسة الأهرام، وطبعة دار الشروق ١٩٩٢م.

١٦٥ – محمد صادق العدوى، دكتور، (نظم المياه)، دار الراتب الجامعية، بيروت ١٩٨٥م.
١٦٦ – محمد عبد المنعم القيعى، دكتور، (الإسلام تعقل وإستبساط) دار الشعب، القاهرة ١٩٨٨م.
١٦٧ – محمد عبد المنعم خفاجى، دكتور، (الإسلام ونظريته الإقتصادية)، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
١٦٧ – محمد عبد القدوس، (الإسلام فى حياتنا الحديثة)، مكتبة مصر، القاهرة ١٩٩٢م.
١٦٨ – محمد عمارة، (الصحوة الإسلامية والتحدى الحضارى)، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٢م.
١٦٩ – محمد على البنبى، دكتور، (نحل العسل فى القرآن والطب)، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة ١٩٨٧م.
١٧٠ – محمد فتحى عوض، دكتور، (الماء)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة١٩٧٩م.
١٧١ – محمد قطب، (الإنسان بين المادية والإسلام)، دار الشروق، بيروت ١٩٧٨م.
١٧٢ – محمد كامل عبدالصمد، (الإعجاز العلمى فى الإسلام)، الدار المصرية اللبنانية١٩٩٠م.
١٧٣ – محمد كمال عبد العزيز، دكتور، (الأطعمة القرآنية غذاء ودواء)، مكتبة القرآن، القاهرة ١٩٨٨م.
١٧٤ – محمد متولى الشعراوى، مكتبة الإمام، (معجزة القرآن)، مكتبة التراث الإسلامى، القاهرة ١٩٨٨م.
(الإسراء والمعراج)، دار المسلم، القاهرة.
١٧٥ – محمد محمد الجوادى، (مشرفة بين الذرة والذروة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٨٠م.
١٧٦ – محمد محمود عبد الله، (مظاهر كونية فى معالم قرآنية)، مؤسسة الخليج العربى، القاهرة ١٩٩٢م.
١٧٧ – محمد معروف الدواليبى، (موقف الإسلام من العلم)، دار الكتاب المصرى ١٩٧٩م.
١٧٨ – محمد مورو، دكتور، (الإسلام وأمريكا حوار أم مواجهة)، تحليل لكتاب ريتشارد نيكسون – الفرصة السانحة، الروضة للنشر والتوزيع ١٩٩٢م.
١٧٩ – محمد يحيى الهاشمى، دكتور، (الكيمياء فى التفكير الإسلامى)، دار الفكر العربى، حلب/القاهرة ١٩٥٨م.
١٨٠ – محمود المقداد، دكتور، (تاريخ الدراسات العربية فى فرنسا)، عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٢م.
١٨١ – محمود محمد بابللي، دكتور، (الإقتصاد فى ضوء الشريعة الإسلامية)، دار الكتاب اللبنانى، بيروت١٩٨٠م.
١٨٢ – محمد كامل عبد الصمد، (الإعجاز العلمى فى الإسلام)، جزءان، (وثبت علمياً)، الدار المصرية البنانية ١٩٨٩م.
١٨٣ – محمد كامل محمود، دكتور، (الملونات العضوية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العلم والحياة ٢٨/١٩٩٢م.
(العلم والتكنولوجيا فى عالم متغير)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة

١٩٨٨م.
١٨٤ - محمد كمال عبد العزيز، دكتور، (الإنتقام بالإيدز) و (جسم الإنسان وكيف يعمل)، مكتبة ابن سينا ١٩٩١م.
١٨٥ - محمد نجيب حسن، دكتور، ومصطفى خضر مصطفى، دكتور، (أصول البيدولوجى)، المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر، الإسكندرية.
١٨٦ - محمد يوسف مصطفى، دكتور، (حرية الرأى فى الإسلام، المضمون والحدود)، مكتبة غريب، القاهرة ١٩٨٩م.
١٨٧ - محمود حمودة، دكتور، (النفس - أسرارها وعلاجها)، مكتبة الفجالة، القاهرة١٩٩٠م.
١٨٨ - محمود عبد المتجلى خليفة، دكتور، (الإمام مالك)، الأزهر، القاهرة ١٩٩٣م.
١٨٩ - محمود على حماية، دكتور، (ابن حزم ومنهجه فى دراسة الأديان)، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٤م.
١٩٠ - محمود محمد بابللى، دكتور، (السوق الإسلامية المشتركة)، دار الكتاب اللبنانى - بيروت ١٩٧٥م.
١٩١ - محى الدين أحمد حسين، دكتور، (دراسات فى الدافعية والدوافع)، دار المعارف ١٩٨٨م.
١٩٢ - مدحت إسلام، دكتور، وآخران، (الكيمياء الصناعية)، دار المعارف بمصر.
١٩٣ - مصطفى محمود، دكتور، (أينشتاين والنسبية)، دار العودة بيروت ١٩٨٦م.
(عالم الأسرار)، دارأخبار اليوم، القاهرة ١٩٩٢م.
(من أسرار القرآن)، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٨م.
(الإسلام السياسى والمعركة القادمة)، كتاب أخبار اليوم، القاهرة ١٩٩٣م
١٩٤ - مصطفى مسلم، دكتور، (مباحث فى إعجاز القرآن)، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة ١٩٨٨م.
١٩٥ - معن خليل عمر، دكتور، (نحو علم إجتماع عربى)، منشورات وزارة الثقافة العراقية.
١٩٦ - منصور محمد حسب النبى، دكتور، (الكون والإعجاز العلمى للقرآن)، دار الفكر العربى، القاهرة١٩٩٠م.
(القرآن الكريم والعلم الحديث)، الهيئة المصرسة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩١م.
١٩٧ - موريس بوكاى، (القرآن والتوراة والإنجيل والعلم)، الفتح للإعلام العربى، القاهرة، مترجم.
١٩٨ - مونتجومرى وات، ترجمة حسين أحمد أمين، (فضل الإسلام على الحضارة الغربية)، دار الشروق، بيروت، القاهرة ١٩٨٦م.
١٩٩ - ميروسلاف بتسوليتش وآخرون، ترجمة حازم توفيق، (العلم والتكنولوجيا)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٥م.
٢٠٠ - نعمات أحمد فؤاد، دكتورة، (شخصية مصر)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩م.
٢٠١ - هنرى جاكسون، مترجم، (الجغرافيا السياسية للنفط)، تقرير الكونجرس، سينا

للنشر. القاهرة ١٩٩٠م.
٢٠٢ – هنرى د. فوث. مترجم. (أساسيات علم الأراضى). دار جون وايللى نيويورك ١٩٨٥م.
٢٠٣ – هومر س. طومسون. (محاصيل الخضر). الدار العربية للنشر والتوزيع ١٩٨٥م.
٢٠٤ – هيرمان شنايدر. ونينا شنايدر. (الصخر والنهر وتقلبات البر والبحر). دار المعارف بمصر ١٩٦٦م.
٢٠٥ – وحيد الدين خان. (الدين فى مواجهة العلم). المختار الإسلامى للطباعة والنشر ١٩٧٣م.
٢٠٦ – وليم فرجارا. مترجم. (كنوز العلم). منشورات مكتبة التحرير بغداد ١٩٨٧م.
٢٠٧ – يحيى المحجرى. دكتور. (آيات قرآنية فى مشكاة العلم). دار المختار الإسلامى. القاهرة ١٩٩١م.
٢٠٨ – يحيى عبد الله المعلمى. فريق. (الشواهد والأمثال فى القرآن الكريم). دار الإعتصام. القاهرة ١٩٨٩م.
(كلمات قرآنية أو مفردات القرآن). دار المعلمى للنشر. الرياض ١٩٨٧م.
٢٠٩ – يحيى وزيرى. مهندس معمارى. (التعمير فى القرآن والسنة). دار الكتب المصرية. رقم إيداع ١٩٩٢/٣٠٥٠.
٢١٠ – يوسف القرضاوى. دكتور.
(الإيمان والحياة). (الخصائص العامة للإسلام). مكتبة وهبة. القاهرة ١٩٩٠م.
(المرجعية العليا فى الإسلام للقرآن والسنة). مكتبة وهبة. القاهرة ١٩٩٢م.
(الرسول والعلم). مؤسسة الرسالة. بيروت ١٩٨٤م.
٢١١ = سلسلة الدين والحياة. المكتب الفنى لنشر الدعوة الإسلامية. وزارة الأوقاف – مصر.
٢١٢ = سلسلة الألف كتاب. دار الكرنك للنشر والتوزيع. مصر.
٢١٣ = سلسلة (كل شىء). دار المعارف. مصر.
٢١٤ = سلسلة تبسيط العلوم، والألف كتاب. الهيئة المصرية العامة للكتاب. مصر.
وسلسلة المستقبليات ـ راجى عنايت. المصور ـ دار الهلال. مصر.
٢١٥ = دوريات العربى، عالم المعرفة، والوعى الإسلامى. الكويت.
٢١٦ = سلسلة أعلام العرب. الدار المصرية للتأليف والترجمة. مصر.
٢١٧ = دورية المقالات العلمية بمجلة الأزهر. مصر.
٢١٨ = متن وشروح مجلة الأحكام العدلية. (درر الحكام). على حيدر ـ دار الجيل بيروت ١٩٩١م.
٢١٩ = الصحف والمجلات والدوريات العربية والأجنبية.
٢٢٠ = أعمال المؤتمرات، والندوات، والمواسم الثقافية. بالجامعات والجمعيات العلمية ومراكز البحوث والنقابات.

كشاف تحليلى

للأعلام والبلدان والموضوعات

- مرتب ترتيب قاموسى
- روعى ان الكلمة هى الوحدة فى الترتيب ثم الحرف الذى يليها.
- (ال) التعريف تغفل ترتيبا مع بقائها رسما وتحسب إذا كانت من أصل الكلمة.
- الألف الممدودة تحسب ألفين.
- واو العطف تحسب فى الترتيب.
- الأسماء العربية تكتب كما هى حتى المشهورة والكنية.
- الأسماء الأفرنجية تقلب باسم العائلة.
- عدم التعرض للهوامش.
- لم تذكر الآيات والسور والنصوص القرآنية بداهه.
- الفاظ الشمس والقمر والكون والأرض لم تذكر لشمولها جل الكتاب كذلك أسماء الخضراوات والفواكه.
- لم يذكر أسماء المؤلفين اكتفاء بعنوان الكتاب مع الإشارة للمؤلف.
- عند ذكر ابوللو اكتفينا بذلك لتعدد الأرقام.

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

رقـم الإيــداع

٩٤/٨١٠٥

مطابع المكتب المصري الحديث
MODERN EGYPTIAN PRESS
ت : ٢٢١١٠٧١ - ٢٢١١٠٧٢ - فاكس ٢٢١١٠٧٣